

معظم بيع

الطبعة الثانية

عدو محارب

رحلة مسلم بريطاني

إلى معتقل غوانتانامو ذهابا وإيابا

لنقله إلى القرية

أيهم السباغ

العبيكان
Obeyan

عدو محارب

رحلة مسلم بريطاني إلى معتقل غوانتانامو ذهابا وإيابا

معظم بيع

نقله إلى العربية

أيهم الصباغ

قناة

@neverstoplearningN

العربي
Obelisk

ENEMY COMBATANT

Mozzam Begg with Victoria Brittain

ISBN 0-343-95474-5

Address: 11000, 84-7th & University, Cambridge, MA 02138-6A12

حلول الضمة العربية بحرف طه للممكنين بالتملكه مع مطابقه جوامعا بها تدور الملكية المتحدة

© 2001, Kluwer

مكتبة الميقات 1434هـ

مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء البناء

سید محمد

عدد محارب / معظم بيغ اليوم الصباغ - ط2 - التواضع 1414هـ

24-04-5 448

978 401 303 494 1 - رقم الكتاب

1 - معتمد الخزانة العامة 2 - المحاسب 3 - المصنف (مترجم) 4 - المصنف

40.53 40.54

1434 / 3400 (عشر المجلد)

الطبعة العربية الثانية 1434 هـ، 2013 م

المختبر الجيني

المنطقة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبد العزيز الأول
هاتف 4700454 فاكس 4700455

هاتف: 43984654 فاكس: 43984695 ج.ب. 67822 الرياض 11517

موضوعنا على الإنترنت

www.elsevier.com/locate/jbiotec

مستخرج من المخطوطات

<http://itunes.apple.com/us/app/what-the-3rd-grader-says/id391913609>

استثمار التوزيع شركة مكتبة

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العمروس

تلف: 4140014 4144428 - فاكس: 4450729 ص ب: 83007 الرياض 11599

[illegible]



الإهداء

إلى

والدري، وزينب، وأطفالي

المحتوى

الصفحة

الموضوع

| | |
|-----|---------------------------|
| 9 | الشكر |
| 11 | ملاحظة المؤلف |
| 13 | مقدمة |
| 21 | 1- اعتقال لا قانوني |
| 41 | 2- اللينكس |
| 65 | 3- المضطهدون |
| 83 | 4 - مهمة إنسانية |
| 105 | 5- الأشباح |
| 137 | 6- «الإنجليزي» 558 |
| 169 | 7- الاختبار الأصعب |
| 197 | 8- وكلاء الشيطان |
| 227 | 9- صدى العزلة |
| 267 | 10- اختبار القوة |
| 303 | 11- الوهم المزعج |
| 333 | 12- إيقاع الأسلاك الشائكة |
| 367 | 13- مهزلة العدالة |
| 415 | 14- هل تعرفين من أنا؟ |
| 459 | الخاتمة |

التشكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كنت مندفعاً بما يكفي، ما إن عدت من غوانتانامو، ساذجاً بما يكفي لأعتقد أن بمقدوري إنجاز هذه المهمة وحدي. أدركت، بعد وقت قصير، أنني أجهل كيفية البدء. ومع ذلك كنت محظوظاً للغاية. وذلك للالتقاء بفيكتوريا بريثين خلال الأسبوعين الأولين لعودتي. مفاجئاً، بما يفرح النفس، بمعرفة أنها كانت تعمل بقوة لمساعدة عائلات معتقلي غوانتانامو. كانت واحدة ممن يهتمون لأمرهم بالفعل.

كانت الأخبار حول إسهامها في المسرحية، «غوانتانامو: التزام شرف بالدفاع عن الحرية»، كانت قد وصلت إلى مسامعي حين كنت في المعتقل. سعدت، بالتالي، لعدم اضطراري إلى بذل كثير من الجهد بحثاً عن من يساعدني في كتابة قصتي.

أود، علاوة على ما سبق، أن أعبر عن امتناني على وجه الخصوص لفيروز صياسي (الذي اقترح العنوان، حين كنا في غوانتانامو)، وأبو بكر، وأندرو غوردن، وكثيف سنافورد سميث، وغاريت بيرس، ويات كافاناغ، وجون غيتيلغز، ووالدي عظلمات بيغ، لما بذلوه من جهد ثمين في تنقيح، وتصحيح هذا العمل، علاوة على ما قدموه من اقتراحات بشأنه. أود كذلك شكر سيما أحمد، وأدوين بارستو، وهانا كوربيت، وتيم أوتي، وطارق صادق، ومايكل راتمر، وهيلين ومايك أولدهيلد، ورونان بينيت، وشيلا جوشوا، وماري، وغاي، ويثيث (هريق الطباعة، ويلز)، ومن أمريكا، جوشوا دراتيل، والرائد دان موري، ونيل كاتبال، وديفيد ريمس.

عملت في بعض الأحيان بكبد على إنجاز هذا الكتاب، وما كان لي تحقيق ذلك دون دعم زوجي، زيب، وصبرها، ما أنفك طقلاي، أمانة وعبد الرحمن بيديان الاهتمام بتقديم، بالرغم من صغر سنهما، وكثيراً ما كانا يقرآن أجزاء من الكتاب. كان لتشجيع كل منهم، بالفعل، عظيم الأثر في إنجاز هذا العمل.

ملاحظة المؤلف

يستند مصدر الحوارات الواردة في هذا الكتاب بشكل رئيس إلى ما أمكنني تذكره منها، ولكن هناك ملاحظات دقيقة موضوعة من قبل المحامين ومن قبلي ومع ذلك، فقد انخرطت في أحاديث تساعد على استذكارها، وتأكيد ما ورد فيها، ولم تكن هذه الحوارات قليلة الأهمية، فقد أعيدت صياغة معظمها في هذا الكتاب، وإن كان القليل منها - الأكثر حداثة على نحو خاص - قد كُتب بعرفته تقريبا.

أدركت على الدوام أن الأسماء المقدمة إليّ من قبل عناصر الاستخبارات، والضباط لم تكن حقيقية، ومع ذلك احتفظت بها، ولكن تم تغيير أسماء أخرى وردت في الكتاب لأسباب قانونية. نظراً لما تتسم به مواضيعه من حساسية.

فضلت، بالنظر إلى استحالة وضع العديد من اللغات الشرقية في الكتاب، بكل ما تتسم به أحرفها، وطريقة نطقها من تمييز، فضلت إبراد ما يقاربها من كلمات، من الناحية اللفظية، عند ترجمة أسماء الأشخاص، أو الأماكن، أو الخطب، أو المصطلحات (كما بالنسبة «لمكة»، و«المدينة»، و«القاعدة»، على سبيل المثال). تعد هذه الطريقة شائعة الآن في الأعمال الإنجليزية المنقولة من العربية.



مقدمة

لم يهرح منظر الأسلاك ذاكرتي، بينما كنا نسير حول السياج على غير هدى. ما انفك الحراس يبرزاتهم العسكرية - ناهيك عن الكاميرات، نعلوها المدافع الرشاشة - ما انفكوا يراقبون كل تحركاتنا. كان الوضع بائسا، والأمل منعدما، بلا أي نهاية تلوح في الأفق. لم يكن المرء يقادر على احتمال رتابة الحياة اليومية وكآبتها، علاوة على أجواء القلق والخوف، وما اعتراها من شكوك حول المستقبل.

همست إلى أحد رفاقي المعتقلين، قائلاً: «كم يمكننا الاحتمال بعد؟»، لقد أصبح ذلك مستحيلاً. إن لم نتخذ موقفاً الآن، فسنفقد احترامنا لأنفسنا، ناهيك عن حريتنا». أجابني بهدوء قائلاً: «الصبر يا أخي، الصبر. لا بد أن تتحلى به».

وقع المخطور فيما بعد، اتهم الرصاص فوق رؤوسنا، لا يفرق بين أحد منا، لتسقط الجثث من حولي، استدبرت إلى رفاقي، أحدثه بصوت مكتوم عن الهرب، لأجدهم، كما الآخرين، ميتاً. كان الجميع قد أمسيوا، باستثنائي. وجدتي عاجزاً عن القيام بأي شيء، قبل أن أرفع الأذان على مسمع العالم، بأعلى صوت ممكن.

كنت أعلم أن زوجي تنتظر مولوداً، أملاً أن أكون بجانبها حين تضعه. أدركت، ما إن سمعت أحدهم يصرخ عير الأسلاك، قائلاً: إن الطفل كان على وشك القدوم إلى عالمنا - بينما كان والده معتقلاً خلف الأسلاك الشائكة - أدركت أن الوقت سيطول قبل الالتقاء بعاثتي مجدداً، وإن نجوت من المجزرة. أصبحت في تلك اللحظة غافلاً عما يدور من حولي. رفعت يديّ عالياً، كما يفعل المسلمون كافة، قبل أن أجهش بالبكاء. همست أصوات في أذني تدعوني إلى طلب المون من الله، والتعاس رحمة. ما انفكت يداي ترتفعان، تشقان علان السماء، حتى اخترقنا القيوم. كنت لا أزال أنتحب مع ذلك.

استيقظت في تلك اللحظة، بجانب زوجي التي كانت قد استيقظت على أصوات تحيبي، سائلة إياي بصوتها الحائس الرقيق، عما كان يزعجني، لأخبرها عما رأيته في ذلك الكابوس، وقد كان ذلك في العام 1995، ولم أدرك ما يعنيه حقيقة إلا بعد مضي سبع سنوات آخر.

كانت إحدى المجندات الأمريكيات، بما يدعو للاستغراب، من اقترحت علي البدء في كتابة عمل يتمحور حول هذا الكابوس، بعد أن أخبرتها عنه في شتاء العام 2002، في مركز اعتقال قاعدة باغرام الجوية الأمريكية، في أفغانستان، حيث كنت معتقلاً أكثر من عشرة أشهر. أخبرتها عن التشابه المذهل بين ما رأيته في ذلك الكابوس، وما مررت به في قندهار، وباغرام.

راودتني فكرة كتابة عمل عن حياتي - على ضوء نشوئي في بيرمنغهام، وزيارتي أفغانستان، والبوسنة - منذ العام 1999، حيث كنت قد مررت بالعمل، بحلول تلك الفترة، بعدد من التجارب الاستثنائية، التي أدت في نهاية المطاف، إلى أصعب مراحل حياتي، وأكثرها عمقا، حتى اللحظة الراهنة.

لم أخرج بفكرة كتابة «عدو محارب» على نحو فعلي بعد أن دُوِّنت إلا في أثناء وجودي في معسكر الصدى في خليج غوانتانامو، كوبا، بينما كنت حبيس الزنزانة الانفرادية. تذكرت بعض الملاحظات فيما يتعلق بسيرتي الذاتية، وقد تلقيت تشجيع مسنحوي - من محققي «السي أي آيه»، و«إف بي أي»، و«إم أي فايف» - ناهيك عن أعضاء القاعدة المزعومين، الذين كنت معتقلاً برهنتهم الذين تلقيت تشجيعهم جميعاً على كتابة هذا العمل، حين عدت إلى الوطن أخيراً.

نمثل أحد أكثر ما طمعت إليه من غايات، عبر إنجاز هذا الكتاب، في إيجاد بعض من أرضية مشتركة بين من يقفون على طرفي تقسيم من هذه الحرب الجديدة، وإبراز صوت المقل الذي كثيراً ما ضاع في خضم التعصب، والكراهية.

اتخذت عددا من القرارات المصيرية في حياتي، هرجا ببعضها، حريبا بالأخرى، ولكن جميعها يستحق أن يروى في نظري. إن نقلت تلك الخيارات - وما نتج عنها من عواقب - القراء إلى عالم مختلف للغاية عن ذلك الذي يعيشون فيه بمعظمهم وأسهمت في إيجاد مهم أفضل بمرور الأيام. هاتين أسئلتين حققت بعضا من غايات هذا الكتاب. أما إن لم يحدث ذلك - فسيظل يستحق ما بذل من جهد في سبيل إنجازه.

معظم يبيع

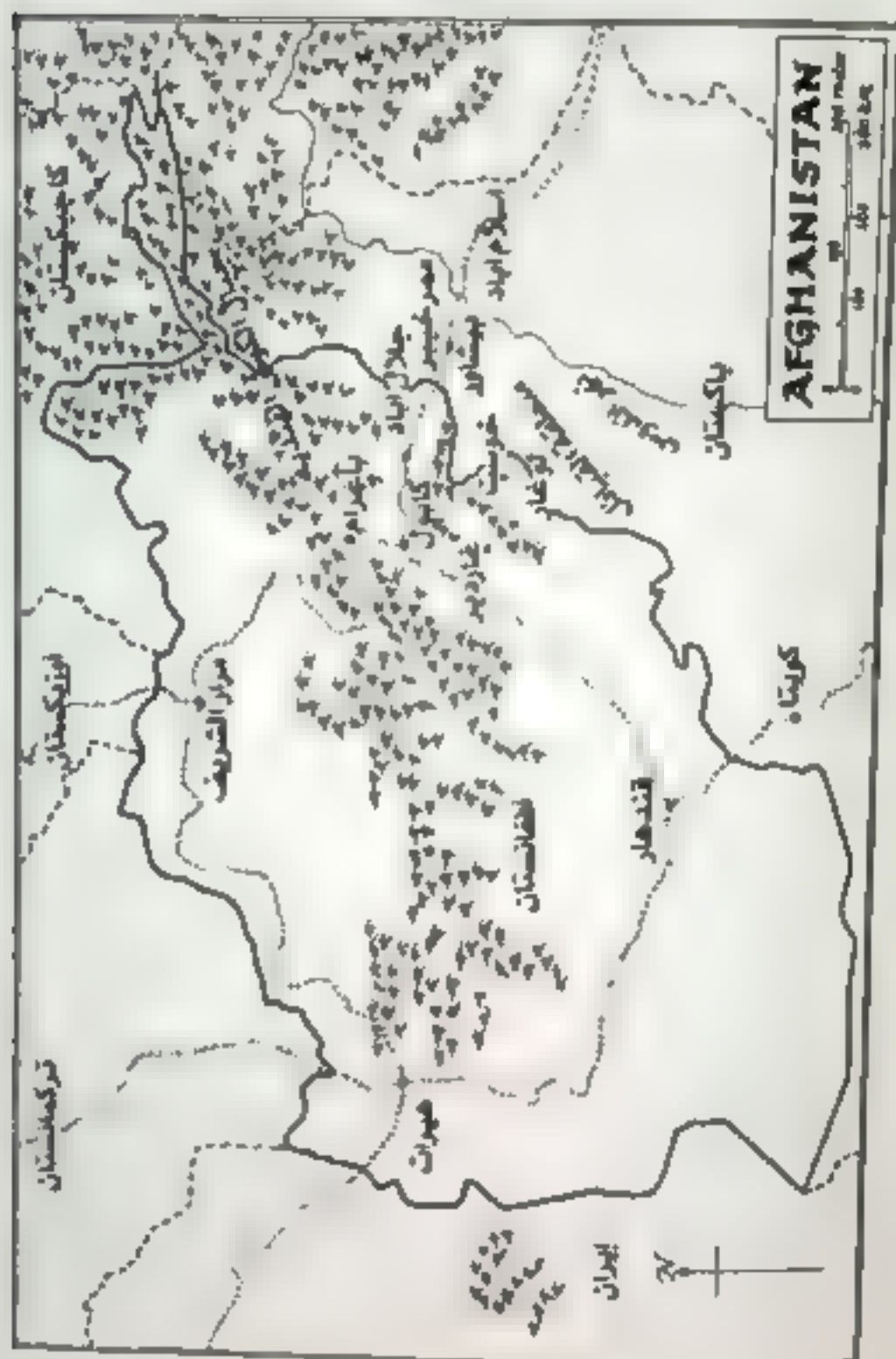


محمات جوية هي الحادي عشر من ايلول
أوقدت نار الانتقام المفري مجدداً:
لا تُنسى أو تُنسى أبداً،
يتحمل الأبرياء المسؤولية بالضرورة

كسجناء الرأي، بمعايير جديدة
يسجن معظمهم بلا احقية
داخل أقفاص، بلا اي حقوق
تعد صياغة القوانين، ويعتبر التعذيب

من قصيدة «مقبض الحجر»
كانون الثاني / يناير 2004 عواشنامو

الخريطة



اعتقال لا قانوني

إسلام آباد منتصف الليل، 31 كانون الثاني/ يناير، 2002

حيم الصمت على المنزل، بعد أن عطف الأطفال وزيبب في النوم، عقب يوم طويلاً بالنسبة لهم كانت إحدى الصديقات من كابول تحمل صديقة عليهما مع طفليهما، وقد أودوا إلى الفراش أبهما بحلول ذلك الوقت كنت ما أزال مستيقظاً، أكتب رسالة بواسطة جهاز الكمبيوتر حاصني لأنهم هبما بعد بإحدى المايه تفحصت مناعتي عند سماع طنين حرس الباب تمثل أول ما تبادر إلى ذهني هي أن أحدهم قد أحطاً الممر أو تعرض أحد الجيران لحالة طارئة

لم أشعر بالقلق مع ما يبدو عليه فرع حرس الباب هي هذا الوقت المتأخر من عرابة، فتحت الباب، مرتدياً ملابس يومي لأنسمر في مكاني مدحولا هوجئت بمجموعة من الأشخاص نواجهي، وتمثل أول ما أدركته هي سندس مصوب إلى رأسي فقام أولئك يدفعني إلى الحلف عبر باحة المنزل، مروراً بأحد الأبواب وصولاً إلى غرفة المعيشة، حيث انتهت أمسياتي الهادئة للتلو مصدعة وحرف شديدين أرععت هبما بعد على الركوع كان مظهرهم مخيفاً بالعمل، ولم يكن لباس الشرطة ما يرتدونه، بل ثياب باكستانية معطبة، وأخرى عربية

لم يمسوا ببنت شمة، ثم يسألوني حتى عن هويتي، وكأني غير موجود لمحت بعضهم بعنرف عيني بينما كنت أحتو على ركنتي، انجھوا نحو المرفف الخلفية حيث يوجد زوجي وبقية أفراد العائلة حاطبتهم كردة فعل هورية حمايه لعائلي فائلاً يسلم أفراد أسرتي هي تلك الغرف، هلاً ندخلوها، لم أستطع رويه ي شيء عقب ذلك بعد أن عطوا رأسي بكيس من الصفاش هدم أفراد المجموعة

بتكبير يدي بالأصماد بعد إحضاري على وضعهما خلف ظهري، علاوة على كاحسي
باستخدام شريط بلاستيكي، واقتادوني إلى سيارة أوقفوها أمام المنزل ثم يكن
أي من الحيران ليرتاب في الأمر لو كان عسائقا فميرلي منعزل عن منازلهم،
ناهيت عن ارتفاع ما بمحسبه عنها من سوار وبوانات

صعبي اهرار المجموعة في المقعد الخلفي للسيارة بعد اتيادي اليها سرع
احدهم انكسر عن رسي بعيد لحظات بينما كنا نهم بالتحرك بما يمكنني من
الروية اصاء وميض له تصوير في وجهي على الصور ولحبت حبسها امريكياد
تكرر ردي، للعانة كان يرتدي ملابس ويلف قطعة قماش حول راسه ليهبط
كالماكينسيه ويكني ادركت بوضوح انه لم يكن واحدا منهم ثمث ردة فعلي
لاولى بالتحرك على ابرعم من الوضع المحيف الذي كنت فيه حيث بدا مظهره
صحيفا بالنسبة لي لم يسمي ست شعرة واكنمى بأحد صورة لي اخرج الشخص
الموجود على لحامات المصائل وهو امريكي ايضا، وإن تهدم بصورة اخص،
ممنر هبة اعمديه روحا من الاصماد بذلك كنت مكبلا بالعمل، ولكنه لوح بها
امامي قائلا: هل تعلم من اين احضرت تلك الاصماد؟

احسبه قسلا: لا فكره لدي كيف لي ان اعرف ذلك؟

حدثني قائلا: لقد صعدني اباها روح احدي صحابيا هجمات الحادي عشر
من ايلول/سبتمبر.

كنت هادئا بما يكفي لاحباره به سيدو عيبا بالعمل في نظرها لا عتقائه
الشخص الحظا يادر على الصور الى وضع الاصماد فوق التي كنت مكبلا بها لم
صدق ما كان يحدث هل كان خبيثة بالعمل؟

حاولت التعاهم مع الباكستانيين، وبشدتهم مساعدتي متحدثا ابيهم
الأوردية باعتباري اسأل لبيته داتها وشخصا مالوفا بالنسبة لهم وهو ما لم آكبه
للأمريكيين يكن تأكيد حدثهم قائلا: انظروا ان كنت فعلت ما هو خاطئ

هقوموا باجرا، انكم على الوجه الصحيح. اسمعوا لي بالوصول إلى القنصل البريطاني، أو امسوا لي محاميا ودعوني اتصل بمائتني لأؤكد إن كانت على ما يرام». تابعت محاولتي تلك طيلة الطريق ولم تصدق الطريقة التي بحاولوني بها وقد توقفت بكل الأحوال بعد حوالي عشر دقائق

لم يقل الباكستانيون شيئا، هي نادی الأمر امام الأمريكيين ولم يستجيبوا لي على الإطلاق متعمدين رسم ملامح الصرامة والقسوة على وجوههم حاملبتهم بالأوردية كما تعمل حتى تعاطب من يكسرك سفا من يمكنك تسميته «بالعم». ولكنهم بقوا باردین دون أي استجابة تذكر، لا يمثل ذلك الطريقة التي يتعامل بها الباكستانيون عادة مع بعضهم بعضا ولكن الأمر يختلف في هذا العالم المسري لدي احتلعت عبره برمى الحكومة النام تبين لي بوصوح أنهم كانوا يروحون تحت وطأة ضغط شديد بالنظر إلى مصيبتهم المطلق والأحواء العربية المتوترة التي كانت تسود الموقف

ثم إخراجي من السيارة واضرب ان الأمريكيين قد عادوا (بعد أن احدثوا أصمادهم) لم أرهم مطلقا بعد ذلك وحدثني هينما تخيلت أنه مفر للاستخبارات وثوقفت أن أوصع في الزيارة ادخلني الباكستانيون في الواقع إلى ما يمكن اعتباره عرصة لانقه بحوي أريكة، ومقعدا، وحصيرة على أرضيتها ولحاف، ووسادة، بل وحتى مائدة ولكنهم عطلوها بعد عصي وقت قصير، كيلا يتمكن من النظر إلى الحيارج عبرها جلس من كنت أباديه «بالعم، مدة خمس وأربعين دقيقة تقريبا بمحادي وكنا وحدنا في العرصة حيث وجه لي بعض الأسئلة الروتينية عن اسمي، وعوامي وما ررتة من أماكن وما كنت أعمله في باكستان لم تتجاوز الأسئلة المشرية، وسهل الرجل كل أحوشي على وجهه بهضاء، بالرغم من أنها لم تكن تمثل أكثر من شكلیات تخلو مما يمكن اعتباره أمور استثنائية استلطف مع ذلك رؤية النوتر باديا على ملامحه، والصراع لداخلي الذي كان واضحا فيه بسبب اعتقالي من سرلي، وإصادي عن عدائتي بسلك الطريقة، لم يكن الرجل مرتاحا على الإطلاق

تمثل أول ما قاله لي بالنالي «انظر بني، لا أعلم ما فعلت أو السبب الذي يجعل الأمريكيين راغبين في اعتفالك بشدة، ولكنك ترى بوضوح أنني وصمتك في عرفة هنا لا رغبة، فلم ترتكب إنما هي باكستان على حد علمي، ويتملكني شعور سين حبال محيني إلى بيتك هي منتصف الليل، فقد رأيت ما كان بيتك وعائتك عليه فلا تبدو ذلك الشخص الذي يمكن أن يسبب أي نوع من المتاعب، ولا تقوم بذلك إلا من أجل الأمريكيين فحسب».

سألته قائلاً «لم تقوم بذلك من أجلهم إن كنت تظن أنني لم ارتكب أي إثم وهو ما يمثل الحفيظة بالفعل؟، لم تعمل هذا لي لم تبدل كل ما هي وسعت لمجرد إرضاء الأمريكيين؟».

أجابني قائلاً «إن لم تعمل، مستصرب بكل قوة من قبلهم من قبل جيش الرئيس بوش، أتم تسمع بمبارتهم الشهيرة، إما أن تكونوا معنا أو صدينا؟، حسناً، كان علينا اختيار موقعا، اخترت هي تلك اللحظة أن أولئك الرجال يبيعون للاستخبارات الباكستانية (أي إس أي) فمن يمتلك القدرة عبرهم على احتطاهي بتلك لطريقة، وبدعم أمريكي كامل؟».

كان أحد الحراس قد قدم بالفعل سرع الأصماد عن يدي، وقص الشريط اللاصتيكي التكيل لكاهلي ما استغرق بعض الوقت، لاستماعته بمصص رديء للغاية، كانت بعض الترميمات تجري في العرفة، علاوة على وجود حصرة في أحد حדרائها حيث اختفت بعض قطع لأجر، وذلك ما مكنتي من اختلاس النظر إلى الخارج عبرها، وقد كمل الحارس يدي عند اسهائنا من الحديث إلى مقعد طيلة الليل، وكان سبب ذلك واصحا للعناية بالترعم من انه لم يقل شيئا لتسريده وكان المبد بكل الأحوال كبيراً بما يمكنني من التملص منه، وقد فعلت بمجرد محادثة الحارس لنقبة الليل حيث كتب أحد يدي فيه محدد عند إحساسني بشدوم أحدهم إلى العرفة توقف بالعمل أن تسهي هذه المحنة هي غضون ساعات، إن لم نقل أياما باعتبارها ناحية عن خط ما وهو ما لم يدغمي للتفكير في الصرار، على الأقل في حية

تعددت في المقعد متحمسا حيبي، فشعرت بهاتفني النقال الذي كان موجودا بداخله، كالمادة، حين كنت جالسا أمام حمار الكمبيوتر حاصني، حيث لم أخضع لأي تمهيش جسدي من قبلهم كنت قد سميت أمر الهاتف، ولكنني شعرت في تلك اللحظة أنه بشكل وسيلة تواصلية الوحيدة مع العالم الخارجي نعتل أول ما فعلته في الاتصال بصديق يقطن قرب مرلي، إذ كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحا على وجه التقريب. وقد بدا النحاس حليا على صوته حين التقط سماعة الهاتف ليجهبي، همست عمر الهاتف، وفعل ذلك بدوره بصورة لا تخلو من العراة فأخبرته بما حدث، وسألته عما إذا كان بمقدوره الذهاب إلى مرلي أولا للتأكد من أن جميع نقاطه على ما يرام، ثم الاتصال بأحد أعمامي أو بقية أفراد العائلة الموحدين في باكستان، وضعت بعد ذلك بالاتصال بالوالدي في برصهم ولم أصدق أن خطي الطيب حولي إخراج مكالة دولية من عرفة السحر هذه همست محمدا عبر الهاتف أثناء حديثي معه، وأخبرته بما حدث، وأن كل ما علمته يمثل في وجود الأمريكيين عند أعمالنا، وأن ذلك تم بناء على أوامرهم، وسألته إخبار عمامي عارث ميرس، والاتصال ببعض أفراد العائلة الموحدين هما في باكستان وتوهير ملاد امن لريب والأطفال ابدالك تملكني شعور رهيب حول ما سيميشه من قلق علمي على نحو خاص، أنه كان قد أجرى للتو عملية جراحية لشرب بين قلبه ثم يكن لدي حمار آخر، مع ذلك، سوى الاتصال به.

لم أحتج الكثير لأدرك مدى الصدمة التي تعرض لها والذي بالرغم من أنه كان هامسا أيضا في أثناء حديثه معي وذلك ما جعل من الصعوبة بمكان تبين حقيقة حاله استنادا إلى نبرة صوته ولكن بدأت بطارية الهاتف بعد ذلك تصد ثرن جرسه مرة واحدة، وكنت وانقا من أنها مكالة دولية بالرغم من عدم ظهور أي رقم على شاشته، ولكن بطاريته بعدت تماما حين هممت بالرد كانت معص انقاس الكهربائية موجودة في لعرفة بأذرت برقع الحصىره لأحد عددا من

الأسلاك الكهربائية أسهلها حاولت بيأس فام، ومع توقي الشديد إلى التواصل مع معارفي في الحارج، حاولت وصل الأسلاك بأحد المقاس، ومن ثم بهاتف لي قال ولكني لم أفلح بالطبع لعدم وجود محول لتغيير تردد التيار (شاحن) ماهيك عن تعطل الهاتف بالشبكة على لأرحح

حاولت ليوم فيما بعد إذ استلقيت على الحصيرة بعد أن وضعت تلحاح فوقها ولكني محروم عن ذلك حيث كان بالي مشغولاً وكنت حاسماً بالفعل مما يمكن أن يحدث ولكني تمسكت في الوقت ذاته بالمنطق وحرصت نفسي أن الحق لا ريب منه هو النهاية، أعلم أنك لم تقترح أي شيء بعد ذلك إلا تفق من مقاصدك أو محاسنك على ما لم نرتكبه.

استيقظت من عصفوني مع ما نعلنها من كل تلك الألفاظ حتى دخل العرفة وحس الحر كان الصباح قد حل قدم لي الشاي مع المارنا (حمر منسي) بالإضافة إلى حب مال لارتدائه حبري ن بإمكانه فرغ الباب كلما ردت شيئاً كي يستهيب الحارس وقد أتى بعض الحراس فيما بعد ولكني أدركت بحلول وقت قصير أنهم لا يعلمون شيئاً عن وضعي ما تمكنت بالدلي اطلب معي أي من الحسات

ثم أحرارني في اليوم الثاني من العرفة ولكنهم أعطوا رسي وكبلوني أولاً وبعث ما أكد لي بها لم تكن مجرد رحلة إلى دورة المياه عندئذ لمحت حارساً مسلحاً بمدفيه كلاسنيكوف يسطر عند الباب، حين هموا بوضع المعطاء على رسي وكبسي ذلك الحارس وتمت مساعدتي على ركوب المقعد الخلفي لأحدى سيارات وتحركت ما يمكن اعتباره مسافة طويلة ليصبح لي من أصوات السيارات وحقيقته عدم سيرنا في طريق سريع إنما ما ركبنا في أسلاك بار مسننات يغير بعض الأشياء، مصعوبة نأهه غير نؤفد السيارات عطلته بالبحر لي أن المعطاء انوجه على رسي كان نأهه من المعاش

تمكنت من سترائي اسمي إلى حد الضمائم لأكسديس وهو يحدث لي حدهم بالإنجليزية وقد فهمت به كان يحدث لي أمريكي أو بريطاني بالبحر إلى أن أكسديس لا يخدمونك "لغة غامضة فيما بينهم سمعته يكرر كلمة حي 11 - أنه مضمة في سلام الله حد يمشي أحد مسجونين وهو كان أميراً إلى حد به كبير مثير لفضولنا - فوجهه عن يمينه المسيرة

حصلت للاستجواب أربع مرات في ذلك المزل. وإن لم يكن في المعرفة ذاتها. كان من الواضح أنه يستخدم كبيت عادي وأنه يعود لأحد المقندين نوعاً ما. أرائك كميرة شاشات تلفزيونية كميرة. رأيت الكثير من أرحائه، هي الحمينة، بينما وصموني فيها انتظاراً للاستجواب، بما هي ذلك معرفة اليوم لمرة واحدة، وعمره المعيشة الرئيسية الصممة. احتجت الذهاب إلى حماماته أحياناً ما مكنتي من رؤيتها على حد سواء. وتمثل ما يدعو للعلن في الطريقة المدلة التي يعامل بها الباكستانيون هناك، والتي غالباً ما يصير سبب عقد النقص التي يحملها الكثير من سكان شبه القارة الهندية تجاه الغربيين وقد تصبوا في محاولة توفير الراحة ماكبر قدر ممكن لأصدقائهم، مقدمين ما لا بد وطاب من الأطباق والمشروبات الغربية، والمناشف تتدلى من سواعدهم، كالماديين في بعض المطاعم هكتورية الطابع.

كان هناك أمريكيان في اللما الأول برندي كلاهما ملاين عادية كبيران هي الصر، ربما هي أو حر الحمسينات من عمرهما لم يعرفها عن نفسيهما أو الحبة التي يتبعان لها. كما جالس في عرفة الطعام إلى مايديها كتب أحسن قباليهما مكبل ليدين. عندما كان هناك حارس باكستاني مسلح خارج العرفة شعرت بحيرة شديدة، ما كان لتبعد من وراء كل ذلك؟ لم أسمع من قبل عن حدوث مثل عمليات الاحتجاز تلك في باكستان. وإن كنت قد سمعت أثناء وجودي في إسلام آباد، عن العديد من عمليات الأعمال الجماعي هي أفعاسمان منذ احتلال الأمريكيين لها. سمعت لاحقاً عن العديد من المعتقلين عن الكيفية التي اعتقلوا بها في عازاب مماثلة في باكستان أو بصورة أسوأ من لشوارع.

مضى حسي الآن أكثر من أربع وعشرين ساعة على احتجازي منذ تم احتجازي. أرى أحد الأمريكيين حميدة. روعي اليدوية مع رخصه هبائه. وهدهدها التثال شعرت بحرف حميصي عندما يدوروا في أرواحها. شخصيه لم يسئلون على اعتراضها. أين كانت موجودة؟ هل أم لها بـ

مكروه؟ لقد وصعوا يدهم بالعمل على نقطة ضمني قلق شديد ينتابني، كلما فكرت بروحي والأطفال، ولا أستطيع لإحمانه سبيلا كنت أتسلح بالمنطق في حبه، ولكنني أدركت لاحقا أن كل تلك الأسئلة كانت جزءا من «رحلة صيد كبيرة». كنت أبحث أيضا عنهم أجدوا أشياء أخرى من المنزل بما في ذلك جهاز الكمبيوتر حاسبي وحوالي ثمانية آلاف من الحبيبات - حبيبات مدحراتنا والمال الذي أرسلته عائلي وأصدقائي من إنجلترا

سألوني عما كنت افعله في باكستان وعما إذا كنت قد ذهب إلى أفغانستان من قبل، لأرخص الاحتمال عن استئجارهم، مطالبيا بالتحدث إلى محام، أو القنصل البريطاني، همضوا فائلين «لا يمكننا مساعدتك بذلك على الإطلاق». أطلقوا فيها بعد، بعض التهديدات المصغرة قائلا: «قد يتم إرسالك إلى مكان أسوأ».

أخبروني في اليوم التالي محمدا، ولكن بوجود أشخاص آخرين في العرفة هذه المرة، سألني امرأة عن مكان وجود حوارات سميريا البريطانية، وكنت قد تركتها في منزل شخص آخر حيث مكث بضعة أيام حتى حصولي على مرلي. كانت بعض ممتلكاتي الشخصية ما تزال هناك، وكانت تلك المرأة الأمريكية حريصة لتعدي على معرفة مكان وجود الحوارات فأخبرتها قائلا: «لا تشعلي بذلك مطلقا، هي في حوز أمي».

كانوا قد أجدوا حوار سميري الباكستاني الذي كتب احتفظ به في مرلي وأبروه أثناء الأسابيع الأولى في اليوم السابق قائلا: «لا حيلنا أنت نحمل حبيبتين». حاولت أن أهتم معروى أشارهم لهذا الأمر ولكنني لم أفلح في ذلك، ولم يكن معمول الحوار الباكستاني ساريا أكثر من عام واحد، وكنت قد حصلت عليه في بيرمبهايم لأعتقد في أنه سيحصل علي السمر من أفغانستان إلى باكستان وبالعكس بشكل يعوق نظيره البريطاني

كان أحد الأمريكيين اللذين قابلني في اليوم السابق موجودا في ذلك اليوم أيضا بالأمم المتحدة في واشنطن من لاستخبارات لبريطانية ولذين عرفوا عن نفسيهما بأنهم سميان إلى جهاز الأمن في هايتي، كان أحدهما امرأة شابة،

بينما أخبرني الآخر أن اسمه إيان. وكنت قد سمعت عنه قبلاً، في الواقع، عندما تحدثت إلى صديقي في بيرمنغهام، شاكيل، قبل بضعة أيام من احتطائي، حيث أخبرني الأخير أن شخصاً يدعى إيان من جهاز «الإم آي هايب» قد قدم لزيارة مكتبنا الإسلامية هناك. وقال إنه مهمم للغاية بالتحدث إلي، وإنه سيأتي إلى باكستان للفائي، أو صيت شاكيل في حبه بإعطائه رقم هاتفي، وإخباره بإمكانية الاتصال بي حين يصل إلى باكستان. كي نلتقي. كان شاكيل قد وضعه بأنه «رجل بدين يرتدي نظارات»، اعتبر ذلك وصفاً كاملاً بطري. وقد تعرفت على الرجل حتى قبل أن ينطق باسمه.

مثلت تلك المرة الثالثة التي يربح فيها جهاز «الإم آي هايب» بالتحدث إلي، وهو ما لم يضرني بالدعم على نحو خاص، ربما كنت سادجاً لاعتقادي أنه سيروسي مجرد احتشاء انشائي، كما فعل زميله في المرة السابقة، والتمبير عن بعض مخاوفه، على أمل أن أقوم بتبديدها لم أقم بما هو غير قانوني، أو احتج من أي أحد. وتغير الأمر كثيراً حين رأيت على خلاف ما شعرت به من كراهية وتوتر تجاه الأمريكيين، بل يمكن القول إنني شعرت ببعض الارتياح في الحقيقة لرؤيتهم، لعمري أنه بريطاني ينتمي إلى إنشراء بدأت حديثي معه بقول «التالي، انظر، هل يمكنني التحدث إليك على امراد بعيداً عن هؤلاء الأشخاص؟».

أجابني قائلاً: «لا، لا يمكنك ذلك». مثلت تلك أولى الإشارات إلى أن الأمريكيين والبريطانيين كانوا مشتركين بالكامل في تلك المسألة.

عظمت قائلاً: «حسناً، هل يمكنك السماح لي بإيصال الأمر إلى القنصلية البريطانية إن لم تقم أنت بالأساس بعمل ذلك، نظراً لكوني مواطناً بريطانياً إن لم يعمل ذلك عملك هنا؟».

أجابني قائلاً: «لا أستطيع مساعدتك في ذلك، لست مشرفاً اجتماعياً».

عظمت قائلاً: «حسناً، من بريطاني إلى آخر، هل يمكنك إخباري أو التأكيد لي أن عائلتي على ما يرام؟ أظلمني على ذلك فحسب».

أجابني مجددا قائلاً: «آسف، لمست هي وصع يحوئي القيام بذلك، لمست هذا من أجل ذلك».

هوجنت كثيراً من تلك مشاعره تحاهي، باعتباري مواطناً مريطانيا مثله، وبخاصة بعد إطلاعه على قصة حلاني المؤلة عن كابول والطريقة المحربة التي التفت بها عائلتي مجددا سألته قائلاً: «حسا ما الذي تريد مني فعله ثم أنت هذا؟»

أجابني قائلاً: «حسناً، يبدو أن لديك فرصة أخرى كم مره يمكن للمرء أن يعطى بمرصة ثانية؟ يتمثل كل ما سمي عليك فعله في التعاون مع الأمريكيين، وسيصحب ذلك في مصلحتك».

سألني إيان بعض الأسئلة حيث أراد بادئ ذي بدء أن أحبره عن سبب ذهابي إلى أفغانستان، وما كنت افعله هناك، ومن التفتيت هي ذلك البلد. وسألني ههما بعد عن البوسنة ورياراني إليها ورحلتي إلى تركيا في عام 1988. فأجبرته بالتفصيل عن سبب ذهابي إلى أفغانستان وما فعلته هناك وما أحسرتني على الذهاب إلى ذلك البلد، وأحدث ههما بعد عن جميع الأسئلة الأخرى التي طرحها علي. وكنت ما أزال اعتقد بعدم وجود ما أحميه وبالتالي ما أخاف منه.

لحظت أن الأمريكيين كانوا يستنون بعض الملاحظات وأن أحدهم بهص عن مقدمه بعد ذلك، واتجه إلى رابوية المرفة ليجري مكالمة هاتفيه. لم أسمع كل ما ورد هبها بل جزءاً علق في ذهني منها. لديها آخر لأجل قندهار، نظرت إلى لصابطة. وأساسه شعور صائح من الياس المنطق ونظرت إلي بدورها قبل أن تشيح بوجهها. بهص إيان وصابطة حمار. «الام أي هابص، الأخرى عن ممدديهما، وعادرا المرفة بالمعادية التي دخلها بها داتها، وعد مثل ذلك جرياً من مريطاني لم عهد من قبل ليس يهده الطريقة على الأقل هربها كانا قد فكرا بأشكال البالي. «إنه مجرد باكستاني. كان هذا ما فكرت به أيضاً». ثم يحذر بهما الاكتراث لأمريني؟ ليسه ناكتر من ناكستمي بالنسبه لهما. لم أر أيا ههما محددأ.

شعرت بالكثير من الدنب، بعد عودتي إلى عرفتي، وحيدا مع أهكاري، نتيجة ما عرصت عائلتي له عبر سوء تقديري لجدية الموقف، وعدم إدراكي في السابق لما كانت مستتبه هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر بالنسبة لأفغانستان، وتوقعت عن التفكير بما يعكس أن يحدث في المستقبل، وأملت بمضي عبر العودة إلى الماضي، معرقا بمضي في الشهور بالدنب أكثر فأكثر، ما هيئ عن أمي لم أكن قد تحاورت بعد التجارب المروعة التي مرت بها خلال الشهرين الماضيين عندما أخبرنا القصف الأمريكي على ترك منزلنا وعمليا الجديدين الرائعين في كابول

لم يجر الاستحواذ التالي سوى مع الأمريكيين، فقد بدأ أحدهم، بول مسناه لتحدثني مع البريطانيين بدلا منه حاملني قائلا: «أظهرت بومبوج أنك لا تتحدث إلا لشيء جلدت ولكن البريطانيين مصموا أيديهم عليك لن نراهم بعد اليوم، ولن تتصل هرسنتك الوحيد الا هي التعاون معنا لقد أحلبنا سبل بمصهم في السابق» . توقف بول عن الحديث مدة ليست بالقصيرة ثم تابع قائلا: «قادرون على جعل حياتك أكثر سهولة و تعقيدها لأبعد الحدود ولكن يمكنك الإحابة عن أسئلتنا هنا، و فعل ذلك في قندهار، وعونتنا ما» .

سأنته مجددا أن بطمنسي على وضع عائلتي فقد كان من الواضح أن لبريطانيين لن يقوموا بذلك لذا لم يكن أمامي من خيار إلا سؤاله لم يكثرث الأمريكيون أيضا، ولم يفت لرحل على طريقي الا بقول التالي: «هه لا يمكننا فعل شيء، جيل ذلك» عاذريا فيما بعد المنزل الواقع في منطقة «حي 10» .

ناشدت الحرامن الباكستانيين مساعدتي، بعد أن تمت إعائتي إلى غرفة مقر الاستخبارات، بالرغم من أن «العم» وهو من أهمت نوعا من العلاقة معه لم يكن موجودا في ذلك اليوم، إذ توسل إليهم قائلا: «ارحوكم ارحوكم، ذهبوا على الأقل إلى منزلي، وسعدوا حالتهم، وما يملون وثلو روحي عما إذا كان بمقدورها كتابة رسالة لي» .

واقف أحد الحراس الباكستانيين على القيام بذلك، قائلاً: «سأذهب إلى
ممرلك لأؤكد من أن كل شيء على ما يرام، وسأحاول أن أحضر لك بعض
الملابس والعاحيات الأخرى من هناك». أحسسي الرجل لاحقاً بما يلي: ذهبت
إلى المنزل لأفعل ووجدت فعلاً على الباب، وقد أحسسي الحيران أن العائنه
معدومه بعد يومين أو ثلاثة من اعتقالها.

وقعت في خبزه كبيره لم أعدها من قبل ولم أستطع التوقف عن التفكير بها
يمكن أن يكون قد حل بربس و لأطفال والمكان الذي ذهبوا له

مرت الأيام تساعاً هي عصفون ذلك مع حلو بعضهما مما يمكن ذكره من
الأحداث حيث كان العدا والعشاء يتألمان دائماً من «الناباتي» (حبر هندي)
والكاري وقد التزمت الصوم الاختياري يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.
وهي صفة يسميها الكثير من المسلمين. وكان صياط الأسماك والباكستانية
يشرون ما أظفر عليه من طعام، وقد كُثمت من عسادي في الواقع خلال تلك
الفترة والتمت الرحمة الإلهية أكثر من أي وقت مضى، ولم يقتصر الأمر على
الصوم وثلاوة القرآن بحسب، بل توافى ذلك مع أداء الصلاة والتصرع إلى
الله عز وجل

ثم أكن أتحدث إلا إلى الحراس في العدا ولم يكن أولئك على علم بأي شيء
في الحقيقة طالبت مراراً بالتحدث إلى أحد الصباط المسؤولين وكنت أرى
الحارس كل عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة بصورة لا تنحى من المصافحه
فدعاً لسبب هاتلاً التالي: أظفر أحاج ممرقة ما يعزى حاج الاتصال
بعائسي، عثر لحراس بوصوح عن سمهم وبماطهم، وكدوا لي باستمرار أنهم
يجهلون سب اعتصالي لقد اعتادوا التعامل مع المسفة والمعضي والسارفي
بل وحس مربيكي الأعمال الارهابيه ولكنهم جعلوا بحق سبب وجودي هناك
تحدثت أخيراً إلى صباط مرسة حتى يحدث لاختيريه بطلافه ويسبق بوصوح
أنه أرفع شأناً من حونه محاسني بصفوا، نعم عصفه هي اللهة الأولى.

فأثلا «انت هنا بسبب الأمريكيين». لم يجبرني أي من وفقت في التحدث إليهم من الصباط بأسمائهم، وكأنا يجيبوني حين أسألهم يقول التالي «من الأفضل ألا تعرف». ثم يجبروني حتى بما إذا كانوا يتبعون الاستخبارات الباكستانية

كنت أقرع الباب كلما احتجت شيئاً، ليستحيب أحدهم هي النهاية لم يكن ذلك يحدث على الفور، لأواصل الضرع بقوة أكبر، حتى يأتي أحد لحراس ويسألني عن مبتغاي إن كان الماء ما أطسه، فقد كانوا يتركون لي رجاجة مليئة به، وإن كان الذهاب إلى المراحيض، فقد كانوا يعطون رأسي بمشعة، ويفودوني عبر الممر إلى قسم آخر من المبني حيث تقع المراحيض كان الحمام مظلماً وقديماً للغاية، لم تمرر المياه الجارية مع ذلك، وإن اهتمت إلى الصابون كان المراحيض عبارة عن حفرة في الأرض على النمط الشرق أوسطي، وكانت هناك فتحة صغيرة قرب السقف تسمح باستمرار القليل من ضوء النهار، تمكنت في إحدى المرات من رؤية ما يعويه المبني من ريارين

كنت أسمع أصواتاً تتحدث بالعربية مع أكثر بي من الحمام، فسألت الحارس فأنثا «أرجوك، هل تسمح لي بالتحدث إلى أولئك الأشخاص؟»

اجابني فأنثا «سأعطي الباب، وعليك استحدث إليهم بسرعة»، فقد منحني الرجل خمس دقائق للقيام بذلك، فذهبت إلى كل المراحيض، وتفتتح قلبي عندما وفقت على حالتها، لم يكن ضوء الشمس يدخلها على الإطلاق ما هيئك عن الرطوبة التي تعم أركانها إذ كان قد مضي على بعض السجناء ثلاثة أو أربعة أشهر فيها، وكان جميعهم عرباً، ثلاثة منهم طلاب لبيون يدرسون في جامعة إسلام آباد، ولأن جميع محاولاتهم للوصول إلى شخص من سمارتهم، كي يتحدث مع السلطات الباكستانية بشأنهم، كانت قد باءت بالفشل، أن يجعوا، على أقل تقدير، في التحدث إلى بعضهم بعضاً، والصلاة جماعة.

بدأت التفكير في الهرب بعد لقاءاتي مع الأمريكيين، والحديث عن بقي إلى قندهار وعوانتايمو، وجرماني من توكيل أي حمام ومنعي من الوصول إلى عائلتي، ومنع البريطانيين أيديهم عني، وقد فكرت في الكثير من الأشياء، بدءاً

من محاولة مهاجمة أحد الحراس، واستراخ سلاحه، والقتال بواسطته، حتى أبال
حريتي، وصولاً إلى التسلل خلسة، أو تسلق جدران المبني، ولكن وصلت كل تلك
الأفكار إلى طريق مسدود عندما فكرت بما يمكن أن يحدث لعائلتي، محسماً
على تحميل أمريكا مسؤولية طيلة حياتي إن حدث مكروه لها.

تركنا قاعدة عرفتني، التي كانوا قد عطاوها من قبل، مكشوفة لعدة إشارات عند
فصلتها حيث كان ينبغي علي أن أذهب النطر إلى الخارج عبرها، أن أذهب على
قمة الأريكة لأنني من رؤية القليل فوق الحداد والسيارات المارة هي النطرف
المقابل للشارع وقد بطرت هي إحدى المرات، إلى القصص المعبدة المنسقة على
المائدة، ولم يبد لي ما يثبتها من براغ بتلك الصلابة أن لم يقل إنها كانت
مهلهلة، هاستعت بأبريم بطني ("قطعة المعبدة المنسقة له") لأسرها، كان
الأخير يحنوي على قطعة ناتئة استخدمتها كمعك لتلك البراعي وتمكنت من
هكها جميعاً، بمرور بضعة أيام حتى أصبحت القصصان فائلة لسعري، وكنت
التي البراعي هي المرحاض كلما ذهب إلى الحمام، ولم تكن تلك القصصان
بحاجة إلى الكثير لأسراعها، وقد فمت بذلك على أكمل وجه

تصلت حطتي في السحرك ليلاً بعد حلول العادية عشرة تقريباً عندما
يتوقف الحراس عن الصدوم إلى العرفة وتطأ الأنوار، وكان هناك حارس في
الخارج عند كوخ الحراسة الواقع قرب المدخل حيث تلج السيارات وقد كنت
قادراً على رؤية الكوخ والحارس حين يعط في النوم، وتمثل الجزء الأكثر خطورة
في بخروج من القاعدة وصور الحداد ولكنني اعتقدت بقدرتي على القيام بذلك
في فمريت بعدد وله نكر هناك أسلاك شائكة أو ما شابه على قمة الحداد وكان
مقدوري كما استعد رؤية الحارس المعامل لتطريق الرئيس

تعتل مسكسي الوحيدة هي هماري إلى المال وما يمكنني استعماله، لأحدهم
حمي في مساء وقد يعني علي بالسبحه الحربي هي الشارع والسمود إلى
سيارة للاحرق حربي نعمين دون معرفة المكار الذي سأبوجه له فيما بعد

كان المنزل المكان الوحيد الذي اعرفه جيداً (لم تكن قد أقمتنا في باكستان إلا منذ شهر تشرين الثاني / نوفمبر)، ولكن هل كان ذلك سيجلب المزيد من المتاعب إلى عائلتي؟ لم يعد لهم وجود هي المنزل بكل الأحوال، كان من الممكن أن أنصرف عن منزل صديقي الذي هانسته في الليلة الأولى، ولكنني كنت عاجزاً عن تحديد مكانه على الوجه الأمثل، وقد تنازعني الكثير من الأفكار، كالصعود في سيارة للأجرة، كي تقلني إلى مكان قريب من منزله، والهرب حين أصب هناك ويحين موعد اندفع، جرياً على قدمي الحافيتين.

ثم تحلبني من عماء التفكير في اليوم التالي، حين دخل حارس العرفة، وفهام بتفقد باهنتها، والنظر حولها، ثبتم أحدي بعد ذلك بوقت قصير إلى عرفة أخرى ولم يمس أحد بيت شقة، هرباً كانوا سيستحدثمون العرفة لأمر آخر بكل الأحوال، أو أن ذلك الحارس اكتشف ما حدث للمساعدة ونكنم على الأمر كيلا يورطني في المزيد من المشكلات مثل ذلك لطور، بكل الأحوال، نهاية حطة هربي

وصلت المطالبة بالتحدث إلى أي من الصباط أحضروا بالصل أحد الأشخاص إلى العرفة في نهاية المطاف، ولكنه لم يكن صابطاً بل لاحت أعضانيا يتقر الأوردية إلى حد ما، كي يتواصل مع بعضاً ببعضاً، نحارداً أطراف الحديث، وأحبرني عن الأوقات التي كان يعيشها في القتال ضد السوفييت حيث كنت قد كوت انطباعاً جيداً عنه، ولكنني اكتشفت لاحقاً أنه كان محتجراً بسبب مختلف عن ذلك المتعلق بي، إذ كان من المنزعج أن يجمع الأموال من الزاعمين هي أداء هريضة الحج ويستخرج لهم التأشيرات من السفارة السعودية في باكستان بالنظر إلى أن سفارتها هي كابول كانت قد أعلقت أحبرني أنه عند انقائها مع بعض المسؤولين في السفارة لإصدار التأشيرات للأهمل ولكن أحدهم لا بالمرور، معادراً البلاد مع تسعين ألفاً من الدولارات المدفوعة سلفاً وأنهم ملت السعين بالمشاركة في الأمر، ولكنه أكد على الدوام بأنه لم يعمل وأن المبلغ بكل الأحوال لم يكن يتجاوز الخمسة والأربعين ألف دولار

يمثل ما سأرويّه الآن المرة الأولى التي أعلم فيها، بصورة مباشرة، ما يمكن لصباح الأمل الباكستانيّ فعله حقيقة، وقد حلصني ذلك، هي الواقع، من بعض ما كنت أنصف به من سداجة، وكنت أستمع هي المساء إلى أصوات صرب بعيدة اعتقدت هي البداية أنها أصوات عمال أو ما شابه، وقد جاء بعض الحراس، فيما بعد، إلى البرابة ليأخذوا شريك الأهماني منها، وما لبثت أن سمعت الأصوات ذاتها ثانية فادركت ما حدث حين أعادوه، ولم يكن الأصوات صادرة عن العمال، بل عن المدنيين، كان ذلك يحدث كل ليلة، إذ كانوا يستخدمون أنابيب مطاطية طويلة علىيفة لصربه كما أحسرتي، فقد كانت الكدمات والحروح تملأ ظهور، ناهيك عن حرمانه من النوم عبر دخول الحراس وحروبهم باستمرار لإبقائه مستيقظاً ممعوه من الحلوس أيضاً، حيث كان ينبغي عليه أن يوقوف طيلة الوقت، وقد كانوا يتأكدون من ذلك باستمرار كان محبواً على الوقوف طيلة الليل كي يمتدح لهم أن المبلغ المسروق يعادل تسعين ألفاً من الدولارات، وهو ما لم يصطه واحصروا له هي اليوم التالي طبيباً لمعالجة جروحه، وتلسمها ولكنه أحد مجدداً هي ليلة الثانية، ليمدب بالطريقة ذاتها على أيديهم، وقد أعادوه ثانية، فيما بعد، وأجبر على السقاء مسيقظاً كما هي المرات السابقة

امتلك الشعاعه هي إحدى المرات لأشتكي إلى أحد الحراس قائلاً، انظر يمثل ما يقومون به امراً خاطئاً، ثم يفعلون ذلك به؟

رد الحارس قائلاً، إن لم نحصل لسناك فستعطل بالمعاملة ذاتها.

سراي يحاطلني الحراس تلك اللحظة، نظراً لأن أحدثك الإعلانية بطلافة هي باكستان يعني أنك تحظى بمستوى تعليمي جيد وتسمى إلى أسرة ثرية واهدم لي حد ما حيث كنت أحدث الإعلانية بطلافة وأصحة كلما أصهرو شيئا من الوعاحة معي بالرغم من عجزهم التام عن فهم أي مما أقوله تعمل بعض ما كان يجري في موقع ششني هي عدم امتلاكهم الحرة على فهم أي شيء لي

قدم أحد مستجوبي شريك الأحماسي، وهو ضابط في الاستخبارات الباكستانية، إلى البرابة فيما بعد، فصاح الرجل يدي، قائلاً: «كيف حالك؟» اعتقد أن الأمور ستتحسن بالنسبة لك، اعتقد أننا سنبت هي أمرك قريباً.

شعرت بسعادة حقيقية لسماع ذلك، ولكن بيرة الرجل تغيرت تماماً حين استدار ليواحه الأحماسي، الذي كان لا يزال مموغاً من النوم. اقترب منه بحيث كاد أنماه يثلامان، وحاطبه بالأوردية قائلاً: «لم تستعد لسانك بعد؟»

توسل إليه الأحماسي، قائلاً: «أرجوك، يبدو أنك لا تفهمني، لقد أحبرتك الحقيقة ولم أقبل سوى ذلك طيلة الوقت. لا أعلم ما يدفعكم إلى ...»

فطع الضابط حديث الأحماسي بكلمة على وجهه، واتبعها بشاية، فثالثة، فتمسرت هي مكاني لهول ما رأيت مظهر الضابط إلي، بعد أن استدار، ولسان حاله يقول: «إياك أن تفكر حتى هي الدفاع عنه»

أمسك الضابط الأحماسي من كتفه فيما بعد، وحديه نحو الأسفل، مرعماً إياه على الركوع، ثم حاطبه، فيما أحمر ككلماته قبل أن يفادر. قائلاً: «اسمع، إن لم تستعد لسانك مع عودتي، فسأعلمك التحدث بما لم تسمع به من اللغات».

بمكسي القول إن معرفة الحقيقة كانت أحر هم الضابط، حيث لا ينبغي على السجين إلا الاعتراف بما يلحق له فقد أعلمني ذلك الموقف، لأول مرة، بما يمكن لتعذيب الجسدي أن يروع الإنسان على فعله، فلا يكثر السجين لأي شيء بعد التعرض لفقدان صميم من التعاسة. عذب الأحماسي كثيراً قبل الاعتراف بأن الملع كان يعادل في الحقيقة تسعين الما من الدولارات، فعل ذلك أخيراً، وقد رأيت حين وقع على اعترافاته، ونعاقب سجناء، أحرون هي المحي، إلى البرابة، ولم ينج أي منهم من الضرب كذلك.

كان المسجونون، بالرغم مما سبق، يعرضون عليهم جميعاً فرصة الذهاب إلى منازلهم خلال عطلة العيد، وكان شيئاً لم يحدث، حيث كان العيد سيحل خلال بضعة الأيام التالية. وقد منحني ذلك شيئاً من الأمل، وقد غادر السجناء الآخرون بالفعل إقصاء عطلة العيد في بيوتهم، بينما بقيت هي ويرايتي حيث سألت قائلاً: «أليس أذهب إلى منزلي خلال عطلة العيد؟»

أجابني المصابط، ذو السرة المتعائلة حبالي قائلاً: «لا لن تذهب خلال العيد هي أغلب الأحوال بل ربما بعد ذلك بضعة بسيطة فلا تفلق سيكون كل شيء على ما يرام».

كان ذلك يدين الساكناتين هي حديثهم معي على الدوام «سيكون كل شيء على ما يرام تجري الأمور هي صالحتك لا مشكلة لديك لا يتحدى الأمر استكمال بعض الإجراءات الروتينية كل شيء على ما يرام».

لم يتوقف الساكناتيون في الواقع عن طمأنتي حتى تم تسليمي إلى الأمريكيين إذ تعرضت مع ذلك إلى بومة شديدة من لقلق وحيداً هي ويرايتي قبل يومين من تسليمي. فقد كانت تلك المرة الأولى التي تعرض فيها إلى شيء من هذا القبيل بالنظر إلى تمنعني بشخصية هادئة للغاية وقد رني على التعامل مع المواقف الصعبة بمهارة عالية ولكن شكل الخوف على عائلي الباعث الأكثر نقلي حيث كان أهلي انهم بمصيرهم. و لتكبر بما يمكن - بسببه احتمالي لهم بعد كل ما عاينوه سبحة القصص الأمريكي لأفانسون كان يقف مصححي بكل معنى الكلمة هم اسمع السهولة على مصي وكدمات أصاب بالحقون وبدأت بعري للهدف ورسي لأشهاد هي كل مكان إلى أن أس الحارس هي بهية المطاف محاولاً يهدئي صغمت الأخير على وجهه ولكنه امتنع عن الرد أو فعل شيء لدمامة حمراء فقد حاضرت فيه روح لانسايه قائلاً: «أرجوك كيف يمكنك فعل هذا بي مع علمكم أني حور مصير عائلي بأهيت عن احشاجي دون أية تهمة أو مسوغ قانوني»

حضر الطبيب بعد ذلك بساعتين لمعايشتي، وفحصني بصورة شاملة فوجدت
فيما بعد قدوم من اعتدت ساداته «بالعم»، حيث خاطبني قائلاً «اه، يتوجب
عليك الذهاب، يريدون رؤيتك».

تساءلت عما إذا كان ما همته وراء ذلك، ربما أدركوا أخيراً أن وسمي أصبح
لا يطاق فقد ذهبت تساولاني أذراج الرياح حين أعادوني إلى المنزل الواقع في
منطقة «جي 10» كان الصابط المسؤول هناك شخصاً عرفتُه فيما بعد لالفتاني
به في عوانامو مايك، عميل «الاف بي اي» (مكتب التحقيقات الفيدرالي)

جلسنا ذلك اليوم إلى مائدة عرفة الطعام كالمعتاد، كنت أجلس في جهة،
ويد في مكبتيان بالأصماد، بينما كان مايك يجلس في الجهة المقابلة إذ كان
هناك صابط باكستاني للمرة الأولى ولكنه لم يقل الكثير، حيث كان مايك يحمل
رسالة قصيرة للغاية وأعطاني لابطلاع بأنه لم يكن راضياً عما كان يجري، وأنه
كان يؤدي واجبه لا أكثر

تحدثت قائلاً «حنت لأعلامك بما قررنا إرساله إلى قندهار، ومن ثم إلى
كوبا، ومستوصف في سجن عسكري بموق الذي كنت فيه قسوة وإن استمررت في
عدم التعاون معه، فستمضي وقتاً طويلاً للغاية هناك، وإن لم تقل الحقيقة
بفرض اسطر عن تعاونك من عدمه، فسيحدث لك الأمر ذاته».

كنت قد شاهدت صوراً لتعليج عوانامو من قبل واكتفيت بالنظر إلى مايك
والدموع تتفرق في عيني، قائلاً «هل ستطول المدة مسوا؟»

أجابني قائلاً «لا، بضعه أشهر بحسب».

كان وقع لمصاحبة شديداً علي ولكنه لم يمنعني من طلب كتابه رسالته إلى
زوجي قبل معادرتي فقد وافق الرجل على طلبي وأعطاني بعض الأوراق وقلمًا
للكتابة فكانت تلك أصعب رسالة يمكن أن أكتبها محاولاً قول التالي فيها «لا
أعلم إن كنا سلتقي مجدداً، أو متى سيتم ذلك» أردتها أن تسامحني إن كنت قد

قمت بما يمكن أن يؤدي مشاعرها، ووددت تقديم النصيح لها، وللأطفال، وتحدثت
 معيك قائلاً «لما مؤسمة خيرية، ولكني سأوصل رسالتك إليهم». أجابني
 الرجل، حين سألته عما إذا كان بمقدوره العثور عليهم، قائلاً «حسناً، لقد عثرت
 عليك اليوم كذلك؟» لم تصل الرسالة إلى ريب أبداً

انتهى اللقاء بمباشرتي الصابط الباكستاني مساعدتي مسعدنا الأوردية
 وسأنته لمودة إلى صميمه، وحسه الوطني، فلم يكن ذلك منسليم قاسوي، فكيف
 أمكنه السماح بحدوثه ومال الصابط بجسده إلى الأمام وسكب بعض الماء في
 كأس قدمه إلي ثم حاطبني، قائلاً «يمثل كل ما يمكنني تقديمه إليك في هذا
 الكأس، ووددت لتقاطها، ورمي الماء في وجهه

حاطبني أحد الصباط الباكستانيين، في الطريق إلى ما اكتشمت أنه المطار
 قائلاً «معلم، يا صديقي لقد بعث ديباي وأحزني مقابل ما سأقوم به الآن»، ثم
 أورد الآية التالية من القرآن الكريم ﴿وَمَا نَقُطُّ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا نُنْزِلُهَا وَلَا حِجَّةَ فِي
 ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ...﴾^(١)

لم أنيس بيت شعة.

عقب الصابط قائلاً «سأدفع ثمن ذلك يوماً ما».

تحدث الرجل، بينما أوشكت السيارة أن تنوء، قائلاً «سيكون كل شيء
 على ما يرام، فلا تقلق تسهي رحلتي هنا، بينما توشك رحلتك أن تبدأ».



اللينكس

تتمحور معظم دكریات طمولتی المكرة حول والدي عظماء وشقیفی عظام
الدي يكبري بسمة وسبعة أشهر دور أن يفي ذلك عید والدي شاكبلا عبا
إد توفیت حی كنت هي السادسة من العمر فلا أدكر انكبر عبا باستثناء
رحلتنا الأولى إلى العارح لزيارة اقربائها في دلهي، مسقط رأسها وحدا نحن
الصبيان الهند عالم حديداً عربيا شديد الاحتملاف عن بيرومهمام حيث ولدنا
فقد شكل الأردحام، والمبار، والرواح، والقصر الواصح في دلهي وبومباي
ومسقط رأس والدي هي أعرا - حيث يقع تاج محل بكل صحاحته وروعته - ولی
اللمحات المطبعة في محبلي عن مراثا الشرقي

يتمثل ما أدكره عن مي ابصا هي المرة الأخيرة التي رايتها بها إذ كانت
مستشفية على سرير المستشفى وبعده للغاية في مطهرها، نعم السكينة ملامحها
مع كل الشحوب والأصمراز الباديين على وجهها وشعرها الذي فقد معظمه
فقد أحاطت كلاهما بدراعيها وهنتي للمرة الأخيرة حيث كان والدي قد هبانا
لتقبل هذه الماحفة قبل حدودها بصرة من الزمن فكانا قد عتصما بما سيقع
بالنظر إلى بقائها في المستشفى مدة طويلة

أحدنا والدي إلى الحديبعه يوم وهابها تنهجة سرطاس الشدي وحاضبا قسلا
الم تعد أمكما موحودة لقد ذهبت إلى الله، مكينا حميما وقد فسر والدي لأمر
بتشبيه الناس بالمسافرين المتخطرين للمطار الذي سيقلهم إلى الوجهة التالية
قنبلا إن أبي استقلب القطار قبل المصاد وإسا سموم مع ذلك مركوبه حميما
بوما ما وأردف والدي قائلا ما كنا أعلى ما لديها وإن صيتها لأخيره بمتك
في أن يكبر ولداهما ليصنعا رحلين محترمين يعرفهما العالم بأسره

بدأت ذكرياتي عن أمي، المتمثلة هي البومات صورها، وما تملكه من كتب علم النفس التي يغطيها التراب. بدأت تلك الذكريات، مع مرور الوقت، تتلاشى شيئاً فشيئاً، وكما تدور قبرها كثيراً للدعاء ووضع الزهور، ولكنها قليلاً ما كانت تذكر هي المنزل فقد مثلت والدتها الامتداد الوحيد لذكراها في حياتنا وهي كما نعرفها امرأة مندية جعت بيت الله الحرام أكثر من مرة، وكثيراً ما كانت تحلب الهدايا لأمه لئلا يبعد عودتها ونزيراً صوراً لحالة الدبار المندسة وقد هارفت جدتي لحياة عذب عشر سنوات تقريباً من رحيل أبنتها قدماها بانفسها أيضاً، ودخل والذي وأخي هي جدال حول بضعة آلاف الحبيبات التي خلصتها سألت والذي أن يهبها إلى صغايا المحاماة هي ثوبيا (تمثل الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي مقدار محدد من المال يسوجب دفعه سويًا على جميع البالغين من المسلمين، أما بالنسبة إلى الصدقة، فقد بدأت هي إعطائها بمجرد أن بدأت كسب المال، هي منصف سنوات مراهناتي، بالرغم من أن الزكاة لم تكن مبرومة علي بعد) مثل ما ذكرته للو عن الزكاة والصدقة مظهرًا مثيراً لحياتي عقب بلوغ سن الرشد.

نقياً بصمودنا مدة من الزمن هي بزمهم، والذي وأخي، وأنا كانت عماتي وأصدقائنا العائنة الآخرون يعيشون بنا بحضرة حين كان والذي يقادر إلى لندن، وزيورج، أو انوكسصورج لإدارة بعض المصارف، ولكننا لم نكن نلبث أن يصبح وحداً محددًا عند عودته إلى بزمهم كان والذي يروي قصص ما قبل النوم لما مستمدة من القرآن الكريم ومهد الإسلام، هي بعض الأحيان أو من كتاب الليال عربية، أو مدة الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية أعطتني تلك القصص لمحات عن العالم الآخر الممتد إلى الهند وما بعدها أحيرونا والذي كدلت عن نراشا الإسلامي الهندي قايلاً إن الحويرة النمسية، كوه - أي - نور، الموجود هي برج لندن كانت ملكاً بالأساس قبل أن يسرقها البريطانيون من أحدادنا، وأن اسم، بيع، يعني المصاندة أو الرعييم، ويستخدم من الصين إلى

يوعوسلاهييا. وإننا ننتسب إلى سلالة الممول، أو الفنتار، الذين استخدموا ذلك الاسم أيضا، واستقروا في آسيا الوسطى، وحكموا أكبر إمبراطورية في التاريخ. الإمبراطورية المغولية العظمى في الهند. كان اسمها تيمورلوك وحكيم خان يدكران باحترام كبير في منزلنا، وكان والذي يدعوني في بعض الأحيان «تيموجس»، وهو اسم حكيم خان الحقيقي. شاهدت والذي بعد ذلك بسنوات عديدة، يملا قسم الأصل العرقي في استمارة الإحصاء. وقد اضطر إلى شطب لحابات الموجودة كافة، بالنظر إلى أن أيا منها لم يكن يطبق عليها، وكناية كلمة «ممول» عوضا عنها.

أخبرني والذي كثيرا عن طمولته، وكيف كان يعتبر أحد أهم الياصين في مدرسته، وأنه دخل في شعارات كثيرة استخدم فيها قوته وسرعته على الدوام لحماية الأولاد الصغار من متصيريهم كان ما عرسته هي - بحق - من حب لدولة، والعبودية بمراسا هاديا لي في حياتي

ألحق والذي كلا ما بمدرسة ابتدائية يهودية، حين كنا في سن مبكرة كان خياره واقفها بالزعم من كل ما اتسم به من عراة، حيث مكثت مدرسة الملك داود، بمعاييرها التربوية العالية، وتأكيدا على المبادئ الدينية والأخلاقية بالإصاعة إلى قواين كوشر المدائية، المشابهة لقوانينها، خيارا مثاليا بالنسبة له، ناهيك عن إظهاره مدى لهبرالته، ورعته هي انتقاء أفضل ما تحويه الثقافات كافة. وقد أسهم خيار والذي كذلك في تنمية اهتمامي الكبير بالتدريس الديني مع تقدمي في السن، فأحببت ما كنا نسمعه من قصص التوراة في المدرسة وما يقابلها من قصص القرآن الكريم في المنزل، وعلقت بعض القصص اليهودية التي سمعتها من المدرسين في ذاكرتي، كالثورة البطولية التي قادها يهودا ماكابي الذي لم يكن ليحكي رأسه لأي مخلوق، علاوة على بعض ما يقاتلها من قصص والذي المستمدة من التاريخ الإسلامي.

استمتعت بالمشاركة في المسرحيات التي تمجد التاريخ اليهودي خلال الاحتفالات بعيد الأنوار (حانوكا)، وعيد الفصح (بيساح)، وعيد المساخر (بوريم)، ويوم العمران (كيبور). كنت أتلو الصلوات بالعبرية على المسرح في بعض الأوقات، كما يتلو أصدفاني، معتمرا الكيبا، (اليامولكا) (قبعة رأس يهودية)، كان أحدهم ميثا موريل، قد لقبني «بمورمبيق».

مثلت الصحرايا مادتي المفضلة هي تلك المدة وقد تمكنت، بحلول العاشرة من عمري، من حفظ أسماء كل دول العالم وعواصمها، أملا رياره بمضما يوما ما

كان لباسي المدرسي - بما هي ذلك سترتي وقيمتي - بحمل صورة «موجان دوهيد» (حمة داود)، حيث كنت أرتديه يوميا، فرحا به مرهوا، كأني طالب مدرسة، كنت أحبي العلم الإسرائيلي في أيام الأعياد، شاسي في ذلك شأن الطلاب الآخرين واحصر فيما بعد الظهيرة، عقب المدرسة، دروس تلاوة القرآن، لم يكن لدي بصورة عامة ما يتعلق بعر الصحار به، ولكنني نجادلت في إحدى المرات مع امر أصدفاني، ميثا، حول أن الإسلام يمثل أسس الرسائل التساوية لبعضه على مثل الخير.

كان باب فصلنا يحوي ملصقا بصور قبضة نارزة، وبعض ما لم أهتمه من الكلمات، وكانت «الصهيوية» أحداها، عاسترمني الأمر عشر سنوات تقريبا لاكتشف معناها

امتلا رف والدي بكتب التمويل وإدارة المصارف علاوة على القاموس، والتاريخ، والروايات الإنجليزية الكلاسيكية لم يكن يمثل الرجل الإنجليزي على أكمل وجه، ولكنه أحب التاريخ والأدب الإنجليزي، وكثيرا ما كان يأخذنا إلى مسقط رأس شكسبير في ستر مور - ابور - اهور أو موطن وردزورث في معظمه البحيرات كنا نرور قلعة ورويل، وقصر بلهايم بشكل دوري كان والده يمارس دهانه إلى السيمما بشده حتى كان طفلا صغيرا ولكنه اعتاد أجداد إلى هناك، وقد تصل

اكثر ما كان يفصل مشاهدته في «كليبواتراء» و«حيث تجرؤ السمور» و«جسر بعيد جداً» كان يستمتع كذلك بمسرد قصته المصنعة من رواية «السلاح والرحل» لبرنارد شو. حول «حدي الشيكولاتة» الذي لم يكن يرغب في القتال، وكيف ساعدته تلك القصة في عدم الالتحاق بالجنش كما نفس تقاليد عائله.

تمسك والذي على الدوام بالرغم من اندماجه في معمل الحياة البريطانية. واعتباره إلى حد ما من المحافظين المؤيدين لها، بإسلاميته، وإن لم يكن ذلك بقوة. عبر الالتزام بتناول الأطعمة الحلال، والامتناع عن شرب الخمر، وأداء صلاة الجمعة، والجماعة حال إقامتها حرص والذي كذلك على تكريس القيم الميكثورية القديمة التي كانت تشابه قيمه الإسلامية كثيراً، إذ كان يحرص في عضولها يومها احترام الوالدين والعلمين «تصرعان بالطريقة التي أحد الانجليز يتبعونها»، كان يقول ذلك لما حُر كما بعصيه، أو يرد عليه «سئقت عضوبتا - بسيطة كانت أو فاسية - من طريجه نرسية والد له، كنا نجبر على الوقوف مقابل الحائط، والاستماع إلى الأوامر امالية» «العيان مصفقتان المم مطبق الراس مرتفع الظهر منتصب، الصدر بارر اليدين على الجانبين، القدمان ملتصقتان لا تتحرك» «كنا يصرب إن تحركنا، بالنطق هي بعض الأحيان أو بما هو أسوأ من ذلك، كان أحي يصرب أكثر مني، ولكني كنت أصرب معه هي الغالب، هريما كان والذي يعمل ذلك كي لا اشعر أنني مهمل».

شغل والذي كذلك منصب رئيس «جمعية تطوير اللغة الأوردية»، وكان شاعراً متمكناً بتلك اللغة وملتزماً بعصاية ذلك الحزم من ثرائه، فقد اعتدنا في مناسبات عدة، لقاء أصدقائه الذين كانوا هي الغالب من الأطباء والأساندة الجامعيين ورجال الأعمال الذين كان معظمهم من المسلمين المنسحب إلى أصول هندية - باكستانية مثلاً ولكنهم ارتبط بملاعات وثيقة كذلك مع أصدقائه من الهندوس، والسيخ وغيرهم من الانجليز

أصبح والدي، بعد وفاة أمي، وبصعته مديرا لأحد المصارف أرمل مرعوبا للكثير من النساء، وظننت أن إحداهن ستصبح روحا له وتدعى جوريمين، أو جو، كما كنا ندعوها، وهي تنسب إلى عائلة إيطالية بأستبار، وكانت تحضرنني وعظما من المدرسة كل يوم جمعة، حيث كان اليوم الدراسي ينتهي باكرا بسبب عطلة السبت اليهودية كي تأخذا للعارج طيلة مدة ما بعد العطلة، وبمضي الليل في منزلها بعد عودتنا مثل ذلك بالنسبة لنا عالما آخر إيطاليا للعدي، بكل ما يتضمنه من أخطاء سلوك رسمية، وعادات شديدة الاختلاف عن مثيلاتها في عيد الفصح أو الأصحى، كجوارب عيد الميلاد المليئة بالهدايا وحلوى اليهود مع ستة البسات العسبة أو تقديم بقلة الماء مع السلطة عرفتنا جو على ما لم يكن بأمنه من أفكار، كجمع الأرها حلال رحلاتنا إلى تلال كوتسوئدر أو سالمر، ووضعها في السومات، وكانت تروي لنا قصص ما قبل اليوم أيضا مستمدة من الأدب الإيطالي لكلاسيكي، أو قصص الأخوين غريم وهابر كريستيان أندرسون وقد أحببنا تقريبا كما أحببت قصص والدي المستمدة من التراث، والتاريخ الهنديين. وكانت جو حانية للعناية في تعاملها معنا، وكنا نتطلع بصديق إلى قضاء عطلة نهاية الأسبوع معها.

كان عمي وعمتي مهمين للعناية لنا أيضا في تلك المدة، فقد قدم عمي، محمدر من باكستان حين كنا في الثامنة تقريبا وبقي معنا حتى تروح ورحل ونكحه حرصا كثيرا على تعليمنا، إذ كان يعلّمنا دروسا إضافية في الرياضيات والعلوم في وقت فراغه بهما كان في طريقه لبل درجة الدكتوراه وهو صممك بالكثير من القيم الشرقية الأخرى التي تعلّى عنها والدي. وقد رتب لنا دروسا لتلاوة القرآن، بعد أن راعه جهل كل ما باللغة العربية ولكنني كنت أحضر تلك الدروس على مضض لأنني لم أكن أستمعها، بالرغم من أن المعلمة لم تكن تستخدم العنف أو الكلمات القاسية في تعاملها معنا كما يمكن أن يفعل الكثيرون غيرها، وأدركت مع ذلك أنها تتعلم العربية على الطريقة الماكسنانية وأن للكلمة الأوردية تهمس على لسانها لكلماتها وهو ما مثل أمرا حائضا للعناية له ضرورت، بالنظر إلى ذلك أن اتعلم العربية بشكل صحيح يوما ما، وأهمهم صباهي الآيات القرآنية التي كنت أتلوها

لم تكن جوريمين، بالرغم من كل ما سبق، من اقترن بها والذي في نهاية المطاف، بل كانت امرأة التقاها في المصرف، وهي ولدت غوليهار، أو حالتي عول، كما صرنا نأديها فيما بعد، في بريطانيا، وكانت تنتمي إلى عائلة أسيوية كبيرة. واعتقدت أنا، وأخي، أن قرار والذي بالزواج منها كان مستقدا إلى رعيته هي تشبنت على الطريقة الشرقية. وقد بدأنا للوهلة الأولى، مع تقدمنا في السن، وتقبلنا انصعاج شخص جديد إلى أسرنا، بسبب المناعه لروح أمي، فارداد سوكنا سواء، هي الحقيقة، مع بلوغ من المراهقة، ولكنها دائما ما كانت تخاصنا بمشاكل الصبر والكياسة، دون اللجوء إلى العنف مطلقا وتميزت بقدر كبير من الشهامة، وتحملت كل ما أبدىء من معاملة، باهيك عن قيامها بكل ما تفعله الأمهات من غسل وطهي وتطهير حاولت مع ذلك الاستغلال منها عند البدية، وتدير ما استلمت من أموري بصمتي، فكنت أكوني ملاسي وأعسل كل ما استخدمه، وبقي عرعتي مرتبة وتمكنت المرأة بمرور الزمن من حطت ودنا، عبر ما أبدته من صبر ومثابرة

كنت أبلغ لعادية عشرة تقريبا حين ولدت شقيقتي، عظمي، وقد تعلقنا بها نحن الثنتين، كثيرا دخل ولدي مرتعشا، صبيحة أحد الأيام، حين كانت لا تزال رصيمة وحاطما فائلا، بعد رحلت عظمي، إذ أصيبت المسكينة بالتهاب الشعب ذلك الصباح، هكذا بكل مساعدة هفمرت عن سريرتي، وارتفعت على الأرض باكيا ذهبت هيما بعد إلى عرعة والذي. لأحدها حثة هامة هي سريرها الصغير وقد كان لذلك وقع مرئيل على روح أبي ولكن لم يلبث طعنها الثاني، أسد، أن ولد بعد ذلك بستين

التحقت مع شقيقي عظام بمدرسه محلية، بعد مدرسة الملك داود وكان يوجد في سنني الدراسية حوالي العشرين طعلا أسيويا وعشرة من السود وأكثر من مئة وحمسين من النيجين، وكان معظم اسدقائي من المسلمي والهندوس والسيخ والمسيحيين، دون وجود ما يذكر من اليهود

كانت مدرسة «موزلي» الثانوية قد بنيت في بدايات القرن التاسع عشر وفق
 النمط المعماري القوطي. وقد كانت مقاعدها مزودة بالمحابر. بدأت كمدرسة
 لتعليم القواعد، ثم ما لبثت أن شملت كل المواد، وتمجد جدران حوائطها العربي
 نصوصيات الطلاب القداس الذين قصوا في الحروب العالمية الأولى والثانية.
 ولا يزال عدد من مدرسيها يرتدون أثواباً سوداء، ويصرصون اشغال حذاء
 رصاصي على كل من يسيق لصراف كنا سحرط صبيحة كل يوم في اجتماع
 يتخصص قراءات من الانجيل، واسناد الترانيل. مثل ذلك بداية تعمر في إلى
 المسيحية، التي كانت تشكل بوصف حراً لا يتحرراً من هوية المدرسة، ولم احد
 صغوية في قراءة أو تقبل بعض الادعية، «كصلاة الرب» أو ما كان يمحذ الله
 من الاعاصي، بينما استمعت عن تردد أي مما يمسب الألوهية إلى البشر
 يشترك الإسلام وللهودية في توحيد الله - عز وجل - الذي لم يكن من البشر،
 أو الحيوانات، أو الأوثان، أو النماثيل بل واحد احد، لا شريك له كان المصيح
 بالسببة في نبيا مميّراً، فانراً على الإتيان بالمعجزات ايما حل، دون أن يكون
 ظل الله في الأرض، أو وده، لم يقتل أو يصلب باعتقادي، بل رهمه الله إلى
 السماء لمعيدة إلى الأرض قبل اليوم الآخر

اذكر اني تحدثت مرة في الفصل. حين كنا ندرس موضوع الميلاد فهاضرت
 المدرسة على أن المسيح كان ابن الله بسبب حمل مريم العذراء المحرر. وولادتها،
 سالنها قائلاً: «كان للمسيح ام عن الأقل، فمن كان لأدم؟ لم يكن له ام أو اب،
 ألا تعتقدون بالنالي أن خلفه هو أكثر إعجاباً بالناكيد؟ استأمت المدرسة كثيراً
 من سوالي وعبرت محرى الحديث بسرعة نحو موضوع آخر

تعمل حرة من تقاليد مدرسة موزلي في تدريس مادتي الدراسات الكلاسيكية
 واللاتينية هاخترت في السنة الثاس - بعد تموقي في سابقتها - دراسة اللاتينية
 التي أصححت مع التاريخ والدراسات الكلاسيكية أكثر المواد المعصه لدي

بدأت الأمور تتغير في أوج مدة المراهقة. كان أحي قد انضم فعليا إلى إحدى عصابات الشوارع المحلية، التي تتألف بمعظمها من شباب باكستانيين ينتمون إلى عائلات تقليدية مترممة، لا من حيث التمسك بالدين بالضرورة، بل العادات والتقاليد الكشميرية الصارمة. ثار العديد منهم على ذلك الواقع بالتعجب عن المدرسة، ومصادقة العقيات، وشرب الخمر، والتدخين، وتفاطي المحذرات بأهيك عن لتورط في المشاحرات، وأعمال السرقة، وسرقة السيارات بمصرص انتسج ولكي كنت قد نجحت في الواقع في الانشغال عن معظم ذلك، باستثناء المشاحرات العرضية التي تقع بين أفراد العصابات، وقد برع أبناء جنوب آسيا الموحودون في بريطانيا في تلك المدة إلى الصوق في الدراسة، والجانب الأكاديمي ولكنهم كانوا يصمتون وإن تعرضوا لأشد الاعتداءات سوءاً

تملك الحركة البريطانية والحيمة الوطنية تأييداً قوياً في بعض مناطق بيرمنجهام، ولم يسلم أي منا من سماع عبارة «عودوا إلى وطنكم أيها الباكستانيون» في مرحلة مهمة من حياته، بينما كان آخرون يصرون دون أي سبب كان شقيق روج و لذي قد مصرص للصرص من قبل مجموعة من حبيبي الرؤوس عند عودته من المدرسة هكسر هكه شريحة ذلك وعطر عن تناول الطعام أصابع ولقد هاحموا والذي حين كنت طفلاً صغيراً، ولكنه كان قادراً على الدفاع عن نفسه. تمثل الأسوأ في الهجمات التي كانت تنصرص لها النسوة الأسيويات، رد كن على الدوام هدها سهلا بسبب مظهرهن الحجاب الشامر كامبير (رداء باكستاني) الساري وطبيعة لا عدائية بشكل عام

لم يكن من غير المألوف في الثمانينات أن يشاهد المرء كتابات عنصرية على لحدرا في بيرمنجهام، أو وشوما يعبر عن الكراهية على أدرع خليفي الرؤوس، ورقابهم، وحباهم، يتمثل ما أذكره منها هي «اي بي ال» (رابطة مصاداة لباكستانيين) و«ان أم» (الحيمة الوطنية)، و«أخرجوا أيها الباكستانيون»، و«أخرجوا أيها الووعر» (كنت قد سررت لاكتشاف أن كلمة «ووع» تمثل أحمررا لعبارة «السيد الشرقي النبيل»)

استهوتني. بالنظر إلى ما سبق، فكرة الانضمام إلى عصانة لا تتعد موقفا دائما من مسألة العصرية. فلتصمت إلى العصابة بعد مدة قصيرة. بالرغم من سعر سبي البائع خمس عشرة سنة تقريبا، وكانت تدعى «الليكنس» كان أفراد العصابة أصدقاءنا، من الإنجليز، والعرب، والإيرلنديين، واليهود، والكاريبيين من صر أهرتني ونكر عاليتها نأثت من الكشميريين

اشترت لي روح والدي بحلول ذلك الوقت. سلسلة كتب بعنوان «أبطال الإسلام» التي أصبحت تمثل مع «الليادة والأوديسة» لهومبروس، أكثر الكتب مفضلة لدي كانت تلك لمرء الأول التي أقرأ فيها عليها، وبشكل هزلي، عن النبي محمد ﷺ وصحبه إلا أن فيلم «الرسالة» لأموسي كوين لدي يدور حول الإسلام، كان ما أسر مخيلتي بحق همرتي شخصيات تلك ملحمة عاطفيا. وتمكني لمحر لاثنائي البها والتي ناريها إذ تحلت تلك الشخصيات بمكارم الأخلاق، والشجاعة والانبساط والمبادئ وكان المصير حليها على الدوام هلفد كـ مصانها عربا مسلمين لا هموس إنجلترا المسيحيين، محكمي لشهامة ونمروسة كما لقب في المدرسة وعبر شاشات التلفاز

قربت ذات يوم بالزعم من عدم دعائي إلى باكستان مطلقا أن «طور علمها على يد راع الهمس لسيرة الجيش الإيطالي التي كت أملكها، وقد سبب ذلك لي بمصر التشكلات في المدرسة حيث طالبني المدير بإزالته قائلا إن المدرسة ليس مكانا لرفع شعارات والرموز ولكني كنت قد استهلكت الكثير من الوقت واتجهد لوضع بحيث قررت عدم إزالته. وبدأ أن المدير سبي أمره بعد مصي وهم قصير مثل ذلك بالنسبة لي تأكيد على هومني. بالزعم من أن والدي اسمها بالأصل «التهيد» كان معظم أفراد الليكنس من كشمير الباكستانية، ويتحدثون لغة مختلفة كيب عن لأوربية، وعرب عن أيجاد ما يربطني بالوطن الذي يتحدثون عنه كثيرا، حين يعودون منه عقب زيارة من مثلت باكستان بالنسبة لي أمرا محتملا كانت باكستان الشعر والنشأة ونعم والحيش تماما كما صورها والدي

كنت طالبا في أكثر فصول سنتي الدراسية تعوقا، وكان جميع من فيه،
المنهات على نحو خاص، مجدين في دراستهم للغاية، ومع ذلك بدأت درجاتي في
الانحدار، وتراجع أدائي الدراسي عن المستوى المطلوب، وقد نتج ذلك عن تفريقي،
وانغماسي إلى العصابة إذ كنت أهوت الكثير من الحصص في التسكع واللهو
والاستماع إلى أغنية مايكل جاكسون الشهيرة «بيت آت» هي مفهى «شيللا».

أحببت شعور الانتعاش إلى العصابة والارتباط بهم تحسني بهم بعض
القواسم المشتركة، ولكن سير الأمور، بكل الأحوال، لم يكن متاعبا مع ذلك كان
اصدقائي الأول من اليهود، ويدرسون في مدارس الفوائد حينها وهي مدرستي
مورلي، وكان ايدرو، «المتى البولندي» أول من يعكس اعتباره أعر اصدقاءني وقد
احتل أنجوم، المتى انكليزي الأسوي ذلك المكان فيما بعد وهو الذي لا ينتمي إلى
أي عصابة.

التحق معظم أفراد «الليكس» بالمدارس هي أكثر المناطق المدمرة في
بهرمنهام، ولم يكن لهم علاقة تذكر بمطعمي إذ كانت نحرستهم مع المصرية
أسوا بكثير مما يمكن أن أمر به وقد تعرض معظمهم للضرب من قبل
«المصريين» في مرحلة ما بل وتم إسماهم إلى المستنصر فكانت الأمور تبدأ
بمصابقتهم من قبل بعض الأولاد البيض الأكر سناء الذين يظهرون إلى جموع
الطلاب السود والأسويين ياردراء كبير، ليتواصل الصف حتى بعد معاداة أولئك
البيض المدرسة، كثيرا ما كانوا يسطرون خارج بواباتها للمشاركة في حملة «ضرب
الباكستانيين»، وقد كان حليمو الرؤوس يأتون بالهدايا في بعض الأحيان للقيام
بدلك، هطع الكيل بالعميان الأسويين مشكلوا عصابة «الليكس».

تفاعع عالمي مرة واحدة لا أكثر، إذ كنت في الخامسة عشرة من العمر،
والسنة الرابعة هي المدرسة محسب، ولكنني رأيت المداية التي سامت بها
الأمور، فنادرا ما كان الشجار يشب بين شخصين و حر بل بين عصابة بأكملها
وشخص واحد إن كان احدهم يماثل بمفرده، فسيصم إليه رفاقه للمشاركة

في ضرب وركل الشخص الآخر حتى يصبح وجهه مشوها. لم يكن ذلك يحدث للكثير من الناس، ولكن أخي كان أحد ضحاياها. إذ تعرض للضرب المبرح خارج المدرسة، لينتهي به المطاف إلى المستشفى، ويتعيب عن المدرسة بضعة أسابيع. كان من عمل ذلك من البيض بمعظمهم. بينما كان بعضهم من أصول مختلطة. وربما كانوا قد علموا أن أخي ينتمي إلى عصابة باكستانية خارج المدرسة. فحسم المعتدون حدودهم على صوته. ذلك، ودخلوا معركتهم تحت شعار «لنشارك في حملة ضرب الباكستانيين».

دخل خمسة منهم إلى الحمام في إحدى المرات. حين كنت على وشك معادرتهم، بعد أن تبموني خمسة في أرجاء المدرسة. واقترب أحدهم مني، وأمسك يدي قائلا «نظن أنك قوي للغاية، بسترتك الباكستانية وعصاة «الليكس» الباكستانية التي تنتمي إليها، اليس كذلك؟ سوسعت ضرباً كما فعلنا بأحبك». دق قلبي بشدة في تلك اللحظة، وفكرت فيما بطرت إلى الآخرين، قائلاً نفسي «كيف يمكن لي الخروج من هذا المأرق؟». لم أكن أسعد قط برؤية المدرس الذي دخل للتو. وقد أحسست صديقا بالهرب على الصور تمثلت المشكلة. مع ذلك، هي عدم وجود من يدعمني في المدرسة. فكان ينتمين علي النظر حلم كتمي طيلة الوقت ما لم اتحد بهم ولم يكن بوحدهم هو مستعد لتساعدني في المدرسة. باستثناء أجموم. فقد كنت واثقا. مع ذلك بقدرتي على الاستعداد بأعضاء «الليكس».

رأيت الحملة داتهم في اليوم التالي عند معادرتي المدرسة. يتحدون مؤههم استعدادا للقتال إذ كانوا قد رزوا أفرادا من «الليكس» بسطرون في الخارج يومر شيكو بلوب بودا. هالك جان سام، وسيمي كان حميمهم يقفون في صف واحد يواجه عدل طربو سريمميك. حيث كانت تقع المشاحرات كافة ويريدون ستوات الحيش الايطالي داتها. مختربين السر الاحمر على ادرعنها اليسرى إذ كانت تعتل رينا الموحد ورمز ما يظهره من بعد

كان جميع أفراد «الليكس» يحملون أسلحة حربية، بما فيها الصلاسل، ومصابر اليبسبول، وقصبان حديدية، وعصي «البيشاكوف». كنت قد خرجت من المدرسة باكراً! لأصطف إلى جانبهم، ولم يكن عدد من حاصر من أفراد «الليكس» يتجاوز الثمانية، ولكن الحمسة المقابلين ذكروا أنهم سيحبسون المريد من رفاقهم من خارج المدرسة، بالنظر إلى أن كرامتهم دخلها كانت على المحك، وقد وصل بعد ذلك بوقت قصير ما يقارب الحفسي شعباً، واحتشدوا بصورة غير منتظمة في مواجهتنا أدركت عند ذلك أنني ارتكبت خطأ فادحاً بدأ الصراخ والحدل بتصاعدان واحد صوتي يصيح في حضم ذلك

أبصر أحد أعضاء العصاة، الفتى الباكستاني الأناسي سيمي الذي يتمتع بشخصية قيادية، وشجاعة للغاية، متصدياً لحبوسنا فقد كان مستعداً لقتالهم جميعاً، فعرض البقية على رسم ملامح عذبة منحمنة على وجوههم والتكويح بأسلحتهم بالرغم من قلقهم التواضع هو حنت بأحد زملائي في المدرسة بنحبه صوري، ويخاطبني قائلاً «انظر سمسوء الأمور كثير! إن لم نحاول إيقاف ما يحصل قل شيئاً كان الفس محققاً ولكن سيمي صعد من لهجة النحدي

خاطبهم لأخير بعد أن وقف في المقدمة، قائلاً «اسمعوا، إن ردتهموا الآن فمحن لها، ومستعدون لإشباعكم ضرباً ولكن ذلك سيؤدي بنا جميعاً إلى ما لا نحمد عشاء، لم لا نلاقوا أيها الحباء ليلة السبت في حديقة مباركهيل، عوضاً عن القتال هذا! احضروا كل جماعتكم لن يكون هنالك مدرسون أو أطباء صغار، أو رجال شرطة يقلق بشأنهم»

وافق حبوسنا على ذلك، حيث كان الجميع قلقين من شوب الشجار أمام المدرسة، وأبطلوا العامة لم يبعد سيمي رقابنا بحسب بل وسممنا أيضاً فتم قبول النحدي ولكني كنت أعرف أن حبوسنا لا يتمون إلى عصاة منظمة خارج المدرسة وأنهم لن يحضروا في الموعد المحدد وهو ما حدث بالفعل مثل ذلك انصهاراً بفسيا بالمسبة لي، حيث بلغت محمد قبي خارج المدرسة وحيا وعلم حلالني بوجود من يدعمني، فلم انصرف للمناعب معددا بعد ذلك الموقف

كان ما حدث بالنسبة لي أول التراعات الجديدة التي خاصتها العصابة، أو كادت، مثل القتال في بعض الأحيان هدها بعد داته، ولم يكن يحلو الأمر من المبالغة حين كان الناس يتناقضون ما يحدث خلاله، إذ كان الوقوف إلى جانب الأصدقاء هو الأهم في نظري، مع مشاركتي النادرة في القتال، بالنظر إلى أنني كنت الأصغر، والأكثر صالة في الحجم.

دارت إحدى أشد المعارك التي خاصتها العصابة بذلك على عرار ما حدث في فيلم «كوادروفيش» كانت إحدى العصابات المتفلة بواسطة الدراجات النارية قد هاجمت متجر عائلة هالك، وحطمت كل ما فيه، فقبل أفراد تلك العصابة التحدي، حين عرض عليهم هالك المارلة، قائلاً: «حسناً أيها الماكستاني السافل، سمعوا مجدداً الليلة، وستملرك حارة (ميرميد)، النقيب في منزل سبقي حيث كنا بجتمع كثيراً، ليعبرنا هالك بما جرى، وإن خصومه عائدون لقتاله مجدداً في تلك الأمسية».

احتشدنا في وقت متأخر، من بعد ظهيرة ذلك اليوم، في موقف السيارات الواقع خلف الحانة كان حبر المارلة قد انتشر، وقد انصهرت إليها بعد وقت قصير عصابات أسبوية أخرى كمحاربي سباركهيل، والتساين، للمشاركة في القتال كانت المنطقة، مع ذلك، منطقتنا، والممركة ممركتنا، وتوجب علينا نحن أن نصبح حطة القتال يقوم ثلاثة منا، سيمي، سام، وأنا، باستدراجهم إلى الكمين الذي نصبناه بعيداً عن الحانة. انعد البقية مواقعهم. مختبئين خلف حدران الموقف، بما يحملونه من عصي وحجارة ثم يات خصومنا بواسطة الدراجات النارية هذه المرة بل أتوا بحاصلات صغيرة ليماخضوا بحلو موقف السيارات بدا ثلاثنا هي شتمهم، بمصرد أن رؤوسنا والحري نحو الموقف كان خصومنا هد أوقفوا حاملاتهم على طريق حاسبي قرب الحانة فاندفع بقية اصدهاتنا بمجرد خروج الخصوم من حاملاتهم لمشاردة ثلاثنا، اندفعوا عبر راوية الموقف وقد هومهم بوابل من الحجارة ليمد القتال في تلك اللحظة ساد الهرج والمرج

والشحم الجميع هي معركة بعصي الهوكي. ومصارب البيسيول، والقصبان الحديدية. وكنت أحاول ضرب أحد الخصوم، لأضرب عن طريق الخطأ، وسط كل تلك الجلبة. أحد أعضاء عصاية التنايب، فأعقبت صرخات الأثم أصوات الصربات على الصور. ولم يبق بعد ذلك بدعائق، من بقي واقفا من خصومنا - الذين لم يهرب أي منهم - باستثناء شخص واحد

وقب بوروب، حبيب الصور القتائية أمام ذلك الشخص، وأوسع صريا بإحدى عصي الهوكي المكسرة وعندما وصل رجال الشرطة بعد ذلك تعرفنا جميعا هربا منهم، هي الشوارع والأرعة التي كنا نعرفها جيدا، بينما تم اعتقال معظم خصومنا

مثلت تلك المعركة نصرا ساحقا بالنسبة لنا، فعم الحبر جميع أنحاء بيرمستهام، ووصل إلى مسامع كل محباتنا، من السود والبيض، والأسويين، وساعدت تلك المعركة، بحارب غيرها هي تعريب سمعة «الليكس» كعصاية قرية تطبق عدالة الشارع على طريقها.

فقدت «الليكس»، مع ذلك شيئا من سمعتها هي إحدى المواجعات الكبيرة التي وقعت بعد مدة قصيرة هي مركز المدينة، فقد كان من الواضح أن لا طاقة لها بها منذ البداية، حيث كانت هناك مسيرة كبيرة للعبهة الوطنية، أو ما يسمى حليقي الرؤوس بالنسبة لنا، إذ انضمت عصابات متعددة من أرجاء المدينة كافة قرب أحد متنقياتنا، المكشاة المركزية، لمواجهتهم، حيث كانت دوريات الشرطة تجوب المكان بالسيارات وسيرا على الأقدام باهيك عن الحشود المعتادة التي تمنع هناك ما بعد ظهيرة كل سبت كنا، بعض النظر عن ترتيبنا، نألف من بعض أفراد «الليكس»، وعصاية اليهود، ومحاربي سباركهيل، والطرواديين (الذين كان معظمهم من السود) كانت بعض تلك العصابات قد هابت الأخرى في أوقات محتلمة، ولكننا توحدنا هي حية لمواجهة الباريين الحدد

سمعنا أصوات فرع تشتد شيئا فشيئا، ونمكنا من رؤيتهم، بينما كانوا يعمدون التلة، وهم يعملون صناديق قمامة معدية وقرعونها بمصارب البيسيول في سمعة متساوقة لم أكن أقرب هي تلك اللحظة من الشهور بما كان

يتملك المحاربين، لا محالة، قبل حوض المراك في القرون الوسطى، فقد بدا وكان المئات منهم يسبرون كالحنود في طوابير عسكرية، وتوقف جميعهم، ليرفروا أيديهم اليمنى، تاذية للتحية البارية، بينما تعالت أصواتهم صارحة «زيك هایل» (هناك تحية النصر هي الحقيبة النازية). لتمام السماء هديرًا، قبل أن يبدؤوا هجومهم علينا.

رايتهم يقتربون مما، بما يقل عن الخمسين متراً، فلم يتدخل رجال الشرطة لمحرمهم، أو عدم رغبتهم في القيام بذلك، فاستدثت للحلف، ملتبساً بطرة أحيرة على جماعتنا، للتأكد من ثباتهم، ولكن معظمهم كان قد ولى الأدبار، باستثناء شاب أسود معتول العضلات، يقف بعائبي، ملوحاً بسلسلته، وصديقي سام على الحاسب الآخر. تطرت إليه، أملاً في امتلاكه حلاً سريعاً لورطتنا فصرخ قائلاً «اهرب يا معظّم، الآن»، تمكنا من الهرب، سائلين، في حينه، ولكنني لم أمتلك القدر ذاته من الحظ في المرة الآتية.

كنت أسهر في إحدى الأمسيات مع بعض الأصدقاء بجانب حانة «الميرميد»، حيث كان بعض خليفي الرؤوس ورفاقهم من مثيري المتاعب قد اجتمعوا للشرب. مقابل منهي «شيللا». لم يكن في مزاج يسمح لنا بالقتال على نحو خاص، ولم يكن مستعدين لذلك بالتأكيد. شاهدت فيما بعد أحد أصدقائي، وهو يحاول أحد خليفي الرؤوس خارج الحانة ليضربه بصورة مفاجئة على رأسه بمصباح تحوي مسباراً كبيراً ناتئاً دخل في رأس الشاب نتيجة لذلك ركض الأخير إلى الحانة مستعداً برفاقه فصرخ عشرة منهم أو أكثر في غضون ثوان، حاملياً أقداح الحقة ورفاحات الشراب وأطلق جميعاً النار لصفه متجاوزاً المسجد المحاور بربولا نحو نهاية الطريق بينما بقي بووت وحيداً في مكانه.

استدثت، بينما كنت أحرق لأنفثر إليه بوجه الركلات شاعاً إليهم ولكنهم منحوا هي السبطرة عليه فيما بعد كان مصداً على الأرض وكانوا بهالون عليه ركلاً بأرجلهم.

اتخذت قراراً طائشاً نتيجة لذلك، حيث توقفت عن الجري، واستندت عائداً بسرعة كي أحلصه منهم، ونجحت في إيمانهم عن العتى هيدؤوا يصربونتي عوصا عنه، وشعرت بمقدمات الأحذية الحديدية، ورجاحات الشراب تهال على رأسي، وظهرتي، وعائتي، وساقتي ووجهي، وبدأ أن ذلك لن يتوقف أبداً، وقطع حره من لساني حين ركلوني على دفتي وأحد الدم يشدق إلى حنجرتي عندئذ شعرت بالضعف أسبي على وشك الموت، هضكرت هي تلك اللحظة العصبية قائلاً لنصبي «ما أحر ما ينطق به المسلم قبل الموت؟ لا إله إلا الله، محمد رسول الله، صرحت معاهراً بذلك لا سيما سي الفظ أنصبي أمام بيت من بيوت الله، كما طلست هي جهة ولم يلبث كل شيء أن توقف بصورة مصاحبة فيما بعد الركل، والألم المتواصل، ناهيك عن احتساء المهاجمين، وطلست أن ذلك قد حدث بسبب ما قلته، ولكنني رأيت سيارة شرطة تضرب من الراوية، لتتوقف أمامي

لم يكن في السيارة سوى شرطلي واحد، فمظّر إلي، وطلب مني الصعود إليها، قائلاً «ساحدك إلى مركز الشرطة على صوء ما أبلغنا به من حدوث تفكير للأمن في هذه المنطقة» تحدث الرجل في المديح فيما بعد، فتمل حليفتي الرؤوس عاندين بيما كان يهم بالانطلاق إذ اقتربوا من السيارة ظناً منهم أن الشرطي سيطلقني، وذلك ما يمكنهم من صربي مجدداً هيدات، عامداً، توحيه الشنائم لهم، ومن ثم قاموا بإحاطة السيارة، وأحدوا يصرعون عليها، فأحاف ذلك الشرطي بلا شك، ودفعه إلى الانطلاق بالسيارة حتى نهاية الطريق، طالباً من معاذرتها أذاك كنت مصرحاً بدمائي وكاست الرصاص والكدمات نملأ وجهي، ولكنني سعدت للغاية، لأنه لم يقتلني.

عدت إلى البيت عند الماشرة تقريباً، فصيح والدي الباب، ولكنني أدت ظهري له متظاهراً بربط عقدة حدائي انظروني كي أدخل البيت، لأحاطه قائلاً «أدخل يا أبي، سالحق بك خلال دقيقة» استدرت ظناً مني أنه ذهب بالعمل ولكنه لم يعمل ورأى الحال التي كنت عليها، وذلك ما صدمه للغاية

سأنتي قاتلا « ما الذي حدث؟ ».

أحبته متمتما: « لا شيء يا أبي أنا بخير، اذهب إلى الداخل ».

غضب قاتلا « دعك من هذا اللغو - سندهب إلى مستشفى الحوادث الآن ».

كان المهاجمون دانتهم موحودين هي المستشفى بالمعمل حين وصلنا إليه. بهم هبهم ذلك اندي دخل المسمار هي رأسه وأحر محطم الألف. هددوا يطلقون السباب بمحرد رؤيتي وأهتريوا بحوا سرعة هائلين « هذا هو، الباكمتاني الساحل » - التعلت إحدى أدوات المحتر الموحودة بحاسبي استعدادا للدفاع عن نفسي بموصل رجال الشرطة عند ذلك

كان والدي السكين مصدوما نعاما ثم افسادي مكبلا بالأصماد كبقية المهاجمين وانتهت هي مركز لشرطة بالاعتداء المتعمد حيث كان رجال الشرطة يفتقدون أسى حاولت قتل ذلك الشاب عمر ضرب رأسه بالمسمار فاجبرتهم بما حدث حفيظة دور أن أشي باسم الشخص الذي فعل ذلك وذلك ما دفع بقصيتي إلى المحكمة.

حصرت كل جلسات المحكمة. معكس مهاجمي الدين لم يحضروا ما يذكر منها. ولم يرق للفاصي معطهرهم. بكل الأحوال. حين كانوا يعملون هددت المحكمة القصبة في نهاية المطاف.

لم يكر والدي يعرف الكثير عن حياتي في تلك المدة. حيث تخرجت في المدرسة بصعوبة بعد أن تدمت درجاتي عموما، وإن حظيت ببعض المقبول منها ولا يمكن إلقاء اللوم على أحد سواي وأبوك تماما أنني كنت المسؤول الأول والآخر عن ذلك.

كان والدي منساهلا معي بصورة عامة خلال سنوات مراهقتي ولم يمارس على ولديه أي نوع من الصعوط متلما كان يعمل العديد من أعماله أرادنا أن نصل إلى مستويات علمية عالية، ولكنه كان منحرفا للعبية فيما سمع لنا الصيام به. وقد استغلنا ذلك على أكمل وجه

كثيراً ما كنا يجلس معاً، بالرغم من العقاب الجسدي المرضي - الذي توقف بمرور الزمن - لنناقش الأمور بعمق، بما هي ذلك ماضيه. كنا تجري المقارنة التقليدية ذاتها، هي بعض الأحيان، بين سموات مراهقتنا، ولكن مرحلة شبابه كانت محتملة للغاية عن تلك الحاضرة بي.

كان يعبرني لأقدر ما أنا فيه من نعم، عن اضطرازه للدراسة تحت عمود الإدارة في الشارع. حين كان طفلاً في الهند، لعمر أسوته عن نامين الكهروسيب اللام لإبارة المصباح، علاوة على قصة محزنة من ممرله في جنوب الهند، ليعيش حياة متهولة متقلبة في باكستان، البلد السلم كان يستحضر حوادث الموت المروعة قطارات محملة بالمسافرين المسلمين العابرين للمناطق الهدسية، لا تصل إلى وجهتها إلا بعد قتل كل من عليها، وانتقام من الهدوس في المناطق المسلمة بنهجة لذلك أصبحت جالينه في باكستان تعرف بالمهاجرين ولم أكن أدري في حبه أن الهجرة إلى أرض مسلمة ستصبح معلماً مميزاً لحبائي أيضاً

درست المحاسبة في الجامعة عقب تخرجي من المدرسة الثانوية، ثم بدأت العمل في شركة المقاولات التي أسسها والذي بعد تركه العمل في المصرف عام 1984 اتجهت، بعد مصي بضع سنوات، لدراسة الحقوق أحدث عصاة «الليكس» تتملك تدريجياً مع تقدم أعصائها في السن، وبدأت - بالنظر إلى احتفاء التاريخي الجدد من شوارعنا - هي مقاتلة عصابات أخرى، استيوية هي معظمها، وقد كانت المعارك تدور بادئ الأمر، مع عصابات محلية ومنتدت رحاها فيما بعد لتشمل عصابات المناطق الأخرى، ولم أجد شمر بعدالة القضية، كما كنت عند قتال التاريخي العدد، بعد أن عقدت «الليكس» ميرر وجودها

استقر عدد من أعصائها عبر الرواح والاضرام في الحياة العملية، بينما أمضى آخرون الكثير من الوقت في الاصلاحيات، ومراكز الاعتقال والسجون ومصحات الملاح من إدمان المخدرات، بلهيك عمن قضى في المعارك أو بنهجة الإضرام في الشرب وتعاطي المخدرات، أو لحا إلى الندين

اصصبت ما يقارب ثلاث سنوات من حياتي كعضو في «الليكنس»، ولم أكن
أفتخر بذلك هي الحقيقة لما اصعته من فرص مهمة للتقدم في حياتي العلمية.
علاوة على عدم رصاي عما آلت إليه حال بعض أفرادها، ولم يكن والدي راضيا
عن ارتباطي بالمهابة أيضا، وقد تحادلتنا كثيرا حول ذلك، فلم يكن من السهل
ببل احترام الكبار في العالية الأسبوية، وبخاصة للشباب من أمثالنا، بالنظر إلى
اتهامنا بالتصرف «كالعوري» (البعض) من حيث الشرب، والسكع في الملاهي،
ومواعدة الفتيات، ولكن نظرتهم لما تميرت حين أدركوا أننا نقوم على حماية
أبنائهم، وبناتهم، وأرواحهم أعنفد أننا لعبا دورا ما هي تطهير الشوارع من
المصريين، وهي سمة تكتسبها «الليكنس»، إلى يومنا هذا في منطقة سياركهيل.
ثم يكر أفراد الطبقة العاملة الأسبوية، مع ذلك، من وجدت نفسي أهب
لحدثهم على الدوام، فقد سمعت في إحدى المرات أصوات صعب في الطريق
وظللت من بعده عرفة يومي للتحقق مما يجري، فرأيت بعض الأشخاص
يقترمون سولا في الطرف المقابل للشارع حيث كانت تقطن امرأة إسكتلندية
كبيرة السن هزعت إلى منزلها على الصور، لأجدهم قد بلغوا أعلى الدرج
وتمكن من سماع صوتها العاص يناديهم تركها وشائها، وصرحت بهم قائلا
«ما اندي بطون بحق السماء أنكم ما علود؟»، تسمم اللصوص المشرعون في
مكائهم لحظة ثم اندفعوا راكضين بصورة مباحة، ليدغموس في طريقهم عربا
إلى الخارج طاردتهم سولا عبر الطريق وتمكنت من اللحاق بأحدهم، فاستدار
الأخير نحوي، شاهرا سكيه

بصرف أبيه في تلك اللحظة ومن الواضح أنه عرفني أيضاً كان الشفيق
الأصغر لأحد أعضاء «الليكنس» السابق، حاطبه قائلا «صع السكين حسا
أبنا لأحمق ولا يفتنر لن أقوم بما يوبك صمها حنيا الأ».

بد سدرج مصص ناه لم يكن يعلم بوجود أحد في المنزل

فعلت عائداً إلى منزلها، لأساعد في تصليح باب المكنس. فهدعتني فيما بعد إلى شرب كأس من الشاي، وأرتقي بعض صور زوجها. حين كان جندياً خلال الحرب العالمية الثانية. متحدثاً عن حياتهما معاً، وأحدث أروها بين العمة والأخوي، حتى قررت بيع المنزل، والرحيل إلى إسكتلندا. لم استطع التوقف عن التفكير بأن هذه المرأة الكبيرة العاهرة قد عادت بسبب ما حدث. وأنها أصبحت ممساة من الأسويين هي الغالب، فقد كان ذلك يناقض الحقيقة بكل الأحوال. حيث دعيت إلى زيارتها في إسكتلندا، وأهدتني، قبل عمارتها، ما احتفظت به على الدوام عملة إنجليزية قديمة تعادل الحبة الحالي في قيمتها.

سالتني الشرطة، فيما بعد، تقديم إعادة ضد ذلك اللص المتعرض، فأخبرتهم أنني أفضل عدم القيام بذلك وكنت في الواقع قد قابلت شقيقه بالعمل، لأخبره عن القصة بأكملها، ويحبيبي قائلاً إنه سينصرف حبال ذلك كان وجه المني ملهت بالخصوص والكدمات، حين رأته فيما بعد فريما كان ذلك يفسر ما أجابني به شقيقه.

كنت أعمل عن قرب مع والدي حتى خلال مدة انضمامي إلى «الليكنس». كانت علاقتنا جيدة وكان يأتي علي كل شيء في العمل عندما من مراقبة الموظفين، وصولاً إلى بيع وشراء الببوت ورهن العقارات بقيت أعمل في شركة والدي مدة أربع سنوات إلى أن حلها في عام 1989، ليتمتع معلمه الهندي «السلطان». عملت هناك أيضاً في الإدارة، وخدمة الزبائن، والتنظيف والنظف حتى قرر والدي التراجع في عام 1991 فمكثت جدياً في تلك المدة بما يحب علي عمله، حيث كان ولدي قد خطط للدخول في معامرات تجارية أخرى ولكنني كنت بحاجة إلى شيء مختلف

وددت الالتحاق بالحيش على الدوام، وإلى حد كبير نظراً لأن حيك كان الوحيد الذي لم يعمل ذلك من بين كل الأجيال الأخرى للعائلة فاحسرتي أنني مرراً بالأصاغة إلى ما سبق أن احداً ما قالوا في حملات القرن السادس

عشر التي انطلقت من كابول بقيادة بلبر، مؤسس الإمبراطورية المولوية العظمى، وتشير شجرة عائلتنا كذلك إلى أن رحيم بيع كان صابطا في جيش اورانغزيب، آخر الأباطرة المغول، في القرن السابع عشر، عمل أجدادنا، منذ تلك المدة، صباطا في الجيش الهندي البريطاني. وشهد جدي، ووالده، وجدي النمرود الهندي ضد البريطانيين (لا أعلم مع أي طرف كانوا)، وشاركوا في حرب الموير (بريطانيا ضد جمهورية الموير في جنوب أفريقيا)، والحرب العالمية الأولى والثانية، إذ كان أحد أعمام والدي أسير حرب في أوروبا، بينما فشل آخر في أثناء قتال قطاع الطرق قرب الحدود الأفغانية، حيث كانت لدينا نصاليد عسكرية صارمة في العائلة، فقد اعتدت مشاهدة أوسمة جدي العسكرية، التي نالها خلال الحرب العالمية الثانية بكثير من المهابة، واعتقدت أنني سأواصل العمل بتلك التقاليد على النقيض من الأطباء، والمدرسين، والمصممين المنتمين إلى جيل والدي

صارحت والدي بما كنت أحفظ له، مشرح لي السبب الذي دفعه إلى عدم الالتحاق بسلاح الجو اليابكستاني إذ كان ذلك حلمًا يداعب مخيلته منذ الصغر ولكن والده أخضعه بالمدول عنه فابلا ولم تعد الحروب نحاس شرع أو شعاعة يمكن لأي حبار أن يلقي قسلة على علو آلاف الأقدام ليقتل آلاف الناس، صديقي كانوا م عسكريين هابن الشعاعة في ذلك، ضرب جدي على المروسية والمباراة منذ صغرة أطفاره وقد ضرب والدي عليهما لهدربي الأخير بدوره.

يمكنني شيء من الحوف في الحقيقة من الانسحاق بالحيش لم يكن ذلك بالحيش الهندي البريطاني المحتل لشبه القارة الهندية بل البريطاني العامل في البطار حيث علمت سي حد أواجه معاملة عصرية، أو ما هو أسوأ منها أردت الانضمام إلى بحه لقوات البحرية الملكية أو هوج لطبيس، ولكنني علمت بوجود هوج لعورك (مصابلي الخيال الأشده من أصول ميثالية) هكرب همدلا لمسي. لم بعد هرد ذلك لروح من الشيص وهم بشبهوسي في المحير موعا ما، ولا

استبعد على الإطلاق أن يشعلوا في صفوفهم. ذهبت إلى مكتب التطوع في الجيش، واجتريت اختبارا بسيطا للأهلية، ولكنني أحبرتهم، حين سألوني عما إذا كان لدي سجل إجرامي، أحبرتهم عن قصة حقيقي الرؤوس التي كانت المحكمة ترمع النظر فيها، ليقتلوا مني العودة إليهم بعد حلها.

سلط الضوء.. هي تلك الأشياء على حادثة انتحار مراهق سيحي نتيجة تعرضه لعمامة عسكرية في الجيش، فأتاني الخوف من العسكرية عن الالتحاق بالجيش أخيرا ولم أعد مطلقا إلى مكتب التطوع ذلك، وراودني الفكرة ذاتها بعد مصي عدد من السموات، ولكن الأمر لم يتجاوز نطاق التفكير آنذاك كانت حرب الخليج الثانية قد بدأت، وعصرت عن تحيل بصي مقاتلا في صفوف جيش محارب بلداً إسلاميا.



-3-

المضطهدون

نمثل أول إحساس حقيقي لي بالعالم خارج حدود نيرممعهايم بعض الطرق من رحلة الترتيج المدرسية إلى أبطالها هي الرحلة التي راكبت فيها زوج والدي ووالدتها إلى السمودية - بعد أن رتب أبي ذلك - لأداء مساسك العمرة من قبل هي أو حر سموات مراقضي. وذهبت من هناك إلى باكستان بمصودي لمصيه شهرين مع عمتي، اللذين كانت إحداهما تقبم هي كرايشي والأخرى هي البعباء وقد حانت تلك الرحلة، إلى حد ما، مكافأة على الجهود التي بذلتها لمساعدة والدي في الشركة، إذ كنت أربح بالسمر. حين كنت طفلاً صغيراً ولم استطع مقاومة المهر الذي مثله البلدان الأحيبة وثقافتها بالنسبة لي

لم يكن أي ما، حين وصلنا السمودية، قد أدى مساسك العمرة من قبل أو يمتلك أي فكرة عنها، أو يتحدث اللغة العربية، أهادتي قراياتي الكثيرة للتاريخ مع ذلك وأصبحت دليلًا هي تلك الرحلة، وذلك ما أدهش مراقضي الآخرين إلى حد كبير

بأثرت كثيراً حين روت المدينة المورة، مقر الحلافة الأولى، وهو النبي محمد ﷺ فأحدث دعوي تتساقط حين فكرت بما حدث هنا قبل 1400 عام الصحرة الأولى، التي أدت لهداية التقويم الهجري، حطت رحالها هي هذه البقعة بدهيك عن وجود مسجد بناء فيها، وهو أول مسجد في الإسلام، واختصاصها عروتي بدر وأحد - أكثر المعارك العاصمة في التاريخ الإسلامي - والمسجد النبوي الشريف، بعنه الخصماء المتنافسة، ثاني أكثر الأماكن قدسية في الإسلام.

تميز المكان بجاذبية لا تقاوم، وشجرت بعين روعي هائل عند زيارة مكة، حيث رأيت الكعبة المشرفة - التي بناها سيدنا إبراهيم، وولده إسماعيل - للمرة

الأولى، متاملا في ماضيها، وما تعيه للمسلمين، فتملكتني، للمرة الأولى في حياتي، إحساس واسع بهويي الإسلامية المتحدرة بعمق في هذا المكان.

مضرب بسدادة ثقافية ثافية حتى عانرت السمودية، ووصلت إلى كراتشي بالاهام عسى، وطمعتني الحيرة في المطار حول كيفية تمثيلها بين هذا الحشد من الناس، ولكنها عرفتني بصرعه كما فعلت، وتبادلنا عناقا حارا للغاية، ودلت لأنها كانت المرة الأخيرة التي رأيتني فيها بعد وفاة والدتي مباشرة، وقد بقيت برصدها بسعة أسابيع، قبل التوجه للإقامة عند عمتي الأخرى، الطيبية، في البنجاب.

الهند بحبيب، ابن عمتي، اثرتيقات اللارمة لاصطحابي في رحلة إلى منطقة كراكورم الحبلية، التي تمثل جزءا من طريق التحرير الممتد إلى الحدود الصينية، هناك إحدى أكثر الرحلات الميرة في حياتي بأكملها، وكان الريف خلابة بكل ما للكلمة من معنى كنا يعمدين للغاية عن مظاهر الحياة الاعتيادية أثناء وجودنا في الحبال كانت الحافلات التي ملأها مصغر حجما كلما أصبحت الطرقات أكثر مسبقا وكثيرا ما كنا نمسح من الوادي للبلح مجرى النهر في أسفله كحيط أرزق ربيع، وما تنس من حطام عربة كانت قد سقطت فيه

سد الطريق في إحدى النقاط بكتلة ضخمة من الصخور والجليد ولم يكن أمامنا من خيار إلا الحافله والمروور بجديتها، أو الاستدارة والعودة من حيث أتينا فقررنا الصيام بالأمر الأول، واحدا تلو الآخر، علي أن يصور بعضا بمصا في تلك الأثناء. بحجنا في الوصول إلى حافلة صغيرة تنتظرننا في الطرف الآخر بوجهنا بعد وصول منطقة عيلمت، إلى قريبي هورا وكريم آباد الحبس قرب مقاطعة شينغيانغ الحدودية الصينية، هذا الناس هناك وكأهم من عالم آخر حيث كانوا يتحدثون لغة تدعى البروشوسكي، وهناك كانت حبال كوش الهندية التي بواجهها أسره للغاية هاجدا تلتقط الصور بكاميراتهم لثالب أصول حبال العالم ناسا بارمات (العمة العازية) والنشوش البوديه الأثرية

المحمورة على أسطح المحفريات الشديدة، والقري المشادة في الجبال... كانت تلك إجازة لم أكتف منها أبداً.

سألت ابن عمي حول زيارة أفغانستان عند انتهاء رحلتنا، إذ كنت متلهما منذ فترة طويلة لرؤية ما كان يجري أثناء الجهاد ضد السوفييت، ولكنه أجابني قائلاً إن ذلك خطوي على قدر كبير من الحاطرة . وقد تمثل اقرب ما علمته إلى أفغانستان، في منزل أقرىء عمي في بيشاور.

تحسنت لمتي، الأوردية، بمقدار عشرة أصعاف حين عدت إلى بيرمهمام أخيراً، وكانت الذكريات لا تزال حية عن رحلتي إلى السعودية وباكستان، واعتادت عماتي إعاملتي عبر القول باستحالة ارتدائي الري الوطني الباكستاني، الشانار كامبير، في شوارع إنجلترا عند عودتي، وكانت السيدتان محقتين في بادئ الأمر، ولكنني أثبت خطأهما بعد مضي عدة سنوات.

بدأت أشعر، بعد عودتي إلى بيرمهمام - في حصم كل الإرباك الذي وقعت فيه نتيجة تحدثي كلا من الانجليزية والأوردية - وتأكيد والذي على انتمائنا الموالي - بأن معتقدي الإسلامي كان الشيء الوحيد الثابت في حياتي، بمزج عن أصولي

كانت ساعات العمل طويلة - حين افتتح والدي مطعمه، وجعلني شريكاً فاعلاً له - وقد دعمني إلى الانطواء والانعقاد عن الناس، وإن حصلت المتاة التي كنت أهملها، وأرعب الرواح بها، من تأثير ذلك هي، إذ كانت مسلمة شيعية، وذلك لم يؤثر كثيراً بالنسبة لي أو لوالدي، مع انتمائنا للسنة، ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لها حيث لم تكن راعبة في جرح مشاعر والديها، وتحدي إرادتهما برقص روح المستقبل الذي احذراه لها قطعت العتاة علاقتنا، بالتالي، بعد استمرارها ما يقارب السنة، لم يكن وقع ذلك بالنهين علي، فشمعرت بالاكتناب والحيرة مدة من الزمن.

تعرضت لصدمة عنيفة أخرى فيها بعد، إذ كان صديقي سيقي يعيش بسعادة مع صديقته في الطابق الثاني من البناء الذي يصمم مطعماً، ولكنه اكتشف لاحقاً أنها تحبوه، وذلك ما حطمه للعامة، فقرر الأخير الذهاب في رحلة قصيرة إلى ماينوركا، برفقة أحد أصدقائه، لتقوية ذهنه، والتفكير في مستقبله، ولكنه لم يمد مطلقاً ثمل في إحدى الليالي كي يمس أعراسه هتافاً واحتق حراء ذلك

مثل ذلك حسارة هائلة بالسمنة إلى عاتية وأصدقائه تدبر كان مضميه ينمون إلى «الليكنس» راعت عائلته إلى انظار لاستلام الحنة وقد صدم لرؤيه وجهه، حيث كان مظهر سمي حياء بصورة عامة ولكن وجهه كان مسطح للعامة، مررها، وملينا بالكدمات هرك ذلك المطر والخصة ناكمنها أثرا عيش في نفسي، ناهيك عن تحول تلك المهنة البشعة إلى حدث لا يمكن محوه من ذاكرة العديد مما كان الجميع يحبون سيقي لم أشعر أنني فقدت صديق عزيز فحسب، بل فكرت فيه باستمرار فأنلا نسقي «ير هو ذا» بل ذهب روح عقب الموت؟ تعلمت أن الحياة رائلة و أن الموت حق فأنجب لاس - يكون هدف أسمي من مجرد العيش الروبيني اليومي

حصلت على وظيفة في مصلحة الصغار الاحتشدي بعد بيع من سمنه بوقت قصير وبدأت هي تلك الأثناء دراسة الحقوق سواء حرس من جامعة عندئذ نشب حرب الخليج الثانية فأحد نوعي نفسي لدي يبدو حبس كبر نتيجة ما كان يحدث للمسلمين في العراق فاستفت كوفية مسجيه وعسها حول عضي مساحراً لاظهر تصامي تكامل مع قضية مسلمين تركية

وبما كان هيلم «سرايف هارب هو كثر لأهلاء نضمة دي غير لأهلاً - برعت على الرد إلى بصورة مضطهدين و تدبر يحصل سدغه في شعف متحجب الكويكبت ناكمتاسي حين لمع في حصر ونكسي رخت في هور الإنجليز حين لموا في ناكسا - ناصص مع نهود حصر في سنوسي حرس كتاب الرو باب العربيه بصوره كـ روحين قبل أن ينتهي هيلم «الرقص مع

الدثاب، ليتمكن تلك الصورة. وجدتي أزيد هوشي منه حين قرأت عن حرب فيتنام بكثافة تعاطفت مع فيدل كاسترو بصورة أكبر من تعاطفي مع أعدائه الأمريكان، وحظي ماسيلا بدعمي المطلق ضد نظام الأبارتايد (التمييز العنصري) ودعمت كمام الفلسطينيين للتحرر من الاحتلال الإسرائيلي بلا تحفظ، ولم أكن أعرف الكثير عن عراق صدام في عام 1991، ولكني علمت أن احتمالات انتصاره في الحرب كانت ضئيلة. كما فعل والدي عندما.

لم يؤيد أي من أعضاء الجالية الأسبوية الذين كنت أعرفهم حرب عاصمة الصحراء، حيث كان بعض زملائي السخخ والهندوس في العمل يجاهرون بمعارضتها أكثر مني، كان الوضع في المنزل مماثلاً، شعرت وأبي أن تلك الحرب تشكل مثالا ساطعاً على النفاق الذي يعمر بعض الدول العربية، خدمة لمصالحها. جهرت في تلك الأثناء، وللمرة الأولى في حياتي، بين صميمي وبلدي. فنكت احتار الأول على الدوام.

لم يؤيد أي من عرو العراق للكويت، التي كانت المستهدفة في حينه، ولكن القضية لم تكن تدور حول الكويت أبداً. فقد خرجت الكثير من قرارات الأمم المتحدة لتصف فلسطين، وكشمير، وجنوب لبنان بالمناطق المحتلة، ولم تتحد الولايات المتحدة مع ذلك أي (إسرائيل) لتحريرها، إن لم نقل إلى الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين كان مدعوماً بالكامل من قبلها، وتم تزويد العراق بالأسلحة من قبل الولايات المتحدة، وبريطانيا وهولندا، هي محاولة لوقف المد الشيوعي الإيراني في العالم العربي ما كان رد الفعل العربي حين احتل العراق منطقة شط العرب هي إيران؟ تزويد صدام بالأسلحة الكيماوية كانت صور القتلى الإسرائيليين لا تزال ماثلة في ذهني، هادكر حتى الآن كيف أسقطت إحدى السفن الحربية الأمريكية طائرة إيرباص إيرانية محملة بما يقارب ثلاث مئة مدني في الخليج العربي عام 1988، فاعتبر الأمريكيون الحادثة خطأ غير مقصود وشعرت بالعثيان عند سماع تيريراتهم مما الذي كان سيحدث يا نري لو ارتكبت إيران الخطأ ذاته مع الأمريكيين؟ حرب خليج جديدة؟

كثيراً ما كنت اطالب في العمل بتنظيم حملات واقصية، نظراً لارتباطي بعلاقات صداقة مع عدد من الموسيقيين الذين يملكون اطلعة تكبر صوت مسطورة إذ لم اكن قد قصدت المسجد منوابع هي حبيبه، ولم تكن اراني اندياسية صنية على ما يعوله فقهاء الدين المشددون أو الجهاديون، فقد كنت اهوى الاستماع الى فرقة «يو بي هورمي» و«غلوريا استعمار» و«ميجلي ريد» ولم ستكون نظومي الى العالم إلا عبر ما شئت وسائل الاعلام

سألني إحدى الصناعات في العمل عما إذا كان مقدوري بزيدها بملابس عربية فقد كنت لها كوهيتي الفلسطينية، وعطاء راس كنت قد احصرت في السمودية ولكن لم اكن أعرف في حبيبه انها كانت تخطط للذهاب الى الحارة، بملابس عربية للاحتفال بهزيمة العراق في الحرب، فتمرت بالاشمئزاز من نفسي لأنني لم احمرها من قبل عن أي من ارثي السياسية، ففكرت فيما بعد التصريح عنها في العمل بالترحم من أن معظم الناس لم يكونوا حتى على علم بموقع الكويت أو العراق على الخارطة أو ما فعله الصوت البريطاني هناك. حيث لم يكن ذلك مهما بالنسبة لهم، ما دام الاحتفال بالنصر يشكل درجة أخرى لنهر والشرب، حتى شئت مساء الجمعة

بدت، بعد صني سنة، أسمع عن البوصة في وسائل الإعلام، والمسجد المركزي حيث كنت أصلي هناك من وقت لأخر هلعاً لما شعرت بتأجيل من الاستياء من المساجد في اجنرا، وإلى حد كبير بسبب من يومها من المساجد العباسي ذوي للحى لطويلة الذين يتحدثون الإنجليز بالكد، ولكنني وصفت ذلك حاساً حين سمعت عن اللاحقين البوميين الذين كانوا قد وجدوا في حفرة اللو ولحزوا إلى مساجدها عند شعرت بكنتم من الوصول تجاه وثقت المسلمين الأوروبيين هاشنرس بعض البطاريات و«صديق المعصاء» بعراض لبقاة وذهبت إلى المسجد لأسلمها لهم شخصياً هذا للآخون حين وصلت هناك نسا أيضاً همراء عبر مسلمين بالنسبة لي ولم يكن

نساؤهم يرتدين الحجاب، وكان رجالهم يشبهون العمال الإيرانيين، إذ كان بعضهم، في الحقيقة، كرواتا كاثوليك. فحاولت التواصل معهم، وخرجت من ذلك اللقاء بجمع كلمات من اللغة الكرواتية - الصربية

قابلت آخرين بعد ذلك بوقت قصير، بمن فيهم بعض من لا ماوى لهم مساكن والدي، بالتالي، عما إذا كان بمقدوره منحهم إحدى غرف المنزل التي كان يؤجرها إلى الطلاب عادة، موافق على ذلك بالطبع

دعاني أحد اللاحقين الموسيقيين لزيارته في إحدى المرات، وقد قابلت آخرين غيره هناك، فكان جميعهم صغاراً في السن، ولم أستطع التوقف عن التفكير، قائلاً لنفسى «لم أنتم هنا؟، لم لا تقاتلون دفاعاً عن شريككم؟».

سألت خلال حديثي مع أحدهم، «أديس»، عما إذا كان سيحود إلى هناك للقتال فأجابني بلغة إنجليزية ركيكة، بعد أن رفع قميصه، قائلاً «قاتلت في البوسنة، حيث قتل الكثيرون وجرحوا ولا أقاتل في البوسنة الآن لهذا السبب، فلم أر سوى بدم صغير تمى به موضع دخول رصاصة في جسده، وأردف أديس قائلاً «لا تزال قابعة في جسدي ولا بد من إزالتها أولاً».

شعرت بروعة شديدة، خلال حديثي معهم، لسماع مفهومهم عن الإسلام الذي كان يختلف كثيراً عن المفهوم الحاضر بدأ ممير، شاب بوسني آخر يجلس إلى جاني في التملل، ثم قام بطي بحاله، وأرانا إحدى ساقيه، كما فعل بالآخرى، ليشرح ببعض الارتياح، ويواصل الحديث فيما بعد، فصعقت لهول ما رأيت، حالاً في مكاني فاعرا همي، عاجزاً عن قول أي شيء حول ساقيه الصاعيتين

تحدثت قبل أن أبس ست شمة، قائلاً «قدتھما بسبب قديصة دبابة من الغرب أن يسمع المرء أزيز شظاياها فوق رأسه، حتى بعد أن يمتد مساهيه، ويطل «معتداً أنها لن تصيبه». كانت لغة ممير الإنجليزية جيدة للغاية، حيث كان قد تخرج في جامعة سراييفو.

أخبرني سمير شيئا عن تاريخ يوغوسلافيا، تحت حكم المارشال تيتو، خلال الحقبة الشيوعية إذ كانت سلويفيا وكرواتيا قد انفصلتا عن صربيا، على مر عقد بعد وفاته لتتحد اليوسية جنوهما، عقدت كانت هالك ثلاث مجموعات رئيسية هي اليوسية سلافية بمجمها، مع اختلاف ديانتها الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك والموسيون مسلمون تلك جميعهم بهويتهم الدينية والقومية، وادعموا عهد بعد تمكنت يوغوسلافيا الشيوعية، وأصاف سمير كدليس أنهم، أي اليوسيون كدليا فريحي للعدنية هي ذلك الوقت من الصرب والكروات، وعبر عن ذلك قائلا، كان في على وجه الخصوص، جيران من الصرب كنا مواعد فتياتهن، وكذا يفعل شيء دته مع صبياتنا،

تصير كل شيء مع ذلك عند بداية الحرب،

توفر ندبة عسكري وسويفتي لكل من الصرب والكروات هي اليوسية، عن حد قبونه عبر دولتي صرب وكرواتيا المجاورتين المستقلتين، فلم يكن اليوسيون من يدعهم من الجيران، وله بنت ما نفوه من معامل إلا من عالم إسلامي صامت، وهاجزة، وحافل،

به في - الكثير من ناس كدو يتحدث عن اليوسية دور لقيام شيء يذكر فقد سمعت حد جويبات هي تنذر ولكنها كانت تستعد لقاتها، ووصولها هي الوقت متأخر تماما كما كنت اعتقد

حتمت رب تي المتكورة إلى المسجد أن يتر من وجودي هناك مع حلول وقت حدى بصوت نحمس شيء ثم يكن أدوها جماعة شاف علي، بمكس ما كنت أحس به حين يؤيدني فريب هي الحرف، وذلك ما ذهبي إلى تركها أثناء وجودي هناك وقد تغير الوضع حين بدأت أشعر أن الإسلام يتعرض لهجوم شرس بما ذلك شعور مع بداية هلاكي عن حال العالم الإسلامي بصورة أكبر، والاضطراب الذي أخذ يعمه.

شعرت بحاجتي إلى راحة قصيرة، خلال عطل أعياد الميلاد في عام 1993، فقررت الذهاب، برفقة بعض الأساقفة، لزيارة عوائلنا في باكستان.

التقينا في كراشي عدا من أعضاء الجماعة الإسلامية (أكبر منظمات باكستان الإسلامية، وثالث أكبر أحزابها السياسية)، الذين دعونا لزيارة مركزها في لاهور. بدا الأمر شائقا للغاية، حيث كنا على قناعة بأنهم حريصون على النبأ في بما يحويه مركزهم أمامنا نحن البريطانيين. إذ أخبرونا أنه يصمم جامعة، ومستشفى، ومدارس، وأبنية سكنية، ومسرحا، ومكتبة، وصالة لتدريب الكاراتيه. أثارت الأحيرة إعجابي على نحو خاص، ولم تكن الصور القتالية ذات شعبية في باكستان، على النقيض من الغرب، ما جعل ذلك يمثل خطوة رائدة بالنسبة لي. حيث كنت قد درست فنون الويج شون القتالية في بداية سنوات مراهقتي، وحصلت فيما بعد على الحزام الأزرق في التايكواندو. والأحضر في الجوجيتسو، وقد اتجه الكثير من أبناء الجيل الأول من البريطانيين الأسويين إلى تعلم رياضات الدفاع عن النفس، تصديا لما كان يواجههم من تهديد عصري في بريطانيا. وبلغ الأمر ببعض ممارسيها إلى تطوير أساليب خاصة بهم، وإصغاء صيغة دينية أو ثقافية عليها، نظراً لأن الكثير من صفوف الصور القتالية كانت منتشرة بالمسمة البوذية، وشكلت مبادئ التايكواندو الحصة حسن الأخلاق، والاستقامة، والحكم باسم، والثابرة والروح القتالية، بالإضافة إلى الحاسب الجسدي منها. فصلاً عن أنها شكلت مصدراً هائلاً من مصادر القوة بالنسبة لي في السنوات الأتية من حياتي.

مثل مركز الجماعة الإسلامية، «المصورة»، مدينة داخل المدينة تقريباً، إذ كان مسوراً كمدن القرون الوسطى، ومطوقاً بالكثير من الحراس عند بواباته، ورأينا في مسجده أساساً ينتمون إلى الأعراق كافة، كشصيرية هندية، آسيوية وسطى، وإن غلب عليهم الباكستانيون، وأقيم المستشفى بصورة أساسية للعناية بالجرحى في كشمير وأفغانستان، والبوسة هي بعض الأحياء

رأيت، حينما دخلنا المستشفى، صورا لإصابات مروعة على جدرانها، وكنت حائفا للغاية مما يمكن أن تبدو عليه الحقيقية منها، وكان أول من رأيته هناك قد أصيب بطلق ناري في عييه، أسفر عن تعظم جرح من وجهه، وحاطبنا قائلاً

«كنت أقاتل الجيش الهندي في كشمير، وقد اطلقوا النار على عيبي، ولم ات إلى هنا إلا لملاجها، وسأعود إلى هناك مجدداً».

سر الرجل كثيراً حين علم أنها من بريطانيا، وكان مصيها للعبة معها، حيث بهمن من سريره وقدم لها طعامه، فتأثرت كثيراً بذلك الرجل وإن شعرت بعجزي أمام تصحياته.

النفيا، فيما بعد بمعنى عدائي المحاربين ضد الصواب السوفييتية حيث احبرنا احدهم كيف رأى ولده يقبل امامه، وتحدث احرون عما حصل لهم من معجرات، كمحجر الماء من شقوق احد الجبال الجرداء، وسط منطقة فاحله نابيه، بعد مسيرهم أياماً، عبر مسلحين بسوى سادقهم الآلية من طراز «اي كي 47»، شبه عتيق من اثم سيعصرون عطشاً، وروى البعض قصصاً كثر عراية حول رؤية ملائكة تنزل من السماء، سيابها النهر المصمصة، وسيوها الماصية، لتكر على الحدود في قلب المعركة وما انك جميع المحدثين يؤكدون على أن إيمانهم كان الدافع الوحيد لحصنهم قديماً

ثم يكن قد سقى أهل من سوعى هل استعماي عودبي إلى بريطانيا، انذاك كتب محبوا بي رناره عمي في السحاب كما حططت لذلك من قبل، او قبول دعوة اصداقنا الحد لرباره ممسكرا بدرسهم في الهندستان، وقد كانت الصور لا يرال حيه في ذهبي عن الترامح الذي خدمه ساددي عيال عن المجاهدين في معطه «ي سي ان» وقد رابهم كما صورهم، ابطالا يتحدون الامبراطورية السوفييتية بكل حيرونها، مع العارق الهائل بينهما، ويهرمونها، رعبت على الدوام في الذهاب إلى هناك. وما هي دي الفرصة قد سمعت احيرا لتقيام بذلك.

احسرت افراد عائلتي في باكستان عن ميني الذهاب إلى الهندستان، وذلك ما اثار قلقهم، بالرغم من ذهاب عشرات الآلاف من الباكستانيين إلى هناك، باعتباره أمراً شائعاً في تلك الأيام، فتوجهنا إلى بيشاور، ومنها إلى الحدود

الباكستانية. واعتقدت أنها ستكون نزهة مريحة، وأما منقاد السيارة بكل بساطة إلى وجهتها، كنا نحن البريطانيين، نرتدي ثيابنا الإنجليزية، وأحديتنا طويلة العنق، ناهيك عما نعلمه من حقائب ظهر وسعر، فقد أثار مظهرنا صعلك السكان المحليين حين وصلنا أحد القرى الحدودية، فقدم الأحيرون لنا عددا من أثواب الشالعار كامهيه البالية، وقبعات أفغانية، وأكياسا لحمل امتعتنا، ثم توجهوا بالمصباح إلینا قائلين «ليست هذه برهة تتسلقون فيها الجبال، محتلين بما تحملونه من حقائب على ظهوركم فإنه لا يمكنكم حمل أكثر من هذه الأكياس، أو المجاهرة بمظهركم الإنجليزي».

مشيها ساعات عبر الجبال والأراضي النائية، فكانت المنطقة قاحلة، مع ما يمكن رؤيته بالكاد من حشائش، فقد تمرر المكان، بكل وعورته، بجمال أثاري حين عبرنا الحدود أحيوا إلى أفغانستان، وكنا نعب الماء بشراهة كلما توقفنا إلى أحد الجداول، عندئذ أحيوا دلهما في الرحلة قصصا عن المعارك التي دارت هنا ضد السوفييت، وأرشدنا إلى ما بدا كومة من الصخور ليتبين في النهاية أنها كانت مقبرة للشهداء الذين سقطوا في هذا المكان. إذ كان هناك عدد من الدبابات المحترقة، والمدافع المدمرة، وبقايا الكثير من الدخائر المستخدمة، وقدائف عبر منعمرة

لم أكن قد خبرت شيئا كهذا من قبل، حيث صادفت أحد الأفغان أثناء مسيرنا، حاملا بندقية كلاشينكوف تتدلى من كتفه، هابطا إحدى التلال، متسلقا أخرى. ففكرت قائلا لمعصي «لا يعلم سوى الله من أين أتى، وإلى أين يذهب». كنت في منطقة نائية، مع إحساس تام بالعرلة عن العالم الذي كنت أعرفه، نظراً لأنه كان بعض مراقبيها متوجهين بالمعمل للتدريب في أحد المعسكرات، وقد شمرت بكثير من العصبول، والاحترام تجاههم.

بدأت أسمع أصوات انفجارات، وإطلاق نار كثيف عند اقترابنا مما بدا أنه يمثل وجهتنا، فاستدريت، ملتفتا إلى الآخرين، متسائلا عما إذا كنا جميعا نطير الأمر ذاته، فبدأ لسان حالهم، بمد رؤية تماثيلهم، يقول «لم آت هنا للقتال، بل

لمجرد الزيارة، لا أريد التورط في أتون حرب أهلية.. كانت قدمي قدماي قدماي
للمضي قدما، بينما دعائي عقلي للتوقف.

رأيت، عند اقترابنا من الأصوات السابقة، أسهما بيضاء صفيرة، محفورة
على الصخور، لتبيان الاتجاهات ليلًا، ومررنا بمخمر أمامي، حيث زرعت
بعض النباتات بشكل أبيض عند مدخله، في قدائف مدعجة فارغة، فبلعنا
المصكر المعروف «بالمحر» في نهاية المطاف، لنرى ما فيه من بيوت مبنية من
الطين والقش، وحدولا جبليا يخترقه، حيث عهنا الماء بسرعة، متجهين فيما
بعد للغاء أمهر.

جلسنا، بعد أن تم تقديمنا على أسما «الأشخاص القادمين من بريطانيا» -
صيوفا الكرام.. سار الأمر على هذا النحو طيلة وجودنا في المكان، وكنا ندرك
تماما أننا تلقى معاملة خاصة بكل المقاييس، فأرادوا منا النهوض، والتحدث إلى
الجميع، ولكن أيما مما لم يدبر ما يقول، أو يمال - وإن كان في بادئ الأمر - نظراً
لأننا كنا قد أتينا لزيارة المكان بدافع الفضول لا أكثر.

جلسنا، حين بدأ الظلام يحل، تناول الطعام مع الجميع على حصيرة من
القش، فكانت الفائية الساحقة منهم تتألف من الباكستانيين، والكشميريين من
الهند، وقدم لنا وعاء من حساء العدس، ثم اقتسامه بين أربعة أشخاص. وبعض
القطع من الحبر، حصل كل منا على قطعة إضافية بالنظر إلى أسما كنا روارا،
وإن كان الحبر قديما وباردا، مرر المصنمون لما همما بعد إيريكا من الماء، المنعش
ليروثته، حيث شرب الجميع من الإبريق مباشرة، على النقيض من الشاي
الأحمر الذي قدم، أحمر، هي أفداح مصردة، لقد مثل الموقف بمجمعه صدمة
ثقافية حقيقية بالنسبة لنا، إذ كان أولئك الناس يعيشون على حصة من المسق.
والعدس، والحمص، وكسرات من الحبر القديم، وقيل من الشاي، فتأثرت كثيرا
لبساطة معيشتهم، معترضنا أن ذلك يشكل جرما من تدريهم على حرب الحبال،
وتكليمهم معها، حيث يكون الطعام شحيحا، والمشاركة حتمية

كان النهار فائظ الحمر، بالرغم من أننا كنا في فصل الشتاء، بينما المساء شديد البرودة، وقد اعتدنا الاستيقاظ في تلك الفترة على صوت أذان الصجر، الذي كان صغاه يتردد عبر الجبال، فكنت أصغي الهويما، منتعرا في حظاي، بزولا عبر الجبل المظلم إلى بيع منعمد بمنعم الأحرار عنه للاعتقال، حيث يصطر الموء إلى كسر الحديد؛ كي يطلع الماء، وعاشت نمط الحياة اليومية المتكرر في المعسكر مع بدء كل نهار صلاة الصجر، تلاوة القرآن، عرض عسكري، حري وتدريبات كانت الدروس نظرية، وعملية باستخدام السلاح، فرايت بأمر العين بمقويات تطبق على من يمثلون في اتباع فواعد المعسكر، بما في ذلك تأدية المئات من حركات الصمط، وتسلق قعم ثلاثة جبال، والقصر بالملابس في بركة متحدة، أو الطرد العوري من المعسكر.

كان أمير المعسكر عنهما في العمل، دون أن يسمع ذلك من تقديم واحب الصياغة لنا، ولم تكن ابتسامته تفارق وجهه، حتى عند التحدث عن أكثر القصص الحدية وكان الرجل علاوة على ذلك صريحا للغاية دقيقا في شرح مهمته

«يمثل الجهاد بالنسبة لي مصدر يُحل نغاطيه ولا أستطيع التوقف عن إيمانه، وأشعر أنني أحقق عايتي من الحياة حين أذاع عن المصطهدين وقد اقتسمت على اقتال لتحرير أراضي المسلمين طالما وقعت تحت الاحتلال بعد ذلك واحشي كملهم وبأكممتاني وإيمان، ولا أحش الموت في سبيل ذلك بل أوجه مصدر رجب. قال أحد أحوتنا الذي استشهد قبل عام مهن شاء جهاده «تدوس في هذه الجبال ما لن أساء أبدا» (أخبار الكثير من البشر لجباه سميلا إلى الموت ولكنني اخترت الموت سميلا إلى الحياة).

استغل الأمير للحديث عن تاريخ معسكر «المهر» هاتلا «أرب صاب المجاهدين، وهذلتوا في هذا المعسكر أثناء هزم العرو السوفييتي ولكن معظمهم لم يكن يمتلك ما يذكر من خبره قتالية في يد يابيه ومنب لاعداء عن المعسكر

في إحدى الليالي من قبل حصة، لا أكثر، من «السبيترنار» (قوات خاصة سوفيتية)، الذين قتلوا جميع من كانوا فيه تقريباً، ليسمعوا الجداول واليهاب في ما بعد، وقد عاد المعسكر للعمل مجدداً، بالرغم من ذلك، وتعلمنا التصدي لأساليبهم في نهاية المطاف، بدأنا نشر عناصر الاستطلاع في الجبال لإخبارنا بتحركات العدو، فأخذنا قوات «السبيترنار» على حين غرة عندما أتوا لمهاجمة المعسكر ثانية، فمما بإحلاله قبل وصولهم، لعلوهم بالكامل فيما بعد، تمكنا هذه المرة من الإحهار على معظمهم، أو أسرهم، فاعتق عدد منهم الإسلام، وصمموا لقتال أسباطهم السابقين - ربما كنتم قد رأيتموهم في مركز «المصورة» - لا يزال بعضهم محتجزين في تلك الجبال، تحت إمرة (حكمتيار) *، (كان الأمير بشير في حديثه، إلى أحد أبرز قادة المجاهدين السبعة، ومنظمته خلال الحرب) *

سألته قائلاً: «لا يزالون محتجزين بعد مضي كل هذه السنين على انتهاء الحرب؟»

اجابني قائلاً: «لا يزال الروس، يا أخي، يتدخلون في شؤوننا»

كنا نتحدث عند المساء مع بعض اليهود خلال أوقات استراحتهم، حيث كان العديد منهم قد قدم من سرينغار، فكانت قصصهم مؤلمة للغاية، وإن لم تكن أشد إيلافا من قصص الموسمين في مطري، وقد لاحظت أن معظمهم كانوا من كبار السن يملأون الشيب شعرهم، يمكن جميع الباكستانيين الذين كانوا شديداً وأحبرني أحد الكشميريين عن الكيمية التي كان يتم إخبار الرجال بها على مشاهدة عمليات اعتصاب بأنهم من قبل القوات الهندية، بل ومصاحبتهم بأنفسهم كما حصل مع أحدهم، وأحبرني آخر عن كيمية قيام الجنود اليهود بتمزيق انقار والتبول عليه خلال حملات التفتيش من منزل لآخر، ولكن كانت المقاومة، كما أضاف، هي النتيجة الطبيعية لعصب السكان، وقد عصت المقابر بجثث

* لا يزال قلب الدين حكمتيار يحوم حول عصابات ضد الحكومة الألمانية الجديدة (المنزع)

الشباب الكشميري، والسجون الهندية بالأحياء منهم طارادات مسئولية كبار السن،
بالتالي، هي الحفاظ على المقاومة، وقد كان المعسكر زمرا لها في نظرهم.

كان بإمكاننا رؤية معسكرات أخرى عن بعد حيث قيل لي إن بعضها كان
طاجيكيا، بينما كان العرب - أو مجموعات باكستانية متفرقة - يشملون أخرى
فقد بدا أن المنطقة كانت مكتظة بالمعسكرات، فساننا عن إمكانية زيارة أحدها،
فأجبرنا الأمر أن عليه الذهاب إلى هناك أولا، والتحدث إلى أصحاب الشأن
في ذلك، «لا نملك أي علاقات تنظيمية مع بعضها بمصا، إذ يبرح الناس هنا،
والعرب على وجه الخصوص، إلى الشك، ولا يملك كل منا برنامج عمل خاص به
فحسب، بل يصل الأمر في بعض الأحيان إلى كره جماعات لأخرى».

حصلنا في نهاية المطاف على الإذن بمراقبة الأمير إلى معسكر العرب فبدأ
أن عدد شاعليه يقارب الاثني عشر، أو شيئا من هذا القبيل، بالمقارنة مع مئة
وخمسين من الرجال في معسكرنا، ناهيك عن تجهيزه لإقامة أطول أمد،
واحتوائه على أبهة من الأجر الصلب، وعدد من العربات، ودبابه

دعونا لتناول الطعام معهم، وقد حظينا بوجبة عربية شهية من الحساء،
واللحم، والدجاج، لتعقبها المواكه فيما بعد، كان الباكستانيون بالمقارنة، يديرون
معسكرا تدريبيا محصا، ويأكلون ما يقيم أودهم لا أكثر.

لم أهتم اللغة العربية في حيه، ولكنني التفتت بعض الإشارات إلى فلسطين،
وكشمير، واليوسنة هوحدثني أو من يرأسني موافقة على ما كان أميرهم يقوله،
بالرغم من عدم فهمي، أو معرفتي به حقيقة، وقد قام العرب بوداعنا، حين
هممنا بالمعادرة، بكل ما يتميرون به من حسن صياغة، قائلين «حيو، ما شئتم
معكم، تفصوا»، عاذريا، نحن البريطانيين، المكان، وحيوينا ملأى بالور و لتفاح

لم أقم في معسكر الباكستانيين سوى بضعة أيام، ولكنني رايت قسما واحدا
من تدريباتهم، التي بدت أساسية للغاية، مع حلوها من مظاهر الإثارة، إذ

اعنادوا الحربي حول الجبال وهم يتبادلون إطلاق الميخارات الصارخة معكم
نوقت، حيث كان هناك، بكل الأحوال، مدرب يعرف «بطاهر الانقلابي» (كتابة
عن ثوريت)، مسؤول عن المستودعات، ودروس الأسلحة، فرأيت أنه في بعض
الأحيان يدرب المقاتلين على استخدام بندقية «إي كي 47» الآلية، وبندقية القنبر
الآلية، وقذائف «الآر بي 7»، والمدافع المضادة للطائرات. كانت معظم
الأسلحة روسية الصنع، باستثناء بندقية أمريكية واحدة من طراز «ام 16»، وإن
لم تكن دحيرتها متوفرة، وبندقية قديمة من طراز «لي اميلد 303»، تعود لأيام
الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية. وقد تحدث طاهر، بينما كان يربنا
تشكيلة من أسلحة مستودعاته، قائلاً: «كم هي قديمة هذه الأسلحة التي يمكن
بعضها في العرب بالآلاف الروبيات.. بل أعني الحميمات»

دخل طاهر المستودع مجدداً ليخرج ببندقية خشبي صمم. فقام بفتح
البندقية، وأخرج منه دمية بلاستيكية قديمة وأخرى لرجل مقاتل، وعلبة على
شكل فراشة. وتحدث طاهر قائلاً: «اعناد الروس ترك هذه الهدايا لأطفالنا». ثم
أرسل رأس الدمية البلاستيكية، ليبرد قائلاً: «بعد وضع الصواعق بداخلها
وحشوها بمشجرات (السمي 4)».

اتحد المفسكر حالة التأهب هي إحدى التليالي، نتيجة إمداد باحتمال تعرضه
لهجوم وقد تم ترويد ثلاثتنا بالسلاح، بالرغم من عدم معرفتنا كيفية استخدام
وكان الهجوم متوقفاً من قبل «الكوشين»، وهم قبائل بدوية محلية، اعتادت
الإغارة على أهدافها، والاحتفاء فيما بعد، ولم تكن تلك القبائل جديدة بالثقة
للاصطفاف العديد منها إلى جانب السوفييت إبّان الحرب، ومع ذلك كان أحد
البريطانيين هو السبب لهذا الإمداد، بعد تعرضه لحقيبةته للسرقة وإرسال
المفسكر هرقاً للبحث عن قام بتلك العملية، لتأتي في نهاية المطاف بأحد
الأشخاص، حيث كان الرجل مقيداً وقد بدأ بانسا، وحانها للغاية، فشعرت

بأسف حقيقي لحاله، وكنت قلقاً من الذي سيحدث له، إذ المغرب الواقف بجانبه كان يحمل سيفاً

جاء الإندار نتيجة التوقعات بانتقام القبائل البدوية رداً على أسرهم، وطلب منا جميعاً التوهم في الخارج محافة إصرام النار في الأكواخ. ولم يحدث شيء في حينه، ولكن أعضاء أحد المجالس القبلية، «الجيرعاء» حاصروا إلى المعسكر في اليوم التالي، وقد كان ذلك المجلس عقد، كما أخبرنا، لحل المشكلة بين الطرفين، وتم التوصل إلى قرار بعد ساعات من المباحثات، التي لم يسمح لنا بحاصورها يقوم أفراد المعسكر بالتعميم لقبيلة الرجل عن صبره، مقابل إعادته الحقيبة والتعهد بعدم العودة إلى المعسكر مجدداً وكان ذلك يختلف كثيراً عن محاكم قصاة يهرمنهمام، ولم يكن يمثل الشريعة الإسلامية تماماً، ولكنه بدا عادلاً للعامة في نظري

كان وقتي في المعسكر قد أرف على النهاية، ولكنني استيقظت، في آخر ليلة أمصيتها هناك، على أصوات اصجارات متعددة، وما رافقها من صراخ، إذ كنا نتعرض لهجوم، ولا بد أنهم كانوا البدو، فعاد أحدهم إلى عرفتنا، وصرخ قائلاً: «استيقظوا، استيقظوا نتعرض لهجوم من قبل «الكوشيين». احتشدوا في ساحة التجمع، وأحاصروا أسلحتكم، كنت مدهشاً لعمامة، بحيث عجزت عن الشعور بالخوف، ولم أقم إلا بما طلب مني فحشيت كالمشرع في الظلام بحثاً عن خذائي، وخرجت حرياً من العرمة هوجنت بسماع أزيز القذائف - التي تطلق ورانها أثاراً حصراء وخصراء من الدخان - فوق رأسي مباشرة، وقذائف «الآر بي» هي، المصهشة، وهي تلك الجبال بأصوات تصم الأذان، صرح أحدهم، قائلاً: «ابقوا رؤوسكم مضممة، ارجعوا على بطونكم إن اضطررتم لذلك، ولكن لا تتوقفوا، هبطت على معدني، تماماً كما همل الآخرون حولي، كان بعضهم يركض مدعوراً يصرخ بأصوات عائية، بينما جلس أحدهم على الأرض، وهو ينشج، قائلاً: «أه أمي، أرجو أن تصامحيني، إذ كان يجدر بي الإصغاء إليك، وعدم

النجي إلى هنا. انصبر آخر بالكاء. بعد أن ضُفد وجهه، وصرح قائلا: يا
إلهي... وجهي. وبدأت أشعر بالخوف في تلك اللحظة.

بدأت أفكر. بينما كنت أرحف إلى الأمام. قائلا لمصفي. «لم تطلبون مني
التجمع في مكان واحد إلا كما تنعزم لهجوم؟» إنه انتحار.. يمكن بالطبع نقله
من ناس أن يجتمعوا في الساحة. ويورعوا الأسلحة. ولكن الأمر لم يكن صائبا
في نظري بكل الأحوال. حصرت سيارة إسعاف روسية قديمة من مكان ما.
مضفة صمرتها التي تشبه صوت مريض يعنصر. وكنت قد وصلت نقطة التجمع
بحلول ذلك الوقت. فتوقف إطلاق النار والانتحارات. وسيارة الإسعاف، ليخرج
مها بعض الأشخاص المعطون بالصدمات. بمن فيهم الأمير. وتوجه الجميع
بأنظارهم إليه. حين كان يركب صمادته. واستدار ليواجهها فيما بعد. ونحن جلوس
على الأرض. ثم خاطبنا. قائلا: «تصرف معظكم بطريقة حسنة. ولكنني أشعر
بالحمل من أداء بعضكم. وهم لا يستحقون البقاء هنا بعد الآن. كان هذا مجرد
تدريب. ثم يصب أحد بأذى حلاله. ولكنه سيفلمكم درسا لن تنسوه أبداً.

اعتبرت مصفي بحلول عودتي إلى بريطانيا. مسلما مثمرًا. فقد مثلت زيارة
الأهمل في نظري تجربة غيرت حياتي. ولم تؤثر قلّة من الأيام فيّ كما فعلت
تنت حيث قبايت حلالها ما يعتدي به من الرجال في إيمانهم. وتصحيثهم
بدواتهم وعشت في عالم ألهمني وملا قلبي بالمهابة





مهمة إنسانية

توصلت بعد عودتي إلى بيرميهام إلى قناعة. مما دعا أن الوقت قد حان بالنسبة لي للروح. وكان والدي قد حثني بالعمل على التكبر في الأمر. ورتب لي لقاءات مع عدد من المستهات وعوائلهم. فقابلت بعضهم. لاكتشف أن طريقته لم تكن ناجحة بالنسبة لي. وسالت أحد الأصدقاء عما إذا كان بمقدوره مساعدتي في إيجاد من اقترن بها، فعرسي صديقي إلى شقيق روجي المستقبلي. وهو شاب فلسطيني بريطاني سهل المشر. منخرج في جامعة كامبريدج حديثا. وقد دعاني إلى زيارة منزله للقاء شقيقته.

فكرت. حين وصلت منزله الصمم. فأنشأ لمسي. لا يمكن أن يكون هذا بيته. إذ بدا شخصا متواصلا للغاية. فرعت الباب منرددا. تملكني فكرة العودة من حيث أتيت. فقد كان المنزل كبيرا للغاية من الداخل. وذلك ما أذهني قليلا. ولكن سمير بدد ذلك الشعور تناولنا العشاء معا. وتحادينا أطراف الحديث مدة من الزمن. لتدخل ريس فيما بعد. حيث رتب سمير الأمر وفق التقاليد الإسلامية لا كما تجري الراجات الأسيوية التقليدية ولم تكن ريس. ترتدي الحجاب حين التقيتها. وقد شعرت بالاحداث إليها من اللحظة الأولى. جلست. لتحدث بمص الوقت. في حين ذهب سمير إلى زاوية الغرفة. إمساحا في المجال لنا. ونسب. بعد مصي وقت قصير. أما بروق لبعضنا بعضا. ولكني لم أرل أشعر بالرهبة من منزلها. ثم أردت التحدث إليها في مكان آخره.

رتبنا لقاء آخر في منزل صديقتها إذ كنت أعرف روحها وذلك ما جعل المكان مألوا لكلا الطرفين وأصبح لنا المجال للتحدث بحرية خلال العشاء الذي استمر بعض الوقت. وتحادشنا على الهاتف طيلة بضعة أشهر آتية والتقينا أكثر من مرة

تمثل أحد الأشياء التي أوضعتها لها هي شغفي بالذهاب إلى البوستان، وتعين علي إهمامها أن شيئاً ما يمكن أن يحدث لي هناك، ولا اعتقد أنها كانت تدرك مخاطر القيام بذلك على أكمل وجه، بل تريد الزواج محسب، إذ كانت قد التقت بالفعل بعدد من الأرواح المحتملين، ولكنها اختارتني دون أي منهم، وانضمنا على الزواج، هتم عقد قراننا بطريقة بسيطة للغاية، وفق الشريعة الإسلامية، في حجرة المعيشة في منزلها، فقد اتصلت أنا وسمير، بوالدي، وشقيقي، وأحد أصدقائي، كشاهد على العقد، وإمام لعقد القران

أقننا في منزل والديّ خلال شهر رواجنا الأول، وقد كنت مسروراً للغاية لطريقة استقبالهما لها، إذ كانت ربيب بمثابة الابنة التي لم يلداهما، وقد أصبحت جزءاً من العائلة منذ ذلك الحين، واشترى والداها فيمَا بعد منزلاً كهدية لرواجها، فاستقلنا لتقيم فيه طيلة سنوات رواجنا الأولى عبر الزواج حياتي بصورة كلية، وشمرت بشوة مشاركتها مع المرأة التي احترت، ولم أستطع، مع ذلك، تجاهل ما كنت أراء من ظلم يومي على شاشات التلفزة، أو اسمه من قصص صحفيا.

كنت قد سألت صديقي الووسي أدين عن المطبخ الووسي في إحدى المرات، وقد دعاني لتناول إحدى أكلاته التقليدية في منزل صديقته التي كانت شابة بوسنية مسلمة لحأت إلى بيرمهمام، ونولي أدين ترجمة بعض ما قالت إلى الإنجليزية، نظراً إلى عدم إلمامها بها، فقد بدا وجهها شاحبا، وعيناها غائرتين، هي حبيبة أحمرسي أدين قصتها بعد معادرتنا، وقد كانت تعوق الوصف أو الخيال أعار الحمود الصوب على منزلها، واعتصموا على مرأى من روحها، واستمر الاعتصاب الجماعي، بينما تعالت صرخات طفلها ذي الثلاثة أشهر طمانها ذلك على الأقل إلى أنه ما زال على قيد الحياة، وأحدث تنوّل إلى الحمود، حين توقف بكاء الطفل قائلة «أين هو طفلي؟، ماذا فعلتم به؟»، فدخل أحد الحمود حاملا رأس الطفل ووضع على طاولة بالقرب منها، قبل أن يقوم باعتصامها مجدداً، وقد كانت المرأة تحصص للعلاج النفسي في بريطانيا، وسعت جاليتها إلى إيجاد من يقنن بها مجدداً، بعد أن قتل زوجها بعيد اعتصامها

ثم أكن بحاجة إلى الكثير من الإقناع لمساعدة اليوسيبين، ولكنني حصلت على حافز إلهامي أخير للقيام بذلك، إذ كان أحد صناع الأفلام الهواة من البريطانيين قد ذهب إلى اليوسنة، وصور فيلمًا بموانع مجازر هي اليوسنة وكرواتيا، مثلت صور ذلك الفيلم الحية أكثر ما شاهدته رعبًا في حياتي بقايا جثث متفحمة في أنحاء المدن والقرى كافة، مآظر مروعة نعم أرجاء الريف اليوسني الحلاب، مع كل ما يشكله ذلك من معارضة. وروى المعلق في الفيلم كيف كان الرهائن يتم بين جنود يحملون الحرايب حول ما إذا كانت النساء حبيلى بدكور أو إناث، ليعقب ذلك مشاهد لامرأة مينة بجانب جنبها المتزع من بطنها، وأظهر الفيلم أيضاً مشاهد نصبي، هي السادسة من عمره ربما، بعد ذبحه بالسكين، لعدم رغبة الصرب في استمارة طلاقاتهم، وتحدثت امرأة يوسنية مسنة، أثناء مقابلتها في الفيلم، قائلة: كم لا نرسلون لنا إلا الطعام فحسب؟، كي يذهبوا الصرب كالحرايب المسممة؟، أرسلوا لنا السلاح، كي نقابل دفاعاً عن أنفسنا، قررت في تلك اللحظة الذهاب إلى اليوسنة.

ثارت ثائرتي لسماع الأخبار عن مسمكرات يستخدمها الجنود الصرب بشكل ممنهج لاعتصاب آلاف النسوة المسلمات، ورايت الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي لليوسيبين يحدث أمام ناظري أوروبا، دون أن تحرك ساكناً، وقد كانت خياراتي، مع ذلك، محصورة في وهب المال إلى منظمات تعمل من كرواتيا، لا اليوسنة، ومساعدة للاحثين حال وصولهم إنجلترا، إذ كان ذلك يمد كثيراً بالنسبة للعديد من الناس، ولكنني كنت على قناعة بأن مجرد الإطعام والكساء لأبناء يواجهون الإبادة ليس بالأمر الكافي.

بدأت أهب المال بشكل دوري إلى العديد من المنظمات الخيرية، مقتطعة نسبة أسبوعية من دخلتي، ناهيك عن التبرع بمئات ذهبي امتلكتها مدة طويلة، ولم يعمل ذلك شيئاً هي نظري أمام تعرض الناس للذبح محصنات مؤتمرات عقدت في أنحاء البلاد كافة، بحثاً عن حلول لتلك الكارثة، وقد استأثرت كثيراً من مواقف

الاتحاد الأوروبي، بما فيه بريطانيا، على عرض حظر على إرسال السلاح إلى أطراف النزاع كاعتهم، حيث كان الصرب والكروات يروون بالسلاح من قبل الدول المجاورة لهما، بينما لم يحظ البوسنيون بشيء يذكر، وقد تمثل أحد الأصوات القليلة المؤثرة التي دعت إلى ترويد البوسنيين بالسلاح بشكل علني، على حد علمي، وبما يدعو للاستغراب، هي البارونة تانشر، رئيسة الوزراء السابقة.

استبعد التفكير في البوسنة على ذهبي - منذ عدت من باكستان وأفغانستان - بالنظر إلى قربها، بالإصاصة إلى ما رأيت من مقاومة في أفغانستان، وكنت قد قابلت هناك من حاربوا بالفعل سبها لإحقاق الحق، عوضاً عن الجلوس في بيوتهم، ووجدت، أخيراً، من لم يكتف بالكلام لنصرة البوسنيين، من غير المرتفعة، فقد قرأت تقارير، ورأيت مقابلات متصلة مع جنود بريطانيين سابقين، ومرترقة يقاتلون في البلقان، دون أن يكون ذلك دفاعاً عن البوسنيين بالضرورة، فلم تكن تلك المساعدة المأجورة، المحددة من أي فتاعة، ما كان الموسييون بحاجة إليه.

كنت قد سمعت عن منظمة تدعى «قافلة الرحمة»، توصل المساعدات إلى البوسنة من بريطانيا، كان مؤسسها باكستانيا بريطانيا يدعى آصف، هدهبت لمقابلته، وقد أخبرني قائلاً: «أوصل المساعدات إلى المحتاجين في البوسنة، ويسعى على كل من يراهضي أن يعمل بجد، ويطيع الأوامر، فلا تكون برهة، لن نكون عطلة، وإن ذهبت برهفتي، فيجب أن تصمي إلي، وتعمل، وإن أردت العودة إلى هناك، والانضمام إلى الجيش الموسي، فلك ذلك، إنه خيارك، ولا أستطيع تشجيعك، أو منعك من القيام بذلك، فلا يقوم عملي على صعوبة التسمير المصاحبة، بل يمثل التزاماً متواصلاً أرسل قافلة إلى هناك كل أسبوعين، وإن أردت المشاركة فيتمنى عليك إظهار بعض الالتزام على حد سواء..»

أخبرت ميري في مصلحة الصمام الاجتماعي برعيتي في طلب إدارة غير مدعوعة الأجر لصناعة أشهر، ومئاته الاحتياط بوظيفتي كي أعود إليها فيما

بعد، وأوصحت له أنني سأذهب بكل الأحوال، وإن رفض ذلك، وقد دعمني المسؤولون في العمل، ووعودوني، فكرم أحلافهم، بالحفاظ على وظيفتي، ولم يكونوا على علم، بالطبع، برعيتي في الالتحاق بالحيش البوسي، وإن لم أكن قد اتحدت قراراً نهائياً بخصوص ذلك في حينه.

شمرت بحماسة عالية، لا يعورها القلق مع ذلك، وكان والدي قلقاً أيضاً، ولم يكن يرغب في ذهابي حقيقة، بالرغم من دعمه فكرة مساعدة البوسيين على أرضهم.

لحظت على المور، حين وصولي إلى مكان اللقاء بأصف في شمال لندن، عند بداية الرحلة كم كان إنجليزياً في أسلوبه، كما كان والدي إلى حد ما، ناهيك عن رفعه علماً بريطانيا فوق عريضته، ونمثل أول ما قاله لي في الأتي «جسنا، رافعتي إلى المستودع، وأبدأ التجميل، بقينا نعمل المساعدات خمس ساعات يصانع من أرجاء البلاد كافتها، أكياس من الملابس والبطانيات، صناديق من الأدوية الطبية، والأشربة المعبوة، والأدوية، والمعدات الطبية، فقد ملأت تلك المساعدات شاحنتين بالكامل.

كانت الشاحنتان في حال سيئة، وتعين علينا قيادتهما مسافة 1500 ميل، وتمثلت كلتاها في كل بلد مررنا به تقريباً فرنسا، اللوكسمبورغ ألمانيا، النمسا، وسلوفاكيا، كرواتيا، والبوسنة وقد كان هنالك شخصان في إحدى الشاحنتين، وأربعة، باقون في الأخرى، جميعهم من الرجال، مسلمين، وغير مسلمين، وفاد أصف الشاحنة التي كنت فيها.

أوقف أصف الشاحنة، بصورة مفاجئة، في وقت متأخر من الليل في مكان ما من وسط «القابة السوداء» (منطقة في ألمانيا)، على طريق معطى بالثلوج، ليطلب مني تولي القيادة، ويأخذ قسطاً من النوم فيما بعد، ولم يكن ذلك ما توقعت، فقد كانت شاحنتا في المقدمة، وكانت تلك المرة الأولى التي أقود فيها شاحنة، أو أحمل ذلك على الجانب اليميني من الطريق، ناهيك عن جهلي به في الأساس.

وتمثل كل ما كان لدى في قطعة من الورق، تفصل المدن والقرى التي يسافر عندها
المرور بها.

لم يكن أصعب بحيد فكرة الوقوف عند العنادق. بالنظر إلى ما قد أتت من أن
موسم على مال عام، بحاسب هو شخصيا عن كل قرش منه فقد اعتد محضت
القتل. إن أردتم الذهاب إلى العنادق فاعلموا ذلك عن بعثته لحصة ولكني
لن أسطر أيا منكم نام في الشاحنة وأكل في الخريف وأستريح في سجن
حميدا في ليونيليا (عاصمة سلوفاكيا). كان صف يهدد علاوة عن ذلك حتى
سوءهم للتعود بالوقوف أو أي شيء آخر قتلا لن ينتظر أي أحد، وإن ذهب.
ولم تعودوا إلى القافلة في الوقت المحدد. فاسترركه حقد فقد فعلت ذلك مع
أحدهم في كروانيا أثناء رحلتنا الأخيرة. بعد أن تصرف وكده مانح في حارة،
لم يسبق لي العمل، ولا اعتقد أنني سأعمل مع أي شخص كصف في حينه.

القريب، بعد بلوغ سلوفاكيا من مناطق تقاتل هجمات أشعر بالثقل الذي
يعطي الأحياء بمحور دحوا كروانيا وقد أردت لمحضت هذا رؤية نريد من
وثائقها. وقامت بتفتيش الشاحنة فتصرف صف بصورة مدعة عن الخروج
إذ كان صليبا وعيدا على تحريكه ليريد صفه وعاد من هذا حرس نحو
بالتعاب واللحوق التي عمل رسومها حيث تعرض نوح في رحلات سابقة
إلى إطلاق النار، والاعتقال والحرب عن قس كروت وكرايت في بته عن
مواصلة عمله. بالنظر إلى شخصيته المدعة في صفه يتأهب فقد كان يتقر
اللغة بدرجة كافية للحدث بطلاقة لوثق من حرس وتمعت من هذه الرحلة
ما أعادني في رحلاتي المدعة تلاحقه.

وصلنا في نهاية المطاف إلى حيث توقفة عن البحر. نأسي حصة
الحلابة بكل معنى الكلمة وتعرف هذا السباحة في البحر ويسمى بعد مصي
وهو فحسب، هي رواية عربات الأمم المتحدة وذلك ما عجز الشعوب باقترامنا من
مناطق القتال وهذا دائما تقدم نحو داخل مذكرتك، حيث مقرر بخوة

الباكستانية التابعة للأمم المتحدة. وقد كانت علاقة أصم بأفرائها حصة إلى حد ما. كما رأيت هقاموا بمساعدته في السابق على نقل بعض المواد الغذائية لرائدة بصورته. عند تعطل إحدى الشاحنات. وأمضينا بعض الوقت برفقتهم وقد كان من الغريب بالنسبة لي رؤية باكستانيين في تلك البيئة المختلفة فلم أكن رصيا عنهم بكثر الأحوال. سطر لي وقوعهم متصرحين عن الدايح الوحشية التي ترتكب بحق مسلمي كنفوت الأمة المتحدة الأخرى تماما

حاضيا أصم. ما بر عبرنا الحدود. فائلا. أصبح الآن في البوسنة. ومن ثم يتعين علينا توجي لحد. حيث تتغل السيطرة من طرف لآخر على بعض المناطق هنا باستمرار كما تتميز التحالفات. وسعوط لمسلمون والكروات حالها هي اتحاد فيدراتي بالرغم من كل ما حاصره من حروب ضاحية في السابق. وهالها أصم كذلك بالابيض. وإيرل الستار عند مرورنا بالمناطق الكرواتية البوسنية إذ أصبحت الطريق وعرة الآن ومنيرة بالبحر التي خلفها القابل.

كانت «مونتاز» أول مدينة يبلغها بعدا بعدى تدميرها. فلم أر مرلا أو بناء سم من القصف. ذهبت عن حسم المدينة «تاريخي» الذي سقط في يهرها لحمير. وقد أشار أصم في الطريق إلى «مونتاز» إلى كاثولائية ترفع عليها صهما عن برجها فائلا. لقد صبر أحد المتطوعين العرب في أعلاها منذ بضعة أشهر. ودلت بعينيك هذا فكرة عن ماهية المكان الذي أتته. نه.

رأيت. طيلة سيرنا لأب. مدرج مفصوفة مدمرة الأسطح ولحظت كذلك أن ثقب الرصاص تملأ كل لوحة فيها تقريبا. فلم تسلم. شارح لطرق حتى من خمس التدمير. وبه عصفه من ريتهم من الناس هناك على قتلهم كالأشباح شاعبي الوجود يكمنون بعصم بالكاد عاء «سطر إينا حين تمر شاحتنا بقرتهم. وتمثل ما لحظته أيضا في التقدير. إذ كان المكان يعج بها

كان مصطفي. أحد مراقبي في الرحلة. من البوسنيين قد لجأ هو وابنته إلى بريطانيا. مدسة تقريبا. وها هو الآن يهود للانضمام إلى الجيش. وقاتل

الصرب، فتمنع جميعها بكثير من التقدير تجاه هذا الرجل الحسن، إذ كنا قد تركناه في إحدى القرى المدمرة المهجورة، ولم أره مجدداً إلا بعد مصي عام، حيث أخبرني عن كل ما دار في الممارك التي حاصها، وقد لعت نظري بلعينة الطويلة التي أطلقها.

وصلنا فيما بعد إلى «حابلانكا»، حيث احتشد الناس مباشرة حول القافلة، فصرح بوسيو المدينة كثيراً لرؤيتنا، وصرخوا قائلين «ميرها، أصف، كاكو ستي هي؟» أحابهم أصف قائلًا «ميرها براك، كاكو ستي هي؟» (مرحباً ايها الأخوة، كيف حالكم؟).

أحابه قائلين «دوبرو، آكا بودعا، مالو موهي براك» (جيدون بكون الله، ولدينا بعض الأخوة الجدد هنا).

كان أصف صارماً معاً، معن العاملين لديه، ولكن اليوسيبين راوا جانباً آخر من شخصيته، وأحبوه، وكثيراً ما كانوا يدعونه إلى تناول الطعام، أو شرب القهوة في منازلهم، وقد كنا نراقبه، ونرى كيف كانوا يمشون، فقد كانت حياتهم بائسة للغاية، شاقة إلى أبعد الحدود، ولم أهاجأ، هي الحقيقة، من بروج الكثير منهم إلى أوروبا الغربية.

اكتشفنا بعد مصي وقت قصير، أن أصف كان مشاركاً في أنواع المشاريع كافة من مزارع تربية الدواجن ومراكز إعادة التأهيل، والمستشفيات، والمدارس، ووصلت ويمحرد معادية حابلانكا إلى قرية تدعى «أوسترارلد» حيث يقع مركز أصف الرئيس الذي كان بطل على بحيرة جميلة - حيث سددت خلال زيارتي الثانية هي الصيف - مع كل ما يحيطها من جبال حليدية وكنا ملقى الترحيب الحار داه ايما حللنا إذ كان الأطفال يرفعون سبائهم اليمنى في الهواء كلما مرت شاحنتنا بمحادثهم - كما يفعل المسلمون في صلاتهم أثناء الشهد - أظهر لقوة إيمانهم، وتمسكهم بالإسلام.

تمين علينا القيام بكثير من العمل، لحظة وصولنا، بحيث لم تتوفر الفرصة ليل قمط من الراحة، أو التصرف إلى المكان، وقد كلمني أصف، بعد إخراج حمولة الشاحنتين، وقطع بعض الأحشاب للدفنة، بحمر قناة في القبر، كي يمد أنبوبا لتصريف المياه صيرها.

احسنت بأسي احسرت شيئاً بعد حوالي الأسبوعين من العمل في المركز، وتوزيع الطعام على اللاجئين، وشمعت بكثير من التعب، مع ذلك، لرؤية وحوهم المتربة، ومقاربة حياتي، التي تعد متربة، بالبائسة التي كانوا يعيشونها، وعودتي إلى تلك الحياة، تاركاً إياهم في ذلك الجحيم، فلم يكن إيصال علب الماصولياء إليهم كافيًا بأي من الأحوال في نظري.

تعلمت شيئاً من لغتهم، وسمعت الكثير من قصصهم، فقد قضا في أحد الأيام بريرة إحدى وحدات الجيش البوسني التي كان يديرها المعلم، المتخصص في العلوم الإسلامية في مصر، إذ بدا الرجل منظمًا للعامة، وحظي بالاحترام لمقاتلته الصرب. وسمعت بعضاً من قصص الجنود المروعة، كالفناتل، على سبيل المثال، تحت الثلوج، هي درجة حرارة تصل إلى 25 مئوية تحت الصفر، وفقدان بعض الجنود أوصالهم لشدة الصقيع.

توقفا، أثناء توجهما إلى «زيكا»، في «تراهينك»، الواقعة في أعالي الجبال إلى الغرب، مئتين سلاسل حديدية على إشارات شاحنتا، منعا لابتلاعها بسبب الثلوج وأحدا مقترب من منطقة القتال، متحاورين عربات مقصوفة، ومبارك مدمرة، وعددا من اللاجئين البوساء في طريقنا، وسمعتنا قصصاً عن قتال حصنة من المحاهدين البوسنيين والمرب لكتيبة كاملة من جيش العدو وبجاحهم في اندفاع عن المدينة.

كانت تراهينك مدينة جميلة للعامة، تظهر معالم العمارة العشائية بوضوح على مساجدها، ومدارسها الواهرة، وكانت المدن المشيدة على النمط التركي والمطلة من اسطح الجبال تشبه إلى حد ما صواريخ «سكود» التي ادعى صهيمة

«السن» في إحدى المرات أنها كانتها بالعمل. وأن البوسنيين يموهونها كمثل. التقينا ببعض العرب في المدينة. الذين فيهم طبيب يمشي ويعمل هناك منذ سنوات عديدة. قيل اندلاع الحرب وبأحرين ممن قدموا خصيصا للانضمام إلى وحدات الجيش البوسني المتعددة. وكنت ما أزال أفكر أن أخذو حذوهم. ولكن التزامي تجاه ذلك الأمر أحد يصعب. مع اقترايا من منطقة القتال. فلم أكن واثقا بالعمل مما يجب علي القيام به. ففكرت في رتب. وطلعت الأول الذي كانت تنتظر قدومه. وأدركت أن انضمامي إلى الجيش البوسني. بكل خطورته. يمثل ظلما كبيرا لها.

سأل ثلاثة مناء. مع البريطانيين. آصف عما إذا كان بمقدورنا الذهاب إلى زيبكا. حيث يقع مقر الصليق الأجنبي التابع للجيش البوسني حيث كنا قد سمعنا عن الأجانب القادمين من أمعاء العالم الإسلامي كافة للتحصن في هذا المكان. وإعلان ولائهم للصليق الثالث. «أرميا بوساسكا» أو «كتيبة المحاضدين» (كما كان يعرف بالبوسنية والعربية) تحت قيادة علي عزت بيغوفيتش رئيس البوسنة والهرسك. علاوة على حوصه مبارك بطولية ضد الصرب.

أجابنا آصف قائلا: «حسنا. سأوصلكم إلى زيبكا إن أردتم الذهاب إلى هناك. ولكنكم ملزمون بتدبير طريق العودة وحدكم. ويمكنكم الرجوع إلى المركز حين تشهون. ولكنكم ملزمون أيضا بالعمل حتى عودة القافلة إلى إنجلترا».

ذهب إلى زيبكا مع البريطانيين الآخرين نملؤنا الحماسة جميعا لما سمعناه عنها. وإن شعريا بشوئر شديد. ووصلنا إلى مقر قيادة الصليق الثالث في الجيش البوسني أو لكتيبة (كما كان العرب يدعونها).

ثم أرسلنا للتحدث إلى المسؤول عن المتطوعين الجدد الذي كان مصريا. ولكنه لم يكن ودودا من اللحظة الأولى.

سألني قائلا: «لم أتيت هنا؟»

أجبتة قائلا: «أنهت لمجرد رؤية...».

قاطبي قائلا: «هل أنت مرامل صغرى أو ما شابه؟».

أجبتة، متحدا موقف المدافع، قائلا: «لا أيا مجرد شعور بهتم للأمر ويبحث عن السبل الكفيلة بالمساعدة».

عقب قائلا: «يأتي المنطوعون الأحاسب، المجاهدون، إلى هذا المكان وينفون سنة أشهر تعتمد إلى سنة أحيانا، ويدير الجميع أنفسهم للتدريب على القتال والنوحيه فيما بعد إلى الجهات المتعددة، فيعود بعضهم سالخين، أو يصابون، بينما يستشهد بعضهم الآخر. هل أنت مستعد للقيام بذلك؟».

كنت قد طرحت الأسئلة ذاتها على نفسي عدة مرات: «هل أيا مستعد لفعل في سبيل تلك القضية؟ هل أيا مستعد للموت في سبيلها على حد سواء؟».

حاطبي، قبل أن أجيبه، قائلا: «انظر، نحن في منتصف الشتاء الآن وذلك ما يحدف من وطأة القتال بكل الأحوال، وإيه يمكنك البقاء هنا بصحة أسايح إن شئت، والوقوف على مدى تمردنا، واختلافنا عن بقية وحدات الجيش، ويمكنك الذهاب إلى معسكرنا كراثر، والبقاء بصحة الأحوة، ولكني لا أستطيع السماح لك بالتوجه إلى خطوط القتال الأمامية ما لم تتلق التدريب المناسب».

رأى أحد البريطانيين الآخرين أنه لا يصلح تلك المهمة، ففعل عائدا في غضون يومين، وتحدث إلي قائلا: «يقوق هذا الأمر صعبوبة ما كنت أتعيه، قلت مهيت للقيام بذلك، إن جسديا أو ذهيا، واعتقد روجي كثرأ، استقل الشاب حافه نى كروانيا ولم يعد أبدا، بينما التحق الآخر بالجيش وبقي ستة أشهر».

انتهى بي المطاف إلى البقاء ثلاثة أسابيع هناك معظمها في معسكر العدة في ريبكا، حيث اجتمع أناس من أنحاء العالم كافة هناك وكان الأسقاء يما بينهم كما تراءى لي، وبلغ بي الأمر حد لقاء صربي اعسق لاسلام وهو لا يهتم إلى هذا الطرف، وإن لم يتم إرساله إلى بجبهه مطنبا

لحظت، هي مركز تدريب الجيش هي «أوراكوس». أنهم يتبعون طريقة أوروبية للغاية في التدريب، على النقيض مما رأيته في ألمانستان، إذ يبدو المدربون هنا أكثر حرفية، ويهتمون كثيراً بالانضباط، والماعلية، والدقة، فقد كان الوضع في ألمانستان أقل تشدداً. حيث يرمي المقاتلون طلقة من الرصاص مثلاً، ثم يرتفعون بعضاً من الشاي، ويستريحون قليلاً، ليطلقوا النار مجدداً. رود الجنود هنا بكل ما يلزمهم من متطلبات القتال صعباً وشتاء كانوا يجلسون إلى موائد، ويتناولون طعامهم بأوان فضية. ويعتبرون تسلسل القيادة لديهم، ويحسمون لتدريبات جسدية قاسية وكانت معظم أسلحتهم من أوروبا الشرقية، وإن أراي أحد الجنود بندقية هجومية بريطانية من طراز «اس إي 80»، قال إنه اشتراها من تاجر سلاح كرواتي كانت تلك المرة الوحيدة التي أرى وألمس خلالها تلك البندقية، وأحبرني الجندي أن البريطانيين كانوا قد صنعوا الكروات مئآت منها.

كان معظم المسؤولين هناك من العرب، ما مثل ذلك أمراً مثيراً بالنسبة لي، فلم يحل دون وجود أتراك وعاصبيين، وباكستانيين، وفرنسيين، وفلبينيين، وماليين، بالإضافة إلى البوسنيين. مع تأثر واضح للمملكة العربية السعودية، إذ كان العديد من دول الخليج في الواقع، وكالات إعانة، ومراكز تعليمية منتشرة في أنحاء البلاد كافة ومرتبطة «بالكتيبة». بينما بدا أن أهل الحن والمقد هناك كانوا من المصريين في الغالب، الذين يحمل الكثير منهم الجنسية البوسنية، ويقترون ببوسنيات، فأحبرني أولئك عن العمليات التي شموها ضد الصرب، ولم تبد لي كحرب عصابات كما هي ألمانستان، بل بدت حرب جهات تقليدية. حيث كانوا محصين بالكثير من الحنادق، ماهيك عما يملكونه من مدفعية ثقيلة.

كان من الواضح أنهم يهويون الحديث عن انتصاراتهم، وإن تعرضوا لحسائر كبيرة في سبيلها فقد فعل الكثير من الأجناس هناك، بمن فيهم خمسة بريطانيين على الأقل كانوا قد حاصروا معركة حديثة، هقدوا هيها ما يهوق العشرين من الرجال ولكنهم حققوا غايتهم منها في نهاية المطاف فصب بعبادة

بعض الحرحى في المستشعر. لأهأجا بوجود بريمناني، إصابته بالغة، إذ فقد عيه، وجرحا من كتفه أثناء القتال، فسأته عما دفعه لتلك التصحبة، وعن إصابته. فأجابني قائلا: «إن مدرت نفسك للقيام بذلك، فستؤمن أنه يستحق ما يبذل في سبيله من تمحيات».

فعلت عائدا إلى ترافيل، بعد انتهاء ثلاثة الأسابيع ومكثت هناك يومين مع صديق النخيشه في ريبكا، فلم أعود إلى مركز اصف، بل استقلت حافنة إلى موهينج، عائدا منها إلى إنغلثرا.

ذهبت إلى اصف لأتحدث إليه، بعد وقت قصير من عودتي إلى بريمنانيا، فتد كنت مدينا له بأحدي إلى البوسة - العلم الذي كان يراودني منذ فترة طويلة - ويمكنني القول إنه أكبر شيء شينا ما، ربما كان عنمثلا في مساعدتي البوسنيين بأكثر مما يفعل متطوعوه عادة أو لأثمانني إلى القلة الذين كانوا يطعمون أوامره بلا نقاش.

حدثني عملي في مصلحة الصمان الاجتماعي عقب عودتي من البوسة، وتساءلت قائلا لمسي: «كيف يمكن لي الجلوس بكل هدوء، في مكتب صيلة ليوم، بعد كل ما رأيت؟» فتوقفت عن الذهاب إلى العانة، بعد انتهاء عملي منذ أصبحت مسلما ملتزما، بأهيك عن الوادي الليلية، توقفت عن القيام بذلك إلى حد كبير، وإن كان بصورة تدريجية. شعرت أنني بدأت أعيش في عالم مغاير تماما، كنت قد صنعت بطرق مختلفة، ولكنه كان قائما بالعمل ويستغل قدومي إليه بطريقتة ما وأصبحت دائم الانحرام في الأنشطة الاجتماعية مع زملائي.

ذهبت إلى البوسة، خلال المستين، والصف الثانيين، ثمان أو تسع مرات مع «فيلة الرحمة»، وفتت بريارة ثكنة «الكعبة» محددة، مع استبعادني تماما فكرة الانضمام إلى الجيش الموسي إذ كان العديد من الفتيان هناك قد لقوا حتفهم

تخلوحت في بريطانيا للعمل مع «قافلة الرحمة» في أغلب الأحيان، مشاركاً في مشاريع جمع التبرعات والمساعدات المختلفة، وواصلنا الذهاب إلى هناك حتى بعد انتهاء الحرب بصورة رسمية، مع عقد اتفاقية «دايتون» للسلام، التي اضطرت خروج جميع المقاتلين الأحاب، فقد كان معظم أفراد قيادة «الكتيبة» قد اعتيلوا - بحلول موعد ريارتي الأخيرة عام 1997 - أو قتلوا في كمائن، بعد مضي فترة ليست بالقصيرة على عقد الاتفاقية

انتقلت أما وريم، أوائل العام 1995، إلى منزلنا الجديد المحاور للمبهرمهمام البلدي، هرقنا في الحامس من أيار/ مايو من العام ذاته بطولتنا الأولى التي قررنا أن نسميها «امامة»، ولكن والذي رعب في تسميتها «مريم»، ليصبح اسمها في نهاية المطاف «مريم امامة»، فمرحبا كثيراً بقصومتها، إذ كانت كالدمية في براعتها، ناهيك عن كونها الفتاة الأولى في عائلة بيع مند وهاد شفيقتي عظمى، وأتاح لي القدر أن أكون إلى جانب زوجي أثناء حملها بكل أطمالنا القادمين، باستثناء أحدهم، وأن أكون بجانبهم خلال سنوات حملولهم المبكرة، فيما عدا واحداً منهم.

تعرست، في الصيف الأتي، إلى الاحتياز الأول لأبوتي، وبخطه صمفي الوحيدة. بما ترتب على ذلك من مسؤوليات جديدة، فقد أثبت المرل، فيما بعد ظهوره أحد الأيام، لأجد ريب مدعورة للغاية، مستاعة إلى أبعد الحدود

أخبرتني أمها كانت تسهر عائدة إلى المرل بعد قيامها بالتسوق، نرافقها أمامة هي عربتها المتحركة، عاقتريت منها سيارة مليئة بشباب يمس أتركوا النوهد، وبدؤوا يشتمونها ويوجهون الإساءات العنصرية إليها، والسفوية من حجابها، قل الانطلاق بسيارتهم، فتجاهلت ريب وجودهم، وتابعت المسير إلى المرل، فبدأتها السيارة من الحلف مجدداً، بعد اقترابها من المعطص المؤدي إلى الطريق العام، ونصفت عجالاتها تسير على الوصيف، فبدأت ريب الجري بالعربة، وما إن أدركت أن السيارة تبعد بضعة أمتار عنها حتى استدارت حين وصلت الطريق العام، لقرى السيارة قد توقفت، قيل أن يقصر أحد الشباب حارجها وينجعه نحو

ريّيب التي وأصطلت الجري حتى بلغت المنزل، جن جنوني حين سمعت القصة، متدهشاً من قدرتهم على التصرف بهذه العدائية تجاه امرأة تسير مع طفلتها، لا أكثر، فاندفعت خارج المنزل، وقدمت سيارتي في الطريق دانها بـولا وصمودا، بحثاً عن أولئك المعطين، مع إدراكي التام بصالة فرصي في العثور عليهم ولكن نعرض أسي وجدتهم بالفعل، ما الذي كنت قادراً على فعله بمبردي؟ فكرت هي تلك اللحظة «باللهيكمس»، متحسلاً ما كانت ردة فعلهم ستكون عليه لم يكونوا ليرضوا أبداً بما حدث، أو يتركوه يمر بلا عقاب.

ذهبت إلى الحج برفقة ريبب وأمامة في عام 1997، فلم تكن الرحلة أسيرة بالنسبة لي كسابقتها حين كنت مرافقاً، ماهيك عن أنها كانت السنة التي اشتعل فيها الحريق الهائل في جبل عرفات، حيث قضى أكثر من ألف وخمسة مئة شخص نحبهم، فتمين عليهما إحلاء المكان وسط الحشود المتدافعة، هربا من السنة اللهب الحارقة، التي لم تردها حرارة الصيف القانطة إلا اشتعالاً.

أقمنا بضعة أيام، في طريق عودتنا، برفقة عم ريبب في دمشق، مسقط رأسها، ورأينا، خلال نحوال ثلاثنا - ريبب، وأمامة، وأنا - هي الساحات البيزنطية القديمة والمسجد الأموي، وما قيل إنه قبر يوحنا المعمدان، نصل فيما بعد إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، أحد أكثر الرجال مكانة في الإسلام، وواحد من الشخصيات التي «عنتت بها هي طمولتي

ولد طفلي الثاني عبد الرحمن، في السابع والعشرين من حزيران/ يونيو عام 1997، بعد عودتنا إلى إنجلترا بوقت قصير، فحصل والذي تسميته «عمر»، نسبة إلى ثاني العلماء الراشدين، ليصبح اسمه «عمر عبد الرحمن»، ولدي الأول.

كنت أذكر مع ريبب منذ مدة هي الانتقال للعيش في بلد مسلم إد أردنا أن يكبر أطفالنا في محيط إسلامي - لم نحظ به كثيراً في طمولتنا - بين أناس يمثّلوننا، وذلك يوهب لهم أفضلية صلبة للتفاعل مع جدورهم، وثقافتهم، وعقيدتهم، ماهيك عن تشكيله حرراً لا يتجراً من رحلة بحثي عن الذات

فكرت في العديد من الأماكن في الشرق الأوسط، فقد مثلت باكستان أكثر الأماكن المألوفة بالنسبة لي، إذ كنت أتعلم اللغة العربية العصرية، ولكن ذلك لم يحف هويتي الأجنبية أمام أي ممن تحدثت إليهم في الدول العربية التي زرتها، حيث قابلت في بيرمنجهام من هاجروا إلى باكستان، واستقروا فيها، ورأيت أن بإمكاننا الذهاب إليها، والإقامة عند أحدهم، كنت أعرف شخصاً فلسطينياً يدعى خالد، يعيش في بيشاور، ويهم بالزواج بإحدى الصغيرات هناك، وقد كانت بيشاور تضم جالية فلسطينية صغيرة، ومن السهل، في نظري، أن تشكلت ريب مع حياتنا الجديدة بين أقرانها تركنا ميراثاً، في أوائل العام 1998، وعادنا إنجلترا.

قما باستنهار ميرل مع خالد، وأحببنا جميعاً الإقامة في بيشاور، وانتهى بنا المطاف إلى النقاء ما يقارب خمسة أشهر هناك، مثلت تجربتي الأولى في الإقامة العملية خارج بيرمنجهام، وتأقلمت ريب بسهولة بالغة مع الجالية العربية، بشكل يفوق تأقلمي مع المجتمع الباكستاني، ولم يكن العرب والباكستانيون، في الحقيقة، يحتفلون كثيراً، الأمر الذي كان ملاحظاً بالنسبة لي وقد اعتاد أصدقاء خالد الضوم إلى بيتنا كثيراً، وكان جميعهم يتحدثون العربية، وذلك ما جعلني غريباً بينهم، إن من الملاحظة الثقافية، أو اللغوية، ولكن كانت ريب، بكل الأحوال، قرناً لتقائنا للتعامل مع العرب.

ارتبط خالد بكثير من الصداقات مع العرب والبشتون، ممن قاتلوا السوفييت في أفغانستان، ناهيك عن بعض الأكراد الذين جاؤوا لريارتنا في إحدى المرات، وتحدثوا عن الكمية التي عادوا بها إلى العراق، ليدؤوا انتقامهم ضد صدام حسين، بعد انتهاء القتال ضد السوفييت، وقد حدثني أحدهم «محمد» عن المظان التي تعرضوا لها من اعتقالات جماعية، وبمذيب، وقتل، وكانت تلك المرة الأولى التي أسمع فيها من أصحاب العلاقة مباشرة ما كان صدام حسين عليه، فكنت أظن حتى حينه أنه كان الطرف المصطهد، الذي يتعرض للهجوم من قبل الغرب، وذلك ما جعله يحظى بتأييدي ثمانية، ولكن يأتي محمد ويخبرني أنه

قتل عددا من أفراد عائلته بالأسلحة الكيميائية في حلبجة عام 1988، وصعد لي
معهد الكهية التي وجد بها جميع سكان المدينة مرتفعين على الأرض يتكئون،
بوجوههم الشاحبة، من شدة الألم، فانتقل في حبه إلى الجبال، لبدء القتال
صد قوات صدام، ونوحه مع عائلته ههنا بعد إلى أفعاسستان، والتحق هناك
بمعسكر الأكراد في معسكرهم الواقع قرب جلال أيلد، إبان الاحتلال السوفييتي

بطلدت علاقتي به، وبأحر يدعى عبد الله الكردي، الذي سألتني عما إذا كنت
أود زيارة أفعاسستان برفقته (شاء القدر أن أدبني لهذا الرجل وعائلته بكثير من
المرحان غضب ثلاث سنوات، لمساعدته في حماية عائلتي بعد القصف الأمريكي
لأفعاسستان) وقد كان معسكر الأكراد يقع عند الحدود تقريبا، بمحاذاة «ممر
حبير»، على بعد ما يقارب الساعتين من بيشاور، وأحبرني عبد الله أن هذا
المعسكر يقع على سفوح بحيرة ضخمة، محاطة بالجبال، هذا جبلا للغاية وفق
وصفه، ويرمز إلى تاريخ طويل من كجاج المجاهدين ضد السوفييت، أنذاك قررت
قبول عرضه في نهاية المطاف وكانت تلك المرة الأولى التي أعبر فيها «ممر
حبير» فلا يمارق بصل قبائل المشتون محبتي، وهم يدافعون عن أنفسهم طيلة
تلك المسير ضد البريطانيين ولم يكن اعتياديا على الإطلاق أن أرى نفسي في
هذه المنطقة الحارحة على القنود حيث يمكن أن يتعرض أي إنسان للخطف، أو
انسلب أو القتل، ويحمل الجميع السلاح

قدم لي عبد الله وحية متواضعة في كوخه الصغير، قبل مصيبي لرؤية
المعسكر، وقد احتوت المنطقة مجددا على عدد من المعسكرات الأخرى التي لم
يسمح لنا بزيارتها وأقام الأكراد ثلاثة أسيرة صغيرة استخدموها للتدريب على
السلاح معانلة لأبيه الكشميري التي رأيتها في ريارتي السابقة، وإن كانت
بأحجام أقل كثيرا.

مثلت السباحة هي البحيرة تسليية يومية للكثيرين. حتى إقامة السد - المستخدم لتوليد الطاقة الكهربائية - وما نتج عن ذلك من تيارات كهربائية خطيرة. وبدأ مقاتلو الطائفتين، حين كنت أصبح في إحدى المرات، بإطلاق القذائف من نقطة تعيشهم النحلة على البحيرة، فطشت في حينه أنهم كانوا يستهدفونني ففجأ بالنظر إلى سقوط قد تم النهوض في البحيرة، وبدوا اعجازاتها مني حين فشيئاً عشت بدا الأكراد بانصراف هيهه فاشين، مما الذي تفعلونه؟، يوجد أساس في البحيرة، رد عفتو الطائفتين بصيحات الاعتذار، مبرزين عملهم بدافع الملل.

كان يمكن أوئذ ذلك. كما حال بعاطري، أن يحدوا حدود العديد من مواضعهم ويحدروا لجزء بكثر بسافة إلى الغرب الأمر فاعين بذلك، علتسين عدايتهم السيرة ولكنهم أبوا إلا تحدي صدم، والعيش في منفى لا يؤول مصيرهم هيه على الأرجح، لا لسجور أو موت وقد سألت محمداً في إحدى لمرات فقلنا، أنه لا تضبور نعمور من الأمريكيين؟ بعد أصبح عدوكم مشتركاً.

أجبتني فقلنا، يتعثر أحد لمرور في تصفها من تاريخها في عدم الوثوق بانتمياء ورهبو سعرت من عود داحي فصالح ندير كان كرديا مثلاً، وقد ألقه الله الإسلامي بهزيمة أعدائه - حيز و نصيبين على حد سواء، في حين حيز آخرون فيه أرضهم وشروعهم بقبول الدعوة الحارجي ضد أبناء جديهم. وركبو من حدة ساعد لأمريكيون باتعمل بعروهم العراق، ولكنهم ثم يفعلوا ذلك لأجبا حيث لا يحضر في مسطفا ناهيند وهو الأهم، عن وقوفهم متفرجين كما وقف غيرهم عندما قصص ضد شعبنا بالأسلحة الكيميائية، فمر لمرور سرب من الأسلحة وغيرها في نظام الأول؟، فسر سباً، ورياضيب ونولايت لحددة يمش صدام قوة شريعة يجب أن نقصي عليها بتفهم مع معرفت عمر لافر من عداها لمرور سيحدث لو حلت معله قوة شريعة كمر لا نعهه كهيئة

جاءت تلك الزيارة بحلول نهاية إقامتنا في باكستان، وقد كنا حريصين للمفارقة، بينما كانت زيب قد ألغت العيش هناك، فرحة بالصعب واليهنة، إذ اعتدنا الخروج كثيرا في المساء لزيارة الأصدقاء، أو الذهاب إلى الحديقة، حيث كانوا يمدون كبايا شهيا، وكما نزرع عمتي أحيانا في كراتشي، أو ابن عمتي في لاهور، وقد أحب جميعهم زيب كثيرا، كان أطفالها صغارا للماية، في حينه، بما لا يخولهم دخول المدرسة، ولكنني كنت مهتما إلى حد كبير بمدرسة عربية متخصصة تقع إلى جانب منزلنا، كنت قد ررتها في السابق، ووعدت بدفعها ماليا، والعودة بأطفالنا إليها حين يكبرون.

تمثل الشيء الوحيد الذي لم ألقه في المقر، فكثيراً ما كان الناس يبادرون إلى صداقتنا، حين يتكثفون أننا من إنجلترا، لماية في نفس المقرب.

عدنا بعد حوالي خمسة أشهر إلى بريطانيا، فكنيت أحطط في ذهني لافتتاح مكتبة، أملا أن تعود بربع مادي يكمل لنا تمضية فترات أطول في الخارج، وصولاً إلى شراء منزل، والاستقرار في باكستان.

توقفت عن العمل مع «قافلة الرحمة» بعد عودتي إلى بھرمنھام، وذلك ما جعلني عاطلاً فترة من الزمن، استغللتها في اكتساب بعض مؤهلات تقانة المعلومات، إذ استلزم افتتاح المكتبة، بمشاركة صديقي شاكهيل، العديد من الأشهر، وتجسد طموحنا في ربح ما يكفي لتوفير المعيش الكريم لعائلتنا، والإسهام في الأعمال الخيرية، وتمريف الناس بالإسلام.

قمنا في بادئ الأمر باستئجار أحد المحلات، وترميمه، وتنسيقه، بحيث تبدو المكتبة عصرية للماية، مع المحافظة على الطابع الإسلامي في مظهرها، وقد عمدنا، بعد مصي بصعة أشهر، إلى الاتصال بالمورعين لتوريد الكتب، وانحصر عمل المكتبة في بيع الكتب الإسلامية والتعليمية، بالإضافة إلى تشكيلة واسعة من الملابس الإسلامية التقليدية لكلا الجنسين، والعطور والأنحرة، والأشغال

الهندية، والمحاضرات المسبقة والبصرية، والأعلام، حيث كانت تأتيها جميعاً من أنحاء العالم الإسلامي المتعددة، واستُعت بمعارفي في باكستان لتزويدي بالكتب والملايين، والفصل، الذي سبب لي بعض المشكلات هي المسألة الآتية.

بداً، مع تحسن الأحوال، هي تقديم بعض من إصداراتنا الخاصة، المقولة عمادة عن العربية، وهو ما كنت أستمع بصفته كثيراً فمت، علاوة على ذلك، بتصميم ملصق كبير لتعليم أحرف العربية لغير الناطقين بها من الأطفال، حيث نال استحسان الكثيرين، توجعت كثيراً ضمن أقسام متعددة تشمل القرآن وعلومه والكتب الدينية، والقانونية، والتاريخية، والسياسية، والمهر الدائرية، وكتب لجهاد، والأدهان السماوية، وحوار الأديان والمرأة، واللغات، والأطفال، واحتوت المكتبة أيضاً على قسمين منفصلين للكتب باللغتين العربية والأوردية، وقد انتص أكثر الكتب شعبية، بكل الأحوال، إلى قسم اليوم الآخر، معنداً القراء من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، إذ كان الكتاب عبارة عن ترجمة لبحث أجنبي في القرن الثالث عشر بمواضع، علامات ما قبل الساعة.

سُحنت بالعمل في المكتبة، الذي شغل، في أيامه الأولى قسماً واحداً من الوقت المخصص لمناشئ، وكنت بحلول ذلك الوقت قد احترت العديد من صفوف اللغة العربية وأصبحت أتحدثها بطلاقة، إذ بدأت مع إلهاد معرفتي بالاسلام تقديم حلقات دراسية أسبوعية في المكتبة، ولم أكن ذلك الشخص الروحاني من قبل، ولكن دراسة الإسلام دفعتني للبحث في ماهية داني على اندوام

شعرت أن التعليم الديني السليم - المستند إلى الأدلة لقراءة إنشائه لا الثقافية منها، أو الحرفية - من شأنه إثارة العقول وحب التعلم لدى المحيطين بي، فلم يمثل ذلك فرصة لنشر ما كنت أمتلكه من معرفته فحسب بل وأوجد مبرراً للفضول المفتوح حول العديد من القضايا المهمة

أحصت بالمقمة لحادثة عند من المسلمين الذين كانت آراؤهم تعابير رأيي بوضوح، وبدأت أفهم ما تقسم به معتقداتهم من تعقيد أو بساطة، وقد كانت أكثر النقاشات التي أجريتها عمى، تلك التي تدور مع المثمنين إلى أدیان محتملة، وبخاصة شهود يهوه، والمسيحيون الإنجيليون، وأهابتني معرفتي الكافية بالإسلام، والمقبولة إلى حد كبير بالإنجيل، والمذاهب المسيحية المحتملة على الدوام في تفهيد حججهم

اكتشفت، بالإضافة إلى ما سبق، وجود العديد من الناس الذين يكافحون للمخارج الروحي الموحود لديهم، ويتأرون بأنفسهم. مع ذلك، عن كل ما سمعوه عن الدين الحنيف، وقد كان الإسلام، مع كل ذلك الرقص، يجذب آلاف البريطانيين الأصليين الذين اسلم بعضهم أمامي هي المكتبة، باميك عن ذوي الأصول الإسلامية الذين عادوا إلى دينهم بأعداد كبيرة، حيث كان الحجاب يمثل أحد أكثر السلع مبيها، أصف إلى ذلك أن أعضاء سابقين من «الليكس» - وعصابات أخرى - قد أتوا إلى المكتبة أيضا، بعد ما يقارب عشر السنوات على تمككها، ليتعرفوا على الإسلام

أصبح الكثير من الشباب مهتمين بالإسلام، بأكثر مما فعلوا هي بداية التسعينيات، وأخذوا يمشرون عن إحباطهم مما آلت إليه حال المسلمين، وما يتعرضون له من «ابسة»، وأدلال مراردين هي أنحاء العالم كافة، فجاءت نسبة لا بأس بها من الباكستانيين في بريطانيا من «راد» (كشمير المحررة) هي باكستان، وكانت يصنع مدن حدودية تحوي معسكرات تدريبية للمقاتلين الكشميريين، وقد كانت تعمل بمباركة من الحكومة الباكستانية، وحيشها، وأجهزة استخباراتها، فتوجه بمصر أولئك الشباب إلى هناك للتدريب على القتال، بينما شارك آخرون في المارك الجهادية حول العالم، فمنهم من قصص نضله ودفن في قبور بلا شواهد، ومنهم من ينتظر.

[@neverstoplearningN](https://www.neverstoplearningN)



-5-

الاشباح @neverstoplearningN

مررت بتجربتي الأولى مع الاستخبارات البريطانية في مساء العام 1998 إذ سمعت الباب يطرق في سابعة أحد الأيام بعد حوالي العاشرة فصعته لأحد ثلاثة أشخاص رجلين وامرأة. شعرت بدهشة كبيرة حين هال أحدهم إنه ينتمي لدائرة الهجرة والأحر للاستخبارات البريطانية فمدر للأخير الذي عرف باسم «بندرو» أن يلاحقني للسنوات الخمس التالية ولم تسر المراهقة شعة فربما ظنوا أنهم أيفطوسي ولكنني كنت مستيقظا بالعمل بعد أن انتهت للتو من تأدية صلاة المغرب. سألتهم الدخول إلى حجرة الحلوس وطلع أحدهم قبل القيام بذلك. فلم يكن لدي أي أرائك. بل وسائد موصوعة على الأرض على السطح الغربي القديم. طلبت منهم الحلوس. وانتظاري ذهقة حتى أحضر بطارتي

حاطلي أحدهم. هانلا «لا. فصل الوقوف». ربما شعر بالإحراج - مما يدعو إلى السخرية - لعله كمية الحلوس مترنما. وإحصاء نقوب حواربه في الوقت ذاته. وكانوا قد جلسوا بالعمل. حين عدت إلى الحجرة. ومظاهر عدم الارتياح بادية عليهم. باستثناء رجل الاستخبارات. الذي كان مسترخيا

أبرز الثلاثة بعض الصور، وطرحوا علي الأسئلة حول شخص اعتقل في دبي بينهم تتطرق بالإرهاب. كما هالوا لي. وكنت قد النضيت ذلك الشخص. آدم. التوسي الجنسية. في بريطانيا قبل حوالي سنة أشهر من حينه.

أحبروني بما كنت أعرفه بالعمل أنه توجه من بريطانيا إلى السمودية لأر. الحجرة. ومنها إلى باكستان. حيث اعتقل لحيارته جوار سمر مرور. ورجل هبما بعد إلى دبي. لسبب أهله. وتمكن من الهرب من حيث كان يعتجر في المطار.

لبيهم في الشوارع، قبل أن يتم اعتقاله، ويصح في القرار مجدداً واتصل بي في بريطانيا خلال فترة هربه، وأخبرني أنه سيرسل إلي بعض الوثائق التي تتضمن مذكرة اعتقاله، ورسالة مكتوبة بخط اليد، حاطمي في تلك الرسالة قائلاً: «اكتب إليك بصمتك ملاذي الأخير» ثم اعتقالي في باكستان، وتسليمي إلى السلطات في دبي، كي يمدوني بعبة انتراخ الاعتراقات باستماني إلى «الجماعة الإسلامية المسلحة»، وجماعة ابن لادن - عاملتي محتجزي بطريقة سيئة واستخدموا «الملقة» بحفي - أشعر بأذى وتعب شديدين، أرحو أن توكل لي معامياً أرحوكم أرحوكم ساعدي .

كنت قد أهدت الأوراق إلى عازيث بهرس، بعد أن تحدثت إلى أحد أصدقائي من معامي بهرمهمام بذلك الخصوص، وكان الأخير يعرف عازيث، وقد أوصاني باللجوء إليها باعتبارها أكثر معامي بريطانيا تمسكاً بالبادئ، ناهيك عن توليها قصايا العديد من المسلمين فقد كانت تلك اثرة الأولى التي التقى عازيث فيها، وقد أصبحت ذات شأن كبير في حياتي لاحقاً وأخبرتني بعدم قدرتها على فعل الكثير حال قضية دبي، وأنها ستري مع ذلك، ما إذا كان بإمكانها الاتصال بأي من المعاميين هناك، ولم ألق أي رسالة إضافية من آدم، حتى أخبرني أندرو عن اعتقاله مجدداً في دبي

أراد راثرو المحر معرفة الكمية التي النقت بها آدم وسبب اتصاله بي، وما إذا كنت قد أرسلت أي أموال له، فأخبرتهم بمكان النقلي به، وأسمي أرسلت له بعض المال بالعمل، عبر شركة «ويستون بومبون»، حتى أخبرني أنه ينام في الشارع، علاوة على الرسالة التي أرسلها إلي، الأمر الذي لم يكتروا له كثيراً كما تروى لي، ربما كانوا قد قرؤوها بالعمل، فقال راثرو المحر إنهم يعتقدون أنماه إلى «الجماعة الإسلامية المسلحة» الجرائرية - لأخبرهم أنه كان نوسيا - ناهيك عن اعتباره رجلاً خطيراً للعابة، وذلك ما جعلهم سعداء بعدم عودته إلى بريطانيا ثانية.

ما أمكنت أسألهم عما فعله، بالرغم من عدم احسانهم عن ذلك فهمصوا جميعاً، بعد حوالي نصف الساعة بقصد المفارقة إذ كنت قد عرضت عليهم شرب الشاي ولكنهم رفضوا فحاطبي اندرو، قبل مغادرته قديلاً، إن سمعت أي شيء، فأرحو أن تحمروا به، فسيظل هذا وطنك هي نهاية المطاف.

«بتاسي شعور محرب عقب تلك الزيارة فلم يكن أولئك من رجال الشرطة ولم يهددوني بأي شيء، بل اكتفوا بطرح بعض الأسئلة هل كان آدم حقاً بكل تلك الخطورة في نظرهم، كي يستحوطوني بشأه، هي العاصمة صباحاً وما الذي فعله يا قري؟»

أحبوب عائلتي وأصدقائي عن تلك الزيارة يوم حدوثها، إذ كنت في الواقع قد شحرت ببعض الإثارة أحد أفراد جهاز الاستخبارات الداخلية البريطانية دافع الصبب في العالم، «الأم أي هابف»، قدم لرؤيتي في مرلي، وفام محاصر الجهار كذلك بزيارة رباد، أحد أقرب أصدقاء آدم هي بريطانيا، فقد كان رباد نوسي الحسية أيضاً، ولا يزال يحاول الحصول على إذن السلطات لبقاءه في بريطانيا وذلك ما أثار قلقه من تلك الزيارة، على المقيص مني

كانت طعناتي الثانية، بسيطة، قد ولدت في السابع عشر من تموز / يوليو عام 1999 فاملنفا عليها ذلك الاسم تبعاً بإحدى الصحابييات الحليلات، مع إضافة اسم ريبب إليه، بالنظر إلى أن ولدي الأخير كانا يعملان اسمين مركبين، علاوة على عدم اعتراض والدي على ذلك.

تتمثل أحد أكثر الموضوعات صعوبة، مما كان يتم الجدل حوله في المكتبة، هي مفهوم الجهاد في الإسلام (هل كان مرمض عين كالصلاة والصيام؟) (كيف، وأين ومتى يطبق؟)، (ما كان ثوابه؟)، (ما كانت أحكامه؟)، (ما كانت الآراء المختلفة حوله؟)، أصبحت، بمرور بضع السنوات الماضية، مطالعاً على مئات الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأحكام الشرعية المتعلقة بذلك الموضوع

يقصد بالجهاد، الكفاح لحرية وهي الكلمة التي يعرف على حدتها
 قصوره عليها، وحصره في جهاد النفس فقط، واكتشفت، هي التوجه نحو لا شيء
 فيه ذلك من الصعوبة، أن غالبية المسلمين ومن جاهدوهم من غير المسلمين، كان
 قد فهموها طينة الدين الإسلامي - من النبي محمد ﷺ، والعلماء
 لترشيد حتر وقت الحاضر - على ما يعني هذا لأعداء.

تمثل أكثر ما بيع حول هذا الموضوع في كتب الشيخ عبد الله بن
 عمر بن إبراهيم المسلم، الذي يحذر أن العدو ليس هيبتي لأعدائنا
 الكتاب على أن الجهاد هو من غير كالأفلاء ونسبها - سقطت بلاد المسلمين
 بالهوة واستند الشيخ بحراء هي دلت تحكه أن فتوى الشيخ من تسمية هي على
 الثالث عشر حتى كان يقول يعيشون هوانا هي بلاد المسلمين، ما الجهاد
 لعاصبه لعدو بدور الدين والدينا فلا واحد بعد لأيمان كفتانه.

نحمد أحد افور لبراهين التي اطلعت عليها هي قاعدة، الضرورات تسبغ
 المحظورات، حيث يباح للمسلم كل لحم التحرير أن لم يسواقر له غيره وهذا
 فتور تعبر للأساس لدفاع عن أهل بيته ولد بعد الدفاع عن النفس حقا
 مكولا للجميع.

كانت المشكلات تبرز نتيجة أعمال الفضل اللامسؤولة التي يرتكبها المعاهدون
 اليانسون - أو ترتكب باسمهم - وذلك ما اساء لقضاياهم التي كانوا يقاثلون
 لأهلها فقد عطر قطع رؤوس السانعين ورميهم بالرمصاص هي كشمير ومصر
 أو اعتصامات المديين وديعهم هي الحرائر على العظم والأسطهاد اللذين دهما
 بالأساس إلى ارتكاب مثل هذه الأفعال المحبوبة

فرصت قضية اس لادن بصفها على الساحة بقوة أيضا إذ كنت قد تحدثت
 بشأنه مع الشيخ عبد المحيد الصديق والعلامة الفلسطينية الذي كنت أرحب إليه
 فيما يخص القضايا الدينية، وشؤون المسلمين، وقد درس عبد المحيد وأقام هي

* ثم نزل هذا المقطع عن الأماطرية (المترجم)

باكستان هي ثمايبيات القرن العشرين وأول مسلميها علاوة على هوائه
السوفييت هي أمانستان عقد كـ يكثر الحديث عن الهجرة من العرب إلى ديار
الاسلام، أتى لندن معرض الدراسة بجمع سنوات عاهد المرم على العودة إلى
باكستان وأمانستان مع عائلته

قال عبد المجيد إن ابن لادن كان يعمل مشكلات عبر صرو به مع الولايات
المتحدة. على حساب الطدار الاسلاميه المحلة بالاسفاعة إلى الضموب التي كانت
تقاتل الطلح هي بلدانها وكان عبد المجيد يرد المسئلة الحقيمية بمعدل من
كرهه امريكا هي، انظمة بلدانها المسئلة، التي حاب الاسلام وشموها

كان عبد المجيد متوربا هي بهجه واقفيا هي روبه مثل هي إحدى المرم عبر
حكم شعاق المسلمين بالخيض البريطاني هاجاب بعدم حوار ذلك إن هسبي
قال المسلمين سي حلتهم على معو حاس، ولكنه ارده فائلا إن لصال إن
حاب القوات البريطانية ضد أي محتل احسبي، عند تعرض بريطانيا لهجوم ما
هو جائر، بل وواحب شرعا، وقد هاتبي هي الحقيقة سزاله عن ماهيه الحكم إن
كان ذلك المحتل مسلما،

تحدث جميعا عن الجهاد ضد السوفييت بمنتهى الفجار وكنت استمع إلى
الخطب الحماسية للعلامة العليطهبي الممدور الشيخ عبد الله عزام الذي اعاد
احياء الجهاد في أمانستان هي ثمايبيات القرن العشرين، وقد شاهدت هي
لوسفة مسجرا أمام الشاشة هيلما عن روائع المجاهدين على جبهات القتال،
ورزت العديد من مواقع الإنترنت التي توثق معنة الشعب الشيشاني ومقاومته
الباسلة ضد الاحتلال، وشاهدت أهلاما عن القتل الجماعي الروسي للمسلمين
الأميين، هي الشيشان، معروسة هي سلاسل وثائقية كهروب باينسكي^{*}، ورايت
صورا حية للمجاهدين في الشيشان يرعامة القائد الأسطوري، خطاب، الذي

^{*} أندريه باينسكي مراسل «راديو الحرية الروسي» الذي اعتقل من قبل السلطات الروسية
بتهمة دعم الثوار الشيشان، (المؤلف).

يولد لدي الصاعقة بار من الأهلل ابحال المساعدا و لأموال مصورة
شخصية عوضا عن اقيام بذلك عبر الوسطاء - الأمر ابدى تعلمه من اصعب -
ناهض عن رغبتي هي مساء بعض اسعولات ليدويه المركبه - ب لطابع
الإسلامي، لكنمنا، هي حال عودتي

اوقعتي احد مسؤولي دائرة الصحراء عند انعامي الاحراء - في مطار
بهممهم ليحاطني هائل - برعت احدثهم التحدث اليك يا سيد بيع اسفي لو
تكرمت، فملككي الكثير من العصب معتدا انهم اوهوموني لحدود كوسي الاسود
الوحيد هي الحوار

احدوني الى عرفة منمرله كلها وعادروا بعد بوحه بصفة سئلة رويبية حول
وحدة سمري وماهية الاشخاص الذين كتب داهبا لرؤيتهم وما كتب احمله من
منعه ودلف بدرو صابط الاستخبارات البريطانية الى العرفة هسرت لرؤيته
كثيرا مع كل ما يمثل ذلك من مصارقه عريية مستطلعا من فكرة الشيطان المعلوم
حبر من ذلك الجهول، وقد كان ابدرو الاسهل مصثرا في نظري من من روار
المحر الثلاثة الذين قدموا الى مرلي

بدا لحدث هائل - كما يرى يا سيد بيع لقد اطلقت لحيثي ضد النقيض،

بادرته الاحابه مصوره لا تهلل من الحديده، هائل - يتعين عليك القيام بما هو
اكثر من ذلك لاحتراق الحالية المصلحة -، بدا هذه المرة وكأنه يرعب هي مجرد
الفهام بمعادنة اعتيادية، مستطلعا أرائي حول هيدل كامسترو، وحبري اداير،
علاوة على حال العالم الإسلامي أو ربما كان يحاول تأخيري عن سابق قصص
وما انصكت اراقب ساعتي، حيث سياسي فلق مترايد حول افلاخ الطائفة من
دوسي، حايطته قائل - إن كنت فعلت شيئا ما، فأحبرني به وحدي إلى مركز
الشرطة، وإن لم أعمل، فانركتي أذهب، إذ يمين علي اللعاق بالطائفة،

عقب قائل - يتمثل كل ما أود معرفته هي سبب دهايك إلى تركيا، وما تحطمت
لعله هناك، إذ تعرف أن لتركيا سجلا سيئا للغاية في مجال حقوق الإنسان، ولا
بد أنك شاهدت فيلم (ميدنايت إكسپرس) و ..

مما سببه هذا ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد
 من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد
 من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد

كان امدرو عظماء للملاحة على المصايف التي يهيمون. وقد تحدثنا ساعة مضوية
 في هذا الموضوع. لا ينبغي عدم أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد
 من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد من أن يكون هذا هو المحرك أو الأسطحة ولا بد

عند هذا سكرنا لا نعلم ما الذي يدور هناك ثم رأينا في يوم
 من أيامه في ذلك الوقت في مركب ينسحب من مرفأه في البحر
 كمن هو في مرحلة بالقطع ولكنهم ربما في البحر على من مرحلة واحدة
 بعد إعادة ضبط جميع أمتعتي

فوجدت بعد عدة وصولي بطول في طفت عامر من ركوب صعد
 بسرعة لتصلو بسرعة فيما بعد إذ كنت قد حصلت طلبة الترجمة التي مررت
 ولكنني لم أكن ذلك التي تصابي بامدرو وما يصكر أن مختلفة من ربيات في حوسر
 عامر هي السيرة ما كنا نعلم أن في كل صديق مركب في يوم في بعضا مضطرب
 نظير هاتلا، بعضا سياره هي الخلف. وكان الترحيل معها هي ذلك حيث سفت
 تلك السيرة هي كل مكان بالمعمل وهذا هو ما كنا نعلم من الترحيل راتنا بسرعة
 محمما لها على حفرات بحره منه وشمالا في بعض طلبة السيرة نظارنا

مكنا في النهاية من السحمر منها لتعلم أن في منزل صدمو عامر
 وهو ما اتفادوه في اليوم الثاني التي قدو مع في عطية سطر عهد صدم
 العامر الأرو التبع ومحمد لأن صوف وهذا مضطرب سعة أياه هي الترح
 راتنا الحوسر التروماني تحت الأرض والمهمر ومحمد بوسكر المطر في
 التوسمور في عامر هي القوي بلهو بأنواع حيدو حيث كان في رار كل
 تلك الأماكن في قبل

أصبح عامر باستمرار أيضاً محسباً معاً من حور من كان مستحباً ففقد
بالعمل أنه كان مريباً حتى سا إلى حدٍ من شبهة التهور، طائفاً من
مراقبه مؤكداً أني ساراً بابه هامسلاً من الأجرة إلى الخارج، لسؤال
الطعام في أحد المطاعم الكورية لمحبيه وأشار عامر بعد عصر حمرة من
الوقت بهما كما يفكر للطعام التي شعص يحمل حريده من قبل من لا
يظهر كنت معاً من احمرتك هو هو دا. كان الرجل اسدس لأسبارة
بالعمل منحت وحود بهما بعد في الأرحاء كفه وقد أنه لا يكلمه نفسه ماء
التحفي كثيراً

قرراً تعبير الصادق التي كما سرت بها والاسمال إلى منطه يدري كما
رد بدا لصدق الذي سرتا به عنهما بالأحبات العرب في معظمهم وكان العديد
منهم قد حاول دخول حورحها ليصفوا من ذلك عند الحدود بانزاع من
باشهرتهم الناهدة وكان أحدهم وهو طبيب من المنبه المورر عضو في جمعية
جبرية نسي المستشفيات في حورحها لاستقبال اللاعنات التهنات وقد ذهب إلى
إسطنبول بمر من شراء معدات طبية ليشغلها بهما بعد إلى طبيسي هو كان دبر
الحرجية الشيشاني موغلادي أودوعوه* من بين برلاء الصدق كذلك - وقد اس
تركيا بقصد إحلاء عائلته - علاوة على أحد أصدقائه الذي كان يدبر موهما
إلكترونيا للمقاومة الشيشانية.

قرراً، بعد مصي بضعة أيام استقلال حائله من إسطنبول إلى الحدود
الجورجية، حيث كانت ثقل الكثير من الحورحيين وبعض الأبرك بالاصداقة لهما
وقد نظر عامر من الناهدة بهما صفدا الحافلة فائلاً، اسطروا يتحن من
القيام بشيء ما. كان قد رأى السجارة التي لاحظنا في السابق ليسر من الناهة
ويستاع بعض الوحشات الحميفة، قبل النوجه إليها رأته بقرع الناهدة ليرلها راكو
السيارة، قبل أن يحاط بهم، ويقدم لهم الوحشات ولوح عامر لهم بهما بعد هردوا
بالمثل هائلته. حين رجع فائلاً، ما الذي حدث؟ ما الذي قلته لهم؟

* موغلادي أودوعوه بعد أحد كبار منطري الاستقلال الشيشاني (توفى)

أخاسي قائلا : «سألتهم قائلا (لِمَ تتحسسون علينا) من كما عفتنا شمس
حياتك. فأخبرونا به وإن لم يفعل هلا همم الحاجة إلى رزقهم المسمى
بملاحضنا هذه يتمثل كل ما استطيع فهمه في المصائب معكم وبمديته وحب
لصياغة أياكم وأعلم أنكم عملتم بعد طيلة اليوم دون استراحة تذكر وحرص
نكم لم نسألوا ما يكفي من الطعام بالنظر إلى ما كنا نراكم عليه الوقت
حولنا وددت لو رأت تعابير وجوههم حتى هدفت لهم الطعام».

عفت عذرا عن كبت معكاني قائلا : «يا لك من محبون لا اصدق به
هفت ذلك للتو».

استمرت الرحلة إلى الحدود الحورجية أكثر من ست عشرة ساعة. فقد سمع
حرس الحدود الأتراك بعبور جميع ركاب الحافلة فيما عدا ما فائتي - كما سطر
فدومكما لم يكونوا وأنقذ من سبت محبتكما إلى هنا، ولكن الأمر أصبح الأمر
خطا علينا أمعيا هي سبيلكما. سسمح بكما بذلك، ولكنكما سمرحمان خلال
عشر الدقائق التالية، كما علمنا البحرية - سادلت الطلقات وعامر بمسهر
الدهشة حيث كان الأتراك مفروحين بتأييدهم الكبير لكماج الشيشانيين

تقدما نحو الحدود الحورجية. محاولين إضاع حرس الحدود الحورجيين
بأحبالنا بكل السبل إذ كان عامر قد ارتبط بصداقة قوية مع أحد مراقبيننا من
الحورجيين خلال الرحلة وذلك ما جد، بالأخير إلى دعونا إلى منزله حطينا
بمعاون إقامة محلي تقدمه إلى السلطات الحورجية ولكن الحرس كانوا يسمون
أوامر مشددة تقضي بعدم السماح للأحباب بالدخول فهدت لأحد الحراس يصح
مئات من الدولارات، مرصنها بأردراء، ففعلنا عاندين ليجادريا حرس الحدود
الأتراك قائلا : «ها قد عنتما كما أحرباكما».

استقلنا حافلة أخرى إلى إسطنبول حانني العثر تماما لعلنا هي بلوغ عابسا.
عدنا إلى المصطفى هي أكساري، حيث أعطيت النورير الشيشاني كل ما جمعت من
أموال لأجل شعبه وذهبت فيما بعد إلى السوق القديم المصطفى هي بيازيد للثروة
بالكتب، والمحلي البهجة، والمشغولات اليدوية من أجل المكتبة هي ببرمهمام

حسبت قبل معارضة مركب في بعض حيز في هذه مارك. بشبه حق
الاستعدادات البريطانية في ذلك حيث كان هناك بناء قاعة متعدد هي
إيطاليا من رؤساء جمهوريات آسيا على خلاف على بورس لندن وبين
كتبون

كنت قد انتهت في وقت ما من ام حرماء (1888) يريه من الشرطة بالترام
مع مداخلات شملت المكتبة ومرت احد لاصحابه اذ قرع رجال الشرطة ناسي
بكل ادب - مما يدعو للاسف - فبعد انقضاء مدونة سميش المثل هذا
يمكن في حال رغبتك احد عدايتك في هذه او في مكان اخر برعوبه
وسنظر في اخرج بعض دقائق حيث ان تجربنا حتى نضع حذرا.

أحدث احدي الشرطة نيك والأطفال التي مررت والدي بينما صحح
الأخرون في بعضا. ومرفه بحسبة التفتيش

كان هائل العديد من صباط الشرطة في المثل ذلك اليوم ولم تكن املك اية
فكرة مع ذلك حول ما كانوا يبحثون عنه. واعتقد انهم كانوا يبحثونه ايضا فقد
وجد رجال الشرطة في نهاية المطاف بعد ساعات من التفتيش رشاشا قديما
لرداد العمل كنت قد اشترته مد وقت طويل وسيت امره. وكان من المصير
أن تحفظ به ريب في حقيقة يدها مقصد الحماية ولكنها لم تعمل أبدا فقام
رجال الشرطة باعتقالي ومصادرة بعض الأوراق وجهاز الكمبيوتر الخاص بي
وتنفيذني إلى مركز الشرطة. وانها في بعضا ذلك الرشاش باعتباره سلاحا
مع احلاء سبيلي هي مساء اليوم ذاته ولم أربط ذلك هي حبيبه بمسألة
الاستخبارات البريطانية ما لم يدفعني إلى ما يجب أن أكون عليه من قتل

سافر شاكيل إلى باكستان بعد فترة قصيرة من المداخلات ولم أجد تلك
الفكرة هي حبيبه. ولكنه أراد شراء بعض الحاحيات من أهل المكتبة. وزيارة
عائلته. والمودة بروحه وأطفاله إلى بيرمهمام

أوقفته الاستخبارات البريطانية واستحوته في المطار. قبل صعوده الطائرة.
لتعطي سبيله فيما بعد. فقد قام اربعة من صباط الأمن باقتياده إلى إحدى

مصرف تلاءم مع المصالح العامة وكراشي، وتوجيه الأسئلة إليه، قبل
مصدره مؤلفه ونهاد التي انما لها لأطفاله، وتمريته، ثم صممه بالهراوات
عوضه عن نهاية المطاف على من طابره أخرى بعد أن عرفوا ثيابه، راسلي
من غير غير لا تكبروني من إسلام آباد قائلا إنه لا يصدق مدى الإدلال
من مصر به وأن حروجه لا يزال يرف وأل الباكستانيين هددوه، وعرضوا
عنه مع موه من البريطاني يعوي صورا لما، كانت إحداها تظهرني خارج
بسته و... سبعة صندوقا (من الكتب) وأخبره الباكستانيون أن لا علاقة لهم
بأمر هسي، أن حكومتك من تفعل ذلك، وأصاف شاكيل أيضا أن
أخبره الباكستانيه نقيبته طيلة الطريق إلى قرية الصغيرة، وأيضا حل
و... من غير مصادقه هي نهاية المطاف، من القرية، وأقاموا هي أحد هنادق
... حتى تمكن من ترتيب رحلة العودة، وأخبر شاكيل السلطات
... كسبة بمصدره البلاد وقد أكدوا على سفره على متن رحلة مباشرة إلى
بريطانيا وهو ما قام به بالفعل

... من لندن للتحديث إلى المعاصرة عاريت حول كل ذلك، وقد حاولت
... من تفسير رسمي دون حدود فهمتني عاريت بعدم السفر، حين
... لاحقا بنهي القيام بذلك، قائلا إن الوقت غير مناسب، كانت ترى،
... أحدها بها ... أحدها الاستخبارات يمكن أن تسيء فهم كل ما يقوم به المرء
...
...
...

... من الشحنة العودة إلى مركزها بعد مصي شهرين تقريبا، برهقة
...
...
...
...
...
...

كنت أظن حتى حينه أن الأمر لا يعدو كونه خطأ سحيقا أو استقصاء روثينيا للمعلومات. ولكنني علمت في تلك اللحظة أن الأمر يتجاوز ذلك بكثير. فما استطعت أحاط بهم قائلا: «أحبوبي عما تفسرونه في قمت به وسأحيط عن كل أسئلتكم».

سألوني عوصا عن ذلك عن زيارتي إلى البوسنة وباكستان وعن الأشخاص المختلفين الذين التقيتهم في بيرميهام وغيرها، علاوة على المكثبة من رارها، هل كان أكثرهم من الأحباب من مولا هل كان لنا لقاءات هناك. سألوني كذلك عن معتقداتي ورائتي حول الجهاد. بل وعلافة العمل بالعصية وما إذا كان يمثل شجرة سرية يقصد بها المتفجرات.

كان أحد الأصدقاء من باكستان قد ذكر كلمة «مسمود» هي إحدى الرسائل التي صادروها من عرلي، مشيرا إلى قائد «تحالف الشمال» في أفغانستان وقتائه الطالبان، ولكن صابط التحقيق قراها «موساد» طانا بالعمل بها تشير إلى الاستخبارات الإسرائيلية. وددت المصحك بأعلى صوتي، ولكنني كنت قد تعهدت بالصمت. حتى توصيح طليحة التهم الموجهة إلي وقد أبرر الصابط ههما بعد، وكأنه بقرا افكاري، وثيقة من المحكمة تطالبني بالإجابة عن أسئلته تحت التهديد بالسجن. تحدثت أنا وصديقي قانونية هذه الوثيقة، فتم إحلاء سبيلك في اليوم ذاته.

كانت لشرطة قد حصلت على معاتيج المكثبة من شاكيل، وقامت بتمشيشها. فلم يصادروا الكثير منها باستثناء 300 جنيه كنا نحتمظ بها دوما تحت الدرج لدفع الإيجار الأسبوعي، وقد قدمنا شكوى رسمية إلى الشرطة بخصوص ذلك، فردوا بأنهم يحفظون في الأمر، وربما لا يرالون حتى الآن، بالخطر إلى أسا لم استرجع النقود أبدا.

قدمت غاريث إلى بيرميهام بعد بضعة أسابيع، لمسج في تحدي وثيقة الصابط، وبزيج القصية، فقد سمعتني سلسلة الحوادث تلك، بمصر الأفكار عما كان يتغير في بريطانيا التسمينيات. وبدأت أشعر بالعمل بشيء من عدم

الأرشاج، والعلو مما يمكن أن يفعلوه فيما بعد. كان اصدهائي المصريون يزارون باستمرار من قبل الاستعمار البريطاني، والمليون بالانلاخ عسي ولكني كنت منسجعا مع الجميع حول حطاطي. ولم يكن لدى ما احصيه، واعتدت سماع الكبير من اهتمامات انشاء وحودى من المكتبة. من الذين يترددون إليها باستمرار، وقد احبرني احدهم عن مشروع مدرسة بدأ العمل به في كابل ار كان الرجل فلسطينيا يدعى رامى ونصم في بريطانيا، وسألتني عما إذا كنت مستعدا لتقديم العون

اعطيت للعامه بالصور التي اراني والنماذج التي احبرني وسألته ثلث لصور والمعلومات عن استخبار الأهل والاصدهاء بشأنها، ذكر رامى انه يحطط لشاء مدرسة للغات بالرفع من المكرة الشاعه حول مع الطالبان تعليمهن هرايت ان ذلك يشكل على الأرجح مثالا على المهويل الاعلامي بحق الطالبان

حدثت الى ريت بذلك الشأن وقد كانت مهمة، على نحو خاص، بمكرة دعم مدرسة لثبات حيث كان مشروع رامى متعلقا بكلا الحسنيين، وتمكنا من جمع بضعة آلاف من الحبشات فيما بينها وكان رامى يرودنا بالمعلومات اولا بأول، وهامني مدير المدارس من كابل ليشكرني وقد كانت رعبتي هي المشاركة بمثل هذا المشروع حقيقية بالعمل.

احبرني رامى كذلك ان نفس المياه في المناطق المتلا بالحماف من البلاد كان رهيبا، إذ كان قد بدأ، علاوة على تركيب مصحات المياه الأكبر والأعلى ثمنًا، هي مشروع لحصر الأنار، وترويتها بمصحات يدوية هي أكثر المناطق تصدرا، وانفق رامى مع مقالول باكستاني - يعمل بالعمل مع عدة وكالات إغاثة في اهتمامات - على تصيد المشروع لامتلاكه الات حصر مناسبة، وكان كل بشر ومصحة يدوية بكلمة منتب من الدولارات، ودوس رامى بصور للآبار التي حمرث بالعمل، وسألتني حلب ممولين احبرني للمشروع فأنلا إهم سيصنعون لوحة صغيرة أمام كل بشر باسم الشخص الممول لها

كتب قد جمع في وقت قصير ما يكفي لحضر عشر أمار مرسلات من
رئيسي لدى إرسال لي بامكان بعد بضعة أسابيع صور تلك الأمار، ثلاث منها
باصدار عامة وعند ترحيل قريب

له بدل لعامة مجموعا كما بدا لي ما يكفي من الجهود لهم لا ساج
والطبيب المسكين للتدبير رافقا وصول الطائفة من الحكمة هي مسجون
السميات بعد صحت - مثلا عمر تولى قيادة مجموعته مما يفت
الثلاث من راسي الغراء وحسب اندازا الى أحد أمراء الحرب المحليين بعد
خلفه مجموعته من الأفعالي لهابات حسية ولم يكر من المسجون
محلي الطائفة باشتداد السكان المحليين بعد ان قامت مينيشتا لطلال
بتحرير الأفعالي

شكل كنه لمحنة هناك عامل حذب اصافي بالنسبة لي إذ احبنا العديد من
بمكان غير في فعل احباء كنول بأقل من مئة حبة شهريا و صحت فكرة
الامر باناسه في هناك تسيطر علي تدريجيا وبتت ممكنة لعناية عند درسي

أحدثنا وريب بعد أن كانت المكتبة تعمل بشكل جيد الى حد ما علاوة
على رعة صديقي شاكور هي اللحاق بنا هناك مع عائلته ومشاركتنا المزل داته
نصارا تكبير بالمبادرة في منتصف العام 2001 فقمنا بتأجير منزلنا في
برسمها لتصبح عائلته أحد مصادر دخلنا في افغانستان

عندون بريطانيا في أواخر شهر حزيران/ يونيو، ولكنني لم أرحب الزور
سكان بعدما حدث لشاكبيل ولم تكن هناك رحلات مباشرة الى افغانستان
فقرنا اذهب عبر إيران. شمرت باثارة حقيقة جس صعدنا الطائرة في مطار
فيثرو وفكرت قديلا لنمسي - ها هو ذا الأمر يتحقق معاذر الى هناك بالفعل.
كنت قلنا في الوقت ذاته من ظهور عناصر الاستعمارات البريطانية في أي
حظة وهو ما لم يحدث في الحقيقة.

انسمت الإحراجات في مطار طهران بالكثير من الرونمية وإن كان الناس
ودودين للعناية ودعانا أحد الدين التقيتهم على من الطائرة الى منزله في
طهران.

بحولها هي عاصمتها وأثرها في الحياة جاء مستطرد من غير سبب
بعد ما تقدم ذكره إلى حدته منها - فليس في حياة الفرد - لا في حياة

في غير ذلك من أفكار معددة حول كيفية - حول أثرها في الحياة -
بما أن الأمور مستمرة في حد محدود ومحدود من كمالها -
معارف أهل أن يستطروا لها - وحسب - هي - في كمالها -
أحد من مبادئ أثر الحدود ومنها أثرها - لا من مبادئها إلى كمالها
وهذه كتاب - لحظه في سر - منها في حقيقة

في غير هذا - تكبير من مبادئها - لا من مبادئها -
عاشي غير نحو هذا - وجدت - لا من مبادئها -
نفس الأوردة والعربية - لا من مبادئها -
والعلماء يرفقونه في البكور

كان مركز الحدود في أواخرها في موحث تدية وسط منطقة ثانية وفي غير
أحد بقربها - لا من مبادئها - لا من مبادئها -
بعضه نحو لهذا - لا من مبادئها - لا من مبادئها -
أن الأبراهيم أنفسهم بطولها أحق

في بعض لحالات المهمة وسبقها في أواخرها في أواخرها في أواخرها
منها طائفة من مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
بعضه الحدود لأهمها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
الأمر في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها

وهذا في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
بعضه في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
في المبادئ في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
بعضه في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها
والأمر في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها في مبادئها

كانت مصاحبتهم بي أكبر رجل يرتدي ملابس عربية . كان كس هوبه
الأموية واضحة، برقعته روجه وأظفانه فحرق جميعه سا برقة وموسى فيما
بعد عن سبب محبتا ووجهسا وم . كان يعرف من سقائيه هناك

جلسات ريسب بممردها حيث كانوا يتعاهلونها معانا

حضر احد الأشخاص في نهاية اصف عمر سعدون وأخبريه بطلاقة وكان
متعاوناً للغاية وأخبرنا به سيومر لما سيدة نقا أن هيرت منه يكن العيارات ما
له وهات همد بل والعرفات أبدا وسائى فيما بعد عما اذا كان جميع
حوار سمرى هوددت بالاعباب مستعربا طرح مثل ذلك السؤال

تحدث النوحل قائلًا : حسنا لا يوجد بعض من يأتون هنا حتى حورث سمرهم .

انضمنا إلى هيرات في سيارة بانابية مهيمنة كان راحها الأمامى مصدعا،
وتعمل أول ما حطر سائى في الماء إذ لم أكر قد أحصوت شيئا معه فقد كان
الحوططما حاراً للغاية ومشمعا بالأتربة، ومررنا في تلك الأثناء بقرية صبية من
الطين والقش وكان أحد المزارع التي قصت بها، أثناء وجودي في بيرمسمهام
مثلا بعمر الأبار في هذه المنطقة المنكوبة بالحماف.

توقف السائق أخيرا بمحاذاة نهر قدر في الوقت الذي كنت فيه عطشا لدرجة
سي فكرت قائلًا للمسي . لا بد أن أشرب بعض الماء، لأستطرد فيما بعد
قائلًا . لا يمكن للأطصال، مع ذلك، الشرب من هذا النهر، وكان السائق قد
توقف في الحقيقة، بقصد الاستراحة، لا إضاحا في الحال لما لشرب الماء، هما
تمكنت أحاطيه قائلًا . يحتاج شرب الماء وتوقف في نهاية المطاف عند إحدى
الأبار المرودة بمصحات، ليمشك حاجتنا من الماء بكثير من الارتياح

كانت الطرقات سيئة للغاية، إن صح لما دعوتها بذلك، ناهيك عن العيار
الشديد الذي لا يطاق، هي حين كان الأولاد يتقبنون من أن لأحر، هشمرت بما لم
أخبره من عدم، طيلة تلك الرحلة، لقرار التوجه إلى أهماستان في المقام الأول.

وهنا هيرت يعطون ما بعد الظهيرة حيث كان الطقس حاراً بما لا يوصف
وله ذكر أحسن في مقدار من العمل المحلية هو وقت السائق عند أحد مبدي
العمليات الحائسين على ماضية الطريق وعرفت انه عشي إلى بعد لحدود
غير ممدح لقيامه بذلك وإن لم يكن لدى أي فكرة عن سعر العملة المحلية
في حينه وسما بعد في نهاية المطاف لتصبح الأمور أكثر سهولة عند ذلك
نحن فصحرت بذكر السعر إلى كابل في اليوم التالي. وقد جلب رجلنا من
السكرات أنهم لا أنهم لم يصحوا سوى مقعدين في الطائرة مع أبي دهم
ثم ثلاثة معاهد حور وذلك ما اضطرنا إلى حلاس الأبطال في حصاننا

أحسن عند عطف الطائرة في كابل موصولي إلى مدينة أكثر حديث
بالمارة مع ما سمعنا وإن كان سمي إلى العالم الثالث في نهاية المطاف

استقنا سيارة الأجرة التي حيث يوجد أحد من كتب أعرفهم من العاملين في
حاميه كابل في حين كان الشيخ عبد الحميد العلامة الذي اشترى إليه سبها
بسطر هدمنا وهو قد نهر بحسن صياغة لا يوصف. إذ قال هو وروحه من
بإمكاننا لبعاء عدهم ما شئنا حتى بعد مرلا نقطة. هبفينا هناك ثلاثة
سابع التي ن وجدت مرلا واضلعت وسأومت على أسفار ما اثنته به

سمعا هي إحدى النياتي صوت اصغار هائل. بدا وكان أحدهم قد صفق بابه
وحظمه وعر عبد الحميد يائي طالبا من الخروج فمضينا من غرفة لأخرى
نصنر المرل ماكمله لنعد أن كل شيء كان على ما يرام فقد رأينا مكتب
محفوظ أريانا الخوية. مدمرا في اليوم التالي. حين كنا متجهين إلى مركز
المدية وكان ذلك عملا ارهابيا قام به بحالف الشمال. على الأرجح. هاضامي
ذلك بالاضطراب وفكرت فائلا نفسي. ما الذي يحدث.

كنت اتصل سريطانيا في مدى الأمر ما يقارب المرة اسبوعيا. بالرغم من
صعوبة القيام بذلك أحيانا لاكتطاط مكاتب الانعمال الموسمية بالمالس إذ
اضطرت هي بعض الأحيان إلى الاضطرار ساعة حرة اجراء المكالمات

اكتشفت بعد ذلك بوقت قصير. وعلى غير المتوقع، وجود بعض عمال الاغاثه العربيين مع عائلاتهم هي كدول أمريكيين مقابل اشياء وانما بجاء من عند الحديد، مشحون بالارياح لعدم كوني المثالي المحيول الوحيد الذي ذهب الى هناك

تمثل أحد أول الأشياء التي فعلتها هي التحاق امدمة بالمدرسة وشعرت أنني عازم بريارها ورؤية الحقيقة التي كنت أعكر بها في بيرمنهام بأهيك عن الاستقبال لحامل الذي تعلمته فيها وأحدث انحد إليها بشكل مسطوح. هي بعض الأنشطة كأحد الأولاد لمشاهدة اللعبة الأفعابية المدهية. الجوركشي، التي تشبه لعبة النولو. ويتسابق فيها الرجال على اظهار الحيل مصارعة للاستحواد على عشرة مئة

وصل شاكر الى امماستان بعد حوالي ستة أو سبعة أسابيع لتقيم مع عائلته في منزل الصمغ، ويشمل الطابق العلوي هناك ذلك رائعا وعد احبه أطفالنا جميعا شاعرين بالحربة في مساحة واسعة.

تحررت خلال فترة قصيرة مما كنت أحمله من أوهام حول الطائبان بعد أن مررت بعدد من التعارب الشخصية معهم، فقد تعرضت في إحدى المرات لحادث مروري مع أحد قادتهم إذ تعرضت لحمل المسؤولية في بادئ الأمر ويكتب ثم يحاول رشوتي ببعض الوفود المحامي في نهاية المطاف. وتعرض بعض الأحباب الذين كانوا هناك إلى قصص مماثلة. تصل إلى الإعدام في بعض الأحيان وذلك ما نأوي عن الطائبان، مكبا على تنميد مشاربمي الخاصة

كنا بالمحل قد حمصنا بعض الآبار هي كانبول. كان من المفيد والمصرح أن يرى المرء ما عاد بالصع عليه. فقد اختلف الأمر كثيراً بالنسبة لي عن الحنوس وجمع الأموال في بيرمنهام.

كنت أقود السيارة في مركز المدينة مرة برهة أحد الأصدقاء. فلاحظنا اعتلاق الداخل الأربعة للمهدان الرئيس المؤدي إلى المطار وهو حث بعض الناس مجتمعة، فقرروا السؤل لاستبيان الأمر. ورايت بيما كنا نتقدم أربع راكعات

صغيرة يتدلى شيء ما من نهاية حبل مربوط بكل منها، ولم استطع تعبير من كائنه تلك لأشياء، حتى اضربت أكثر إذ كانت حثا، حثا مشوية علق كل منها بعد أحد مداحل الميدان كنت قد رأيت حثا من قبل ولكنها لم تكن تماثل ذلك على الإطلاق هضعت بما يشبه الأسفار المرصفي واستغرقت هي الوقت ذاته رؤية لساء والأطفال والعائلات يسيرون في المكان متفرحين بكل بساطة وكان شيئا لم يكن ونمثل أكثر ما بلغت لانتباه في أن أهواء الحث كانت هاعرة والسناها سوداء بهيك عن فهم الناس بوضع المال بين أصابع أيدي أصحابها علاوة على ما تدلى منه من حبوب سراويلهم فقد كان ذلك تقيدا هعابيا، كما احسرتي أحدهم لاحقا إذ يشير إلى أنهم ناعوا أنفسهم إلى المعارضة بشمر بحس مثل ذلك بكل الأحوال أمرا فطيا بالنسبة لي

أقام الطالبان بعد ذلك بأسرع عرصا عسكريا قرب مركز المدينة، وكان ذلك مؤثرا أكثر مما كنت أتوقع لشركه لدباب والعربات المدرعة، ومنصات العواريج المشركة والجنود يراهم النظامية - وإن لم يسهروا بشكل متناسق - وبعض الطائرات المقاتلة*

تمثل أحد الأشياء التي احسها في كابل بالتعرف المتواصل إلى أشخاص ينتمون إلى أمعاء العالم المحتملة صيبي وعرب وأوربكيي وماليريي، وعبرهم إذ كان بعضهم قد قابل صد السوفييت بينما حصر آخرون للمشاركة في مشاريع إغانية بمن هبهم أعداد كبيرة من الباكستانيي على نحو خاص

ثم إعلاق المحابر كافة التي دعمتها الأمم المتحدة بصورة مفاجئة، نتيجة انهيار المعادلات بينها وبين الطالبان إذ بعد الحمر العداء الرئيس للأهغار وقد تولت محطة باكستانية المسؤولية عن كل المحابر في أفغانستان - مولة إياها، وكنت قد ارتبطت بعلاقة وثيقة مع بعض عاملي الإغاثة الباكستانية هناك.

* حرم الجيش الأمريكي العلة التي أسرها في ساحة المعركة هعيا من وصمة أسرى الحرب بدريعة أنهم لم يكونوا جنود نظاميي، بما يهزهم من رج ورج أسرى الأمريككيي على ذلك الموقف بالرغم من أن «محالمة الشمال» كان دا بهية عسكرية أكثر هو مصوية من الطالبان وأن أفراد القوات الخاصة الأمريكية، منهم كثيرا ما كانوا يرددون الرئي المحلي نجبا للفرق في الأسر (المولف)

فيل لي هي إحدى المرات حين رثت الحبهة الأمامية للقتال بين الطالبان
وبحالف الشمال، برهقة الباكستانيين إليها كانت حادثة في حينه منذ ما يقارب
الستين الأمر الذي سمح بتحصن الأوضاع وعودة الناس وهدوم الاستثمارات
هذه كانت الحبهة تقع قرب محطة تدعى «ماعمرا» تبعد ما يقارب الساعة
بالسيارة عن كابل

كان هناك بقايا فدائين مدغمية وأخرى غير منمجرة والعديد من لفرى
المهجورة صبة الطريق وملأت كروم العنب المكان وبنت هي كل الأرحاء. ولكم أن
نمرهوا أن العنب الأخضر الأبيض كان من بين أشهى ما تذوق في حياتي

وصلنا حط القتال الحلفي، حيث كان الناس يائسون ويدهشون ويضطربون
عنادهم أو يأكلون ويمنثريهون لهم إلا، وأنتم الوضع هناك ممتلئ البساطة
«الصوى الباكستانيون والغرب الذين قدموا للقتال بحاف لطالبان تحت ألوية
عرق مختلفة وكان أصدقائي الباكستانيون يمرهون بعض المقاتلين من بني
جلدتهم وقد كانوا من زريهم إذ كان الطالبان متمركين وأخبرني الباكستانيون
عن بعض ما حدث هناك. وأرشدوني إلى موقع الحبهة الأمامية السابق
ونلاحظ فلم يصل المكان بالنسبة لي سوى صحراء جبلية واسمة قال
الباكستانيون إنه ينبغي علي العودة قبل حلول الظلام إن رجعت الذهاب حفا
إلى الحبهة الأمامية واستقلنا السيارة إلى هناك لإلقاء نظرة

مثلت زيارة حبهة أمامية أمرا غريبا ومزعجا بالنسبة لي هما يمكنك توقع
حدوث شيء ما هي أي لحظة، ولكن الأمور بقيت هادئة تماما، حتى حلول وقت
الغداء فقد أحضروا بعض الطعام، طبقا متواضعا للعناية من الأرض مع بعض
بريب. وسقطت قديمة بينما جلسنا تناول الطعام ونوالت أصوات الانصهار
الصوية فوق رؤوسنا واحدة تلو الأخرى هشمزت برعب شديد هي داخلني وأردت
الذهاب إلى المنزل على الفور، ولكنني لم أبح بذلك بالطبع لما يمكن أن يسببي
به من جبن.

واصل المقية تناول طعامهم لا أكثر، مع كل العزاز المثار حولهم، وبظنرت إليهم. وهكذا نلتا لمسي. «لا نمكرون هبما أمكرون به؟» كان المقاتلون معتادين على ذلك بينما بدا القلق إلى حد ما على من رافضوني من عمال الأعداء.

حاطبهم، حتى توقف كل شيء. «فانلأ» ظننت أن المكان هادئ.

عقب أحدهم فانلأ. «هو كذلك حقيقة» هم يمع أي محوم أو فانلأ هطلين ويحدث ذلك على الدوام ويرد لهم الصاع صاعس في كل مرة.

سعدت بالعودة إلى كابل. فقد كنت مدينة أحسنها بالعمل. دائمة الحركة مردحمة بالسكان. علم أن هالك، هي الحقيقة، ما كنت قد سمعته من عدم السماح للنساء بالذهاب إلى أي مكان دون مرافقة أي من دكور عوائلهن.

ناقشت المستقبل مع ريبب باستمرار. وكم من الوقت يحذر بنا البقاء في أمهاسنار، فكثيراً ما كنت أسألها عما إذا كانت سعيدة وتناقل مع حبيبتنا الجديدة هناك. فقد قدمت ريبب من عائلة ثرية للغاية وعاشت حياة مريحة بكل المصاهير. لنصحي بكل ذلك تسمية لرغبتي في المحي إلى هنا، أردتها أن تكون سعيدة بشدة وحرصت على تزويدها بكل ما تحتاجه من أجل المنزل. مع رغبتي في عدم إثارة الامتناع من حولنا، عبر العيش بمستوى مختلف بوصوح عن معظم الأمهات، وإن كان ذلك يشمل جميع الأجانب.

لم تتلائم الحالة التي أحاطت أمهاسنار، باعتبارها مكاناً جديداً، ولو بعد مصي بضعة أسابيع على انتقالنا للعيش فيها، فقد كان ما يزال هناك الكثير بعد مما رعت اكتشاهه عنها، وأردت الذهاب لزيارة جميع مناطق الشمال، الأكثر حصرة كما قيل لي، علاوة على العديد من المواقع الأثرية.

أحدث المائلة مرة إلى حقيقة الحيوان لنرى ثقب الرصاص تملأ المكان، وأبدأ واحداً لا أكثر ولم يسلم الأسد كذلك من الاستقام على الطريفة الأمهاتية. إذ كان يدعى ذا العين الواحدة، حيث قصر رجل في إحدى المرات داخل المكان المحصن له. مهاجمه حتى الموت، واتى شقيق الرجل في اليوم التالي، وراه بضلة يدوية وذلك ما أعده إحدى عبيته.

كانت كابل نفع ممثل قصص الاعمال العربية تلك فقد كانت لحياتهم
مهمة بكل معنى الكلمة - بسبب الناس والحير - هي المظالم الأولى - حيث كانوا
يرحبون بها جميعا وباعلموا بدفعه ويدعوا الى القضاء كل يوم تقريبا

اعتدت العمل بالاصحاح الى ما سبق فيها امكاني من الوقت على احد
المشروعات التي كنت قد فكرت فيها من قبل فاشترت بعض النصوص
الاسلامية اقدمه بعبارة نقلها الى الانجليزية او حسب ان ذلك يمكن ان يشكل
إضافة مفيدة إلى مكتبتنا هي ببرمهم

سيتمثل ليلة التاسع من ايلول / سبتمبر لعام 1981 على صوت مروحيات
تحرق فوق منزلنا اعقبه اصوات انفجارات صواريخ واطلاق نار توهمت خلال
ساعة من حينه فقد سمعت في اليوم الأسى ان ما حدث كان هجومنا انهم من
قبل قوات التحالف الشمال، ردا على الحبال فانهم احمد شاه مسعود الملقب
بأسد بالمشهور.

جاءت ردود الفعل على ذلك مشابهة في كابل كان البشتون راضين عموما
ببعض الامم العرس ولم يبال الشيعة لهررة وبدا الشعور العام متملا في أن
تلك الحادثة وصمت حداثا للقتال إذ كان الطالبان يسيطرون بالفعل على خمس
وتسمى بالمئة من البلاد. وقد جاء موت مسعود المذبح من قبل القاعدة كما
اشيع ليعزز من سيطرتهم وهو حثت عذب يومين بصديقي شاكر يفرع لبوابة
العدنية الخارجية بقوة.

نادري، كالمسعود فائلا، ألم تسمع الأحبار؟ انقلب العالم كله راسا على
عقب، وتعرضت أمريكا لهجوم، وقتل الآلاف من الناس.

لم يكن لدي تلمار لأشاهد الصور المروعة لصحافا الهجمات، وعشلت سبابة
في إدراك مدى هداية الحدث. حتى بدأت الأمور تتميز بالسببة إلى شخصيا

به بكر حد عري يدور مما يفكر . يحدث مستقبلا و اعتقد معظم الناس
تشرين يحدث اليه . بولادت متحدة ستكوني بمهاجرة معسكرات اس لابر
هي قديمها، ضرورتا البقاء هناك بانتظر إلى ان معظم السكان لم يكونوا قد
يسؤوا المعادرة بعد.

له يحدث شيء نعمة سابع حشر شعوب في ثيلة السابع عشر من تشرين
الاول اكتوبر . الارض بهتر نحب قديمي اذ كان صوت الانبحار اصعب من اي
مما كنت قد سمعته من قبل وصحب الشوارع بصوت تحطم الرياح ههههه
عائد إلى المنزل من متجر لعمالة حيث كنت اشترى الطعام، صدعورا للغاية
هقد كان صاروخ كروور، امريكي سقط في منطقة بعيدة ولكن رجاج بواهدنا
تحطم لشدة صوت اصغاره وكر كل من شاكر وعبد المحيد قد تركا عائلتيهما
بصهنتي ليوم واحد وذلك ما جعل بيثي مكتظا بحوالي المشرير شعوبا،
معظمهم من الاطفال هفت باسرائيلهم جميعا إلى القبول، وتغطية الواهد بالمرش،
اصامت قد انتف الطالبان المصادرة للطائرات السماء، بما تحلفه من نار
حمراء فادركت في تلك اللحظة ان الوقت قد حان للرحيل.

انتفت أنا وعبد الله (الكردني الذي التقيت به في عام 1998) على المعادرة معا
بعوائلنا بالإصافة إلى عائلة بريطانية أخرى. هقدما سياراتا الثلاث عدة ساعة
تقريبا إلى «لوعاز» المدينة الصحراوية الواقعة قرب الحدود الباكستانية، حيث
قربنا البقاء جميعا حتى تهدأ الأمور، واعتبر الاطمان ذلك بمثابة رحلة تعبيهم
ممتعة واحياوا الحرية التي يوهوها الرقص، بالرغم من أنه لم يكن سوى صحراء
قاحلة، هأقامت العائلات الثلاث معا في مجمع من حصن أو مست حيم.

اعتدت الذهاب إلى كابول بين العيمة والأخرى، لتتقد مرلما، وشراء الطعام،
والصحف، هقد كانت هلهات «بي 52» الأمريكية تقصف الطالبان في وصح
النهار، وكانوا يشتقون بالعمل إلى أي معامات جوية حقيقية، إذ كانت الأرض
تهتر مع كل قصف جوي بالقابل، باهيك عما كان يحطمه من سحب دخان هائلة،

وسمعت ازيز شخايات الناس من فوق رسي خلال حذر موجات انصاف عرب
مركز العاصمة وكنت اشعر بحرق شديد كلما كان ذلك يحدث بينما احد
عذلية الامعان واقص في الشوارع بطرون التي على فيما يبدو هينولا اكثر
عنه حوها وقد سمعت خلال احد تلك لرحلات حين استقلت سيارة صديقي
للافاة اصدهاني الباكستاني شمال كابول بحبر سموم المدينة وكنت قد
احبوت ريب انسي عائد هي مساء اليوم دانه او اليوم الآتي

ثم تسقط كابول هي الواقع انذاك بل خرج منها الطائسان ولم بعد هناك
حكومة او امر او نظام واصبحت المدينة حطوة للعابة هي حية للأحباب على
بحر حاصر. بالنظر إلى احتمال تعرضهم للسلب أو الحطف أو القتل ولم يجرؤ
احد على الحلاء عبر كابول وذلك ما دفع اصدقاءني إلى إخباري بهم
سباحدوسي عبر طريق آخر يؤدي إلى لوغار لتصل طريضا تماما عبر المسالك
العبلية المفضلة وقد بلغنا الطريق الرئيس بعد حوالي اثني عشرة ساعة لتساحا
بعثود اللاتحين الهائسة. المتدافعة للعروج من المدينة هي كل الانجاسات ولم استطع
احد أي شيء من المنزل باميك عن سيارتي التي تركتها في كابول ولم أكن دري
وحنني وكان الجميع مدحورين لجهلهم التام بما يحدث أو الاتقاء الذي كانوا
يسهرون به. وتمثل كل ما أردنا فعله. هي حية. بالهرب من الفصص حسب

سالت اصدقاءني. هي انشاء وجودنا على طريق كابول أن ياحدوسي إلى
لوغار. فاعندروا. متعللين بتوجههم إلى باكستان عبر خلال أباد هي الجنوب.
ولم ياحدوسي إلى كابول أيضا. بالنظر إلى حطورتها الشديدة بالسبة للأحباب.
فقد كان الجميع يقادرون. ولم يقل احد عانداً. فتمرت بتعبط شديد هي
حية وسالت نفسي. قانلا. كيف ساصل إلى عائلتي؟ وكيف يمكن لنا العودة
بلا سيارة؟ هذا احد الباكستانيين من روعي. قانلا إنه سيساعدني في
الوصول إلى لوغار إن ذهبت برهقته.

بعد عند وصولها الى سدة في على الطريق الى نوعا مخصوصة من
الحياتين تدل على الطريق الخبيث ويصعد من هناك صوايحهم وصادقهم الى
بحر بعد كانوا من قطاع الطريق بالاحمدى وظهرت على نحو مصادق في تلك
المنطقة اربع سيارات حيث محبته بمقابلتي لعدائين لمسحون في حوزة
قطاع الطريق ليلصقهم وعادروا. ومن العجيب بحاسا دون ان يلاحظوا وجودهم
مستعبد في الطريق الى نوعا كانت معلومة فتمطعت في السبل الى ريب
والأولاد. لقد حدثت غائبي

ثم بك اند في حياي او اكثره بمس في حية لما حرست غائبي
البه من الخطار بسبب مصادقي ومثل حياي ابو حيد في تلك المنطقة بمصادري
اعمالين و لعوده بها مصادري من منطقة دحوال بمنطقة في باكستان حيث كان
الطريق مفتوحا واكثر قربا

واعلمنا طريقا جنوبا ووصلنا في نهاية المطاف الى حيث تنتهي الطريق لتعد
الحياتين معلما بعد كانت مصادق لعدائهم ومطاهر بالكلية في قمعها ذات جمال
احد وان كانت مصادق ومكب مجموعها المكونة من حوالي عشرة الأشخاص
من الاسلحة بعد مات احد الاولاد المحلي بعد ان وافق على احدا عبر الحيال
الى باكستان

كان هذان اليومان اللذان اصبحتهما سيرا على الأقدام عندما في رمضان
الأشد ومما في حياي علم أكد اشعر براسي من شدة الارتفاع وتأثير الضوء
وشعوب بالسمو حتى نوهنا لأداء الصلاة في إحدى المقام العالية. وذلك ما
محبتي السكينة اكثر مما اشعر به حين اسلي ومشييا لحيال صعودا عبر
مصابك ميمه وعمره بكاد قمعها بالامس رؤوسا ولم ارتد سوى صمدل بسيط
متممها خطاي عبر الثلوج سردها التنديد في بعض الأحيان وقد كما نام
محمم في علنا بشعر بشي من الذهب المسك من حرارة احساننا. علاوة على
اهتمام كسرات الخمر وعدد من رجايات المياه بعد ان اسهمنا جميعا في
شرائها واستبحار الدليل

بما نهر صمغيرا مخصصاً هي أنالي الحبال لتعبه وراى بعد وكنت رابع
بغابرين ومقط من كان خلفي مباشرة بعد تكسر الحديد من تحت قدمه
وتصاهرت جهودنا جميعاً لسحبه من الماء وقد نحدثت ملابسها فيما بعد بيضاء
واصلنا لمسير، تعلمت من ذلك أنزل كما النقية ما لى النساء من دروس
الصبر، فلم يتبرم أى منهم أو يتدمر عليه الرحلة على الإطلاق ولا ريت أى
كنت الوحيد الذي ما أمك يكرهاناً لئلا تصبه ما الذي يمضى من التوقف ما
لدى يمضى من الاستراحة؟ كم بقي لنا من مساهمة، لم يح بدلت مطلقاً وكنت
محوجا من معدن التفكير به.

كان الدليل رجلاً استثنائياً وينظر عمله على أكمل وجه ويعطى كثيراً من
المعارف، ومن بدوا لى وكأنهم يظهرين حياة من حيث لا تدري للاخبار ببعض
الأمور أو لتعديدهم من قطاع لشرق السطح، كما حدث في إحدى المرات،
وهكث على الصور، حتى رأينا قطاع العثري يسيرون بمعدن محسنة الكاس خلف
المحور والأشجار، هي احتمال أحدهم لى رهبة أو قلتي ربما وجهاً جميعاً ما
كما يحمله من أموال في جواربها

سمعت فيما بعد إطلاقاً للبار من سابق الية وكان الصوت يتردد عبر الحبال
وذلك ما جعل من المستحيل تحديد مصدره، فلم يبرح أحد مكانه ودف قلتي
بعض، هي تلك اللحظة، بحيث كان يقصر من وسط أصلي وتحدد إطلاق النار
فيما بعد، من أطلق النار هذه المرة بام الفى رجلاً طويلاً يجلس على الحرف
يطلق النار على طائرة تحلق على علو آلاف الأقدام وإن كان صوت اريها
مسموعاً فقد كان من الواضح أنه هل ذلك بداعي الملل

عبرنا الحدود إلى باكستان أخيراً هي وقت متأخر من الليل بعد مسيرة
يومين بلياليهما وكنا جائعين، ومرهقين للغاية ماهيك عن مظهرنا الذي يبدو
كالمشردين وشعرت، بالرغم من ذلك، أن رحلتي قد بدأت للتو وقد أحسرتي
أصدقائي، طيلة رحلتنا، أن عائلتي عادت إلى حوست على الأرجح حيث
يمكنني الوصول إليهم عبر دخول أفغانستان من طريق آخر كنت قد ملكته هي
عام 1993، ولم أكن أدري، مع ذلك، مكان وجودهم بالتحديد

تحدث لي عائش وأصدقائي من سلاط أملاء صافلا إن كانوا قد صنعوا أي
أخبار عن ربك والأطمان وهو عائله بعدد وأصلحت مؤاندي هي بحسب
لطمينة عاجرا عن حواره بعدد من لهما

عنت يادي لأمر - بمساعدة صديقي ندير بكنو من التموج - فالتصير
بالعديد من المنظمات التي كانت تساعد في أخلاء الناس عن القاسسات ورفض
اللقاء بعض معارفي العدائين من الجماعة الإسلامية ندير رب مصيرهم في
عام ١٩٩٣ كان الطائفة قد علمو مصيرهم في عام ١٩٩٦ بعد دور
قصير من توليهم الحكم بأنظر اني دعه الجماعة للصحائف المأهول لهما في
حيه أما لأن وعلى عرار عدد من الجماعات الإسلامية لأخرى المعارضة لهما
فقد حظي لطائف بمصطف الجماعة سبعة عرو الأمريكيس لأفغانستان بعد
كما فعل السوفييت من قبلهم كان نشأت الجماعات صافلون وأدلاء معبرسون
بفعلون لصالح الجماعة الإسلامية الأمر ندي دهمي لطيف الثور منها

صاحب العديد من كادو قد حثوا عن حوسب بينهما كنت أنظر في إحد
مصافحات بلده نامو في منظمة الصائز الحدودية دور أن أسمع أي حشر عن
عائشي وكانت دموع من أساتذة الثور تهمر عند سماع قصتي فافرح أصدقه
علي بسباي ربك والأطمان مصيرها وعائشه بأنظر اني انصاع أخباره عن
تلك اللحظة صافلا أن ذلك يمثل مشيئة الله، ونكر نه أقف مكتوف الأيدي
بالرغم من جهلي تمام بمصير عائشي

اتصلت بأعائله والأصدقاء في بعلبر كي يرسوا لي لال من أجل أدلاء
الدين أرسلتهم للبحث عن عائشي وحاولت الذهاب برفقتهم ولكنهم رفضو
فألتفت إن ذلك يمثل معاصره كثيرة بالنسبة لأحباب فقد كنت أهرا في ك
يوم قصصا جديدة مروعه عما يصر من له لأحباب هي أفغانستان من عن
وحطمة واعتصامه بأهله عن القصة الأمريكيس هاورت جدي النصيحة
المحلية أن امرأتين عربيتين أقدم على الأسحار بعد أن هنك أمراء حرب

معيون عرسهم علاوة على حبيب حسن كوهاس طعنا في حال و قدر
 لعل في تدمير جوده من محضات كبرى كاسي . . . و من من سر
 عند نقلي من خديج مع الألف و عصب حده معنه بالبارح في كابل
 وتخرطت قرية ماكملها التي منحة قرب قسده و عروب هاده لئلا حوس قرب
 حوس. حيث قبل ان حاسني دهم

اصبحت المصانع التي كثير ما دهمسي التي مرشد حباسي التريجة في بريطانيا
 حفيظة واقعة هريما كات حاسني تنعصر لها فمطمت على مصبي عهد بالا
 اتوقف عن تبحث عنهم حتى احدهم و عوب في سيل دند

سكنت بالقلو والحواف. تمر الساعات علي وكانها دهور مستطرا سماع حمار
 حسيده عنهم بلا حدي و عمرشي التساؤلات قائلا لعمري . لم ثم حمار التي
 ماكنن في وقت انكر؟ ثم عمارتهم في ذلك اليوم التي كابل؟ لم ثم احاطو
 بتمودة اليهم عر كابل؟ ثم انتهت التي اعماستان بالاساس؟

مصر علي حتى تلك اللحظة. ثلاثة اسابيع عند رأيت عثلي اخر مرة

احسرت اصدقائي في اسلام اباد هي نهاية المطاف. و دافع من ياسي ان
 بشلوا بواندي وبانسحارة البريطانية ان لم اتصل بهم خلال اسوع واعرب
 الذهاب إلى اعماستان. وحدي.

صرح في طارفي عبر الهاتف قائلا . لا نذهب إلى أي مكان ا احمل ند
 اخبارا رائعة. عائلتك معبر وهي موجودة هنا في اسلام اباد عند احد
 الأصدقاء على بعد شارع من حيث كنت تقيم.

كان التام شملنا معرما. وقد اشترعت هيه الكثير من المواطف عند كنت
 قلنا لتعاية على سلامتهم. وبكيت مله حصوي بها قد وحدهم احيراً بعد طول
 عياب وابتسمت ريب. بعد ذرف دموع الألم والصرح لبشرقي وجهها بيما تك
 امامة حي كنت اعانقها. واكنتم عند الرحيل بالامتناسام هي حين ساءت

بعضه منه بسبعة التي لم تكن قد اصبحت عوامها الثلاثة بعد، فأنلة، اياها قطعة
التي كانت في ايدى اعداءه، اذ كتب قد وعدتها في اخر صوره راسها، ان احضر لها بعض
التي كانت في يده عود من كابل ولكن في اخرت ثلاثة اسابيع لشديد الاسب

بعضه من بعض ما حدث في تلك الليلة المشوومة حتى لم اعد اذ كانت عنده
بعضه من بعضه عند الله قد علمت بسقوط كابل صمرت الروح الى باكستان
بصورة غير احد رسم والاطفال معها بالرغم من عدم عودتي بعد، فأنلة انها لم
تعالج في دونه

بعضه من بعضه بالخط والخط لعدم عودتي، موعمة على اتحاد القرار
تسببه بالحدود، ويطلب برهنة العائلي الكندي والبريطانية هي فاعلة اتجهت
صوب الحدود مساء ولم استطع من شدة ارتباكها ان تحمل اكثر من حقيبتي
علاص صغيرة لها والاطفالها، تاهيت عن صيق مساحة الصيرة التي احشروا
فيها كالمسجونين

بعضه من بعضه من حرية التي اخرى متحبة القصف الجوي عبر اطفاله الأبناء
بعضه من بعضه من اتحاد ابي مكان من للموقف تقريبا فلم يكن هناك سوى
نفسه وهما انطوي وانزل طيلة الرحلة الى الحدود، ولم تكن ربيب تعلم على
الحدود بعد بعضه اكثر من اسوعين على وصولها سالمة الى اسلام اباد، التي
كتب لي بعضه خلال ابد معنا عنها كالمسجون واقتنع جميعهم في حبه
بأنهم لم يروني مجددا فتوجهت ربيب بعد وصولها الى اسلام اباد احبوا التي
صرا على بعضه المشرك بصحة العملة البريطانية

شعرا بمسادة لا تصدق لاقتحام شعبا مجددا خلاوة على وجودها هي اسلام
ابن التي الصفا هربا من عمالي واعمالهم واسانهم وعلمنا انك انا مسروق
بعضه من بعضه - بينما كان اعضاءه الآخرون طلعهم بالمدرسة - تنهدم جميعا
بعضه من بعضه تاهيت عن المنزل الحديد الذي فطاه - الثالث هي غضون ثلاثة
شهر - مرود اباد بكل ما يمكن ان يربح به ربيب كي تتجاوز بسرعة كل الرعب

ولحوف المدين موت بهما أرسل لنا الأهل والأصدقاء من بهمصمهم بضعه آلاف من الحببات لمساعدتنا على تحطلي هذه الفترة العصيبة بعد أن عيونا كل ممتلكاتنا هي كسول وثم أعتد بالرعيم من ذلك. فها نحن بأثر العمل الذي كنت أقوم به هناك يستحق كل تلك التبعات

حطمت لبدء هي نقل بمصوم عربية قديمة إلى الإطيرية - بينما كنا سطر عودة الأمر إلى أمانستان مجدداً كي أتمكن من العودة إلى هناك للإشراف على المدارس* - وهو ما كان يعمل حرماً من مشروعني الأعمالي الأصل المرتبط بمكتبنا هي بهمصمهم، والذي كنت قادراً على المباشرة به هي إسلام آباد

حتى والذي كثرهراً حين كنت أتكلم معه عبر الهاتف. على العودة إلى بهمصمهم، لأقاوم رعبته تلك عبر دعوته إلى المجيء لزيارتنا بأسطر إلى اتساع منزلنا الجديد. وكنا موثي اليقضاء هي باكستان مدة من الزمن، والعمل على مساعدة العائلات المارحة الأخرى. بما هيها تلك التي مساعدتنا

كانت تلك الفترة التي رأيت فيها أخيراً صور هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وأدركت مدى الدمار الذي أرهق آلاف الأرواح البرينة.

لم أكن أتوقع أن حياتي هي باكستان ستنتهي باحتطاهي بهذه الصورة المماحة في منتصف الليل، بعد مصي شهرين لا أكثر. وأن الاستجابات التي أجزتها معي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، المني أي إيه، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، الإف بي أي، والاستخبارات الداخلية البريطانية، الإم أي هايف، علاوة على قرارهم بإرسالني إلى أمانستان مجدداً، أن كل ذلك سيغير من حياتي إلى الأبد.

انفصلت عن عائلتي للمرة الأولى خلال محنة ثلاثة الأسابيع، دون أن أدري أن المرة الثانية ستدوم ثلاث سنوات.

* علمت حديثاً أن إحدى المدارس دمورت جراء القصف الأمريكي في أواخر العام 2002 دون وقوع أي ضحايا. (المؤلف).

-6-

الإنجليزي. 558.

حطمت الطائفة من باكستان التي مهدتها هي تلك التي كان خميس من
أرضيتها مريجة على الإطلاق مع كل هذا التي هي حصة من صبح
محررها الذي يصنع رأيي فقد كتب اشعر بانومين سمعت من لا حصة
العبود - الذين كانوا يا حنون صوراً تذكارية كما هو صبح - عن - من
الغطاء الموضوع على رأسي

تحدث صوت نحاسي بالعربية قائلا - هل يصلي يا حرة.

اقترب الحارس وصرح هي دمي هبلا - احرس بها لسانك -
تحدثت ثانية.

احبرني حارس آخر لاحقاً انه جلس برفقة زملائه حول هي شدة برجة
مبررين سكاكهم خارج اعمادها، وكان الصوت الذي حتمني بانصلاهم
للرحل المكبل الذي كان يتقدمي هي اسلام امان قبل صعود الطائفة وقد
تمكن من اخباري انه ليبي الحسبة وانه اعتقل في باكستان وكان من الضمير
بالسبة للمسلم. مهما كانت طروعه ان يحدث بالصلابة في مواقيها

شعرت بعدم القدرة على التنفس بشكل سليم تحت غطاء الر من حيث كان
يلتصق بطني وأنتهي مع كل نفس. واحسبني محترق من الروية بهواهي لا تفارق
متعبلاً أنني سأصيرت هي أي لحظة على وجهي أو ما هو أو ما كان
فأرمنا، حين هبعت الطائفة وشعرت بالهواء ناهيك عن قدمي وبدي الحسبة كما
حذرة بالأساس فلم أكن أرتدي أي حذاء بل مجرد حواري بعد أن حذر
الأمريكيون الحف المطاطي التالي الذي كان الباكستانيون قد أعطوني ياء تعمل

عشت على نهيشه بمسي لتقبل توحشية الوحشية التي كتب عامل بها بصورة
لا تصدق وتذكرت كم روحي تصور الأولى لعسكري زيمو، هي قدهار و. اكس
- راي، هي عوانتامو، التي رأيتها على شاشات التلفزة وصفحات الجرائد التي
قرأتها حين كنت حرا هي اسلام آباد وتذكرت آخر صفقة لي مع عميل، الاف
بي اي. مايك هي عرقه طعم ذلك المنزل الضخم الواقع في صواحي اسلام آباد
حين حاضرتي قاتلا، سيكون ممكرا قدهار وعوانتامو مختلفين لعمليته عن
هذا، إذ يصح كلاهما لقوانين عسكرية ولا يستبعد بالتالي ان تتعرض لمعاملة
قاسية هناك. ثم اسمح لنفسي بالتأمل في كلامه ادانك او يحيل ما كان يعنيه
بكلمة، قاسية، اهي اعطيه الرأس ام الصرب ام الصدمات الكهربائية كما هي
الاملام ام الاتهامات الكاذبة أم التهديدات بالموت؟

لم اهيّن نفسي للاعتداء، العاري، الصارخ الذي رأيت من تحت عطاء رأسي
حيث ساطع امريكية عسكرية ناعا ظهور سحباء، حزين

سألت أحد الجنود، ممن اضربت به كان صابطا بالنظر إلى طرفيته في
الكلام وما أظهرته بوصوح من انه هي موقع مسؤولية، سألته قاتلا، لم تكن
تفكراتك ان تقوم بفحص جسدي كامل اليأس كذلك؟

أجابني قاتلا - لا، لن يحدث شيء من هذا القبول على الإطلاق، لم يكن
كتب الرجل بهاتف.

خُررت مسافة قصيرة، قبل ان يتوقف أربير محرك الطائرة، عبر الأرض
الوحلة، لأرض عليها هبما بعد، وشمرت بألم شديد جراء تعاملهم الجسدي
العشر، وإن كان الرعب هي داخلي اشد وطأة، وامتزع صراخ السحباء والجراس،
بعيث لم أكد انين ايا من هجواء استنطعت، مع ذلك، تمهيز أصوات بعض
الجنود، وهم يأمرؤن السحباء، صارخين فيهم بالإنجليزية، ثم العربية، هالأوردية،
ملكته امريكية غريبة، وإن كانت مميرة - (شت اب، اسكت، شب كارو) (ستاي
داون، قف في مكانك، نيشاي راهو)، (دوت مووف، لا تتحرك، هيلنا موت)...

بعض أحد الحراس بحيث كاد يستلقي عند رأسي، صارحه في أنني
بالسبات لعاش وقد كاس يداي ما يزال مكنتي من الحنف، والعتاء موش
حول عمي، بحيث كنت أتعص بالكاد، وأحسرت الحارس لاهثاً بي مصار
بالبرو وعاد عن النفس عرج العطاء في النهاية فوق عمي لا أكثر

شكرته لاهثاً

عقب بعد أن أوثق المطاء ثانية قائلاً: لا تشكري أيها الساهر! ولا
تستغلي طهرتي كمنطقة مصعد

رغمي حارساً إلى الأعلى وحراسي محدوداً بيما كانت الأعلال تحتك
بتأخلي ممتدة من الألم الشديد ما ذهبي إلى السائل عما إذا كاسا تترهل
هتكت اعني الهويما عذراً عن عذارة الحارس في المسير أو اكمال خطواني
لمصر طول الأعلال

لم يمثل ذلك سوى بداية عملية المعالجة، فحسب وقد شعرت بما يصور
الصدمة عبر مصدق حدوث كل ذلك لي وقد كان الصحيح يصمم الأرض كلاب
سبح اساءات لمطبة فاسية معركات طائرات مولدات كهربائية صرخات ألم
من قبل سحاء احربين وربما صرخت منهم ايضاً وأحسرت على الاسطاح ثانية
شاعراً هذه المرة بركب تصعقت بشدة على ساقبي وأصطفي، تكاد تسحق جمعتني
هي أن واحد هالصفقت بالأرض لنقل وزن من قبضوا هوفي، عاحراً عن تحديد
عددهم وربما كانوا ثلاثة ولم استطع التحرك فهد أملت إذ شعرت بالأعلال
بعلك عن كاحلي وشيء مدمي نازر حاد يلامس ساقبي كانوا يستخدمون
سكبنا لمصريق ملابسي، وذلك ما راد شعوري بالبرد، وإن كان الإدلال أشد وطأة،
ونم نكيل قدمي العاريس محدداً بعد تمريق سروالي، ومُرق قبعي كدلك
وكُبلت يداي بعد أن كُف ذراعاي خلف ظهري وذهبت لأقف في وضعية منتصبة
وأربل المطاء عن رأسي هاعنقدت أهم سيرشومي بحرطوم المياه هيما بعد
لأرغامي على الحلوس ثانية ووجهت عوصاً عن ذلك بمجموعة من الحدود الدين

كانوا بطووسا صارحين في بالسحاب ملتفتين الصور معددا ولم أكد
استطيع فتح عيني منسب وميض الاب المصور من حولي وقد كان موعده
المعص الحسدي ههنا بعد بالزعم من منهم الفيلام بذلك سلفها وجمع في
حيالي بهما بدا المعص نحو صور اشد مطاعة وابلا ما قد سمعت مریدا من
صراج من كانوا خلفي، منهجه تعرضهم للصف دنة فقد صرح احدكم بالمربية
قائلا، اصبروا اخوتي، مرددا الآية القرآنية، ان الله مع الصابرين.

نقل ههنا بعد إلى عرفة حشبية، وأحسنت حتى يتمكنوا من احد صور
يصيغونها إلى السوم المشعريين واحدة حتى كان شعري طويلا واخرى بعد
قصه فقد استمتع الحلاق بصفه بصورة ساديه وعصب عند حق لحيتي
بواسطة اليه الكهربائية، قائلًا، يعمل هذا أكثر الأجزاء المفصلة لدي، وتساءلت
عما يمكن ان يدعاه لقول ذلك، وأدرك ههنا بعد انه كان على علم بما نمثه
الهيئة من رمز مهم معبر لثوية المسلمين، هي تلك المنظمة على نحو خاص وكان
من الواضح بالنسبة لي أنه واحد العديد من ردود الفعل المستكرة من قبل شعباء
آخرين وحاولت ان أعدل وصعوبة قدمي، حين احد يدير رأسي نمهدا لعلاقته
كبيلا أسقط عن الكرسي، وأبعد الحارس قدمي بصورة اصاهية عن الكرسي
وداس بقوة عليهما، قائلًا، من أدن لك بالنحرك ايها السافل؟

تمثل الأمر الأكثر إدلالا هي رؤية الاعتداء على الآخرين ومعرفة مدى الحربي
والعار للدين شعروا بهما، ولم يكن أولئك الرجال ليظهروا عراة أمام أي أحد
باستثناء ارواحهم او يعلقوا شواربهم او لحاهم اللهم إلا لتشديدها او يتعاملوا
بسوقية مع الناس او يهاملوا بها هي اغلب الأحيان، وشعرت ان كل ما كان
مقدسا لي بات يتهلك، ولا بد انهم شعروا بالمثل.

دعني الحراس إلى عرفة المعالجة المؤقتة، مع مراقبي، لمواجهة اشج من
عملاء، «الإف بي أي»، العربيين تماما عن المكان في مظهرهما، المبررين بواسطة
قيمتيهما اللتين تحملان اسم الجهة المذكورة، ودعا أحدهم نفسه «روب»، والآخر
«بيل»، وأحدا بصمات أصابعي، وعجبة من لعابي، ثم سألاني قائلين، متى كانت
آخر مرة رايت فيها أسامة بن لادن، أو الملا عمر؟

عاطفي قائلا ، لا تلجس الشريط على الاطلاق .

سألت قائلا ، اهو مكهرب ؟

تحدث مؤانتي قائلا ، مستوفي عدم بطاعة الأوامر الى العموية ، وسمايل الى محاولة للهرب باستخدام القوة المسلحة

عطيت الرقم ٠٠٩٨٠٠ ، مكتوب على بطاقة ، أسير حرب مفاد ، (اي بي او ديفيد)
علاوة على طهرتي واحمروسي أنهم سيبدأوني ، بالانجليبي ، لاسي كتب اتحدث
الانجليزية ، لا لانتعاشي إلى إنجلترا

بدأ الأمريكيون وانقبس من عدم معرفه اي منا مكان نواحدنا وحاطمسي
خدمهم بطريقة ساحرة قائلا ، اراهم انت تحمل مكان وجودك ، فكيف اعلم
ما كنا في مطار قندهار ، بالنظر إلى أن المحققين هي إسلام آباد كانوا قد
احمروسي عن الوجهة التي سادها إليها (كتب قد رايت كذلك صورة لمطار
قندهار الذي كان يحمل تشابها بسيطا بدار أوبرا سيدني ناهيك عن الصور
التي رأيتها في التلفاز حين كان مشاة البحرية الأمريكية يقبضون معسكر رينو هي
المكان) وشعرت بشيء من الرهس لقد رتبني على مهاجأتهم بمعرفة المكان

اسهت عملية المتابعة ، حين احدثت الى ما يمكن اعتباره محبرا محورا مشيدا من
مصانع معدنية متموجة ، ذات لون بني صدئ ، دون وجود ما يكسو أرضيته مقسم إلى
رباريس ممررة مؤقتة بواسطة الأسلاك ، ولم تكن هناك اي قواعد ، عاهدت إلى آخر
لحمرن حيث الراوية ، من قبل عنصرين من الشرطة العسكرية وقد احتوت براسني
على بطايتين ، وشال ، ودلو ، ورحاجة مياه بلاستيكية ، وجهاز الراديو الخاص بي ، لا
أكثر وكان الأمريكيون قد أخذوا بطارتي حين كنا في المطار في باكستان ، وذلك ما
احمروسي على رم عيمي للرؤية بغير ما أمكن ، فتعكنت من رؤية الشخص القابع في
البراية المحاورة ، مع علمي أن التواصل بينهما ممنوع وكان ذلك الشخص قد عطى
عصه بالبطانية ، هيدا ، وكأنه قادر بالعمل على اليوم

أما ما فهم استطاع النوم على الإطلاق بالرغم من أنني كنت منهكاً للعديد وهو
حانة صدمة حشوية مدحور عن تصديق أن كل ذلك يحدث لي بالفعل علاوة على
أن صوت المولد في التي تعد المسكر والكهرباء لم يكن يساعد على النوم

كان هناك بعض الثوب لياحه عن الرصاص في الروية لي كنت عده
وقد احتلت النظر عبرها، محاولاً ملا حدودي ثياب حال الحرس لجماعي (كان
أحد الحراس قد أخبرني أن المكان مبروق في هناك) ولكنه كان مطلقاً، بأهبل
عن عدم وجود نظري أية حال وسمعت أصواتاً تصحدت وتصريح بالعربية
والشمسية ولاوردية والمارسية والإيطالية يحتلها بعضها بعض وشمس
رائحة ما يعترق أيضاً رائحة عربية نوعاً ما عطشت أن ذلك ربما كان بسبب
حصة شواء، سرافق مع مزاراة لكرة القدم وربما كان الحمود والسبعاء يلعبون
ضد بعضهم بعض هذكوت فيمضي الحرب العائبة الثانية الصديقم، الهروب
لكثير، وهو رايل اكسرس، حيث كان السبعاء يعاملون باحترام كبير من
قبل الدريس ويسمرون باستغلال نفسي عن سعادتهم آنذاك كنا قد حطينا بكل
الأحوال، بهطافات، أسوى حرب معاديين.

نظرت إلى السماء براسي كاهه مدحنا من رؤية ما يحيط بي قلت الدلو
نظري فيما بعد أن كان هو المرحاض الذي كنت مضطراً لاستخدامه وتذكرت
كيف اكتمس الناكسابون بوضع مشقة حول راسي وسمعوا لي بالمسير بشكل
طبيعي إلى المرحاض وإن راضني حارس مسلح في الحلف. وقد كان ذلك
المرحاض قدراً ومربها بالعمل، ولكني حطيت بعصوصيني في حينه على
الأقل سيما يتمثل كل ما استطيع القيام به الآن حفاظاً على كرامتي في لب
البطانية أو الشال حول حمدي

نصرت على الحمود الأميركي السأكد من إخراج الدلاء يومياً، ولم يكن ذلك
بالعمل الذي يستهويهم وقد نحلن موضوع حين بدوا احتياز بعض المحتجزين
للقيام به إذ كانت أرجلهم مفلولة هي حين لم نكن أيديهم كذلك وتطوع الصديق

لأداء تلك المهمة بالرغم من عدم قيامي بذلك حيث هرب لهم المرسى لسماع
لأخبار من الواحشين المحد من السحباء مع بعضي بعض عناصر الشرطة
العسكرية عن تبادل بعض الكلمات وكان أول المتحدثين الي تلك الطريقة من
اكتشفت انه طالب كويتي فيما بعد فقد حاطني بكل بساطة قائلا : نخرج
قريبه . كنت أعلم ان تلك العبارة سمع عن الأمل وشكره عليها ونكسي ما
استطعت عن التفكير قائلا لبعضي : هل يعلم ما لا أعلمه ؟

كان اليوم مسلطاً على كل من طرقي المحرم ليلاً نهاراً هاجت الصباح
المعدية المنحوعة الزبابين الواقعة اعاصي ونمركر عدد كل من الطرفين هي برج
حرسه صغير حدي مسلح بمدفعية إم ١٥ - لهجومه او غيرها من الأسلحة -
التي أصبحت أسلحتها مألوفة لدي بعد محبي وقت قصير - ليعوم معهم
المراقبة المشددة . كما كانوا يدعونها كانوا يحضرون هناك ساعات تحلقها بعض
الاستراحات . وأحدث بحروبها مع عناصر الشرطة العسكرية الذين يهربها

كنت فقد إحساسي بالوقت خلال الليل الطويل الباس حتى يأتي عناصر
الشرطة العسكرية هي ساعات الصباح الباكر صارحين لايفطما راكبين
الأسلاك ليرموا لنا فيما بعد علنا نحوي وحبة الإفطار كنا نصح خمس عشرة
دقيقة لتناولها وقد كانوا يصيحون . عند عودهم فأنلني انه ينبغي علينا إعادة
ما ينبغي منها . ماهلك عن - المعايير - بالنظر إلى أسا استعاض على ذلك وقد
كان هناك أنواع مختلفة من الوجبات . دون مراعاة احترامها على الأطعمة خلال
فلم أكن أكل فيما مضى إلا اللحم الحلال او الذي نصت عليه قوانين كوشن
العدائية . اما الآن وأمام خيار تناول وحبات الحبش الأمريكي او بعض
البسكويت وحببات المسبق والتصور حوعا فقد اخترت الأول دون ان يشمل ذلك
الوجبات التي تحتوي لحم الخنزير . وتعلمت . كالأحرار . مع الطلب أساسي
بالرغم من صعوبة ذلك . وكنت أرى بعضهم أحياناً وهم يستمبون بالأسلاك
الشائكة جلسة للقيام بذلك . وقد كان عناصر الشرطة العسكرية يأخذون بعض

محتويات العيب قبل تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: تشكر، علاقات، معنوية
 وحديث جيد لا يمكنه سعادتها في صبح، قتال وحشية، والعلل لأنه يمكن
 - يرمي في عيد حده، وشوكولاتة، شارف تمش، زاهية، لا استعجب،
 مضطرب، لا يتعد، شجرة، هتاف، سلاخ، حيث كان يستعمل بدبا، و يطوي
 حده، من تحت نوحنا، عن شكر صفته، أو يكفي، يعلق محتوياتها، وقد منار
 ذكر، مظهر، حرم من مظهر، الأداة، وله، حرق، عن السماح، لخصي، بالتفكير
 هي، حماد، نيت، وكتر، نفسه، نحب، نحن، كما، سود، كيبلا، فقد، رادته
 حاشي، أي، مصمما، عن، لحده، عيب، ماء، سخاني

تمش، نسي، وعيد، أي، له، يوفوه، هي، تلك، عشرة، بالاد، همد، استقبل
 مسيحه، حد، الآباء، عن، هبته، الشايف، الداه، لا، يسم، نه، أنه، نحو، العرب، لأداء،
 ميلاد، الصغر، أو، كان، يوم، عيد، الأصغر، بالترعة، من، عباد، ذلك، عن، بائي، وهو
 العهد، الذي، يسم، فيه، نسمون، مكر، أمثال، النبي، إبراهيم، للأمر، الإلهي
 بالصحة، ناسه، عهد، الأصغر، ناسه، يمل، نسمون، فيها، أرحامهم، واحد، أهم
 أعيادهم، السنوية

نعت، حد، كثر، الحظ، سرية، هي، دخول، أحدهم، المحرم، قائلا، عهد
 مبارك، فكانت، شد، مفاتيح، الأوس، مع، هبة، الحليب، الأحمر، الدولية، (أي، هي، آر
 سي) وظائف، رجل، الذي، كان، يحدث، انصرية، بين، أرباب، مورعا، كوبا، يعمل
 شعار، لهبته، ويحور، بعضا، من، النعم، وعظمه، من، الحمر، وقد، كانت، هبة، الرجل
 حصة، بلا، شك، ولكن، هل، يمكن، لأي، أحد، أن، يتحيل، معايدة، شخص، يرتفع، من
 برده، خلف، الأسلاك، ناهيك، عن، كل، ما، صرنا، به، وسائل، أحد، عناصر، الشرطة
 العسكرية، الذي، دعي، فيما، بعد، «زامبو»، وأسماني، «بريطانيا، العظمى»، عما، نسميه
 عبارة، «عيد، مبارك»، أحسنه، قائلا، إنها، تعني، «عيداً، سعيداً»، وتمثل، الرديف
 الثقافي، لعبارة، «عيد، ميلاد، جديد».

حضر رجل آخر علاوة على المرافق العسكري برهقه مسؤول الصليب الأحمر وهو باريك هاميلتون البريطاني الحسبي وقد شعرت بشيء من الارتياح تجاهه (بما يعادل الشعور الذي حملته للوهلة الأولى تجاه عميل الاستخبارات البريطانيه في إسلام آباد) وقد تحدث باريك الشنوية بطلاهه مع بيل الزمراة المحاورة، دون الرجل بمصلي الشحمية عندما حان دوري ومصبي بطلاهه تسجيل في الهيئة مساعدا إياي عما إذا كنت قد كتبت له رسالة وقد أردت بالفعل كتابة رسالة إلى زوجي وإن جعلت مكان وجودها ورسالة أولى الرسائل إلى عمومي في باكستان، أملا في إمكانية معانها هناك بالرحم من أن الساكناتيين كانوا قد أجبروني أنها عادت وكنت رسالة ثانية إليها، مرسلا إياها إلى عمومي والذي هذه المرة على أمل أن تكون قد عادت إلى إنجلترا، علاوة على رسالته أخرى إلى والذي معتدرا عما سببه له من معانها وأجبرني باريك أن هيئة الصليب الأحمر صممت وصفا كأمري حرب بما يشرب على ذلك من حموى، هي حين اعتبرتنا الأمريكيون -مسائلين عبر شرعهم- لا يتمتعون بأي حقوق على الإطلاق، هتمرت بالارتياح في حبه لاصطلاح تلك الهيئة الدولية بالدهاق عن حقوقنا لأكتشف بعد مصبي وقت قصير مدى عجزها أمام الأمريكيين

أثبتت في المحرم حمسة أسابيع -ممرولا عن السجناء في الجيش العامي- اقتناد إلى الاستجواب في أي لحظة كانت وأظهرت عملية نقل المعتقلين من الرمزين، بالنسبة لي، الصورة الأشمل لإجراءات الجيش الأمريكي ملخصة الحرب على الإرهاب بأكملها، ودهلت لدى الطو هيها وما أمك الامتصاص الناتج عن ذلك لا يمارقني.

كثيراً ما كنت أعرف مسبقاً، حين يتم اقتياد أي من السجناء إلى الاستجواب، عبر استراق السمع إلى أحيرة مدياع الشرطة العسكرية، إلى المواكبة، بطلب السجين رقم حمسة - حمسة - ثمانية. كانت الاستخبارات

المسكويه تسال عبر تلك الرسالة فريق المواكبة (أو وكالة المواكبة كما كان اسمها) المسؤول عن نقل السجاء جلب أي من السجاء معرض للاستحواص وقد كنت أنا هي تلك الحالة وقد كان شمل الفريق يلتزم عدد من محصرين اصمادهم ليقتربوا من رماية السجين صناديق اسمه، مصيغين في بعض الأحيان عبارة «مستهدف هي مره».

ثم يكن هناك أي بواب للربايرين بل مداخل مشادة من الأسلاك المشعة عقد كانوا يلبسون قفازات واهية لأراحة الأسلاك كلما أرادوا افتتاح في سجن من رمايه وكان أحد عناصر الشرطة العسكرية - علاوة على محصرين الآخرين الموكلي معهم المراقبة لشدة اللذين يوجهان بدقيقتيهما الأليتين إلى السجن - يقف خارج الرماية مصوباً مسدسه نحوه، فتمين عن السجين «اتحاد وصفية» مسطحا على الأرض تتداخل مساقاه مشيدان عند التركب وأصمما يديه خلف رأسه همولي ثلاثة حراس آخرين غير مسلحين تكبل السجين أو هك فيودو بعد كانت عميه مثوبله واستقرت حمسة رجال لمل سجين واحد، وتكبله، أو هك فيودو

تمين على المسير محمي الرأس بصورة مصاعمة عند معادرة الرمايه تشديدي أيديهم وهو الأسفل مصطك الأعلال بكاحتي وكب أرفع على اتحاد تشد الوصفية معددا هو هك فيودو داخل الرماية بكاد السجانيون يتسابقون للخروج منها، مجاهه ايمامي بأي حركه وكان ذلك يحدث في الأيام الأولى إذ أحدث الأمور نقل تعيدا مع حلول شيء من الألفة معهم

اهمادي عناصر الشرطة العسكرية إلى حيمة الاستحواص خلال أسبوعي الثاني هناك قائلين ان المحتجين قد أتوا لرويتي كان مثل ذلك لقاضي الأول بمصامير الاستعبارات البريطانية هي اهتمامتان حيث استمر بجمع ساعات، ودف مدرو عميل الاستعبارات البريطانية الذي كنت قد قابلته في بيرمنهام، الحيمة برفقة رجل طويل القامة، قوي السية، أحمر الشعر، برندي فميص لاعبي

الرجعي يدعى مات وقد شمرت بشيء من الأمل والألمة محمدا، ثروية شخص
بريطاني وهكرت قائلا لعمري «اعرف هذا الشخص لقد رأسي في منزلتي،
تاهلك عن أمي قدمت له الشيء»

كان أسرو رجلا ذكيا وقارنا بهما يتحدث عددا من التبعات العربية بطلاقة
ولم يطرح الرجل مع ذلك عير لأستلة المديحة دائها التي وجهها إلي في
بريطانيا حول من كنت أعرفهم من الدس وما أرسته من أماكن والمال الذي
دعته أسرة روعي لشراء منزلنا فقد سألته بل في الواقع رحيمة، أن يرودني
بأي حبار عن عائلتي فأحسرتني أن ذلك لا يمثل عمله قبل أن يردني قائلا
«مع مجرد صهوف على الأمريكيين هنا، هم ليس يملكون رمام الأمور، ولكن
بشي أوتق علمتهم وبامكنا التأثير نوعا ما في طريقة تعاملهم معك صديقي
فكلما تصرفتم معهم بطريقة أفضل، كلما أحسوا بمعاملتك»

كان ذلك شخص هراء فلم يكن أحد لينصرف بما هو أفضل مني وقد
لحظت أن يدرو لم يكن صريحا على الإطلاق ثروية رأسي معطاة مصدا بكل
تلك الأفعال وقد سأل عما سر الشرقة العسكرية بالعمل قائلا «هل هذا
مسروري حقاً؟» طلب منهم جميعا معاداة الحمية فيما بعد، وقدم لي لوحا من
شوكولاتة «المارس» لأرغم أحدهما، وعادر اندرو في النهاية لبقي مات هدية
فما طميتي قائلا «حسنا يا صديقي لا أعلم ما يمكنك قوله لك بعد ولكن كل
ذلك سينتهي يوما ما، فقد كان ذلك نهاية ما أملت أن تصله الاستخبارات
البريطانية من أجلي وعدت جانب الرخاء»

اعتدت إصماء ساعات أرم عيمي لقراءة المطومات العدائية المكتوبة على
غلب الوحبات - كم من العصور استهلكت لنوي - لحرد الإحساس أني أقوم
بأي مما يمكن اعتباره مصدا، فلم أكن أملك الكثير من وقت المراج فيما مضى،
بمثنى جدولتي بالكثير من المشاغل والمنطلقات، فيما يتعلق بالمدارس هي
أفغانستان، وحياتي العائلية على نحو خاص، أما الآن فلم يكن لدي ما أقوم به

مختلفا عما تمكنت أدور هي برانتي منفلا من رؤية الآخرين بعد ذلك
 وبرانتي تقع هي آخر هذه البرانتي وذلك ما أنه يمكن مدور من رؤية شعور
 واحد كانوا قد اعطوه مصحفا يقرأ فيه ونمكا من تبادل بعض الخدمات حتى
 كنت استنبر مصحفا معانا ما كان يطلب مني شرحا لبعض حروب
 تواصلهم مع الجيش الأحمر و عناصر الشرطة العسكرية ورسا معي
 الفرصة للحدث اليهم قليلا في الوقت ذاته

ثم استبدال السجين المحاوري في بعد مضي وقت قصير باخر ذي شخصية
 مشيرة وان كان اسمه مريسا إذ كان روسيا اعطى من قبل الطائفة سهمه
 التحسين وسبق ان الأمريكيين من قبل تحالف شمال بعد سقوط فيدر
 فقد حدث لرجل العربي والشمسية والعدسية والأوردية وفيلا من
 الانجليزية علاوة على الروسية مانع وهو الذي كان الطائفة قد انهمرو
 بالمحسين لصالح الروس وسعوه بضع سواب وعقد شركة في التورية موري
 انهم كذلك بالمحسين من قبل الطائفة وكنت قد مررت به في السابق حتى كنت
 في بيرسها في حد موقع الاحبار لجمعية الالكترونية حيث كان قد ادلى ببعض
 الاعترافات الصريحة وكان الموري قد حذروا على التحسين على الطائفة علاوة
 على تعرضه للصرب والمهديين من قبل السلطات في دبي واقبي الاثنان بعد عن
 بقية السجاء نشأ من الأمريكيين بهما كانا مهديين من قبلهم ولم يغير ذلك من
 حقيقة كونهما سجينين ملكا بحاملا بالسوء ذاته الذي تعامل به جميعا

ادركت بعد مضي وقت قصير ان الأمريكيين كانوا يبدلون قصارى جهدهم
 لإحباطنا مدافع حوهم ما في الأساس فكانوا يلغون اشياء مخصصة عما كجرو
 من تدريبهم اما مسلمون وعرب وشرق اوسطيين وقتلة وإرهابيون، وقد قامت
 ببعض المحاولات للحدث إلى عناصر الشرطة العسكرية حين كانوا يقفون خارج
 برانتي، مدافع من حصولهم حول الشخص البريطاني هي المالب وحاولت

* إيرات هاكتوف أصلي سراحه في شهر ايار مايو من عام 2002 (المؤلف)

توصيح بعض الأمور عن المصلحة النظرية السياسية والدينية والمواهب
والحساسيات وشموع الآتي والتماضي وذهب الديني والمروءة القوية هم
أكثر من كل ذلك شخصيا ؛ لكنني كنت قد أحدثت عددا من الطغاة وسفك في
المصلحة درسا ما يتعلق بها تاريخيا ودينا وحسب أنهم سيكونون راضين بل
ومهمني بمعرفة كل تلك الأمور فقد سب ذلك في الواقع مزيدا من الاحتياط
بالنظر إلى عدم امتلاك معظمهم تلك الثروة فهم سعداء بحديثهم حماسي
المصلحة مكنون بالمعلومات التي لفت لهم في السابق فكيف لي بكل الأحوال
من توصيح تلك الأشياء من ثم بعد ذلك حورجيا أو ببساطة على سبيل المثال
هي حيانه؟

علمت فيما بعد أن معظمهم كانوا من جنود احتياط الحرس الوطني أو
الحيش فقد كان «معارف» نهاية الأسبوع، كما يدعون من قبل لوحدات العاملة
في الجيش الأمريكي يخصصون لتدريب أساسي مدته ستة شهر فأسبوعان
كاملا وست عطل نهاية اسبوع هي السنة فما انعكس أثره بالأسف تجاههم
بصوره أو بأخرى بالنظر إلى أنهم ربما كانوا قد انضموا إلى الجيش لتتمكن من
القيام برحلة إلى هاواي أو أوروبا أو الاسهام في دفع أقساطهم الجامعية ولم
يذكر بعد أي منهم في يوم من الأيام أن يحلبوا إلى أحد أكثر الأماكن خطورة في
العالم، ويهرسون بعضا من احتطرت الناس، كما قيل لهم بالمطلع

تعرفت إلى عدد من عناصر الشرطة العسكرية خلال حملة الأسابيع الأولى
تلك. علاوة على صابط أفريقي - أمريكي مسيحي يدعى النقيب دابر، كنت قد
تحدثت إليه كثيرا فقد كان يستمع إلى شكواتنا وبدأ رحلا ملثما بكلمته،
ونتمكت من إحراء حوارات عاقلة معه.

انحطت في إحدى المرات، أنقل الإبحارية إلى العربية كي يعيها الروسي
الذي قرر الإصرار عن الطعام في حينه، وأراد إحصار عناصر الشرطة العسكرية
أن الطالبان كانوا قد احتجروا ما يقارب ثلاث الساعات، أعامل هنا بصورة أسوأ

مما كان يعامس به العالمان فلقد منحوس على الأهل مدباسا وهدا من حين
مطبوعة وهو كه وحصارا طارحة باهيف عن احترام معتقدي، ونسائي بعيد عن
المرحاض بيما بحث الأثر تحت لأعمال الأمريكي هي المرحاض دانه.

لم يرو سماع ذلك للفت دابر على الاطلاق بالنظر الى كل ما كان يحظر به
من منية وقد باشر في محاولة إخراج بعض التعهيرات، دون أن يحدث ذلك
بالمحل فهد كان العيش الأمريكي يعمل وفق نظام سحيق هي جد منه دونه
أثار حفي لكثيرين - من عناصر الشرطة العسكرية والسعاة على حد سواء.

امضيت لكثير من وهي بعد المعمر على نحو خاص هي حفظ انصر - ار
كتب قد انهب للمو حمد سورة الكهف التي حصى المسلمون على تلاوتها هي
ايام الجمع خصوصا فكتب احلس مشربا على بطابيتي حبي لا أسير هي
البراه او استلني فحسب فلم يكن مسموحا لنا معرفة الوقت او الماريج او
الايام بالرفع من أسد كنا يستطيع سماع صوت الأذان الأتي من الحس الحماي
حس مرات هي اليوم حيث كان احدا يكرره هي المحزن، وقد مثل ذلك مصرا
متواصلا لنا على الأمريكي كنا نعلم مواقيت صلاة المعمر والمطر، والعصر
والعرب والعشاء بهما كدوا بمصنوعون الا يعمل حيث كان الأذان بمثابة بقاء
روحي للتواصل بتردد صداد عبر رضاء المعسكر كافة

امضيت وقتي كذلك احدى عر تقوب ارضاص هي سهر العيدة هي الحس
الحماي ممصيا لو كنت هناك ايضا وحدثني أحد عناصر الشرطة العسكرية
من القيام بذلك مهددا سيد الثوب، هلحاث إلى استراق النظر، حين لا أكون
مراقبا

تمثل النظر هي عدد من الأسية الحشوية المسطحة هي صفوف متناصفة، ذات
اسقف قماشية كالخيم همد كانت مفتوحة من طرعيها، مغطاة من الأعلى لا
أكثر إذ كان يرل هي كل ميس ما بين العشرة والعشرين سجيا، يرتدي جميعهم
البرات الورق حيث أحيط كل مبنى بمسقين من الأسلاك، وكان هناك بعض

الجميع بالحروج و لسبح حول المنى ولكني لم اكن رى اكثر من ثلاثة شعاع
يسيرون في كل مرة وعطفت عينا بعد به ثم بكر بسبح لاكثر من ثلاثة
بالتحدث إلى بعضهم بعضا في وقت واحد فاعبى عن صبح جميع السحباء من
الاعتراف من الأسلاك و مصادرة نظم بهم في لماسي الاخرى وكان كل من يعالف
المرء يعاقب عمر أحماره على الركوع خالسا على ركبيه نحب الشمس واجمعا
بده حيف راسه مدة تقروح من الحصر عشرة دقيقه الى الساعة

رايت في إحدى المرات من الماطر لولة ما على في دهمي : كان حندي
امريكي يوجه سدهيته إلى وجه سحبي حالي في تلك الوصفية يسكي وقد ردد
بصدي الأمريكي العبارة الأنبة مرارا وهو يصرح به قائلا : على ركبيك على
ركبتك، بينما كان لسحبي خالسا على ركبيه بالعمل فتمرت ان الأمريكي كان
يرهنه لا اكثر، إظهار لقونه ولم استطع مع رؤيه خوف السحبي والانتقاص من
كرامته احتمالا

لحطت كذلك أن عشرة أو اكثر، من السحباء كانوا يتشاركون دلوأ واحدا
كمرحاض الأمر الذي روعني بالعمل واكتشفت علاوة على ذلك أن الرائحة
المريبة التي اشتتمتها في السابق كانت ناتجة عن حرق المايات وذلك ما يند
كل تلك الأفكار السقيمة عن حملة الشواء، ولعبة كرة القدم، وتعبية وقت منع
شمرت بحاجة شديدة إلى استنشاق الهواء، والتعرض لأشعة الشمس بعد
مضي أربعة أسابيع على احتفالي في المحرر، وأحدث الح على طلب الخروج
لأداء بعض التمارين، وكنا نثير شكوانا، المتلفة بالطعام عادة، أمام هيئة الصليب
الأحمر بصورة منتظمة، حين كان ممثلوها يأتون لزيارتنا، فلم يكن الطعام كافيا
في أغلب الأحيان، بالنظر إلى إزالة نصف محتوى الوعيات قبل تسليمها إلينا
وقد كنا نرود بقطع من الحبر الأهماسي المنعص كتكملة للوجبة، إن لم نقل الوجبة
بأكملها أحيانا، واحتججت لدى الهيئة على بقائي في المحرر خمسة أسابيع
تقريبا، دون استنشاق الهواء، أو التعرض لأشعة الشمس، ولم أحط خطوة واحدة
خارج المكان، اللهم إلا عند الذهاب إلى الاستجواب

وضع الأمريكيون نظاما سريعا في نهاية المطاف استجابه لشكاوا انظر
عليه اسم - عملية شمس - بوب. كانوا يمشرون إلى المحتجزين كافة باسم - بوب.
بتقاضي من قدرنا ولم يحفظ أي منا بفرصة الاعتقال، أو لقاء الكاهن لقيام به
هو قل من ذلك وذلك ما عسى بصورة حجة انبعاث الروائح الكريهة مما عاينوه
عليها الأمريكيون اسم - بوب. لأنه يعمل احتصارا للماء | لأولاد بوب لروائح
السبه | كما سمعت حيث كان يضاف إلى اسم كل عملية صغيرة، حيث كانت
عملية عمل - بوب، على سبيل مثال يعني إخراج السحباء للاعتقال وهو
لم يحدث لي مطلق شيئا بمثل - عملية شمس - بوب، هي أحدهم خارج
المحرر وبمريضهم لأشعة الشمس مرة متعددة

كان الأمريكيون يعرجون كل سجن وفق العملية الشافة ذاتها لي كانوا
يسمونها عادة عند اهباء السحباء إلى الاستحواث وذلك ما استمره الكثير من
الوقت والعهد. كانوا يعرجون من لرباين لا يعيب عن بائريهم ويربطون
جميعها في سلسلة كما لفصافات عسر حل يصل بين ذراع كل سجين وآخر هكذا
سفل إلى خارج المحرر في هذه السلسلة المحكمة لا يمكنك عصا صر الشرفة
العسكرية بحومون حول هي كل مكان، حيث كانوا يمشرون بقسا إلى الخارج، كم
نصف تحت أشعة الشمس دقيقتين لا أكثر، بصورة عملية كبيرة للغاية فتدمر
أحدهم. تنبجه كل تلك الاحراءات هاتلا، ان أردتم النظر إلى الشمس في المرة
المسبة فاهمو ذلك عسر الضوب، تصل حوسا ناسا بصل البقاء هي الد حل
على البصر لكل هذه الماياه نية الوفوف تحت الشمس مرة

علمت الكثير عن طريقة عمل الأمريكيين عسر استرق السمع إلى أجهزة
مدب عنهم علاوة على الحصول على الملبل من المعلومات ومعرفة عدد السحباء
الذين معرضون للقتل أو يضادون إلى الاستحواث والتحركات عند الحيوانات
والمهام الموكلة لعناصر الشرطة العسكرية فكثيرا ما كنت ادرك بعض الأمور التي
ينحدثون بها فيما بينهم وقد كنت حريصا على اخبارهم بها، ومثلت تلك طريقة

لإيجاد نوع من العلاقة الأساسية معهم، إذ كان الكثير منهم يهاجرون للعبادة حين يكتشفون أسس أحدث الإنجيلية. ناهيك عن كوني بريطانيا فقد كانت إنجلترا تشتهر اهتمام العديد من عناصر الشرطة العسكرية - بنصر هبهم أولئك الذين يؤمنون أن كل من يعتقل من قبل الجيش الأمريكي هو من عناء لإرهابيين لا محالة - وقد أرادوا التحدث إلي حقيقته

اعتبر احتجاز مسلم بريطاني على مر سجن اغتصابي أمرا غير مألوف لكل من تلقبوا على حراستي من عناصر الشرطة العسكرية كان لذلك محاسنه ومساوئه على حد سواء، وعلى خصوصي للاستعجاب بما يهوق عيوني منهم يكوبوا بعنايهم، بكل الأحوال، مفرحما عند استجوابي على القبض من العالمية الساحقة من السجاء الآخرين.

كان كودي الابرندي الأمريكي الذي بنا في جمعية لهود الشيروكي هي ولاية نورث كارولاينا الأمريكية أحد من تحدث إليهم كثيراً من عناصر الشرطة العسكرية وأجبرني عن كفاحه كي يعطى باحترام الهود الحمر وأرنياطه بهم بما يصوق أرنياطه بالأمريكيين البيض، فقد حاطني هي إحدى المرات فائلا «اتذكر قومي حين أراكم هنا، لقد عوملوا بالطريقة ذاتها واحتلت أراميتهم ودبحوا، وسحبوا ولم تحط لعنتهم أو صنفقائهم بالمهم. وصوروا حتى مدة قريبة، كقتلة متوحشين». بلغ الأمر به حد مطالعتي بإخباره، إن جرؤ أي جمدي على إساءة معاملتي، كي يتولى «حل المشكلة».

لحظت على مر الشهور مع ذلك، أشاء وجودنا هي قنطار واستمالنا معا إلى باعرام أن كودي أصبح أقل حساسية وأنه يتقبل عملية «الألمسة» التي تهدف إلى إظهارنا دون البشر، فلطالما عاملني بطريقة حسنة ولكننا أصبحنا أقل استجابة عما كنا عليه في السابق، فقد كنا نتحدث عن تاريخ سكان أمريكا الأصليين وثقافتهم - الأمر الذي كنت أفتخر به - علاوة على الصيد، والحياة العسكرية وعائلته هي أمريكا، وأماله هي المستقبل وكان حكمي السهلني مع ذلك، على أي من عناصر

الشرطة العسكرية يهين على طريقة معاملتهم للآخرين. نحن يقولون عبي ودية، وفرد
عن التواصل لقد سقط كودي فيما بعد، بتقديرى، نتيجة سلوكه السيئ مع السعد
الآخرين، ووحشته نحوه أحدهم على وجه الخصوص

اعتمدت النحدث إلى عدد من عناصر الشرطة العسكرية الآخرين حيث كان
ووريلك أحدهم. فأحاسي حين سألته عن أصله، قائلا: «يتمثل كل ما أستطيع
إخبارك به هي اسمي من الحرز» بدا هي نظري كلاعب رجبى صمغ من حرز ساموا

دخل ووريلك المحرر مرة، وقد سمعته يصرخ في حواز مع أحد حراس المرافقة
مقاطيع الحارس، بكل رضى. قائلا: «تنشر قواتنا في كل مكان يا رجل ينقر
الجميع بروسا هي أسماء العالم كافة أعماسنار، وكوريا، والعراق وما هو
الرهيس يتحدث الآن عن العليين، مرحف كحيوش هتلر هي كل الاتحاضات،

أحانه ووريلك، قائلا: «على رسلنا، لا تشبه هتلر هي شيء، نهدف إلى نشر
السلم والديموقراطية»

لم يهيب ووريلك ظني فيما قاله، فقد كان رجلا محترما للغاية، يشبهني هي
أخلاقه وما يحمله من قيم، وانحططا هي باعرام، بعد مصي عدة أشهر، هي عدد
من النقاشات المصيبة والسياسية إذ كان ووريلك صابط حنط نظام، حدم هي
البحرية الأمريكية سابقا، وكلمت روحه المنيبة، وقد كان يتحدث الألمانية بطلاقة
حيث امتلك الرجل حسن دعاية رائعا، وكان يعامل الجميع بنبل واحترام، وإصاف،
علاوة على تمتعه شعبية كبيرة بين السعداء بالنظر إلى أن ملامحه كانت شرق
أوسطية برعا ما، ناهيك عن طريقة تعامله معهم، فكثيرا ما كان يعاكينا هي رفع
الأيدي أثناء الدعاء، بعد مرافقتنا ونحن مصلي قائلا: الحمد لله، بسيرته العسكرية
الحموية القوية وبلغ الأمر به المطلق بالشهادة، التي تدخل المرء الإسلام، وإن لم
يدرك ذلك على الأرجح. بعد أن سألته هي إحدى المرات، حين كنت أعلمه بعض
الكلمات العربية، أن يلفظ عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

أحيته، حين سألني عن، من هي القوات عدلا، بعض من مقصود هذه هي
الولايات المتحدة إلى حد ما بعد الهجمات على المساحين والدرع من قبل
أنها تريد منع تكرارها مستقبلا و بحال المسؤول عنها وليس لا قبل منظمات
مطلق احتلال دوله ذات سيادة - وإن كانت معكم الأمر الواقع - كحل للمشكلة.

أردت قائلا، هل تذكر الأعمال الإرهابية التي يكتب بايد امريكية فيصور
او كلاًهما الذي يمدد تهمة في مكان؟ قرب الرجل من قبل مهاجمة هينشمان
للقيام بذلك. وكان مسؤولا عن إرهاب الساب من الأرواح السريفة فلم لم يتم
السلطات الأمريكية بالاعارة على كل، المرسلين، به، ما هيك عن أعمالهم
و استعرايتهم، وتمديهم؟ ألم يكونوا يشكلون تهديدا محتملا أيضا؟ يقول
الدستور الأمريكي هي الواقع مواطيه، حق حمل السلاح، ويتم إحمارنا هنا
شكل جميعا تهديدا محتملا لأمس الولايات المتحدة لأساس دعما الكماج - ضد
أكثر من عقد حلا - ضد الاحتلال في امساسسان والبوسنة وكشمير
والشيشان وفلسطين وهو الذي كانت القاعدة تدعمه أيضا، وهل يجب أن يكون
جميعا، أعداء لذلك، يشكل تهديدا كاملا لأمس العالم الحر، بالنظر إلى أن لا
توجد تحت رية الدهن محسوب، بل والعاية أيضا؟ إن كان ذلك ما هو الحال
عليه، فيجب أن تمتثلوا عدة ملايين أخرى من الناس لإزالة ذلك التهديد
المتعرض، إن هذا المحص هراء.

كانوا يصمتون. نحلو ملامعهم من أي تعبير عند سماعي أنحدث بهذه
الحماسة كانت الردود تأتي. حين أنحاور بهذا الشأن مع بعض من هم أكثر
عقلانية بينهم، فقد كانت تأتي على النحو الآتي، انظر، أبيت هنا حديثا كناهي
رفاقي، لا أهمه السياسة، ولا محس لها هي نظرتي.

كان بعضهم يعقب قائلا، لا أهم لم مقصود كل أولئك الناس هي ذلك ولا
يمكن أن يكونوا جميعا مسؤولين عن الهجمات على الولايات المتحدة.

لم يرد حروب بغير شك لأجانب مضطربين بامتنان خفيف رهيبين
 حصريين يستحقون القاء هذا النعمون بكم تعجبون قد حفيف نسب ما ولا
 ما كما اعتناكم. أليس كذلك؟

أخبرني كودي به تضح في الجيش الأمريكي عقب هجمات الحادي عشر من
 ينون سبتمبر فقد كان حبيب صيلا مع ينعمون. قررت بعدة بالغة
 من ارتدائه بالهوى. الحبيب هربت بالهوى في عشقني الشاي والتفكير
 المعشمة أن يعرف عن الحبيب الأمريكي وموقفه تجاه الشمال ما أمكني
 حيث شعر كودي. "الهدوء عن المرحلي يمثل هجوما على الأمة الأمريكية
 بأنكها و خبرني أن الأمور ستبعض الساء مضطربه هي ولاية نيو جيرسي
 التي قد توجه تعرضهم لهدوء كذا فتطوع بقدم التي حماسان برهقة عدد
 من اسدقته بنية الانتفاء من الخائف كذا قد مضى. مع ذلك ثلاثة أسابيع
 هي حماسان بحلول الوقت الذي كنا نحدث فيه وقد بدم على قوارب أيضا بدم
 أن نغير كودي به سبتمبر في المعشمة حذرا ما كانت الحرب الحديثة عليه
 كانت قد هار مقفلة موحنة بحربنا كيد من الإثارة التي أمل هو وأسدقنا أن
 يشكوا حرايا منها

سقطت هبما بعد العديد من عناصر الشرطة العسكرية يتحدثون مثله عن
 حماسان وبو سامو فاشي. نحن مثله تماما إلا أن سحسا أكبر.

كنت أخبر عن سحطي بعثها عن كلامهم قذرا. وهروا ما نطهروه من
 شفقة بالله عليكم هبكنكم روية عملاتكم حتى نقادون هي الأحازات، والتوصل
 معهم عبر البريد الإلكتروني. لهايف ذهبت عن ظهوركم بغير الأبطال
 وتقاصيكه المال حرا. كنت أيضا نطهرها بلانهم دون السماح لنا بالتوصل
 مع محبنا الذين لا يعرف لهم طريف. نطهر حياتنا وبمامل كالحبوبات.

بقي الارتباك بسود تعريشهم. حتى مفارقة العديد منهم، فلم يكن لهم أي
 تواصل حقيقي مع الحياة الواقعية هي حماسان. لأنهم لم يبرحوا قواعدهم
 العسكرية حيث كان أي مكان آخر يمثل التحول بالنسبة لهم، وربما كان هناك
 شيء من الصحة في احساسهم بالوجود هي سجن أكبر.

كان شاكر عامر صديقي لعرب الذي أقام بوعفشي حده من لوم من في كابول هو لأخر محمدر في عدهار وقد حدثني عدد من عناصر الشرطة العسكرية عن مدى ما أوقعه في أنفسهم من أثر إذ سقط في أحد الاستحيات عنه حيث كان أحد عناصر الشرطة العسكرية الموجودين في نعمة يسرى السمع وحدثني عنه بعد معادته المحقق المرفه بينما كتب أسطر هريق الموكه فأنلا ، به رجل مدهش لا أصدق في قلب من هو فهو فعانه هذا لقد كان مقيدا بالأغلال خليف الرأس ولكنه تحدث الي وكاسا أمر لأصدها، هكذا اعتنى لإسلام في لحيمة لما لسته من عافته في حديثه عنه.

ساسة فأنلا ، لم لم يمثل ، أحاسي عبر الاشارة الى العلم الأمريكي على درعه ما استككت افكر في ذلك فما الذي كان يحبه تلك الاشارة؟ هل تمثل عرفا صا ان يلدء قد أخلت لحرب على لإسلام دهي؟

تحدث عناصر الشرطة العسكرية كذلك عن شعب بريطاني آخرين كانوا هذا من عمل ليطلوا لي خليج عواسنامو فيما بعد فقد سمعت على سيل المنال ان ثلاثة من الصبان لسمي الى يسون لواقعه خارج بيرمهم كانوا قد احبصرو في البحر وأخبرني عناصر الشرطة العسكرية انهم كانوا يدعونهم «البيطل»

تحدث العناصر كذلك عن شعب بريطاني آخر كان معصلا هناك فكنشمت لاحقا أنه كان هبور عماسي من كرويين الذي قابله بعد ما يقارب المسمى في عواسنامو، وأظهر لي القصص التي كانوا يروونها عن ذلك الرجل، الذي كان يدعى «رجل القوات الجوية الخاصة البريطانية»، من قبلهم مدى قابلية الذهبية الأمريكية لصناعة الأشرار، ومن يكافهم من الأبطال الحبريين، بحيث يمثل أعداء الأمريكيين أسوأ الشخصيات على الإطلاق وإن كانت عالية التدريب، شديدة الانتماء والماعلية، فقد كان يصعب هبور رجل القوات الجوية الخاصة السابق الذي انضم إلى أفراد القاعدة، ملقبا إياهم بكنيكات حرب المدن والعصابات ، لقد كان رجلا شريرا للعامة حبيرا في هون القتال وصناعة التفجرات، ويمكنك اكتشاف ذلك من نظراته والطريقة التي يسير بها، إذ كان ذلك المنطق يقود المرء إلى بعض من أكثر الاستنتاجات تطرفا

لم يكن من المهم كثيراً أن يكون من عناصر الشرطة العسكرية من شبه الأسبان
ولكن الأمر اختلف تماماً عندما اقتنع المحققون بأنهم كانت هناك عائلات عائلتي الشريين
انصوى تحت راية العهد الأحمر والموسمي والشيشاني وبعمال حارسه في
المحرم حيثسوا، ويتحدث ثمانى لغات ورومية واسيبويه بطلاقة بأهليته عن محرمه في
حاضرة اكسمورد حاصر على شهادة الدماء المسحوق

بواصلت الاستجوابات يوماً كئيباً بعد يوم همد كانت تحدث في أي وقت
كان مرمى أو ثلاثاً يومياً أو تعطى يوماً في بعض الأحيان وكانت تستمر
خمسة دقائق أو ساعة أو عشر ساعات لم ينهز استعراض القوة في أي من
المذابح حراس مسلحون عند الباب أو حتى في العرصة وكانت الاستجوابات
تجري كل مرة مع شخص واحد عموماً تنتقل إلى النهاية بالنظر إلى قدوم
المحقق من وكالات استخبارات مختلفة وأصلاهم جداول أعمال متباعدة
وكان أولئك أيضاً يحاولون المرور بمقربين أن بإمكانهم كشف المؤامرات أو
الشبكات الإرهابية بمبرورهم

كان نايث صانع الاستخبارات العسكرية الشاب من تكساس، أكثر من
استجوبيي مصعبه في بعض الأحيان زميله الياباني الأمريكي، لي. وكان كلاهما في
أوائل العشرينيات من العمر يرتديان ثياباً مدنية في معظم الأوقات، لا يحملان رتبة
عالية كما بدأ واصفاً بالنسبة لي، حيث بدأ نايث الاستجواب بلانحة محددة من
الأسئلة تستكمل تلك التي طرحت علي في إسلام آباد، كانا يطرحان سؤالاً واحداً
في بعض الأحيان، بهما يطالبانني بالمرور على كل تفصيل من جهاني في أحيان
أخرى (مدرستي الابتدائية وعائلتي وأصدقائي وجمبراسي وجميع ما قمت به من
رحلات، وكل من قابلت من الأشخاص). سألني مراراً عن الأماكن التي ذهبت إليها
في البوسنة، والأشخاص الذين التقيتهم هناك، وما فعلت في تركيا، وأفغانستان
فكنت قد عبرتهما بكل شيء، ولكنهما ما أمكا يسألان

لم يوجه اليه الاتهام مختلف بالخورط هي قد شيء او الفقه المسوق بآج شيء
 ان كان الأمر يصحور برزته حول الصلاب بين الأشخاص فقد كانت علاقته
 ما بين حسنة ما قد يشير الاستمراس ولكنني ما تمكنت احاول محبة الناس
 ورؤية الحواش الأبحانية منهم وما كنت لأبدل من ذلك هي حبيبه

عمل ما بين على توصيح الأمر بالنسبة لي فأنال . محاول الحكم على
 موافا الناس

عنت فأنال . كيف بحق السماء ستمومون مدية تعلمت كداس للعقوق ان اي
 حريه يستلزم بالضرورة توفر عنصرين شيء العقل الإحرامي والمعل الإحرامي
 فاسأل ما اذا كنتم تتصورون عقلية بوليسية على بحر روايات أويل؟

حبرته ان من المتضمن به . بعد كل ما أوضحته حول الأشخاص الذين
 عرفهم . والأماكن التي رزنها - ان يصبح على دراية اسي امتلكت العديد من
 التمرس للانضمام إلى القاعدة . ولو كنت قد أردت التفرع على من يمكنه إيصالني
 إلى ممسكرات تدريب القاعدة عبر من البضيتهم هي باكستان أو أفغانستان .
 تحقق ذلك بسهولة

تحدثنا حول أمور أخرى أيضاً . فبدأ عن الكم الهائل من المعلومات غير ذات
 الصلة التي كان من المتضمن أن يجمعها . وأراد بالفعل ان يفهم الصورة الأشمل
 لما كان يجري في المنطقة . والعالم الإسلامي ولكنه كان في الوقت ذاته يصبو
 إلى الحصول على برفية وارتقاء السلم الوطيمي . والصور بالمحنة المصيبة أو
 البيروسية . مستندا هي ذلك ربما إلى عدد الاستحوالات التي يقوم بها
 الأشخاص الذين يرسلون إلى عوامتنامو بناء على توصيته . سمعته في إحدى
 المرات يتحدث عن ساحة المعركة . بالنظر إلى وجوده في منطقة فأنال . ما بدا
 صحيحا بالنسبة لي كنت أعلم انه لم يشهد أبدا من المعارك في أفغانستان .
 ولكنه كان شغفيا عاملي بطريقة حسنة مع ذلك . باهيك عما دار بيننا من

مقاشات مهمة

كتب بوق شديد بعد مضي خمسة أسابيع إلى الانتفال إلى الحبس الجماعي، لاكون مع الآخرين لا أكثر. بعد اصرار من الصوري للعاهة باسمه في ان اخرج من المحرور وقد حيرت من نكتيكتني التي كانت تقوم على تهمي لعفلايه وبدات احوه في التبراية كالمحبون. واكلا لأسلاك رفعا الحدث إلى عاصر الشرطة العسكرية محبا احدثهم. ممن كانت علاقتي طيبة بهم يرحسون احياءه عن حضري عماحيه قائلا اني له اعد اطيع في المحرور بقا. اقرر ذلك مدح من باسمي اعمد ان العمل في بطني إلى الحبس الجماعي في نهاية المطاف كان يعود إلى ذلك الترهيب بعد إثارة الموضوع مع نايش.

شعرت باحساس رابع حين دخلت ذلك المسر مصنوح الطرفين بالرغم من اني كنت لا ارال مطلوب الحرية وحاء كل من في التبراية بصاهمسي بعائني قائلا «السلام عليكم» وقد احسست براحه كبيرة لما اردوه من دهم وعواطف حيضة بالرغم من عدم معرفتي بهم شاعراً مع ذلك اني اعرفهم مد رعن طويل لسبب هزل كنهه وكان عددهم يتراوح بين الثمانية عشر والتسعة عشر يسمون إلى حسيات معلمة مصريون وامرات وشهران، وباكستانيون. واهاف واوريكيون وصهيون موهجو التي باصحن بالصبر والنيات والتعقل وحاء احد عاصر لشرطة العسكرية فحده ثمكر صمو تلك اللحظة السعيدة مبادها ارقام بعض السعفاء كي يماقموا هناك 5% احد تلك الارقام وطلرت انيه مدهنا بيما كان يصرح في قائلا «على ركيبك».

سأله قائلا «لم؟ قد اتيت لثو إلى هذا المكان بعد تمضية خمسة أسابيع في المحرور».

اجابني قائلا «تعلم القوايين. لا يسمح لأكثر من ثلاثة أشخاص بالتحدث في ان واحد. اردت معادلته ولكن البقية اتحدوا الرسمية. وحنوني على محاربتهم فعملت

الصلوات هي ابتداء الأولى مستحقة المطالبين و بهما التي كانت بحوري
 هي المحرر أكثر مع نهاية و سبعة رجال صفا و جدا يمتكني ما لم سقره
 من قوة هي السابق وحتل لشيء الوحيد الذي يهوى المحرر سواء هي بوحس
 أو كان لدينا هي الزمارة دلو واحد - و شان أحيانا - مشموله جميعها
 وسعرت بالتمرار شديد لروية الدفات يحفظ على العاطف والحنان بوحس
 بيه همود يصي على عدم قصه حاجتي إلا عندما يكون الجميع بامس هي
 وقت صاغر من الليل و هي السكر قبل صلاة الصبح فمثل ذلك نوعه من
 المحكم بالتمس واحترم الدب هبما يهوى تلك المساه الشخصية

مستحقة الطريفة لعدية لتحديد مواعيد الصلاة عبر مراقبة وسعة
 التمس والطل وكنا يصلي جماعة حيث كان الامام يطيل لدعاء يدعو الله
 هي بعض الأحياء بقاء في كان يوما لاسقاط الجيش الأمريكي وسعيه، علاوة
 على فت أسرى وبيع عوائل لصبر وانقود واعدا المشي حول الزمارة كنوع
 من التمرين سالت هيئة الصليب الأحمر كي تستصدر لنا إدنا بممارسة لتدريس
 الاعبارة ولكن الأمريكي لم يسمعو لنا إلا بعض نماذج الإحماء البسيطة
 لا المصط أو المدة فلم يكن يسمح في قنطار بأي مما يصوي الجسم أو يريد
 قدرته على الاحتمال.

اختلف إهامي كثيرا عما كانت عليه هي المحرر وقد سمعت قصصا عن حياة
 العديد من الناس خلال فترة الأسوعين ونصف التي أمضيتها في الزمارة
 وعاش الكثيرون هبما رووه لي ماهيك عن قتل واحسن من الناس، هاستدكرت
 الأهم الحوالي هي هاستدكرت هل أكثر من عشر سنوات حين أجبرني المائلون
 التكميريون عن حياتهم وشعرت بكثير من الوضاعة في حينه عند مقارنتها
 بحياتي المربطة في بيرصعها وتحدث الناس عن عوائلهم كذلك، بمن هبهم الأناء
 والمروءون على وجه الخصوص هانسم حديثا عن أعلى من لدينا بكثير من
 الانسانية هي ظل لا انسانية ما كنا نعيشه من ظروف

علمت، كذلك، الكثير من تفاصيل الحياة هي البحريين، على سبيل المثال من
 حفلي أنوق للذهاب إليها، متصلاً بها بما امتلكته من معلومات عنها، واقتبس الناس
 بما رويته لهم من قصص عن حياتي في بيرمهمام، وما كان يصيبه كوابل المرء
 مسلماً هي بريطانيا، فلم يكن أي منهم يعلم شيئاً عن ذلك، ووجدتني أحدثهم عن
 قرى إنجلترا، وحقولها الخضراء بحبي ما كنت أتوقعه، حيث لم يسمق لي العيش
 مطلقاً في أي من تلك القرى واحترتهم كذلك عن قلعة ورويك، وقصري بلهايم
 وماكبيهمام ومسطحة البحيرات، وبحيرة بيس، وسودونيا، وستراتفورد - ابور -
 اهون وسباركهيل، فقد مثل ذلك تهرباً من الواقع الذي كنا نعيشه، وقد استمعت
 حقاً بالتحدث والإصغاء على حد سواء

رودنا هيئة الصليب الأحمر برفقة شطرح، هاتار ذلك بعض الحدل حين
 ادعى أحدهم أن لعب الشطرح محرم في الاسلام، في حين قال آخر إنه مباح
 لما سمعته من أحد رجال الدين البارزين وإن لعب الرد في الحقيقة هو ما كان
 محرماً بالنظر إلى استخدامه في المقامرة، لصت الشطرح بصنع مرات مع عيسى
 النحريسي* هالهابي ذلك عن واقع الحياة في معسكر الاعتقال فترة من الزمن
 ياهيك عن شيء من المتعة التي منحني إياها التفكير فيما يحب تحريكه من قطع وله
 يكن لدينا سوى ذلك، الكثير مما يصعله باستثناء التحدث فترات طويلة، وحفظ
 القرار الذي لم أستطع القيام به أكثر من ساعة، أو ما يسهرها، في كل مرة
 ونو هرت نوهرت لدينا كذلك بعض الكيبات باليشتوية والأناجيل بالعربية

اعتديا الدحول في محاللات حول هيئة الصليب الأحمر، إذ كان بعضهم
 يرهمونها تماماً مترصين أن عاملها هم ميسرون يشترون بمطائنها بانظر
 إلى انهادها الصليب شعاراً، وارتماطها بالأمريكيين، فقد أحسبت باتريك
 لشعسه وإن كانت الهيئة غير هاعلة، للأسف، هي بطري وزابت، مع ذلك، شيئ
 من المائدة في عملهم لاردراء عناصر الشرطة العسكرية لهم على نحو خاص

* عيسى النحريسي أحد البحريين السنة لصحة في عواسامو (المولى)

وراحت الهيئة علاوة على ذلك بمصر مع الكرم، علما - وهي لغة معاصرة -
بواسطة الفرس صعيد - انعة للمياه في شبه الصحراء الهندية - يصل حجم
بوحده منها تقريبا إلى ثلاثة أقدام في الطول - شكلها في الموضع المسمى
ومعها على الأسلاك حتى لا يماس اللثة ليصارها الأمر يكون بعد مضي
وقت قصير، فالتسبب لها مثل عاصف بحسب رأينا عنهم فلم يكن أولئك
بالأحرى يصرون لرأينا سعداء

كان الحمود الأمريكوي يسيرون حول الرماية هيئة ودهما يحرسونها
عليه الوقت، مصرون أسلحتهم باتجاهها علاوة على الانحراف أحيانا هي
تدريب دعوى - سحب المعركة الهادئة - وكانهم يستمدون لصد هجوم خفي
فقد كان هنالك لمسية أبراج حراسة يراقبها عناصر الشرطة العسكرية منها
على الدوام عبر مظاريفهم.

امتلك السجاء هي تلك الظروف الصعبة ما يثير الدهشة من حسن الدعاية
هدار كثر من المراج - تميل الطل هي بعض الأحيان - بين العرب والأعماق وإن
لم يقلل ذلك من طهره بكل الأحوال إذ كان عيسى يسحر من أحد الأعماق الذي
لم يكن يصلي مع الآخرين بمن فيهم أساء خلته هو يصلي وحيدا بعد أن يتم
الحصص صلاتهم. كان حبر الله نادى في بدء بعض العباد من الأرض بشائه،
ليتمتع وصعبة صلاة عريضة فيما بعد صبرا مؤخرته، راضا يديه بقوة اسفل
صوته فكان عيسى يفلده، مبالغا في ذلك عبر بعض العباد عن الأرض بمشنته
في الأرحاء كافة، والصلاة فيما بعد صبرا مؤخرته بشدة، مولا يديه حتى عاتيه
(كما لاعب كرة القدم الذي يشكل حائط الصد، مستظرا تسديد رمية حرة) هكذا
السامس يستقلون على ظهورهم، مسحكا على ذلك المراج الذي لم يكن عيسى
بوجهه هي أي من أوقات الصلاة الخمسة يوميا، ويجمع بعض الأعماق، هي نهاية
المطاف بإقناع حبر الله بالصلاة جماعة معا، وذلك ما سحب الدرائع من عيسى
لتقليده، وفوت عليها فرصة الاستمتاع بذلك

اشترك ثلاثة من الأفعان في يوم آخر، مع أحد الأوربيكيين في تمثيلية صغيرة يمدون فيها الأمريكيين وهم يكتلون سجيناً وكان ذلك مصححاً للغاية ولكن الأمريكيين الموثابين اهتموا أن السجناً تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الإمساك بأحد الحراس، وتكيله استعداداً لضربه، فساد التهرج والمرح بشكل لا يصدق حتى اندفعوا إلى داخل الثرمز به، ليستمعوا فيما بعد حارحها، ويورعون عن رمايين أخرى مثل تلك إحدى للحطبات التي أدركت فيها كم كان الأمريكيون بشيرون الشمعة ويشعرون بالدعم لأوهي الأسباب

كثيراً ما كانت يتم لإعارة على رمايين بصورة عشوائية، دون سابق إدار وقد كتب أشهر بالحيرة حفيضة حين أفكر بما كانوا يتوقعون العثور عليه بعد كل العثرة التي أصيهاها منقبين لديهم، وتمثلت «المهربات» التي كانوا يحدونها بين لعبة والأخرى هي بعض بقايا العلوى التي تركت بشكل ما هي علب الوجبات، وفضاضات ريشة من الماديل الورقية، كانوا يدفعون إلى داخل الزمارة، بأمرهم وهم بصريح قانس «اتجهوا إلى آخر الزمارة»، و«ارلوا على ركبكم»، بينما يوجه عناصر الشرطة العسكرية أسلحتهم إليها عبر الأسلاك، وبعض مصطفون جميعاً هي آخر الزمارة ولم يكن يترك شيء داخلها دون أن يفتش، ويطلب راما على عصب لفتاد هرادن فيما بعد إلى متصمها، وفتش بصورة منهجية

اقتحم عناصر الشرطة العسكرية، في صبيحة أحد الأيام، زمارة هي الطرف لمقابل لنا حين كنا نؤدي صلاة المجر جميعاً رأيناهم يجرون السجباء على الأرض بينما كنا نتم صلاتنا قبل أن يهوها بدورهم وكان طارق ديرعول لريطاني الحسية أحد برلاء تلك الزمارة فكنت قد سمعت أنه كان الريطاني الآخر هي المعتقل ولكني لم ألقه أبداً

ثم أخرج من الزمارة غير مكمل طيلة فترة مكوثي في قندهار، سوى مرة واحدة وكان ذلك حين هبت العاصفة الرملية طهبرة أحد الأيام تشجب الشمس بالمبار الذي أحال لون السماء برتقالياً هوطل المطر بموارة، فيما بعد،

وصوت الرياح معسكر يشوه بحيث حد عدد من زمارينا الحثيئة لموقفه
 يدعى وهذا عناصر الشرطة العسكرية يشعرون بالدعم مع معيب الشمس
 محاولين إيجاد طريقة لتفليس ولم يتواهر لديهم ثوب أو لعدد الكافي من
 الرجال هضروا إحداهما عشر وثلاث غير مفيدتين وأرعدا على الأسطوح
 مطلوبين عناصر الشرطة العسكرية الذين كانوا جميعا يصوبون سلاحهم بيد
 وقاموا بقلب على شكل قوس أو مسطحة رمي معركة، بعد إخراج منه ما

ساد حو من القلق بين السجاء خلال نصفه أيامي الأخيرة هناك مع تزايد
 لإشاعات حول نقل بعضهم إلى طليح عو سامامو حيث كانت إحدى المجموعات
 قد عادت بالعمل فاجبرني كودي قائلا «سيرتدي بعضهم برات برصاليه قريباً
 ما يعني نقلهم إلى عوامتنامو» لم يرد الناس الذهاب إلى هناك بالعمل وقد بلغ
 الأمر بأحد المصريين حد إخباري أنه يحصل الذهاب إلى سبعون بلدة سينه
 الميتة، ههنا عن كوبا.

طلعت بالبربرة، حين قدموا لأحدى منها مودعا الجميع معانقهم حتى بعد
 ن أمرني عناصر الشرطة العسكرية بالانبطاح على الأرض فكرت في حبه
 قائلا لبعضي «ما الذي سيعطونه إن ثم بعد رمي بالرصاصة؟»

واكبني أثناء نقلي إلى الطائرة، معطى الرأس بالطليح عصرا - بعضنا
 على نحو خاص - من الشرطة العسكرية قاما بدفعي نحو الأسفل، بحيث كاد
 صدري يلمس ركبتني، وكان ذلك مؤلما للغاية وحاولت الانتصاب قليلا بينما كما
 يصعد سيم الطائرة لا أكثر لكمي الأول حين صعدنا على متنها فحدثته قائلا
 «ما خطبك؟» لم تعمل ذلك؟ لا أستطيع السهر ويكاد ينقصم ظهري، أصبح لي
 العصر الثاني الحال للانتصاب قليلا، لمصرح الأول بعدة قائلا «لا.. وبيدهني
 نحو الأسفل ثم برميي على الأرض، ويركلي على أصلمي ونحدث فيما بعد
 قائلا «سيعلمك ذلك أن تقاوم مجدداً»

فكرت وكنت احاطه قائل اني ، كيف يمكن لي المضاعفة ما الذي
وهالده؟ ما اسي كنت اقل وحدي في حبه

فلعل الحائره وكنت اعلم اني سمعه اني ما عوام كما احسرتي ما بشي
وطني ما لغير اني كوني شخصاً مماثلاً انه ربما كان من الممكن ان رسل من
ما كسار من هناك ولم يكن الاحيود بمواثباتهم على اقل تقدير



-7-

الاختبار الأصعب

وصلت بأعرام، أنها من قندهار مكبلا معطى الرأس ملا - كون مهب لتقبل الأسوا مهما كانت ماهيته وكنت اعلم ما يصيبه عصفه ، لمعانه، مند كتب في قندهار، وأنها بما يكفي أنها تقصير محضا حمديا عدلا آخر خضع له عاريا أمام عدد من العمود والمعرضي شمرت مع ذلك بشكل وناحر - المعاملة إنسانية هناك إلى حد كبير مقارنة مع صراج العمود وصريهم لا في قندهار، وقد كنت قد سمعت بعض الملابس الداخلية التي اشترتها شيء من الذهب، علاوة على برة رزقاء أخرى، كتب عليها من الحلف 180 رقصي الحديد

تمثل أول ما لاحظته هي الضمت الذي يكاد يكون مطبقا هبما عدا بعض الأصوات العرضية لوقع البساطير التي كان صداها يتردد في الجبس وتم اقتيادي مكبلا غير معطى الرأس إلى إحدى غرف الاستحمام في الطابق الأول فكانت ناحتة تطل على منطقة السجى الرئيس وتعتك من رؤية ما يقارب ست الغرف هناك اكتشمت، بعد محبي وقت قصير أن بمصها كان يستخدم كمرف للإدارة، أو رداير لأهم المعتقلين كويرير خارجية طالبان السابق وكبل أحمد متوكل^{*}، فكان معظمها، مع ذلك، عروها إسمتية كشيبة محطة النود قد تمثل كل ما كان مهيا بطاولة خشبية وكراس بلاستيكية رحيصة

وصمت في غرفة وأحلت مقابل الباب حيث كان يوجد أعلاه مصباح كهربائي سطع صوؤه في وجهي، ولم يطل الاستحمام الأول كثيرا فقد حصلت له من قبل محققين مديهي، لم يسألني سوى عن بعض التفاصيل الشخصية بمرص

^{*} أطلق سراحه في شهر ايار / مايو من عام 2015 ودعي من قبل الرئيس حامد كرزاي لحوض الانجابات، (المؤلف)

لتحقق من التنبؤات الأنبياء من قندهار إذ أخبرني الاثنان مع ذلك ان مريرا من الاستعوانات الطويلة المكثمة كانت بانتظاري هي المستعص من قبل محققين آخرين.

تمكنت من رؤية السبع بوصف لأول مرة عند خروجي من غرفة الاستعوان حيث كان عبارة عن معمل صمغ مهجور من نقايا طموحات الاتحاد السوفييتي السابق حين كان عدوا للإسلام والعرب معا وكانت هناك قطع من الألار المهمة وعشرات تعديرات على الحدود باللغة الروسية

اصطكك السلاسل التي كانت تعيدي بعضها ببعض، حين كنت ابرل الدرجات سطر عارضا في اهكاري حول ذلك المكان الاستثنائي، وتذكرت كيف كان اهتمام هيسام آخرى للسوفييت الذين رعموا، كما يعمل الأميركيون الآن انهم قدموا المساعدة البلد، فقد تعاقب قوبان عظميان، خلال أكثر من عقد مضى على احتلال هذا البلد الذي يعد من اخطر دول العالم، فكان التاريخ بكرر نفسه بصورة عريضة إذ عدت بدكرتي إلى الوراء أكثر حين كان هذا البلد المقصر المحاط بالهابة من جميع الجهات بشكل مطمعا لروسيا القيصيرية، وبريطانيا العظمى إبان فترة تدهورها للسيطرة على اسيا الوسطى، وتذكرت استذكرت علاوة على ذلك، ما أخبرني به أحد الأعمام في قندهار عما يتذكره من حقبة الثرو السوفييتي كانت المعارضة ضعيفة مشنة في بداياتها، ونسهر على ونبرة بطينة ليستد عود المقاومة المسلحة بصادق قديمة ليس إلا، هي عصون أشهر، بحيث تمكنت من توحيد العديد من المجموعات لصالح العدو المشترك، وإيقاع الحماثر هي صفوه، حيث كان الروس قد دعوا إلى دخول أفغانستان، ولكن ذلك تم من قبل نظام موال لهم

لحطت شوقا آخر في طريق عودتي من الاستعوان، مارا بالترابرين كان لكل وحدة منها اسم خاص بها، كتب محط أبيص عريض الصومال، ولبان، يو إس إس كول، (الدمرة الأمريكية التي صرستها القاعدة قبالة سواحل اليمن) نيروبي

اليوحى و ليستاعون تساءلت عما كان يجمع بين كل تلك الأسماء والأماكن هل كانت الولايات المتحدة تمجر عضنها الكامن انتقاماً لكل عملية عسكرية حسرتها أو عمل إرهابي تعرضت له؟ حسناً يمكن قول ذلك فقد مثل الإسلام عنوان الاستهداف العريض. لو سلمنا بصحة المراجع حول مسؤولية القاعدة عن بعض تلك الهجمات، فما علاقة ذلك بلسان، مثلاً (ربما بسبب تحجير مقر التحرير في بيروت عام 1983) أو الصومال (تدخلها العسكري العاشل، وسجل حثه مليارها هناك، هي العقد الآتي)؟ ما لي بكل الأحوال وأي من تلك الأحداث؟ ما علاقتي بحق السماء بها؟.

شعرت، شبهة ما تولد لدي من انطباعات أولية أن الأمور ربما تكون أفضل ولو قليلاً، مما كان عدد السجناء أقل بالأكيد، ما عسى بدوره فلة عدد الحراس والمحققين أحدث إلى الرقابة رقم أربعة، لأهم سبب الضمت غير الاعتيادي الذي كان يعم المكان.

حاطبسي الحارس، بينما كان يفتح قفل الباب قائلاً: لا يسمح بالتحدث مع السجناء الآخرين، ومطالبي هيمما بعد بالدخول عبر ممر يؤدي إلى الرقابة هاضاف الحارس، قائلاً إن الوقوف، أو السهر أو الصلاة جماعة، أو الجلوس ضمن مجموعة كان ممنوعاً كذلك علمت، بعد مضي وقت قصير، أن القوابين هي بأعرام كثيراً ما كانت تتغير دون سابق إنذار، وإن كان ما أخبرني به ساري المفعول في حينه.

سألته قائلاً: إلى تترع الأصماد؟

أجابني قائلاً: يجب أن نبقى أسيوعاً، أو حتى بقول الرفيق المسؤول عن الحراسة مادٍ عناصر الشرطة العسكرية إن احتجعت الذهاب إلى الحمام، وسيرع أحدهم الأصماد عن يديك، ويعد وصعها حين تنهي من قضاء حاجتك.

وجدت راوية هارغة لأبسط عندها البطاليتين القديمتين اللتين سلمتا إلي من قبل، لاهما إحداهما على شكل وسادة، متدثرأ بالأخرى، حيث كان المكان برمته.

كما هي قدهار مصاء بالصايح الكاشعة المتحركة، التي لم تكن تتطهر إلا عند حدوث بعض في الطاقة، ونعم علي نقطة راسي لأحاول اليوم حيث كان من الصعب للغاية التحرك والأصماد تكل بدني ولكنني تذكرت إسلام أمد هي حبه شاكراً حطلي لدي عمل مني شعصا صنيل الحجم، حيث أحدث أحرك معصمي بسة وشمالا لأحدهما بسلان من الأصماد دون بدل ما يذكر من جهد، فكنت بام كل ليلة محميا الأصماد تحت المطبوعة حتى أريت عن بدني هي نهاية المطاف

أحدثت منطقة البحر التي كتب فيها على صحت رمايز موصولة بواسطة الأسلاك وذلك ما مكمني من رؤية المتحاور منها جيداً، علاوة على الأرضية الواقعة أمامها بالإضافة إلى ناحية الطابق الأول، حيث كانت تعرف المحضوب وكان لدخل كل رمانة باب مصدسي صلب يؤدي إلى مرور طوله أربعة أقدام تقريباً، يسوي إلى باب معائل آخر، يفتح على منطقة الرمايز الثلاثية، وكان الباب الثاني يسيطر عليه بواسطة حبل رفيع يرحبه محاصر الشرطة العسكرية أو يشدونه ليعزل السجين عن بقية الرمايز خلال عملية التكميل، وفتح الباب الأمامي وكانت الأرضية خشبية، مغطاة بسجاد إيراني رخيص، أحمر اللون هي الأساس تتخلله ألوان رمادية لينة، تمثل المرحاض، هي آخر الرمانة، بنصف برميل ريت صدق لا يصورح الحراس إلا كل بضعة أيام هادتي رائحة المائط كثيراً هي اليوم الأول، حسية صداها حاداً، وكانت نوداد سودا بريادة عدد السجاء

بدا، خلال بضعة الأسابيع الأولى هناك، أن عدد السجاء لا يتجاوز العشرين أو نحو ذلك هي المسى بأكمله كنت أرى عددهم يزداد، مع ذلك، كل بضعة أيام ولم تحنو الرمانة التي كنت فيها أولاً، رقم أربعة، إلا على أربعة أشخاص آخرين طبيب طاحيكبي، ومطالب إيراني وسائقي سهارتي آخرة أهلبيين، تمكنت من رؤية ستة أشخاص هي الرمانة رقم خمسة، الواقعة إلى يسارها، واكتشفت بعد مدة قسيرة أن من بينهم أهلبيا هرما، وفلسطينيا مسنا، وسعوديا، ومصريا، ومن اهتمت أنه أمريكي لأعرف فيما بعد أنه كان بريطانيا مثلي، يدعى ريتشارد

بيلمر، فتكثرت من تبادل بعض الكلمات معه، بالرغم من التحفظ العباري لمروم على ذلك، علاوة على بعض الحوارات المتخصصة مع الطاحيكي والإيراني بالأوردية، فاحبرني كلاهما انهما احصوا إلى هناك عدد ما يقارب الأسبوع، وبدأ حائرين قلقين كما كنت واكتشفت، بالاصحاح إلى ما سبق أن البراية رقم ستة كانت تضم أربعة سجناء آخرين.

لحظ بقية السجناء، بعد فترة قصيرة أنني استطعت التواصل بسهولة مع الأمريكيين بلا مترجم، طالبين مني استمرار فعل مطالبهم إلى الحراس والمرصين، فسعدت للغاية بلعب دور المترجم لما نواجر لي من عرض التحدث إلى السجناء الآخرين في المواضيع كافة، وتبادل الأخبار معهم أمام باطري الحراس مباشرة، دون أن يهموا شيئاً من ذلك.

كانت لمراتان رقم واحد وثلاثة الودفغان إلى يحيى، حالين، بينما كانت رقم اثنين تضم سجيناً واحداً ولم أكن قد استرحت بطارني بعد، عند صعودنا أثناء تنديمي إلى الأمريكيين في إسلام آباد، ولكنني شئت أن ذلك السجن الذي كان برندي ثوب شالغار كامهر رمادي اللون، ذو شعر أسود طويل أشعث يتحدث كثيراً كما كان بادياً، وإن لم يكن يوجهه في حديثه إلي أو إلى أي ممن استطعت رؤيتهم.

صرح أحد عناصر الشرطة العسكرية هارا رأسه بصورة مضحكة، بينما كان يمر بمحاداة البراية رقم اثنين، قائلاً: «حيوان»، كان ينادي ذلك السجن الذي افترضت أنه كان خطراً للغاية بالنظر إلى عمره، والاسم الذي يطلق عليه، خاطبه العصور قائلاً: «كيف حالك اليوم؟ هو رأسك لي كما هي برنامج، الموبيت شو،» هذا أفضل ذلك، وسأعطيك قطعة من المأكلة، هرد، «حيوان»، ببعض الأصوات لجهة بعض اللغات بالبشتونية، وسألت ذلك العصور، الذي كنت قد حدثته مرة، بينما كان يمر بمحاداة برانتي، عن سبب إطلاق ذلك الاسم عليه.

أجابني قائلاً: «لا أعلم لم يحتج هذا، أظن أنه محزون وبهذه تنطيف أسنانه، أو الاعتقال، ويتحدث إلى نفسه كثيراً، ويشبه شخصية «حيوان» التي تظهر في برنامج «الموبيت شو»، بأهلك عن الشبه الكبير الذي يعمل به تشارلر ماسون،»

تحدث كذلك إلى أحمد السعودي الذي كان قد اعتقل من قبل الماكسيديين في لاهور - حيث كان يقيم عدة سنوات - ليعمده إلى الأمريكيين كما حربي كثيراً ما كان يؤخذ للاستحواذ من قبل عربي أمريكي ذي اصول مصرية وهو من اكتشف لاحقاً انه كان يحظى بالكثير من السلطة في باعرام كان أحمد قد جرد من صلابته بعد رهصه الماورى مهدداً بقتل المحققين ان يرفضوا له ثابته فحسم ذلك المحقق العربي من حدة طريقته بكل الاحوال، على مر الأيام

الآن تنتهي رواية يا أحمد؟ كم من السنين طلت ان بإمكانك قضاء دهن ماء؟ ان تفاوتت مما هو أسهل الأمور عليك كثيراً.

نعم أحمد برواية رده اللادع على المحقق - ولم اكون بحاجة إلى امرأه؟ الأثرى - مشيراً إلى عاقبه - ان سرروالي يعتنق بمصررات العديد من الاعلام المشهورة؟ كان ذلك احراً ما سمعته من المحقق ومن أحمد قبل إرساله إلى خليج عوامانامو

مثل الطعام مشكلة حقيضية، إذ كانوا يقدمون لنا وحيات من الأطعمة الكوشية/ بحلال مرنس او ثلاث في اليوم وقد كانت تتنوع بمقدار عشر وحيات ولكنها لم تكن مستساعة بكل الاحوال، ولم يكن أي من الطعام مطهياً باهيك عن قدمه ويمثل ما زاد الطين بلة هي صحتهم العلب ورمي العديد من محتوياتها، بحيث لا يتناول إلا ما أرادوه لما لردامة مذاقه ربما، فلم أكن بذلك الشحس الأكل، ما لم يؤثر في كثيراً، على النقيض من هافوسي ضخامة من الأكلة فقد احتوت العلب على ما يمكن دعوته ملاعق بالكاد، ولكنها طلت تعمل أسلحة محتلة بالنسبة للحراس، حيث كانوا يحرصون للغاية على عدم الملاعق كافة في كل رواية

لم تكن هناك مفاسل في الرواية وكنا يؤخذ للاغتسال خارجها مرة كل اسبوع، إذ كانوا يهرعون اصصادما، هي منطقة مسيحة للاغتسال ليصبح كل منا، بالمور دلوا من الماء البارد، وكنت، بالرغم من ذلك اتعطش للاغتسال بعض النظر عن مدى برودة الماء، مثل عدم نواهر الماء للاغتسال بعد استعمال المرحاض

امراً مقررأ، وقد أصبر الحراس على أن راحجات المياه كانت للشرب فقط مهددين بمعاذرة من يمثل نواصطها بلغت سمعتها حمسين مللعم وكثيرا ما كانت تأتي من دول مسلمة (كالكويت، والإمارات، وتركيا، وعمان) وبورع عنها بعد أن يتم تسجيل اعدادها بدقة وكنا نحظى برحاحتي هي اليوم على ابعد تقدير حلت إحدى وحات الطعام من أي ماء للشرب، وقد تحدث أحد الحراس هي حبه قائلا: «لا يوجد ما يكفي من الماء، تشربون الكثير منه، بما يوقف بحر الحود». فقد كان ذلك مستحيلا بالنظر إلى أننا لم تكن نتجاوز العشرين، مقابل المئات بل وربما الآلاف منهم. ناهيك عن أنني سمعت بمصا منهم يشكو بالمص من نوعية اللحم، أو السرطان البحري الذي يقدم لهم خلال وحات المشاء أو انواع الصودا التي لم تكن تروقهم، وهو ما يعني استعالة قبولهم شرب راحتي صميرتين من الماء هي اليوم لا أكثر.

تحدثت، بعدما كنت اعهد إليه وحة طعامهم الكرية، قائلا: «إن لم نعملوا الماء للشرب، فليشمل ذلك الطعام أيضا».

حاطني قائلا: «ترحمي تناول وحتك إدرا».

احبته قائلا: «معم، والبقية كذلك»، بينما كنت أشير إلى سعد وأحمد اللذين كانا يمهذان وحتيهما أيضا، طالبي مني نقل شكواهما، أردت قائلا: «تعتبر الفواين هما باستمرار، فكيف تتوقع ما تناول الطعام دون شرب الماء؟ لا تتركوا لنا، بكل الأحوال سوى مكوّن أو اثنين من الوحة، لترموا البقية، فما لدينا لنحسره بعد».

تعرضت لمضوئي الأولى نتيجة ذلك، وبدا الحارس الجديد صاجا من ميل الشكاوى التي نقلت إليه بإحليزية ممزارة وأطلق مصراحي كي يستشير رئيسه، وعاد بعد وقت قصير برهقة الرقيب المسؤول عن الحراسة، وثلاثة حراس آخرين، طالبا مني الدحول إلى الممر الواقع بين البابين.

خاصمي أحدهم قائلا : اذهب وأحضر أمثلك الغصه، ستعمل من هذا.

كنت ونقلت إلى الرواية رقم ثلاثة - أكرم الربايرين - التي كانت حالية واحبوت على الوقوف هناك ما يقارب نصف ساعات وعلمت من أحد الحراس مع ذلك أن حصنة السعداء من الماء ريدت بمقدار رباحين أصنافين في اليوم منبحة مباشرة لرخصا تناول الطعام، ولم يكن ذلك كافيا أيضا ولكنه هو بانصرص عموما وتعمل لأمر الأكثر أهمية ههنا تعلعت من ذلك الموقف يومي لإسحاق الموني أكله في نهاية المطاف

كانت الأيام تمر برماية وطفء شديدين ما حظي أنحسر على صباغها سدى إذ كان من الممكن تمضية كل ذلك الوقت مع عائلي، حيث استرحفت ليلة تلو أخرى بينما كنت أعطي رأسي بالمطبخية الرمادية القديمة لأصحب صوته لمصايح الكاشفة الساطع عن عيمي مشاهد من حياتي السائفة فكرت في لمقام الأول بالمدرسة، وأيام طمولي، صعبا والذي عن عمد كيلا اتالم بصورة أكبر، وحاولت جاهدة كذلك ألا أذكر بريس، والأطفال وسواتنا الأخيرة معا كنت أسمع لدهمي أحيانا بالحوص ههنا يمكن أن أعطه لحظة إطلاق سراحه مطعما من فاعتي الراسحة بأسي عائد إلى البيت قريبا، حتى يسهي ذلك الكاوس.

اثارت طريقة جنود باعرام في نواصل هصولي لمعرفة المزيد عن شعبيته ولم يحاولوا إحصاء اسمائهم عبر الإشارة إلى الأحرف الأولى منها (كما فعل عناصر الشرطة العسكرية في قندهار) بل كانوا يستخدمون أسماء مستعارة كسوبرستار وسكيليتور، ومويرمان، وكان صاحب اللقب الأخير من تحدث التي عن حيوان، حاري الجديد هي الرواية المحاورة

وحد بعض عناصر الشرطة العسكرية المرمعة مناسبة لمخافه حيوان، بالنظر إلى المص التام للتحدث في الربايرين، يجمع التحدث يا حيوان حتى لو كان إلى نفسك، أمروه بالوقوف ساعة كاملة، بهما كان يواصل التحدث إلى نفسه

ناهيك عن الماء والمصطك، نظر بعد بصبح دقائق إلى السقف، وكان أحداً يحضر شيئاً ما فطرح على مصفه سؤالاً عيماً بعد، قائلاً: «كمبودة»، ليهر رأسه إحداه معه بالمواصفة قبل أن يجلس أخيراً، هناك مصفي ينقطع من المصطك، بهما دخل الحراس الحامسون إلى رصانه، كي يعبروه على الوقوف ثابتة وتمثل أسس الذي طرحه حيوان على مصفه للتو هي، «الحلقة»، باللغة البشتوية

تمثلت الإشاعات هي أن حيوان المشرود الأهماسي الضعيف الذي لم يكن حاجته إلى مصح عظمي بحافية على أحد، تمثلت هي أنه سلم من قبل تحارب الشمال مقابل مبلغ ناهه فلم يؤخذ مرة إلى الاستجواب طيلة المدة التي رآته فيها هناك وتم نقله هي نهاية المطاف إلى الرماية رقم أربعة ليكون برفقة صعباء أخوين هذه المرة وقد صعد الرماية شيشانيا أهنر من سورمان أنه كان روسها ليطلق نطليقات ساحرة حول الاتحاد السوفييتي، وليس، ومثاليين شكل ذلك مثالا نموذجيا على الجهل الأمريكي هي نظري، ألم يكن بدري أن معاملة مثاليين للشيشان - بالرغم من مقاومتهم الباسلة لناريين - كانت الأسوأ هي ناريهم بأكملهم؟ نصح السورمان الأمريكي الأصبل، مع ذلك بمعرفته الرسمية عن القادة السوفييت السابقين طانا أنه سيعاين السجين الشيشاني بذلك

عبر سورمان عن دهشته حين سمعي أتحدث لأول مرة قائلاً: «من أين أنت؟»

أجبته قائلاً: «حسن حاول معرفة ذلك من لكتي».

عقب قائلاً: «أعرفه من إسكتلندا».

صعدت الرماية رقم أربعة كذلك فني عربيا صغير السن، شاحب الوجه للغاية يبدو العصب عليه أكثر من القلق أو الحزن، إذ كان قد أصرب عن الطعام منذ اليوم الأول، حاولت، بالرغم من وجودنا في رصانتين مخصصتين - كنت لا أزال وحدي هي الرماية - التحدث إليه عبر الأسلاك، ولكنه لم يستجب، وصرح مع ذلك، هي إحدى المرات، يحاطب واحداً جديداً إلى الرماية السادسة بالعربية، قائلاً: «أحبوني الله عما فعلته، قلت إنني أعلنت الولاء لأسامة بن لادن، أليس كذلك؟»

كنت قد حاولت الحراس كي يسمعوا لنا بأداء بعض التمارين يوميا فتمت بأداء أولها هي الواقع مكلل البدين، مفيد القدمين، واستمتعا حميدا، مع ذلك، بممارسه تلك التمارين، بالرغم من أن العديد من السحباء ما كانوا يملكون سوى خبرة ضئيلة للغاية بالتربية البدنية إذ كانت مشاهدة بعضهم يؤدون قسما من هذه التمارين مضحكة، تشير التطبيقات الساحرة من قبل عناصر الشرطة العسكرية، فصرح أحدهم في إحدى المرات أثناء مروره، عاجزاً عن كبح ضحكائه، قائلا، التربية البدنية للمصوفين ذهباء، استخدمت التمارين الحسدية، مع ذلك كألوب للمقاتل أيضا، وكان الحود يصرحون ساعات هي المسح - اطل انه كان أومبوريا (من تركستان هي غرب الصين) - كي يؤدي تمارين الضغط والمدة والمرونة وغيرها، فسقط الرجل على الأرض من شدة الألم بعد أن بعد كل ما أمر به، ونقله الحود على حمالة هيماء بعد، وقد كانت تلك المرة الأخيرة التي أراه فيها

تم إقنيادي طيلة الفترة التي أمضيتها في التمرية رقم ثلاثة، معرولا عن بضعة السحباء، شهجة سنوكي الموصوي، ثم إقنيادي إلى الاستحواب هي الأعلى عدة مرات وأخبرني شخص يدعى غاري بعد أسبوع تقريبا من حادثة الماء، أن فضلي عن الضية كان مسبب تحريضي لهم على الإصراب عن الطعام، وعقبت قائلا إن أسبوعا بأكمله بضربا كان قد حصل على تلك الحادثة، ليغضب بدوره قائلا (لهم كانوا) بطيئين هي المصيد، ولكنهم فعلوا هي نهاية المطاف..

استحويسي بعد ذلك بمشقة قصيرة عميل، الإف بي أي، رايان، الإيرلندي الأمريكي من نيويورك هي مسار موار لما فعله زملاؤه هي قدهار.

حاطبته بأعمال قائلا، يعلم جميعكم أنني لم ارتكب أي جريمة، فلم أعمل ما يؤدي أي أمريكي على الإطلاق، لقد حطمت حياتي وحياة عائلتي دون أي سبب.. كنت مصراً على إظهار برائي بالرغم من عدم إخبارهم لي بالجرم الذي يعترضون أنني اقترعته.

مهمة منهم ملقيا عليهم السلام مرحبا بهم، إذ كانت رؤوسهم حليلة بينما تركب لحاهم على حاليها فاصبح من الواضح بحلول ذلك الوقت حسي للأمرين أن حلو اللعبة يمثل إهانة لمعظم المحتشرين الأفعان المسجونين على وجه الخصوص الذين كانوا يشكلون غالبية دفعة السجناء الحدود مدني أوليت - تشانتي الشهور - باللغة المشنوبة

حاطت العميل رايار حن رايبه في المرة التالية، قائلا - تهاسي، يبدو أن بفيه الأفعان الذين أرسلتهم إلى الله يمثلون بحمة وحدات المسجونين الضالعية لدى الطائفة فاستحال وجهه احمر دون أن يرد بأي كلمة وأخبرني فيما بعد بكل الأحوال أن شعصا جديدا يريد التحدث إلي

دعا الرجل نفسه مارك وقد كان قصير الشعر، حلق الدفء يرتدي ملابس مدنية ولا يكرمي كثيرا على الأرحح وتركنا بمفردهما في غرفة الاستجواب فله نكر الأمور نحري كذلك هي العادة وذلك ما دفعني للساؤل عما كان ينتظري واحمرني أنه يعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية وأن موقعه السابق كان في سوريا عارضا علي العمل معهم، وكان عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالي روبر وبيل قد عرصا علي الأمر دانه أيضا - إعطاء صفة شاهد - والدخول في صفقة لنحقيق العفوية، والانسجام إلى برنامج حماية الشهود - بدأ الأمر كغلام هولبورود

تحدث أحدهما في حبه، قائلا - سترسل عائلتك إلى الولايات المتحدة ويصح أطفالك هي مدرسة إسلامية.

عقب قائلا - وستشرون لي سيارة لمبورغيني أيضا، اليس كذلك؟

أجاب قائلا - نعم لن تشتري سيارة لمبورغيني بل بوغو (سيارة رخيصة النصف).

كان كلاهما حادا للغاية مع ذلك، بعض النظر عن دعاة السيارة

يبرون كوريا الشمالية كونا ؟ إن هربت إلى إنجلترا، فهل سيسلموني إلى
الأمريكيين؟ لا أن يفعلوا بالتأكيد، هيريطانيا تحترم مكانتها وفوق بيها التي يبيع
ذلك. أهر ما سيحصل بالتأكيد؟ توجد، بكل الأحوال قوانين جديدة الآن ولا
يعلم سوى الله ما تصنع عليه. لقد كانوا يستحبونوني بالفعل قبل أن أصادر
بريطانيا، ولن تريد الأحداث الجديدة من النار إلا اشتعالا وربما كان بإمكانني
الاحتفاء مع عائلتي في باكستان لا لا أريد يوريطهم في الأمر فيمكن أن يبيع
المسؤولون الباكستانيون المناهضون أمهاتهم بالمساحطة ذاتها التي يبيعون فيها
عائسي ماهيك عما فعلوه في ولا أعرف مع ذلك أي أحد أو مكان آخر لنا
إليه ولكن ما الذي سيحصل لو قبلت عرضهم بالفعل؟ لو عملت مع السي و
يه، بالفعل؟ سيرحمون بك بالتأكيد فقد قال لي مارك إيمي دكي منصف
أبض عدة ثغرات لأنو حسيديا إلح وهل استطيع بيع حياتي حتى اللحظة
الأخيرة منها؟ الحياة ذاتها التي أحتشي في هذه الرحلة أساسا، كيف يمكنني
الطفر في وجه أفراد عائلتي أو محتلمي أن قبلت؟ ماذا عن المبادئ التي عشت
تمسكها بالإصرار والحكم بالذات، والشباب؟ لم أفعل ما هو حاصل أو أؤد
أحدا أو فعلت أي إنسان ماهيك عن محاولة القيام بذلك، أو التخليط له لا بد
أن أؤمن أن الحق سينصر لا معالجة وإن كل ما أمر به لن يدوم إلى الأبد ولكن
ماذا عن ريب والأعمال؟ ربما أصبح شخصا غريبا بالنسبة لهم إن أطلق
سراحي بالأساس من قبل عديمي الرحمة أولئك ال .

فكرت قائلا نفسي :ها هي دي لحظة الحقيقة قد حانت، لحظة محاكمة
الذات واحتمار الإيمان اجترها نجاح كي تصبح حرا، أو أحقق في ذلك
لتعبر عائلتك، وشرعت، وكرامتك، وما تحمله من احترام لذاتك، وأحزنك .

يقول الذكر الحكيم، الذي أتلوه كل يوم «أَنْهَمَا تَكُونُوا بِذُرْكُكُمْ الْمَوْتَ»^(١)
يمص القرآن الكريم على أن الحياة هابية، وما هي إلا دار عيور إلى الأخرة،

(١) سورة النساء، آية ٧٨ .

حيث يحاسب المرء وفق ما عمل في حياته الدنيا وقد تمثل أكثر ما كان يتردد
في ذهني من الذكر الحكيم هي سورة الممتحنة وأحسست بالعمل وكأنها
كانت موجهة إلي تحديدًا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ
كُفِّرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ بِخُرُوجِ الرَّسُولِ وَبِآيَاتِهِ أَنْ تَقُولُوا بِإِلَهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُحَرِّمِينَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَاتِّعَاءَ مِرْصَافِي تُسْرَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَإِنْ أَعْلِمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
رَمَا أَعْلَنِي ۝ ١١٤ ﴾

﴿ إِنْ يَتَفَكَّرْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطَرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا
لَوْ نَكَفَرُوا ۝ ١١٥ ﴾ لن نفهمكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ۝ ١١٤ عرعت هي
الأفكار التي ما امتكت تجوب رأسي

اعدت إلى ربرامتي بخدم ذلك النقاش في داخلي ولم أزد على عرض
السبب أي أمة، أو أرمالك أو أسمع عن مقترحه محددًا وفكرت في الأمر
مرارًا متسائلًا عما إذا كان جدعة لتبهار ما إذا كنت سأنهر العريضة أو أمونها،
واعتمد أنه لم يكن يتوقع أن أزد عليه على الأرحح إذ كانت الحيارات قد تميزت
هي المرة الأتية التي تحدثت فيها إلى شخص من الوكالة

تعمل أحد الأشياء المحيرة هي باعرام بمحاولة التمييز بين كل من كانوا
يرتدون ملابس مدنية، وممرضة المسؤول الأول عن سهر الأمور هناك، فقد كانت
مشاة عسكرية بوضوح لا سيما مع وجود كل من كانوا يحرسونها من عناصر
الشرطة العسكرية. بزيهم النظامي الكامل، هبدا، بكل الأحوال، أنهم كانوا
حاضرين لإمرة المحققين المدنيين الأتيين من وكالات استخباراتية معتمدة، إذ امتلك
المحققون العسكريون كذلك حيار ارتداء ملابس مدنية، ولكن تمييزهم كان يسهل
عن البقية، حيث كانوا أصغر سنًا هي العادة، وعالبا ما يرتدون سراويل أو
بساطير عسكرية، ويحملون سكاكين فنانية على حصورهم

(١) سورة الممتحنة، آية ١

(٢) سورة الممتحنة، آية ٢، ٣

لحفظت ان الصبح كان يعامل من نفس جميع النعيج هذه والحمد لله
المحفظون يظنون اليه

قلت في شهر ابريل مايو بعد ما كان في رجب في الايام من محرم
الاف بي اي، والسي بي بي، بد ش من عملا، النهر لاور لاستعد
مفتحي نورثي في عدد من اليه تحطيرة لدية بد من تحطيرة لاسي
البا مروزا بالاشرف على الاشطة الثانية تحطية لعايدة في رجب
بالشاركة في ردة حد ممكنه في اعماسان وعمل الاث من جد
السل الكملة ساكيد موبها بها في محسن - به دلت باعتر في

احسب وكسي احد شحطيات فلا هيمس يوم الاحراميه الفيد
بعد كما بشار اسي حريح احد حمامات البرضاية تحريفة وتقر نصير
من اللغات وحبر في الكمبيوتر وهو لصال

حاطلتهما في احد اثرات قائلًا : لو لم تكن في هذا الوصف السعيد
لاحتك بها تضايه عي هيدر في ممانسكما بكاده سهرني اذاتية وسيمكمي
ذلك من الحصول على اي وضعه يد.

كان من المعكر اعسار ذلك طريقا باعمل لو لم يكن لره واقما تحت رحمة
اولئك العارفين في اوهامهم وذلك ما جعله مروزا بالأحرى، اد توصل العمل
إلى حرة من تلك القاعات بعد محصر كمبيوتري للحصول الذي صودر من
صرلي في إسلام باد وأبيرا عددا من الصور التي تحويها ملفاته بعد استفادته
من الحذف، وطباعتها

سالاني فأنلي : ما الذي نفيه تلك الصورة لم تحفظ بها في جهازك ؟

اخبرت كثيرا في حيله وعجرت عن التفكير هم اي أنت تلك الصور ؟ وما
الدو يدعني إلى الاحتفاظ بها في كمبيوتري ؟

أدركت مع ذلك، بعد امتلاك ما يسمح لي من الهدوء بالتفكير في الأمر طبا أن لا
أحد من الناس يلم تماما بكل صورة محبرة في كمبيوتره علوا امتلك أي من العميلين

شيئا من المعرفة الأولية بأجهزة الكمبيوتر لأدركنا أن المحلد المسمى «ملفات اسبريت الموقنة» يحدد كل الصور التي يحويها أي موقع إلكتروني يتم فحصه وأن عملية «تنظيف لفرص» يحدد كل الملفات غير الضرورية إليها من المحلد المذكور.

أبهر الرحلان عدداً من الصور أمامي بما فيها صورة إحدى حشرات عناكب العمال ومراسلة «لبي بي سي» كابت كلارك والدا وحاطاني هائلين. تم استعادة هذه الصور المحدودة من جهازك فاحسبنا عما كنت تنوي فعله. لم تحتفظ بصور البابا؟

حدث شخص ثالث «الرائد أحمق» كما كنت أدعوه في داخلي قائلًا «إن حدث أي شيء لبابا وعلمت أنك متورط فيه فلاكسور كل أصبع في يديك فإنتي كاثوليكي أبيض».

اسم ذلك بالسبع لدرجة أنني عفت قائلًا «جبراً تعمل يا صديقي» ولم ينجبهم استنماهي بالأمر مطلقا وكانوا ينفذون أعصابهم متعبة لذلك.

بدأ الاثنان فيما بعد، طرح الأسئلة حول تعاملاتي المالية «حسبون ألف حبي» أرسلت من حساب في جبرسي إلى حساب روك في بريطانيا، لم كان ذلك؟

اجبت قائلًا «لشراء منزل بعد مبعث والدا روحي المال لشراء منزل حتى نروجنا محسبكما أن تتحريرا عن ذلك لتأكد».

عفا قائلين «هل أنت واثق من أن ذلك المبلغ لم يرسل إلى أهماستان؟»

لم أر سبيلا بالعمل للإجابة عن تلك الأسئلة السخيمة إذ كان كل ما يتعلق بشراء منزلنا موثقاً بأميك عن عدم وجود نظام مصرفي في أهماستان، ولم نكر هناك مصارف يمكن للمرء أن يحول إليها حصص ألف حبي هي ذلك البلد.

سألني العميلان فيما بعد عما إذا كنت مدرباً في أحد معسكرات القاعدة في أهماستان راعمين أن أحد المحتجزين قال إن مدربه في معسكر الماروق كان باكستاني يدعى «أبا أمامة» وأصر كلاهما على أن أحد أعضاء القاعدة البارزين كان قد أقسم على أنني كنت مدرباً في المعسكر المذكور.

لم أعلم الحقيقة وراء هذا الاتهام إلا بعد مرور عام كامل، حين كنت في
مونتريال. فقد كان من المريع بالعمل أن يتلاعبوا بحياتي بتلك الطريقة.
مستعدين في ذلك إلى معلومات استخباراتية خاطئة، فلم أقرأ روايات كافكا
ولكنني علمت أن ما فيها من مؤس كان يطبق علي تماماً

كان عميل «السي أي آيه»، الذي قدم إلي على أنه مارتش، حائلاً أثناء
الاستجواب بصدق في ببساطة، فقد كانت عشاء رزقاوين للمائة، وبدأ وكأنه يور
قراءة ما يدور في ذهني عبر نظرائه الحادة، فمثل ذلك مشهد استجواب تقليدي
كما يحدث في الأعلام. ولكنه كان حقيقة أعيشها، إذ كان الصوء مسلطاً علي
وعني جلس عميل «الاف بي إي» إلى جاني مارتش، الذي كان يحمل بدفئة «ام 16»
مقابل الطاولة بينما جلس آشان أحرار، «الرائد أحمق»، وشخص يدعى اليكس
ورائي

تحدث بيل أحد رجلي «الاف بي إي»، قائلاً: «أخبرنا عما كنت نعطط له
يا معظّم».

أجبت قائلاً: «ترجمة مصوص عربية قديمة إلى الإنجليزية...».

فاطمسي مارتشي، عميل «الاف بي إي» الآخر، وهو بصريح، قائلاً: «لا، ليس
كذلك تعلم ما يقصد» حسبك أن تعرف، فهل كنت نعطط لعملية انتحارية؟ أو
ش هجمات كيميائية؟ أو اغتيال .

فاطمته قائلاً: «ما الذي تتحدث عنه بحق السماء؟ أظن أنك متأثر بكثير من
الأعلام التي شاهدتها....».

جاء صوت اليكس من الخلف، قائلاً: «هل كنت تقابل في الحظوظ، الأمامية
صد القوات الأمريكية والبريطانية؟».

استدريت باتجاهه قائلاً: «على رسلك أهو لبحرود انتي قلت: إنتي زوت .

فاطمسي بيل وهو يصرح ما استدعى عودتي إلى وصيحتي السابقة، قائلاً
«لقد شعنت هذا الهراء».

حاطبي عارتي، بينما كان يسير بصورة من معلمه قائلا: «هل تود رؤية أطمالك معدة؟» فقد كانت معه صورة امامة، حين كانت هي الثانية برهفة طمعل آخر، وأردف قائلا: «بيدو ايك لا تهتم كثيرا لأمر عائلتك وتصرف بأناية كبيرة، فكر بعد يعكر أن يحدث لهم من دولك فكر بأطمالك بروحك».

حاطبته معدة قائلا: «نوقف!»، حسبك أن تتوقف! لا تقم عائلتي هي الأمر، «فه اعمل ما يؤدي أي أحد ولم يتعرض أي أمريكي للأذى بسبب أي معاقبة به، ولم احطط لأي شيء كذلك».

امطر هوادي حراء التكبر في اسني وقد كت حريما للعناية بحاصبا حائما مما يحببته المستقبل ووددت لو اموت هي تلك اللحظة ووددت لو يموت من يستعربوسي كذلك من معهم الحق لتدبوس دكر وروحي وأطمالي؟ لقد كان أولئك السلة من دمر حياتهم هي المقام الأول

سحب احدهم حذاء الكرسي بعيداً وذلك ما اضطرني للوقوف فحاطبي الرائد قائلا: «انهم من على مؤخرتك فلم تعد تستحق التكريم الذي منحناه اياك عمر السماح لك بالجلوس حين نحاطب».

صدر الجميع العرفة هبما بعد ليركوسي مع مارش عميل «السي أي أيه» فقد كان لا يزال يحدق في «وصت بصح دهاق قبل أن ينكلم

حاطبي قائلا: «معظم بيع، بينما رجع قبضه مبراً إتهامه ليقبله إلى الأسفل فيما بعد كتابة عن القتل مشعرت بطلق وحوف عديين بالخطر إلى نوتر الأحوا».

أردف فيما بعد قائلا: «قررت إرسالك إلى القاهرة حيث سننكلم، فقد احمرني ابن الشيع الليبي» الذي كان يمتصر أنه امرر اعمباء القاعدة المعتقلين

* اسرع، «السي أي أيه» اعترافاً من الليبي مصادره أن صدام حسين قرب المساعدة على اسددام اسلحة بدمار الشامل واستخدمت هذه الخطوة كأحد التبريرات الأمريكية لغزو العراق وقد تراجع الليبي عن اعترافه في عام 2004 لصدره تحت التعذيب العميد دايهد آر إيهين الترتب تشرين الثاني/ نوفمبر 2005 (تولف)

أخبرني الشيخ - عن رجل حدثه عن رجل قال بصحة أصابع عبد الله
 من بعد الأئمة - في قصة أبيه في أسبغ الوضوء ومحدث هذا
 من عيون ما عني ويستعمل الأمر في

كذلك هو الأمر مع ما لا يسمونه شوية فاصية خلال حبس
حرر - الأمر كبير عموماً في الشجع الذي أعطوا في حبيبه انه يمثل
نفسه بغير في حرر في ذلك، انه اكن اعرفه ولكنني قابلت في
في هذه المرة من معدي في قهقار معر كانوا في معسكرات التدريب

فقدت في عرفة حرور عفت ذلك الاستعجاب الأول القاسي لأتراك هذا
عقد كسر حجر من يدي عفت منبري قبل تقييدهما التي ساهي اللبس كس
محبته بعد وقد مر عفت بعد بوضع عطاء على رأسي، فشرعت بصعوبة كبيرة
في حتم وكسب بصر من نوبة من الربو أنه كان الظلام الدامس محيط
وهدت بركلات بعد ذلك على رأسي ومنبري فقد كنت ملقى على الأرض
مصرور ظهر تحت لأعلال انصبة بمصممي وكاحلي بشدة شاعرا بما لا
يوصف من لثة حره ذلك ولم أستطع النهوض إلى وضعية أقل إبلاعا، وبو لثابة
وخدم وكنت هذا سجدة رقيقة على الأرضية الصلبة وشال صغير للتدعة
به يولي بصر من منهما عن الأخلاق فمضت إحساسي بالوقت لا يسبب راسي
معدة هي عت الأوقات فحسب بل لأنه كانوا يملطون النواهد أيضا، عند رفع
عطاء عن رأسي تسكبي من تناول الطعام وكانت هناك مع ذلك بصر
منحد هي إعطية نواهد ونكسي لم أستطع تحديدها إذا كان الصوت شعث
مها ضيقا وصاعيا وقد دخل أحدهم في نهاية المطاف لهريل العطاء عن
رأسه ويهد بكبي بالوضعية الضيقة

نقيب هي الحظيرة لا يمر في هائله ما يقارب لشهر أو نحو ذلك وصعودي هي
أحدى ثمرات من النوم هذه يومين كاملين هما انصر الحمار من مدخل الفوهة
بوقضي كما غموت وصبحت معلوا مهابة تلك المدة. مهلك الفوق. مشوش
لنفاية حادلا مصيري وقد كانوا يا حدوسي هي بعض الأحياء إلى صرحاص

ما رعى يستخدم من قبل الجنود لعدم وجود آخر هي لأخر وبعضاً من
يحدث وأنه يكن إعطاء بسرع الأاد حل المرحاض وهناك رأيت عصابة قسا
بلاسلام فتكونه على حد حذر به بحروف سود - كسرة

يبدأ وحيد في اعرفه اما بعد نهاية تلك مدة ويجوز به بعد
والمعروف في حول لمرارة فيها العسكرية ويوزع في يد يد - ساطع
بالاعادة ومصدر كفي هي تحويل جهات الحادي عشر من اهل - ساطع ك
عاصم - لسي في به - والاف في اي - من يقومون بذلك اجبات بينما جهات معه
في جهات حري فقد اراد جميعهم بكل الاحوال معاق فمعه نه يحدث بالاصل

بعض الكلمات عن وصف شعوري في جهته ولا اريد تذكر ذلك

هو حث لروية باشي معفق الاستخبارات العسكرية عند دخوله العرفه

سأني هاتلاً - اراد مقبداً بالتكامل ما الذي حدث؟

احسنه قابلاً - يهددون برسالي الى مصر كي احبب هناك

عقب هاتلاً - تحدث تلك الامور العيصه بالعمل يا معتم

بمثل ما يدعو للاستعجاب في امتلاكه بعض الثقة به لوجود ما يسمع سانب
من علاقه تربطنا - فقد كان باش هتيا للغاية ودارت بينا العديد من المناقشات
حول موضوعات مختلفة حين كنا في القاهرة وتحدثنا حول الاهلام والدرج
الاسبرطيين على نحو خاص وحاصلات بوليس في مصر والنصرع المصري -
الامر انبلي واحبرني عن تجربته كعامل في اصول محتطة شذ هي في بعضه
بعض بالتكامل هي تكسار فكان كل ما يقوله ينهق بالعمل واحبرني في ذلك
اليوم عن امر اثار القشوريرة هي حسدي لا اساء ما حبيب

اعتقل احد الأشخاص في امريكا ليرسل الى سوريا كي يه عديده - وقد
شارك بحر (الأمريكيين) بالطبع في اي مما يحدث هناك بل برأه سبانه

صدقته، حين قال ذلك.

كان نايث يحاول قول الحقيقة هي بطوى، وان معنى للتأثير هي خار مسود،
 «الشيء الذي أياه» كفي يحصل على ترقية بالخطر الى ندي رتيه قدفعه ذلك الى
 محاولة احاطتي بصورة أكثر على ابوح بشيء ما

كان رجل الاسمعارات الأمريكية مارتى علاوة على اندرو جميل سرطانية
 المحفوق الوحيد الذي اثر في لذكائه ومعرفته فقد كان مثقفا للغاية سعدت
 العربية بطلامة عارها التاريخ الاسلامي والمطقة ولاحتلاعات بين المحمديين
 الصربية وانتعري الرجل مع ذلك بالمواف على التقيس من اندرو فقد كان
 تهديداته مطلة هي اغلب الاحيان واعتقد انه كان صاحب الشأن الوحيد في
 البقية من محققين مكتب التحقيقات الفيدرالي وعمالته، فلم يمثل جميعه
 سوى مرحلة بالمقارنة معه

حضر مارتى الى ربراسي ليعلم على احد الكراسي ورمقي سطرته العادة
 داتها قبل ان يحاطبي قائلا «قررت ألا أرسلك إلى مصر، فقد درسا قصت
 حول الكمبيوتر ووجدناها مضبوطة». حيث بدا ذلك فراره الشخصني، إصاها
 للرجل بيها استاء عناصر «الإف بي آي» كثيراً، ولم يكن لديهم بالعمل أي فكرة
 عن أهمية الكمبيوتر أبزروا هي إحدى المرات صورة غير واضحة، مستمدة من
 جهاز الكمبيوتر إذ لأحد الأشخاص كفي التي بطرة عليها، وحاطبي «الوند
 أحمر»، حين قلت إنها كانت مشوشة قائلا «لم أسمع بذلك المصطلح من قبل
 يبدو موضوع أنك عارف للغاية بتلك الأمور»

عفيت، قائلا «لا يتعلق الأمر بانساع معرفتي يا حضرة الرائد، بل إن أدت
 لي بفلة معرفتك تعلم ابني، ذات الأعوام السبعة، مضى تلك الكلمة، كمعلم
 طلاب المدارس الابتدائية، حيث انتهت، فقد أدت التأكيد بشدة على أن جعلهم
 بالكمبيوتر كاد يرسلني إلى مصر كي انمرص للتعبير

سألني اليكس، بيها أبزروا صورة امامي، قائلا «هل تعرف هذا الرجل؟»

سنة ونسختة نعمة ملامحي قائلا . أهو خطاب؟ فقد كانت صورة لما بدا
به حنته علاوة على بعض الكلمات بالروسية وتساءلت قائلا ثمسي . هل
وهو الأمريكيون إلى الشيطان يعضة.

حسي قائلا . نعم إنه هو يتناقض أمضاؤك كالدياب.

عقب بصوت خفيض قائلا . انا لله وإنا إليه راجعون لم النعمه مطلقا.
ولكنه كن بطلا هي العالم الاسلامي فما الذي نأحدونه عليه؟ هل عام بشي.
هد الأمريكيين؟

حسي قائلا . لم يلحق اعتراف أسى لا أعلم الكثير عنه باستثناء انه
زهدى.

عفت قائلا . حسنا أعلم أن الروس يدعونه ذلك ولكنه كان قائدا
شماعهين. ما فاحم إلا أهداها عسكرية فعب بعبه الشيطان كثيرا هل
تحدث الروسية؟

سحب البكس الصورة

علمت فيما بعد أن خطاب مات مسجوما وأن لا علاقة للأمريكيين بذلك

بدأت الاستعويبات التي أحصى لها أقل فسوة لمدة من الزمن وبدؤوا يمرضون
على الصمغيات معددا بها هي ذلك صمي إلى برنامج حماية الشهود مقابل
لإدلاء بشهادة ضد كل من يريدون بحيث تتمكن عائلتي من ريارشي هي المكان
الأم الذي يوهرويه لي. داخل الولايات المتحدة ربما أو أي مكان آخر وإن
حصلت للإقامة الحرة فيه وأحزنهم. بالمقابل بضرورة وجود جريمة شهنها
أو اشتركت هبها. شيء مادي يتهموسي بارتكابه . لا يمكنكم أن تقولوا بكل
بساطة (يريدك أن تشهد ضد الجميع)

هندوسي. قائلا . سنرسل هي نهاية المطاف إلى عواشامو. وسنتمتع هناك
مدة لا يعلم مداها إلا الله. ولن نرى عائلتك مجدداً. وحاطبي مارسي سيرة

الوعيد داتها ملوحا بالهاتف امامي، فأنلأ: «لا يوصلك عن ذلك لا مكان واحدة وهذا هاتف فصاني يمكن الاتصال عبره بأي مكان في العالم، لا يسمعك الا قبول ما يقوله إن أردت لقياهم ثانية، فلم يكن عرسهم الا سرور وقد ازدادت الأمور سوءاً.

بدأت أسمع صراخ امراء اب من الحوار وعرفت في التساؤل عما كتب أخيراً معرفة لإجابه عنه «ماذا لو كانت روجي؟» لحظت سحابي بوصفح نظره الحروف المرتبة على وجهي فقد كنت واثقا من انهم كتبوا الأسى في تقاريرهم جميعها، لا يمكن النفاذ إلى هذا الرجل الا عبر عائلته.

كنا نزال على الدوام عن عائلتني نبحث عن أي ممن يملك درة من المعاطف بينهم وصلبت كي يقول أحدهم على سبيل مثال «حسنا يمكننا فعل ما يريد بهذا الرجل ولكن لنصحه على الأقل ما يجري به العسر عبر معرفه أن عدله على ما يرام» صلبت بعينه حدوث ذلك ولكن أيا منهم لم يفعل.

سمعت الصراخ ذاته يومين تليانيهما وشعرت مذهبي بنهار، وإن لم تبحر الأهكار.

هكرت هي إحدى المرات حين بدأ الصراخ يعلو، فأنلأ لنصبي «سأسحب معصمي خارج الأصماد وأصرب الحارس ثم أستولي على سلاحه وأوجه إلى المعرفة المحاورة لأوقف ما كان يحدث» فقد كانت المكرة الأخرى تندفع إلى ذهبي على الفور «حسنت أن تمنحهم ما يريدون»

بدأت أفكر أن الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به، لو صبح حد لتلك المعاناة ينمثل هي الاعتصاف كدنا بتورطني هي أي من المحططات الإرهابية، ونطلب الأمر مع ذلك أن يبدو الاعتصاف منطقيا، وإن كان بمقدوري اخبارهم بأي شيء هكرت صاحكا أن أحضرهم أسبي حططت لتفخيخ حمار، وإرساله إلى سوق يتروء إليه الأمريكيون «حمار انتحاري» وقد عبر السحاوير بكل الأحوال رأيهم قبل أن أخرج بأي قصة.

قررت في النهاية أن أقول وأعمل ما يريدون وتمي علي إبعاد نهاية لمعانيهم فلم يكن قصة الحمار المصح يمي بالعرض هلاك شاعدهم إذا على ما يريدون سألهم فيما بعد قائلًا: «لم تصفون أسراء بحوارية؟» «حانوا عائلين بعدم وجودها، ولكنني لم أقتنع بذلك»

بردد صدي صرحاتها خلال أسوا الكون يمي التي رايها مدة طويلة من الزمن، وعلمت لاحقًا من سجناء آخرين حتى كنت في عواصمهم أنهم سمعوا تلك الصرخات أيضًا، معتقدين أنها كانت تعود لروحي فقد كانوا يصيرون كي يهلك الله أسرها

لم تصحور افكاري هي تلك المدة حول روحي فحسب بل حول العائلة أيضًا ما الذي حدث لأطفالها؟ أين هم؟ لم أستخدم بعد أن عرفت نوعية من كانوا يفتلوسون أن يحدوا النساء أو الأطفال، كي يحصلوا على الأخوة التي يريدونها من معياليهم فقد كان ذلك مرورًا للعناية هي بطرهم تحت الصوان المربص، انعاد «روح الأمريكيتين الأبرياء»، كما يسمونه هي العائبة، وكأنه لا توجد أرواح بريئة أخرى هي هذا العالم تستحق العطاء عليها

كان استنكار تلك الصرخات أسوا من الأدلال الحسدي وكان أسوأ من نغمة المرء أو إشباعه صربا، حاولت سيقار كل تلك الاعتداءات وبمعا كان حسدي يتعاضد كان المحققون، هي نظري، يتصون هي انكار أساليب التعذيب المصفي والحسدي وكان لسان حالهم يقول: «لم يوسعه صربا بما فيه الكفاية لم يؤده حقيقة»



-8-

وكلاء الشيطان

وصفت مع مجموعة جديدة من السحباء، العرب في معظمهم حين تم إسرائي إلى الزبائن محدداً وكانوا قد اعتقلوا في مناطق عدة وقدموا من موريتانيا، وليبيا ومصر، والجزائر واليمن، والسودان بل من روسيا كان السوداني الصمم دمث الأخلاق، «أمير»، أكثر من تقرب إلي، هكت أجاوره تماماً في البراية وأحبرني، حين كنا نتحدث بعيداً عن أعين الحراس أنه اعتقل في باكستان، حيث قدم لمساعدة الألمان عقب الغزو الأمريكي وكان يشعر أنهم بحاجة ماسة لكل مساعدة ممكنة. وتعرفت كذلك إلى بريطاني آخر* قدم مع أمير إلى البراية دون أن يحمي ههنا أكثر من ليلتين وذلك ما لم يسمح لنا لمحال للتحدث كثيراً

توطدت معرفتي بأمير، إذ كان يحميني عن الاستجابات التي سر بها، فقد كان يابش بحقق معه، وكثيراً ما استشارني قائلاً «ما الذي يجب علي فعله؟ هل أسأله عن سبب إحصاري إلى هنا؟»

أحبته في إحدى المرات، قائلاً «لو كنا ممر بأي من المواقف الإمبرادية لقت إن قول الحقيقة يمثل الخيار الأفضل على الدوام، ولكنك لا تعلم في الموقف الزهر ما الذي سيحدث، أو ستكون ردة فعلهم عليه، فلا أعلم ما أقول لك، فسيستخدمون الحقيقة ضدك هنا، لا هي محاكمة عادلة، ولن يحظى على الأرجح بفرصة المحاكمة حول قصيتنا»

أحبرهم أمير الحقيقة بكل الأحوال، فأرسلوه إلى غوانتانامو، بينما كنت لا أزال في باغرام.

* حصل كيمبا لا يزال محتجزاً في غوانتانامو حتى كتابة هذه الأسطر وتتوقع عودته إلى أوجندا (المؤلف).

تحدثت من أن لأحر إلى لبيبي كان قد فقد قدمه بسبب لعم خلال حرب
القضاء مع تشاد، وعاش الرجل على نحو حارس لأن الأمريكيين أخذوا مساهمة
الاصطناعية وذلك ما اضطره للسير على ركبتيه فلم يكن حارس الشرطة
العسكرية يستمعون عندما يحيى وقت تعبير رجالات المياه العارعة بأن يقود
رجل واحد بإحضار الماء إلى الرربة بأكملها، وتبين على كل ما فعل ذلك
بمنه عندما ما كان احداً يتطوع لإحضار رجاجة مياه اللبيبي ويكفهم كانوا
يرفضون ذلك فاستبى أن عليه القدوم بمنه لأحدها، فقد كان الرجل مردهما
بشعر لدهشة وأعبدت مساهمة الاصطناعية إليه هي نهاية المطاف، ليرسل فهم
معد إلى عوانامو

لم صدق عيسى في أحد الأيام حين رأيت صاحب محل البقالة - الذي كنت
أناج منه في كامول - يدخل الرموا، فكنت قد رأيت دين محمد، أحر مرة قبل
حالاتنا عن كامول

أخبرني دين أنه اعتقل وبيع إلى الأمريكيين في باكستان بنهمة المعاطف
مع الماعده بالنظر إلى أن معظم رباته كانوا من الأجانب. واعتقد العديد
من الشعبهم هي السحر أنهم سيموا بالطريقة دائها وأكد لي عدد من
المحققين فهم بعد أن ذلك كان عرها شائعا فقد كان دين مستاء للعابه
وكثيراً ما يبيكي حين يخبرني عن صغاره، كيف يمكنهم تدبير أمرهم من
دونه، لقد كانوا جميعاً من اللاجئ.

سعت بعد وصولي إلى باعرام نسخة من القرآن الكريم كما مع الباقون
وبدا الحراس في الاساءة والاستهزاء حين طالب أفراد المجموعة التي حصر
دين معها بسحبهم

«هيا هيا» (تقليداً لثاني الحرائد) تمالوا واحصلوا على سبعتكم الإصاهاية
من القرآن أكثر الكتب قدسية لديكم تعلموا كيف تقتلون الأمريكيين - الغي
محاصر الشرطة العسكرية القرآن على أرضية الممر غوما عن تسليمه لدين
هاد الهرج والمرج وأحد السحباء يصرخون في الحمر من، وشعرت بعجز شديد

من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان

من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان

من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان

من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان

من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان
من جهة هم بكر لدى أولئك الحمود في فكرة عما كانوا يهيئون كان

اجتهدت إلى كل ما يمكنني إبعاده من تغطية، فقد كان سميل الناس بغير
بحسرة دورية مع انهم كانوا من الأفعال جميعا وحدث شيئا من الطرافة
حتى في ذلك

كان بين اعلام الممثل في العادة قبل انطلاق سواحه ميموم، أو اثني و سبع
ساعات فقد حصل ذلك مع احد الاعمال في دراسي بعد ما تقارب اشهرين من
انجسالة وكانت تلك الاوقات الفاضلية بربدي شوقا للحربة، جمع لأفلامي
حاجته واحد يودع الجميع صفافا اباهم ومضى فيما بعد إلى الممر حيث كله
لحراس واحدوه إلى لبرانه المتاوره عند في نهاية المطاف انه لن يذهب من
بيته وانهم يملوه لا أكثر وبدأت العجيرة واصحح على المسكن، بينما انصهر
لجميع نصريتا من حراس وسحب، بالصعك إذ لم يكن الأمر برمته سبور
مرحة كان لرحل داهيا بالصعل إلى بيته ولكنني سالت بعض الودودين من
الحراس إعاضته قبله قبل معادته

أرسل الجميع من عبر الأعمال إلى عواناسامو فمضب ذلك علي بشكل خاص
بالنظر إلى أن صديقتي عبادوا إلى هناك خلال شهرين أو ثلاثة، بينما تركت
وحدتي ومضت أشهر منذ انتهت الاستعوانات ولكنني بقيت على جهلي بها كان
يحطط لي

تسألت حين فكرت في الأمر عما إذا كان عناصر مكتب التحقيقات
الميدراي قد هروا إرسالي إلى الولايات المتحدة بالنظر إلى مواضتي المدنية
على القيام بها بريدور مبي فلم أكن لأشهد في حياتي، بالطبع، ضد أحد
بالباطل ولكنني فكرت في قول الحقيقة أن تمكنت من الوصول إلى المحكمة
ماعتبارها المكان الأسب لذلك

بدأت مع مرور الوقت بناء علاقة مع بعض الحراس، فلم يعد ذلك ليقاني
هناك مدة طويلة نسبيا، بالقياس مع حركة التقلبات الاعتيادية، فحسب، بل
لأسي كنت عميدا، وأساعد في المرحلة، وإدارة التمريض يوميا

حضر أندرو، عميل الاستخبارات البريطانية مجدداً في شهر نوفمبر / يوبو هدار لكثير من حديثاً حول أمور اقتصادية ولم أكن وقد حتى من سبب معينة هذه المرة

بدأت ما إن أرى أخاصي لآنحه بأسماء أئمة الساحد هي بريطانيا أدرك مدى الاستهداف الذي يتعرض له الإسلام فلم أجد مع ذلك رابطاً بيني مكبلاً بالأصنام هنا هي باعرام وبي مسعد ثم أسمع به هي عرب بوركتاير عن جبل المنال

عاد أندرو كذلك إلى رحلاتي الساعمة إلى البوسنة والمسكرات الأهلية هي بسببها مكرراً أسئلته ذاتها. فلم يكن مهتماً على وجه الخصوص بما دعني للذهاب إلى أفغانستان هي عام 2001 بالرغم من أنني ما أنكك أحبره عن الدواوين، وجرم الأبار، والمفر.

أحبرته عما حدث لي خلال الاستجوابات التي حصلت لها هي شهر أيار / مايو مؤكداً أن الأمريكيين كانوا يهون حقيقة إرسالي إلى مصر كي يتم تعديبي وسألته عن شعوره. والحكومة البريطانية إزاء ما فعله علماءهم الرئيسيون وما حددوا بعمله وما الذي سيعطونه إن بعد الأمريكيون تهديداتهم بالعمل؟ فأجبت قائلاً إن الاستخبارات البريطانية لا يمكن أن تتورط هي مثل تلك الأمور وعقب قائلاً إن الأمريكيين لا يريد يشركون البريطانيين هي أي معلومات بجمعونها عبر الإساءة والتعديب، فلم يعقب على ذلك. مكتفياً بالتأكيد على أن بريطانيا لا يمكن أن تكون شريكة هي ذلك.

عقب قائلاً: ولكنه حدث، حدث لي يا أندرو، ولم يكونوا ليطرحوا علي كل تلك الأسئلة دون معرفتك. وتعاملت الكامل، فلا جدال هي ذلك بالنسبة لي، ولم يقدسي من الذهاب إلى مصر إلا بعض ما أسمع به أحد مساط استخباراتهم من ذكاء فيما يتعلق بصور الكمبيوتر. وقد كان من السهل كثيراً بالنسبة لهم أن يرسلوني إلى هناك، من السهل كثيراً. ولا يسمح لي بالوصول إلى أي تمثيل قانوني، أو دبلوماسي عبر السفارة البريطانية، بالرغم من أنها فاعلة هي كابول.

سألني، قائلا: كيف خلعت ب...؟

فصغته قائلا: سمعت ذلك من أحد المحررين الجدد تماما كما سمعت من «عملية انكوسا»، و«عملية الترميم» التي قامت بها الصحفية الملكية.

عند هذا ونكر لحدث مروع من شخصاء على ما اعتقد.

عقبت، قائلا: «هو كذلك بالفعل».

سأله عند ذلك الأمريكيون والبريطانيون قد توصلوا إلى نوع من الاتفاق حول وصفي، ذهبت عن ريتارد، يقولون هي بعض الأحيان، أنني سأذهب إلى سحر ماكنتشي ليعبروا ذلك فيما بعد إلى غوانتانامو أو أمريكا فقد أخبرني سابقا أن بريطانيا طلبت بشكل رسمي عودة جميع المعتقلين البريطانيين.

عقب هذا، هل فعل حقا؟ لا أعلم لي بأي مطالبة رسمية كهذه وينتم كل ما يستطيع قوله لك هي أن الأمريكيين هم من يملكون زمام الأمور، ويضربون بهذا الشأن.

سأله قائلا: لو قرر الرئيس بوش عدم عودتي إلى الديار مجددا فهل سيكون ذلك مقبولا بالنظر بالنسبة لكم؟

أجابني قائلا: إن كان ذلك قراره فلا يستطيع فعل شيء حياله فهو صاحب القول الفصل.

أعاد اندرو التأكيد مجددا على أن خيارى الوحيد كان متمثلا في التعاون مع الأمريكيين، هو السبل الوحيد لإنهاء ما تمر به.

أحببت اندرو في شخصه، بما يشع الاستعراب، فقد كان معابرا تماما لمعلم من التقيت من الأمريكيين وأكبرت فيه ثقافته، ومعرفة بتقاليد المنطقة وحساسيات أهلها، وذكرت مرة فيلم «سقوط مروحية بلاك هوك» أمامه، ليقتب قائلا إنه لم ير في حياته فيلما ذا دعاية متعيرة منه، فادعشتني ذلك للغاية.

تحدث هي إحدى المرات قائلا - لو كنا نحسن هي مضمون ما نحن .
سياسة مستمرا للمابة من بعض ما ملكه منها . تحبب نفسي جدا هي
مفهي لندي ابقى - بوجود اندرو او عدمه

كانت لكنه . بالمضاربة مع تلك التي يتحدث بها الأمريكيون ما لوفه ما بمن
النس هوهمت بالسطر إلى بريطانيا ان جهاز الام اي فاف . كان هي مضمون
هما انككت اذكر نفسي بما قاله لي ذات مرة - يمكن ان اكون لاطور سياسي
امام الحكومة البريطانية .

علمت مع ذلك ما كان يمثل ذلك الجهاز والمالم الحمي المظلة ندي بسمي
إليه فكان بإمكان أفرادهم قول وعمل ما يريدون إذ كانوا يطهرون ويضمون دون
سابق إندار كالأشباح هعاطسي اندرو . قبل أن يعاد قائلا - لو اسى سار
معددا يا سيد بيع فانا من لاحظت طيلة أربع السنوات الأخيرة بكل لأحو

بدأت اشعر بعريد من النفاؤل . حين تلصقت أول رسالة من الوطن احبر
حيث كانت من روح والدي وقد قالت فيها انهم على اتصال مع ريب و بها
منعود مع الأطفال قريبا إلى بيرمهمام حيث ستضع مولودنا القادم هعطي
ذلك شيئا من راحة البال . بعد كل الأشياء المريعة التي تحملها .

احبرت الآخرين هي براني عما حدث مع اندرو . وقد كانوا جميعا متعاشين
قائلين إن ذلك ربما كان يمثل إشارة إلى أن البريطانيين يمكن أن يشرحوا
فكان الجميع يتجهون إلى من يتم احده للاستحواث وقد كنا مهمين سحيل كل
تصويل . هي أي اتجاه اقتيد . كم من الوقت بقي خارجا . هرايت عاصر الشرطه
العسكرية بقتادون ريتشارد أيضا . وكنت أعقد أما سطر المصير داه املا
بالعمل أن يحدث لنا . نحن البريطانيين ما هو العمل لتصبح امالي سدي على
أرض الواقع . دهستي كل تلك التحليلات والتكهنات معو الحور هكك احوال
اتباع المنطقية هي تحليل من يعتقدنا تماما الجيش الأمريكي هي اهتمام

اعتبرت أن أرقب بدقة النوح الأبيض الذي وصموه قبالة الرماية رقم ثلاث
- كنت أرقم جميع السجاء مكتوبة عليه على التوالي وتشير ألوانها المختلفة
تتوافق مع (الأحمر وضع عادي)، (الأحمر وضع مرصفي - المل عادية)،
(الأحمر وضع خاص كالحرمين من النوم) (الأرق إرسال إلى عوانتايمو)

ثقت في شهر 1/ أغسطس رسالة من حملة واحدة تلاها أحد أعضاء هيئة
عصب الأحمر غني، مؤنود ذكر، رأى انوز هي الثامن والعشرين من شهر حزيران
يروي حادثة جيدة وحانة أمه كذلك. سمي الطفل أيوب، كما علمت لاحقاً، فأخبرت
بعضه سجد، هي تربية عن تلك لأخبار الطيبة، مصلياً من أحله، ومن أجل ريب،
وتشرت السطحية فيما بعد متظاهراً باليوم انتخب حفقة

تعتبر الأمور كثيراً عند انتهت المكان حين كان عدد السجاء لا يزيد على
عشرين تقريباً شيدت الأرباب اضرادية، ونعمير النظام، بحيث أحصى كل من
به حصاره من السجاء، إلى الحرمين من النوم وقاموا بهما بعد بساء ربابين
أخروا نشتت تعرض بديروا على الدوام الشرطة «الهيبي مهنا»، الصاحبة للمصفي
ماري ماسون كي يعظموا مصريات السجاء الحدود، علاوة على أعيان فريق
«جي جبر» فيه النول ولم يكن ذلك باعتقادي ليحطم أيا من عرفتهم

كثيراً ما كنت أخرج في أكثر ما لا يتوقع من مواقف، مستفيداً بروح الدعاية
هي مواجعة وقع الحياة المرير الذي كنت أعيشه أحب الكثير من الجنود، لكوبهم
من محبوب الاستماع إلى الموسيقى «الكاستري والويستون»، التي اعتبرت بالنسبة
لعملي شغف كبير أنواع الموسيقى «الانجليزية، الأخرى، وكنت أعرف أكثر
صوتهم سوء النقط هبما يتعلق بذلك

كنت أحاطب عناصر الشرطة العسكرية، شبه مارج، حين يستمعون إلى تلك
نوسيفاً، فنشأ «أرفموا هذا الهراء من فعلكم، ولا تحدثنا (بحر السجاء)
جميعاً، ثم يعرف العناصر للوهلة الأولى ما يريدون به على تلك الملاحظات غير
المتوقعة، كما كنت أحس عند النظر في وجوههم المتجهمة، إذ كان معظمهم يصر،
مع ذلك، لوحود من يمارحهم من الطرف الآخر.

كان حبلهم النام، بكل الأحوال، يثير الدهشة أحيانا فقد ساد الهرج والمرج مرة حين تجمع الحراس والمحققون أمام معتقل جديد، هي مصر الرسامة الناشئة وصرح فيه أحدهم، قائلا: «أيها الناري الحثالة، كان ذلك القروي الأعصابي يعمل وشم الصليب المعقوف على ساعده»

نادى أحد المحققين، قائلا: «رويدك دقيقة خمس أين حصل الناريون على شعارهم في رأيك؟»

أجاب، قائلا: «آه... لست واثقا، من هنا؟»

جئت قائلا: «نعود أصول ذلك الشعار إلى ثلاثة آلاف سنة مضت هي هذه، حتمه حيث أتى لأريون من أسما الوسطى».

غضب، قائلا: «لا يشمل ذلك من مقصدهم...»

ارتدت قائلا: «تدعى الخطوط الحوية الأعصابية «أريانا» وتطلق كلمة إهراس الأصل ذاته، ويستخدم الهندوس والبوذيون الشعار ذاته حتى يومنا هذا، واتق، تماما أن هذا الرجل يعلم عن النارية بقدر ما يعلمه عن بومي بريس تشارلي».

سألي، قائلا: «من؟»

أجبت، قائلا: «لا عليك، يتمثل كل ما أمل به هي عدم اعتقادكم بوجود مؤامرة جديدة بين الطالبان، وعصابة (الأحوة الأرية)».

مضى المحقق نحو الحراس الثائرين، ليهمس لهم بشيء ما، ويصرفوا جميعا تاركين «الناري».

تعمست بعض الأمور على مر الأيام، وأصبحت ثيابا تستبدل بين العينة والأخرى، وحصلنا على فرصة مناسبة للاعتصال - وإن كان الماء شديد البرودة في العادة - عوضا عن استعمال الدلو، وقد مثل ذلك الاعتصال الجماعي بكل الأحوال، مشكلة لنا جميعا، هم المهيمن بالنسبة للمسلم أن ينمرى أمام الآخرين، وقد رفض بعضهم الاعتصال ببساطة، إذ كان ينادى إليهم، ثم يصرخ فيهم، ليقتادوا بالقوة هيما بعد.

توجه الأحفاسي الممثل الودود، عبد الرحيم، للاعتصال برفقتها هي إحدى الأمسيات، وقد كان الماء شديد البرودة بالنسبة له، وذلك ما أسقطه أرضا لينتقل إلى المستشفى فيما بعد.

وقر لنا السحابون صابونا، وسائل تنظيف شعر رحيصين داخل مكان الاعتصال ومجموعة من المناشف المشتركة خارجة، ولم يكن محتاج امتياز الشعر هي أغلب الأحيان بالنظر إلى أن رؤوسا كانت تحلق هي العادة مرة كل شهر وحظيها على الأهل بمرش أسنان مرقمة، وتعين عثيا دخول الممر بعد تنظيف أسنانيا واحداً تلو الآخر، مسلم ما يشبه حوصاً بلاستيكية صغيراً في مرشاة الأسنان، ومعهونها

سمعت حد الحراس يصرخ فيما بعد ظهيرة أحد أيام شهر تموز / يوليو قائلاً: «ما الذي تظن بحق السماء أنك فعلته؟»، لمعقب ذلك صوت شعار وصريبات مكتومة حلف الرماية رقم ثلاثة، هرايت فيما بعد كودي الإبرلندي الأمريكي الذي تعرضت إليه هي قنصاء، وعصر شرطة عسكرية أحر من ولاية نورث كارولاينا، رأيتهم يحراس سحياً مصاباً، بمحادثة مراراً، إلى المستشفى، وتمكنت من ملاحظة الكدمات على وجهه، والنزاع يعطي جسده، بينما كان بحرايه ولا ريب أنهما تحدثا بالمدياع طلباً للعود بالنظر إلى اندفاع المرحاض والأطباء والعسايط، بمن مهم الأمانة الجديدة، الرائد ستهوارت، إلى المستشفى، وفتح الباب في نهاية المطاف، وخرج منه الحراس، يحملون الرجل على نقالة لا تظهر إلا قدماء من تحت المطاء.

تمتلك القصة هي محاولة ذلك الأحفاسي الشاب الهرب، إذ كان قد تحاور السلك الشائك - الواقع بجانب المرحاض في أحر الرماية - بمساهمة قصيرة فقد أعدينا نمطية الأسلاك بالبطانيات، عند استعمال المرحاض، حفاظاً على خصوصيتنا، ويبدو أنه تمكن بتلك الطريقة من عزل الأسلاك الشائكة بعد إراحة الترميل المستخدم كمرحاض، ليرجع عيرها هي التوقيت المناسب، حين لا يكون الحراس موجودين في الممر الخشبي الواقع خلف الرمايين، فلم يكن الممر يحلو من واحد أو اثنين منهم هي العادة، وذلك ما يحس أنه احتار توقيته بمناية

حضر كودي لاحقاً في تلك الليلة بعد أن صمدت فراحه، وبدأ التحدث إلي، وكنت قد اعتدت بالفعل أن يسر الكثير من الحراس إلي ببعض الأمور، ولكنني هوجت حقيقة حين بدأ يحرمي بالتفصيل عما فعله لذلك المسجين (كان قد صرح به، قائلاً: «ما الذي تظن بحق السماء أنك فاعله؟» ليقتصر عليه مباشرة لئلا يحرم المراقبة المشددة الأحر إلى الأمر ليقتصر عليه بدوره من الطرف المقابل، وبدأ كودي يحرمه بقوة شديدة لدرجة أنه شعر بكسر ما في جسده ويحسم إليه الحارس الأحر، مستخدماً مرفقيه وركبته كما هي الملاكمة (تأنيدياً) ولم أعلم ما إذا كان قد علما أنهما هبلا الرجل بذلك

أكد لي وورينيل، بكل الأحوال، بعد حبره قصيرة أن الرجل قد مات بالفعل بهدرك أنه أخطأ عبر لقيام بذلك وأكد محاولاً التجميع وقد حاول التلاعب بأفكاره، فيما بعد قائلاً: «لا، لم يصب الرجل بالفعل وقد عطلوا وجهه لإحالة الناس لا أكثر، وحمله عمرة لهم، لم اصدفه، مع ذلك، أو أكن المحتضر الوحيد الذي يلع هينة الصليب الأحمر بالواقعة في ريارها السالبة» وأكد لي حدي حر دامبار، موت الرجل بعد حصي بصفة أساييج، قائلاً: «كان من المقرر أن يطلق سراحه في الأسبوع الآتي للعائدة ولكن أحدا لم يحبره بذلك،

بقيت في الرمزية، بعد إرسال العرب إلى غوانانامو، مع بعض الأعمال الذين لم أتواصل معهم بشكل جيد، فقد كنت حريصاً، صامتاً أصلي وقتي هي إعداد لوائح بأسماء العاب كمبيوتر جديدة، وبعض مواقع الأسرى، وما لقيني إياه محتضر موريتاني من كلمات اللغة المرسية، وأعدادها، وقواعدها بعد أن محسي الجنود قصاصات ورقية صغيرة ماهيك عن كتابة الكثير من الرسائل

* كان من المقبول بالنسبة للأمريكيين وقوع عدد من حوادث الوفاة في باغرام بعد استيلائهم على غوانانامو، وبعد إطلاق سراحه من قبل «الاف بي تي»، وأجهزة أمريكية أخرى حول هذه الحادثة، وأخرى شهدتها بعد محسي بصفة أشهر، ثم اتهام سبعة عسكريين أمريكيين على خلفية الحادثة في عام 2002 (المؤلف)

بأهبط عن الوصول إلى المرحاض أو جلب دوائه أو الماء أو الطعام وقد عجز
الضيق كذلك عن الاعتقال وذلك ما جعل رائحته يركم الأنوف فكلمته
وشريف بمساعدته، ولم ينته بي المطاف بمساعدته شمس فحسب بل درسه على
السير مجدداً علاوة على كل ما أمكسني المكبر به من تعاريف لميوبة الساقين
وقد كنت أترجح منه هي بعض الأحيان وأصرح فيه لبوسه الزائد وأردت
إدخاله في حبله من الصدمة كي يبدل ما يمكنه من السير مجدداً ليعمل في
نهاية المطاف وإن تطلب الأمر عدة أشهر فاعتاد وضع ذراعه على كمي لمشي
الهويما هي لمرابة وسعني ذلك فرصة السير شخصياً

أخبرني شمس قصة أصابه هاجمت المروحيات الأمريكية منزله هي إحدى
التيالي أثناء تمشيط المنطقة فقام بإطلاق النار عليها من سلاح عمه، لفر
بالمثل، فأصيب واعتقل مع عمه

كان الأمريكيون يقادون إلى الزمارين، بن العينة والأخرى، من أشهر إرتيات
بقية السجاء وكان بينهم آثار على الأهل هي زمارتي يحوّلان هبها باستمر
طارحين عرب الأسنله عارضين مساعدتهما على المعتقلين بعد إحلاء سبيهم
وقد كان شريف ماهراً في تعبير الأفعال منهم ولم أكن متأكداً من كون أحدهما
مدسوساً من قبل الأمريكيين ولكنني أدت في أمره إذ ادعى أنه كان ضحية
تسراعات القبلية وأحد أعضاء الميليشيا المؤيدة لكرراي*، (ما يدعو للسخرية)
وأنه بيع إلى الأمريكيين مقابل مبلغ من المال، وأخبرني شريف أنه يحب النوم مع
الأولاد، وقد روعي ذلك بالعمل.

وقعت حادثة غريبة مع هذا الرجل وجمدية شابة كنت أعرف أنها شابة
لاشتراكها هي حوار دار بيني وبين ماينس هي إحدى المرات، حول الصعوبات التي
لقيها مع صديقته هي الصائق، وتحدثت في حبه فأنقذ هذا صحيح، الص
الصعوبات داتها مع امرأتي، وقد بدت كولد وسيم بالعمل، ذات شعر قصير للغاية

* أصبح حامد كراي رئيساً لأعماله بعد سقوط المطالبين (المولم)

في أحد الأيام تمديد راحة مياه ذلك لأهصاني شجرة بامساك يديها
محاولة تقبيلهما. فاحسكت يديه بدورها. فقل أن شجته صارحة. حتى أنقضت
الحر من وفنحوا باب البرامة ليضدوه إلى الخارج. وبشعوه صبروا. ثم بقيت
شهد شريف الحادثة بأكملها مصراً على أن لأهصاني له بكر يثمة به هذه
وأنه ما كان لهتموب منها لو فعل

أخبرني ووربيك عن أحد شطاء القاعدة المحتررين لدى الأمريككيين قبل أن
في إرهابيا خطراً للغاية. حاقداً. عاثي التدريب هاجم هافله للجور الأمريككيين
بفضله بدوية وهي ماضية في سبيلها. تساعد أساس ليصل أحد جنودها
وأصاف ووربيك أنه كلف حراسه بالتبادل مع زملائه وأن خرج الفصل كانت
لحمة لأصابته بطفة هي الصدر بامهيك عن ففدان إحدى عييه

كان المتى يدعى عمر كندي الحسنية هي الحامسة عشرة من عمره وكانت
قد أمضت معه بضعة أسابيع في البرامة رقم اثنين وكان المرحسون يحصرون
بوميا لإعطائه قطرات لعينه. والوقوف على حال عواجه. وقد لحضت بوموج
الخرج لكبير المقطب هي صدره فاعتصر الألم قلبي حراً عليه بما يفرق جميع
السجاء الآخرين. لا لصبر منه فحسب. بل لأنه مثل أرق الشخصيات التي
النفيتها هي حياتي. فلم أر فيه ذلك العنبر الشرير الذي يركض حاملاً نفس
اليدوية ليلقيها على الجنود الأمريككيين المسالين. كما ادعى ووربيك

أخبرني عمر قصة محزنة كلها إذ كان قد سكن أعماسان مع عاتيه موت
عديدة. وترك مع عدد من الأشخاص حين بدأ الناس يرحلون في منزل الرحل
المس. باباء الذي اعتقل أيضاً. حين أعار الأمريككيون على المنزل بالروحيات
لنقلوا كل من فيه. باستثناء بابا وعمر الذي أصيب في ساقيه بأحد واحد من
القوات الخاصة المنزل. وأحدث تطلق النار على حث الثقلى أنه قد كان عمر
مرميا على الأرض. مصابا بجروح بالغة وهتل في تلك الثمنه حدي أمريكي الطور
زهافه النار على عمر. لينقلوه فيما بعد إلى مستشفى عسكري في بغداد حيث
معه الجنود. بالمطاطة العسكرية الأمريكية المعروفة بأنها تفتضضه بومر.

عدد ١٠٠ مطروحة مطروحة ارساما فصل الحمدي هكتيرا ما كان الحب
بعض من هذه وردة قوية وكان الحراس الحدد يابون بحراسة بالغة حتى يستدعي
دورهم الحراس مندهم دأبا يستحق السحق جميعا فقد كانوا بعد من عدم
هي اعلى الاموات من روبرت وروجرية على العمل كالدواب هي مثل دوايل ابي
وردة الرخاءات وحمل صناديق الطعام ، اهيك عن نكهة بالمائل

واحد عمر الكثير مما لا يطاق من الصعوبات* التي تمثل احداها هي الحمال
التي هي كايول من قبل بحالت الشمال هي وقت سابق وهبولة العمل فعليا مع
التمهي اي ايه بعد ارسال الاوريكيين له إلى عواسانامو وارسلوه أيضا للعمل
هي مناطق مستعدة كالموسسة والشرق الأوسط قبل ان يستسلم هي نهاية
المطاف وعمر احدى الحرائد قصته كاملة

اركت بعض الأمريكيين على اقل تقدير ما كانت حال عمر عليه لاحف هي
باعرام واه كان قاصداً يستحق معاملة افضل وقد اخبرت احد المحققين ان
مجموعة الحراس الحدد كانت تعامله بصورة سيئة للغاية ليتحدث هي النهاية مع
المقيم المسؤول عن الحراسة

طلق الحر من والمحموم الكثير من الإشاعات، ضمن ما كانوا يتبعونه من
أساليب لإحالة السوء حول إرسالهم إلى عواسانامو، ولحظت، هيما بعد عدم
وجود معايير محددة لذلك إذ كان كل شيء متوقفاً على المحقق الذي كان يقدم
بوصفه التي كانت فرصة قبولها تبلغ 11٪ تقريباً

علمت هيما بملق بحالي، انهم استمروا أستلهم جميعها بحلول نهاية شهر
أيار / مايو وإن اقنوي معتقلاً لديهم أشهراً بعد ذلك، ومالت تلك الفترة كثير
وقد سببت لي ما لا أحصد عليه من صبر

* ساعد الاحمار هي عواسانامو بعد مصي سحر ان والد عمر قتل رمياً بالرجاسان هي
شمال باكستان ومع بديم عمر للمصانعة من قبل لجنة عسكرية هي شهر كانون الاول
ديسمبر من عام 2004 (المؤلف)

اعتدت بعد معاداة دهمة الحراس اقدامي الخروج من البرزانه هي معظم
الاصحاب لتقديم لقول فيما ينقص بوجبات الطعام فقد صحني ذلك شيئا من
الاستقلالية وقدمت العديد من لاهر حات التي دهمة البحر من التحديد حول اعداده
تطيه الاحراء ب اذ كانت اطباق الطعام مرمى كل اسبوع لتدوي الى لاهر
هوحي حيث بلغ في الامر حد سوال الملام انصرع بالطعام الى الاطفال المحلبين
عوضا عن رعيه واقتنع أحد الصباط هي نهاية المطاف وهو على منح الطعام
ما بعد استبعاد كل ما يمكن ان يشكل معاملة محتملة كالفلفل الاسود او
مخاضات المياه مثل ذلك ابحارا كبيرا اخر بالنسبة لي وهو صحت معاج للحصول
على كمية اصافية من تدور عماد الشمس والشمس

كان شريف سعيد وانا من بين احراجه هي العادة لتقييم بتلك المهمة.
برافضا عمر احيانا اذ كنا نحلس على الكرسي خارج الترابين نكيل يديهم
ورحلتا بسلاسل طويلة موهر لنا حرية اكبر للعركة فكان الحراس يحلبون
مامنا لتحدث حبها وكاسا اصدفاء وسمح لنا معملهم بساؤل ما بود من
الطب. علاوة على استخدام المسحات لتسحبها وكنا نأخذ طب الطعام هي
النهاية ونسحبها خارج الترابين تمهيدا لتوريها على السحباء هي اليوم الأسى

تم إطلاق صراح شريف بعد مدة قصيرة لأصبح انا وسعيد «الحيات بتلك
المهمة واستوعب الساهي ما كنت على اللوح الأبيض هي احد ايام شهر تشرين
أول أكتوبر استقلت أسعا. سعيد وشمس وعمر وزيشارد يلعب وحمال
كهما علاوة على احوين. الى اللون الأزرق

لم أعد أستطيع اعداد وحساب الطعام هي معظم الأحيان بعد معاداة تلك
الحممة الى عوانامو. وقد ميمو ذلك. حتى التقيت أكثر من أثر هي من
الحمود هي بأعداد. وهي مسبحامي طائفة إدارة اعمال من أوهايو. هي أوائل
التدريبات من عموها واحد اثر الحدود المتضمن الدين التقينهم. بأهيك عن
ذمها الوحيد مصروما من كانوا يشاركونا هي اعداد الوجبات. على التقين

من رعايتها ليس اكتفوا بالحلوس والمراهقة، واكتشفت بمرور الأيام أنها تعد
الأرب والسفر أو التحسوس هناك منها من عدد من الروايات خلاص من
حديثها عن الإسلام وكيفية لها حتى من يصنع مصححات عنها به ربح
ذهبنا ومعتداه

صحبته عن صورة صفات من تلعبها أحداً ليتمثل بها في ربح
ألمر ليس ما طرأ به من ربح، فأحضر بعض وراق لكيفية امره في
ربحه حينه كي كتب إلى الأطفال وطلب منها مراجعته بعض شخص من
كيفية من ربحه بالمرسلة حتى اكتشف أنها تتحدث بطلاقة

كثير ما كان يحدث بعد اعداد وحساب الطعام وعن الجهاد في حرب
وغيرها وبعدها بعد كانت شيفاسي، هي بطون شخصاً بوز مساهم
أهم من صدق لا سمحهم أو قتلهم ونحدثت في إحدى المرات فانه
كذلك باسم عن الأملاق، هي إشارة إلى رملاتها وقد صدق

ر حبه شدة في الشعر تقول إن المفضل 1880، الشريطي صليل ربحه
كان قسلاً على اندريت بعض عشرات ألوف الدولارات ليقتل

ماتت شيفاسي ذات مرة فانه، هل تصابع إن طرحت عينك سؤالا،

أحبها قسلاً، على الإطلاق.

طرحت سؤالا فانه، هل ستحدث بعقود،

أحبها، قسلاً، وماداً لو كنت.

أعانت فانه، أم لا شيء، سيكون ذلك ربما هي الحميمه فلم أسؤ قسلاً من
هل.

ثم أعرف ما إذا كان ذلك يمثل مديداً أو هامة ولكني وجدت في النهاية
قرب إلى ما بعد عرياً من لأطرد، قسلاً، ولا أياهما.

كانت ستيفاني حديدية احمياض شابة، بسيطة حتى السداحة، بسهل لتأثير
فيها، وكنا نستمتع بالحديث مع بعضها بعضا، فقد لاحظت عدد من الحراس انها
كانت تكثر من الحديث مع المحتجزين كثيرا لئلا يملوا، وصافقها ذلك قليلا لحدثني
في إحدى المرات هائلة، لا يستطيع ان يكون كاولئك الشباب فحسب امت
بطرته محتله الى الحياه عن معظمهم بالرغم من محنتي لهم.

كنت ان عائلتي عن كل شيء بها هي ذلك الحشرات التي احببت ان تكون
في الصيف، لا سيما عماكب الحمال التي كنت قد بحثت عن المعلومات عنها في
الامس قبل ان يذهب الى كابل، وقد كانت صورة عكس الحمال احدى ما
استحوذت من امله من صور وجدت على كمبروني المحمول في شهر ايار مايو
وكسبت، بالمظهر الى انني مارست التدريس يوما ما في السابق - بالرغم من
الظروف انني امر بها حاليا - قائلا: تعد عكس الحمال الوحيدة في
العالم التي تملك عشرة أرجل، ولا يمكن اعتبارها هي بطري عكسنا بالمرى
عنصر للكلمة فانها تكسر بها بموق حجم اليد البشرية وتتحرك بسرعة كبيرة
وتؤدي عصتها الى تفسخ اللحم - لم أتم التمدد عن الليالي بسببها فقدم
رايت على بحر حارس، ما جعلته عصتها ناشئ من المحتجزين أحد حدهما
بشبح ويكتسب اللون الأسود، تلد الحراس في بعض الأحيان بصورة لا نعلم
من السادية بالتقاط تلك العناكب ووصفها في إماء مع المقارب لمشاهدتها
تفزع هبما بعد، رايت في إحدى المرات حارسا يرمي إحداهما على المعبر
بها، هي المعبر.

كتبت الرسائل في بعض الأحيان لعدد السحرية من الأمريكيين مستند
بهم السماح بتمريرها، هناك بعض ما كتبت له في إحداهما - دخلت في
نقاش مع أحدهم مؤجرا حول أكبر إسهامات الولايات المتحدة في الحضارة
الإنسانية (بعد الحديث عن اليونان القديمة ومصر وبلاد ما بين النهرين
والهند والصين إلخ) فكرت ساعات لأصل إلى الجواب في النهاية رددت
المستق (الطرية والمقرمنة في الوقت ذاته) لم يكر ذلك مسبقا بالنسبة
لشريك في النقاش....

كان نشأت في عام ١٩٤٠ - من تاريخ الغز من اندمانا بوند من مهمما بالأمم
الإتحادي، خلاوة على ذلك في الأسود وذلك ما آثار مسؤولي ٤٥، يحدث في
حمر من عمر ١٩٤٠ حول ما بصروونه من كتب وكان اصنام مملك النكم منها
دعيت فيصا وعضوات المصودة ثموم في وواسطلي وديلي و في من
ديوير وديور ثور كيمع وديكوم اكر واجيت في صمري على نحو حاس
موسيف دار مدي والتريفي والتجيت هوب وقد هاجم ذلك اصنام كثير

حاشي في حذر لمرات هاجم - بت أكثر من هاجم من الرجال السود
ثقافة ووعيا خارج أمريكا.

كان الحرب والاعمار بضروون مائمل كسا تواهرت لهم من هية اصلي
لاحصر دور ان ينمل ذلك المكتوبة بالتحليلية منها، وما اعطت اصنام برودي
بما تحويه مجموعته الخاصة من كتب.

سمعت بانظر الاكر بفرام - محاربو الله - محاربة من حياتي صلاح الدين
وريمشارد قلب الأسد - العانة - لاريو مورو وفترات كذلك رواية لوم كلاسي
للمرة الاولى هاجم - او من تصيدية، بطيار حاهد بمدم طائفة الزكات التي
بضودها في عسى واقع في الكايسول هيل ثيقتل كل أعضاء الحكومة الأمريكية،
وتقوم الحلايا الارهابية الاسلامية فيما بعد بش هجمات بالأسلحة المولوحية
هي اعضاء الولايات المتحدة ويدهج ذلك رئيس - السبي اي آيه - السابق، الرئيس
الحالي في الرواية لش حرب مدمرة ضد العراق وإيران، وبعد المشابه بين تلك
الرواية وما حدث فيما بعد مدهلا وان كتبت في عام ١٩٨٨

فرات العديد من الكتب في ما عرام بعد ان رودي بها الحراس تصممت كسا
عن النماع والأشروبولوجيا وويستون نشرشل وحرب الاستقلال، والحرب الأهلية
لأمريكية والحرب العالمية الثانية وهيتام، واهامستان أيضا، وقد اجتدت تصنيفها
بدقة، وتدوين ما يمكن ان يبيدي - يوما ما - مما ورد فيها من احساسات وحقائق

كان الرقباء المسؤولون عن الحراسة هم من يملكون زمام الأمور في ما عرام،
وقد علمت بعد محبي فترة قصيرة ان بمقدورهم سحب كل الامتيازات البسيطة
التي حصلنا عليها في لحظات.

كان أحدهم يقيسها ثم أحسبه على الاطلاق ماهيك عن أن تعامله مع
 لصحريين شجع من كانوا تحت مرته على المصروف بالخطيفة ذاتها، فقد رايت
 مره بعض إحدى الرمانيين مع عدد من الحراس، بطريقة قاسية تصور من
 شعبيته تماماً وطلب من جميع برلاتها التوجه الى اخرها والبول على ركبهم
 بعد وضع ايديهم حلف رؤوسهم دخل الحراس البرية هيما بعد لتسيبها
 مبشرين كل ما كان فيها من محتويات ومطابخات فلم يكثرث لسير حدوده على
 بطابخات السجاء وهو في اماكن صلاتهم فقد كان احدهم لا يزال يخطي في
 حبه ليمسك به الرقيب ويحرمه من شعره إلى اخر الرواية قبل أن يرمي به
 رسا حيث كان الجميع راكعين ويصرخ فيه قائلا "بعدك ان تصلي الي ايها
 الساحل أما ربك الوحيد هاء، طلب ما الاستدازه هي ريواسنا وعدم مراقبه
 عصبية التفتيش ولكننا كنا قد رأينا بالمعمل ما يكفي

ثم اضياد اعصابي اخر، هي أواخر العام 2002 تقريبا، إلى الرواية التي كت
 منفلا عنها، وتمثلت الإحراقات ابدالك في تعريف السجاء العدد إلى الموسيما
 الصاحبة، ووصفهم هي رمانيين اصراية، وحرمانهم من النوم كخطوات تعهيدة
 سفلهم إلى الرمانيين الرئيسة قد كانوا يحتضرون بعض الوقت هي صمات
 الرمانيين قبل إدخالهم إليها، ويحتضر ذلك الأهماسي في الممر الخاص بها
 فاستطعت رؤيته حين كان واقفا، يتربع من شدة العاس بعد حرمانه من النوم،
 فلم أتمكن من رؤية وجهه إلا مرة واحدة، بالنظر إلى أن الحراس كانوا يجبرونه
 على الوقوف مقابلهم.

كثيراً ما اضطر السجاء العدد إلى النوم في المصرات، بالرغم من صيق
 مصاحتها، ولكن يسمح له بذلك، إذ كانوا يأمرونه بالوقوف على الدوام، واقتيد
 مرة أو اثنتين إلى غرفة الاستحواب، لثم إعادته، ويؤمر بالوقوف مجدداً وادكر
 أن رقمه كان 421، بالنظر إلى أن مرشاة أسنانه تركت مع العائدة لنا، على الرف
 خارج الرقراة، بعد احتماثه في نهاية المطاف.

ما إذا كان يتحدث الانجليزية لأدرك بعد رؤيته يحاطت الحراس أنه كان يفعل
بالتأكد بعد جمعته للغاية حتى رأيتها أول مرة هناك لا أعني أن بريطانيا
كانت مسلم مواطنيها الموحدين على أراضيها إلى الأمريكيين مباشرة على ذلك
صدمة حقيقية بالنسبة لي وقد فكرت قليلاً نفسي . لم يعد لي أي أمل الآن
بالخلاص مما أنا فيه. أصبح الأمر خطيراً للغاية. نهلت قدوم عشرات
الحيات المحملة بالبريطانيين ليعلمهم إلى باعرام وعوانامو

سألت أحد الحراس مرة عما إذا كان بمقدوره إحضار بشر إلى الخارج بيها
كتب أعد وحيات الطعام ليوافق على ذلك شريطة أن يتحدث بالإنجليزية. بعد
سخط في الحديث بأتق الأمر، استقل في غضون دقائق إلى مناقشة أوضاعها
إذا كنت متلهما على نحو خاص لمعرفة الأحوال في بريطانيا وما سمعه بشر عن
قسمي هم يكن يعلم الكثير عنها للأسف

كان بشر إنجليزيا هي الصميم. وثقا من مصه يتوق لمساعدة الآخرين. رايه هي
حتى المرات يعلم أعضائها كيفية تطويق أسامة عبر تحريك الموشاة لا رأسه
ومكتب من إعارته بمصر كتب إيمان. عبر رميها فوق الأسلاك إلى زملائه

حدثت كذلك إلى جميل مرة حين كان في الزمارة المحاورة. لاحظ أحد
المحققين ذلك بلا ريب. حين كان في الأعلى، لفتتاه إلى الاستعجاب فلا بد
أنهم قالوا ما أضرعه. بحيث لم يكتمني على الإطلاق فيما بعد وكانوا يلصقوه
بكمي روحرة. بالرغم من أنه لم يسمع بذلك الاسم على الأرجح بعد كان
يشبه عمي موسيقا الكانتري. ذلك بالمعل فطائوه هي إحدى المرات مساء
مقطع لقوة إباء من إحدى أعضائه. ليبي طلعهم بصوت مثار مرتفع علم بعد
جميل مستاء للغاية هي تلك المرة. وقد تولد لدي انطباع بأنه يعهد بإطلاق
سراحه قريباً. وأن الأمريكيين ربما يدركون خطاهم بأسمائه

لم أكن لأحبل مطلقاً هي حية أبي سأكون هي بيبي بعد ما يضرب ثلاث
السوات. أبحر كناتي بيها لا يزال هو مصفلاً هي عوانامو

فمن الأمريكيات هي جبهة حادة بعد عدة شهور من عدة شعوب في
 شمير و ب صوب شمير حرة دعة يدعى اساحة شمير من حرة
 قدمو شكيب ووضع شميرت عبيد وانسب صفات شميرت شمير
 فمر حرة حرة واحد تو لآخر هند كد برخط شميرت واحدة وشميرت هي حرة
 مستقيمة وكذا بمرحوب من مكان مشور كمن لا صفاته وشميرت
 شميرت شميرت شميرت كمن حرة شميرت شميرت شميرت شميرت
 حرة وشميرت وشميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت وشميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت

كمن شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 كمن شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت

نحدث النحر من حرة شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت
 شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت شميرت

سأله هي إحدى المرات التي مضى به، عندما كان موعده التمرير هرقس
 متطللاً بأن مراجه لا يسمح بذلك، وبقي مستلقياً على الأرض، ساداً الطريق
 أمام بقية التمرير من السجاء، هبات طيها شميرت، همرشها على الأرض

مصدر^٢، وتبدأ لنا المطربات الحارة، ولكنني لم أرفع في التشاجر معه، إذ قام هي بهاية المطاف بطي بطيها كبللا يركض السحباء فوقها، وأبوى هي الركن عابسا، ولم يتحدث بعد تلك الحادثة بصعوبة أسايح، حتى حان يوم معادرتي، فطرت إليه، فطر إلي بدورة، مصاعها يدي، معانقا إياي، قائلا: أفسد حقا لما حدث، اعتذر صليفا.

عقبته، قائلا: تحدث تلك الأمور أحيانا.

شهدت شعاريين وقع كلاهما في برانسي، كان الأول بين أهلي صمم الحنة بين حولي سبعة الأقدام في طوله، يروق المنة والمشرين كيلو عراما في ورته على الأرحح، وبين محمد السعودي، فقد كان سبب الشجار بينهما ناهما، حول من ينظف أسانه أولا، أو حول شيء من هذا القبيل فكر عليه محمد راكلا إياه في وجهه فالتفت الأهلي راحة مياه بلاستيكية محاولا صرية بها، وركضت هي بهاية المطاف لأحول بينهما ووقع الشجار الثاني بين أهليين يؤيد أحدهما طالبان، ويمارسها الآخر، فتشاجر الرحلان كما التفت يهرمشان بمصهما بفصا، وبمصان، وبمصمان، بلا ركلات، أو لكلمات، فوقمت حائلا بينهما كما فعلت في السابق

حل رمضان - مجدداً - وهو الثاني الذي أمضيه مبدأ عن عائلي، فلم أكن واقعاً هذه المرة تحت تأثير الصدمة، كما كنت في شذهار، لأشعر بشديد الحزن والوحدة، إذ كانت الحال رهيبة بالمثل فلم يكن يسمح لنا بالتحدث، أو الصلاة جماعة، أو القيام بأي شيء، ونصل الأسوأ هي تمويت صلاة النوايح الرمضانية المسيرة جماعة، فلم يكن الحراس يسمحون بأدائها، أو يملأونا حتى ما يطر عليه، ولم يقدم لنا أي طعام في الواقع، خلال أول أسبوعين من رمضان حتى المباشرة مساء بعد غروب الشمس بحمض ساعات، كان تصرعهم حافداً للعابة، وقد كانوا يملأون ذلك، إذ لقد كانوا يملأون عا النحر الذي كانت تحلبه هيئة انصليب الأحمر، إلى أن يحل المساء، وأحسرت لنا الهيئة بعض الكمك في يوم العيد، الذي يحرص به أن يكون احتفالياً، فحرمنا الحراس منه حتى اليوم الأنبي، مما جعله متأخراً للعابة، فكان ذلك بمنزلة الاحتفال بعيد الميلاد في اليوم الأنبي له

جعلونا بصوم فعلها في يوم العيد، فأحمرت ستيصاصي بالأمر في تلك الليلة، حين عادت الرزاة لإعداد وحيات الطعام، إذ شعرت باستياء بالغ، وذهبت إلى حيث كان الحراس، لتعود بحصتها من الحساء، والكعك، والشوكولاتة المسماة «قبلات»، وتقدمها لي، ولعبد الرحيم، الأحماسي الذي وقع في الحمام، قائلة «لتعزها أسا لا تنصرف إلا بالطريقة ذاتها جميعاً».

تأثر عبد الرحيم بموقفها، المحالف لما حسره عن الأمريكيين، فأنشأ «إنها فتاة جيدة بحق».

عفيت بالقول صاحبك «اعلم ذلك، فقد سمعنا بعض القبالات للنو».

لم تكن هناك الكثير من اللحظات الأساسية الجميلة كذلك وقد أصبح إحساسي بمرور الوقت بعد رمضان، مولماً بما لا يطاق فكتبت إلى والدي الرسالة الآتية

أبي العزيز،

السلام عليكم هارب وعودي هي المحررة السعة، مؤمناً بتعرضي حقوقتي الإنسانية لانتهاك صارخ وبخاصة ذلك المتعلق بالحرية، والبراءة، حتى تثبت إدائتي، وأحصل حتى الآن ما يستحقون ارتكابي له من جرائم، لا أدفع ثمنها وحدي فحسب بل روحي وأطعالي كذلك، فأمر بحالة من الهاس، وقد بدأت أحسر مفركتي ضد الاكتئاب، وفقدان الأمل، ثم أرا الشمس، أو القمر، أو السماء ما يقارب السعة سمعت أكثر مما يكفي لأشباع «تجلباتهم» حولي دون رؤية أي نهاية لما أمر به وأكره كثيراً إلقاء هذا الحمل على عاتقك، لاجئاً إليك كملاذ أخير لتخليصني من هذا الظلم أرحوك تذكري في صلواتك

ولذلك معظّم.

كان شريف قد أخبرني أن الأمريكيين سيطلقون سراحه، لاجتباره اختبار كشف الكذب بنجاح مقترحاً قبل معادرتة أن أطلب الحصوع له أيضاً، فكتبت في نهاية السعة، بدافع من يأس، رسالة من أربع صفحات إلى الأمريكيين، مفصلاً

هو حريمي ليعتله هي قبل السحبين الذين شهدتهما و تعامله لرهسه التي
 في حرمين لها بصورة عامة ومطائفي الناسة بالخصوص لاحتداد كسب الكذب
 ويرتبط هي نرسائه أكثر ما اعتصمت به مهم من لأسئلة ليس يمكن - بطرح
 هي - هل كذب متصور في أي عمل إرهابي؟ هل كذب ممنوع في أي عمل
 عدائي ضد الولايات المتحدة؟ هل كان لذي علم مسبق بأن من لأعمال
 إرهابية؟ هل عولت أيا منها؟ هل كذب عصبوا هي القاعدة و ج خصاصة
 مدته؟ ثم نلق في حوب على تلك الرسااله اندا

ما سي كان يعمري عن النقية هي مطرهم يا نرو؟

سندعسي في نهاية المطاف هي شهر كانون الثاني / يناير من عام 2002 حيث
 فصل المحققين الذين لتقوتهم حاي فائلا - استهدف إلى عوانابامو وريفا
 تحسب لأمر بالنسبة لك هناك، حيث ستعد حلا فلا حبار لك سور ذلك
 نسايت. فائلا ليعصي - هل يمكن أن نكون الحال اسوا هي تلك لأخصاص
 الصغيرة، مها هي باعرام؟

ويعتني كالأحرين فكرة الذهاب إلى عوانابامو باستمرار وقد كذب
 كذب عبادرت مجموعة إلى هناك - حوالي الأربع طوله مدة مكوثي في همدان
 وباعرام - بارتياج كبير لعدم وجودي بينهم وبلغت بطول دوري مع ذلك مرحلة
 شعرت فيها أن أي شيء يمكن أن يكون أفضل من باعرام همدان كذب مودع
 من انكس وقوابيه، واعظمته، ومواقف حراسه ورائحه وبناره وريشه
 وضعت الأمور مداها بالنسبة لي اذ كانت الأخصاص الصغيرة هي حوسبامو هي
 كذب اعلم بها معتبرا إياها كأوجده لكلام - كثر اهتماما هي بطري عددا بها
 نعتة من تقدم باتجاه محاكمه معمولة عن الأراضي الامريكية ربما عاجز -
 دند بمرله خطوة إلى أمام فائلا كفاشي

لم أكن مهتماً للحسن لا لمرادى هي عرفة محرومة من أى سوء ظنى ولم
 اتعجل أن يتم اعتمالي في هذه الظروف عشرين شهراً، أو أن الأمريكيين كانوا
 يعطلون لاحترار على توقيع اعترافات مكتوبة من قبلهم

رودن الأمريكيون حين أرهت ساعة مصادرتنا بأعرام مستمرة وطافية
 برتقالية اللون علاوة على ما كنا نرثيه من ملابس تحمل اللون ذاته وتمت
 حلاقه رؤوس مره أخرى تحت كما قال الحراس لاحتمال احتمالنا دنايس
 أو أى أسلحة دسيلة أخرى هي شموماً فقد كان ذلك مبالغة سخيفة كالعادة
 فمن أين يمكن لنا إحصاء تلك الأسلحة؟ كنا مكبلين جميعاً بسلاسل ملتهمة
 حول حصون متصل بالأصماد بأهيك عن أرحلنا المضيئة بالطريقة المعتادة
 جلسنا بسطر هي عرفة نهما كان الحراس يواكبون السجاء بين لمبه
 والأخرى إلى المرحاض بالنظر إلى أن الرحلة يمكن أن تطول سناً وثلاثين
 ساعة أو أكثر وفرب أن أكتب بصفي، مهما طالت الرحلة، على أن انصرف
 للأدال فقد علمت ذلك يومين كاملين في الحقيقة

كان معظم السجاء قد أحبروا بما يحبسهم الذهاب إلى عوانتنامو من
 قصص رأيت في الزبائير المداورة اثنين من الأعمام الذين كانوا يهابون ذلك
 الاحتمال على نحو خاص فاهاراً ياكيب. حين تم إخبارهما بإمكانية تحوله إلى
 حقيقة واقعة، ولم يستطع أحدهما النهوض فلياً لما سببه له التكبير هي ذلك
 من إبهات حسدي وعقلي فقد كانت عوانتنامو تمثل نهاية العالم بالنسبة له إذ
 شعر أن حياته انتهت، وأنه لن يرى عائلته مجدداً وكانت إحدى المحققات شابة
 لانتية الأصل قد أحبرته ذلك بالعمل قائلة: يمكنك كتابة رسالة إلى روحك
 لإخبارها أنك لن تراها مجدداً، وتعمل السبب الوحيد لإرساله إلى عوانتنامو هي
 رفضه الاعتراف أنه كان عضواً في الطالبان حاولوا جانبين رشوته، قائلين إنهم
 لن يرسلوه إلى هناك إن أقر بانتهاماتهم

عمر سحناء خروى يوماً على منهار بر شته. كشاف باكستاني في الساعة
عمره من عمر كز قد غفر عن الحدود بترفيه ما من قبل تعاقب شمال
و عمر لأجبر على به كز داخل ساء في هفاستان فقد بدا وصفا به لم يكن
من هر منطقة باهيت عن بضرته لأشد استمراراً وكان دنت كاهها بالعبية
بامريكيي ليمعدوا به يحتفظ لعمل شيع ما

عنا مكين سطر ليعود إلى حاضرة عكث مطلع حقيقة لدلت هضد
كنا عوبنامو معدد تمثل تقدما بالقدرة مع باعرام

حيث سبباني هي غرفة الانظار يسي وهي وزير خارجية طاجيك السابق
بلا صوكل الذي كان قد حصر بمعمل عن نفيسا حيث علمت أن سبباني
كنا حرية رؤيتي أعادار وقد حلت ببيع دهاق دون أن تبصر بشت شعبه
بكنها بهصب هبما بعد منعه بحوي ليمسك يدي المكلة وتصافحها فكان
بنا فعلا شعاعا بالظفر إلى وجود حدود تحرير على مفردة منها وقد بظر
به بشفة مخبرين بدعشة بالغة إذ كان ذلك معروفا ولكسي ناشرث به لقد كانت
معرد همد نودي عطفا وكانت تلك هي اللحظة الأخيرة التي أراها فيها وباعرام
شاد بعد حجب حواسي بالظارات القاتمة وأعطيه الأس وقناع للوجه

شعرت هبما بعد شتي على ظهوري إذ حافظني أحد عناصر الشرطة
مستكرية قاتلا ، سمع أيتها المسجون ١٥٠ سيصبح رقمك ٩٩٨ محدداً في
عوبنامو إذا ساكنه على قميصك.

احسنت أن الناس كانوا يخرجون واحداً تلو الآخر حتى سمعت الصراخ
لقد ودعت، حتى عادرت أهماستان بالإدلال بمسه الذي استقبلت به حين
وصت قدهار همتل ذلك تذكرأ فلسيا ياسي أما وعيوتي مع يرتدون البريت
لبرتقائية كنا لا يزال الأعداء. بعض النظر عما يلعبه من توازن مع الحراس

نشئت آخر دكرياتي هي مركز اعتقال قاعدة باعرام الحوية بدموعي
وصرحاتي.

-9-

صلى العزلة

يقوم فيها بسنة الساحة الى لطيرة شعربانها ، حتى لأول مرة عند
 الظهور ان احدهم يقضي جميع حيل الصاع ودهونا يصعد شدة صعود من
 لطيرة وما ار لطير اب الساحة به بكر مشدودة تمام على وجهي عند
 مكث حتى كك حبي راسي الى الحلق قليلا ، نظر يقضي الى الاسفل من
 صبور صعد من الماعد على طول الطائر فقد حثس لمصعد هي مصعد
 طيرا يظهر بينما تقدمهم الحراسي مثل ما لحظه على امور حتى به يستجيب
 اليه على من لطيرة هي بهم كانوا يريدون رب لككي انفسك به هي حتى
 ردى نظروهم هي ما عرام الصحراوي به ساحة منها همكوت قاتلا للمسي
 اذحل الال مرحلة معدنه تمام من لا عشاء فلا بد ان يفر على نقولي ساها
 مثل تمام ثم استطاع التكبير بعد عصي وقت قصير لا فيما كك اسفر به
 من عدم رباح تام عند كات الاعطيه تصعد بشدة على ربي سيما وحده
 صعوده كمره هي انفسه تحت الصاع ناهك عن تحري عن لرويه بالذكيد
 وشعوب بالنظر الى الصحيح لمست من الحركات وما مسسه السلام
 والاصعد من صعد على وسطي ويدي من لى استطاع صعود طويلا

قدموا بها فيما بعد شطيرة رده انفسه همكوت حتى بدوهم قاتلا للمسي
 صعد الحياه الامريكية رنه ، فلم استطاع رفعها الى عمي لارضا صعد ردى
 سلامن وسطي وحاولت حبي راسي الى الاسفل حيث كات شطيرة هو حده
 ذلك مستحيلا ودرك الحراسي الامر هي النهاية وحدث برهمن صعد ماء
 هي بعض الاحيان بحيث يمكن لسعاة من نقولهم جميع ان يتم تحديري كي
 نهاي من كل تلك المعاناة هما انعكك امور بشيء ما لاثير سماء بحر من عند

جاءت شاهد بارحة من زانه لانه عن حركات اعمال من بعضدي
الطائرات القاتعة او الضاع او عصبه لانه بعضدي و در عي هكان بعض
بعضون واعدتها لى مكانها كلف عصب وهد سكر ديك بعض مرات ووسيل
وجود صفا من بعض من بعضون مامد حوسى لبعضى و اكثر ربما بعض
وجود مثله صفا

كف قد سمعت من احد البحر من عدد من بعضى كاس قد حذروا
في رحلات سافه من كوف هه ابعث فكره لانه هي تلك لوصفيه ما يف
بومى فصرحت بارحه من هدير الحركات ناري من بعضى
هناك من بي بعض و د مما يمكنه محذروى من بعضكم لا اطيع مع هه
بوصع احبلا و بعض لمار من بعيد لباي من افرجت انه كان بعض
عسكرة ويمضى بعض لادويه

مضت فيما بعد مهابا بالندوار عند وصولنا الى عوانتادمو ووصل
ما حسبنا به هي نرضويه واجر شديدين هادركت اني اصبحنا
انصيره و ن صفاي به سديها همد كاس هناك سلسله بعد من وسطى الى
كاحي معيده حركتي بها يعوق لسانى هكان مثل دلت بهيد لغيرى
بلات اطلع سى بم عهدا جيد لا بعد مضى فترة هصيره اذ كيت لا
بصفا حذر مانيه و ن كان بصوره مهمه وجود العديد من عناصر الشره
انصيره هي لحر وكت وعب ساكار بعد ركوب لحره و لدخول من
البحار و رت و ما هدموه من ثبات برصافه صافه هاسسكي البحر من
الحاين مسيره بصح خطوب و تحف ل لارض بعد هدمي كاس نعلك
كثير عن د ما ريه هي هاسس كاس هناك صحر بيه صميره هاجه
و ن صرنا شفه لشمس ضوولا همد لحو اكثر حدها و حره و لم يكن رايه
لبحر بحافيه اذ كاس نعلك كثير عن رايه هي برصافه ولكني اشتمها
بالحايد

كتب في معسكر لندني و سكيو كما كانوا يدعونه حيث كتب أهل ذلك
في حبه و تم اقتيادي إلى غرفة ليرج الحراس عطفه رأسي و نظرت
نقائمة و عطية الأس و الصاع و بأحدوس إلى ربره في رويها حارس مني
دحوها على ن يفعلوا بأنها هسألني الحراس فيما بعد لوهوف و ظهوري مسدد
إلى الباب كي يمكنوا من إزالته الأصعد عر هتحة هبه يتم رفع أو برال
عنائها لمدني من الحارج إذ قاموا بتحرير صافتي أولا ثم وسطتي ثانيا
لاستدبر و اسلمهم بمية السلسلة المسد من مصممي اس كاحني و تم رنه
الأصعد عن مصممي فيما بعد لأصبح حر في رواسي لصميره نيسي الحديدي
التي لم يكن يتجاوز في مساحها ثمانية أقدام في لطول و ستة في العرض
و كانت تحوي مرحاضا عربيا مديبا في أرضيتها

لم در ما كتب بوقعه ولكنه لم يكن ما ربه بكل الأحوال اضطرت حوالي
في دهشة نامة لا أكاد أصدق ما أمر به إذ لم يميز شيء بل اردت لأمر
سواء في الواقع بعكس ما كتب أطل بدما من قهقار و مرور بباعرام
و وصولا إلى غوانامو.

فكرت، فمثلا لنصفي ما الذي يمكن ان يكون أكثر كلفة و وحشة من لمد،
في مثل هذا القصر؟ لم استطلع الرؤية بوصف حارجه لأنه كان مغطى
بشبكة خصر و بين باهتتي من الحديد الصلب، و صفنا بشكل مصلاب هو
بعضهما بعضا، و كنت رى بالكاد عره و قد كان ذلك يؤدي عيني كثير هتمرت
و كاسي حيس أربعة حدران في أي ربرانه عادية

بحث الإسلام لمرء على عدم لضوط ولكني ما استطعت أن بحسه شيلا
حيث كنت في باعرام أمر ناسوا بامي في شهر ايار / مايو من عام 2002 همد
عاد اليأس إلى محدد هها في غوانامو حين ادحت لأول مرة إلى همد
القصر الحديدي - المسور بالشباك من جميع حوبيه - بسفحه الحديدي
و أرضيته الحديدية و سرير و مرحاض حديدي تحويها حفيف عرقه بيضا،
حديث، منارة بالكامل.

تمثل كل ما أعطوني به في علاقه من مبادئ لم يحصل ان فيه
 من - بشعر - بطاري - هذا المذهب بها يمكن ان يحصل عليه ببعض
 حذر الخصائص ثم هذه المستعملة في تحقيق التي صحت ما فيه
 طيلة العامين الآتين

وردت الحوادث على نحو - - - - - الحوادث
 ولكنهم لم يكتفوا وبقوا من الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 من جميع الحوادث حول الحوادث - - - - -
 يمكن من تحديد موقعي عن الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 حديث - - - - - الحوادث - - - - -

الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -

الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -

الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -
 الحوادث - - - - - الحوادث - - - - -

هي باعزم من لم اكل مثير الصاع و مصريا عن الطعام و بوعد لحراس
او اصبح فيهم او قدعهم بأي من الامعاء ولا بد منهم و هي بالاحدى من
بطلد ماير كجير من الصعاء مسبين مصير دند باعظم من سبي كس
بحمد الانجليزية و لمرية و الأوردية و صنع مصر من ثقافة دند ما جعل
من بطنهم لى كادو بعصرويه هي باعزم - من فريوس و هيبة ومن لم يحكوا
من هن فريوس - ن بطنهموا لصاعدي هي لصاوعن على الأمور كاهه هم
بموسى هذه المرة مع الآخرين

بما يعو لا سحر ر مدير الادوية لى ساولها هي نظيرة و حصه في حد
الحر من هي لصبح لاسي اول و حبه طعام مطبوخ بعد من مند عدم كاهن
الافصار حصه احبب من قبل ان اتوج الحصول على و حساب مطبوخ هي
بواسطهم و سميت تلك الوجبة حبة امل كبره بالنسبة لي و كانت ساف من
كاسي بلاسيكيين من الخاي و حبيب محمد ردي لطعم بعدية - كان كلاهم
بارد - علاوة على طعام المطبوخ المبرد و و بارلاه مبروكة و هي من صوب
جنت جميعها هي طبق واحد لم استطع كله اند فحاطب الحد من هنلا
فصل ناول كاسي لاسي فحصب

حضر حاي من احمرتي بدهاني الى عو سايامو مساء اليوم اناسي برفقه
رجل يدعى جورج فقد كان حاي محققا هي باعزم ومن عطية برسانة
لطوبه التي كتبتها لى السلطات فحاطبي هنلا ووصلت رسالتك لى ما لا
شعبه من مسيويات. كنت سعيدا بزومه و حبه مذوب بالنسبة لي بحاي هما
كان بطله الآخرين من حصه و كاد فلي بوقوف حتى دخل ثار اخر بضم
فما برتي و بيل عميلا. الاف بي و - هي باعزم

انماهم لحراس جميعا هي لفصه بخارجي من عرفة بدهنوا براسي
لبيدوني سره ثلاث لقطع قبل اهبطني خارجا

حسب ما صدره كان تحرير هذا حضروها مقابل حاي وحوار ومناقشة
مبيل فقد كان لاجل من صحتهم بدس على غرار شرطة شوارع نيويورك من
اصول إيرلندية زعماء

حسب ما وجد ملائمتهم هي باعراهم انهما كانت تشاهيان بأن وريثهم
مختلفين يروي بعض من طر وهو ما لا يحدد بهما فعله في ربي هربا كان
بمقدار بعض بدقه في صوغ نيويورك وبكر دلت لم يكن ممثلا وقع انحالها
بمقدار من ان بهما كان بمقدار عدم حضورهما لاي محاسبة مخلصان الى
بمقدارهما من عاين بهما وهما نشوون الداخلية، على النضيم من
بمقدار من بولاب بمقدار مملكت كلاهما حربية لمصرف كما رد وكان
بمقدار هما سراج بمقدار من لئاس بعد يروي لهما من طر مثل دلت به
عمر دكلا لا سحبا به لئاس بمقدار معها كافة هي عدها وباعراهم وبه
بكر به بوكلا لاجل باسائمت البسوي به غير الاحلاقية بحداف
حاي بمقدار مكنت بمقدار البسوي لئاس هي وقت مسأحر لنفايه رتداء ثوب
عنه، عدها بمقدار كل ما كانوا بزيوت من تعذيب بحق السجاء وكذاهم به
بكر به هي الاساس بعد كانوا حرة لا يبحرا من لعمليه هي نظري

عنص هذه برة بهما لئاس بحدافي باسائمت لتعذيب المصرية بالنظر الى
وجود حاي لئاس بدخله ما مع دقة الحر من الحدود من الاستمرار في
الاساس لئاس بكندي عمر هي باعراهم بعد ممحفي حاي هي الوقع نبيا
من الامل هي حدى المزب حى عاطفي قاتلا مستكون عو بانامو بداية النهاية
بكر بكت متديلا مكل لاحول بها يعوي ذلك

بمقدار كلفات مارسي هي باعراهم حى ريت وجهه لئاس ترى عائلته
محدد قد بوجه بالاعدام رميا بالرصاص وبالحقن المائلة او بالعار

بمقدار الاشخاص محددا بالمعمل وباحتياطي بهما وصفا من اوراق مطبوعة
على الطاوية مامي قاتلين بريد ملك هرايم هذه لوثائق وبوقيعها، فكانا قد
كثما اعترافاتي.

بما ان هذا هو الحق لا ينفك عن الحق لا ينفك عن الحق

والله اعلم بالصواب

فان هذا هو الحق لا ينفك عن الحق لا ينفك عن الحق
والله اعلم بالصواب

فان هذا هو الحق لا ينفك عن الحق لا ينفك عن الحق
والله اعلم بالصواب

فان هذا هو الحق لا ينفك عن الحق لا ينفك عن الحق
والله اعلم بالصواب

لا ريب فيه عذرو هي وفت متاجر للعبه هالانوار له مكر ماعلمه هي حيله
ومكده كانه مصادره كما هو الحال دائما فتعرب في قمت مخطوه كبيره يمكن
ان يور في كل ما سئلو بمسئلي ومسئلي عاتبي فهد مد يد وبيع ملاحظات
عديده لخدمتها في معاملي دفاع و لمحكمه التي توضع ان بشكل هي عصور
بانه كانه حمزه في بعد كادوا يخطرون مني لاهرار باليد هي في من لهم
بوجهه في عاف من املاكه حطفت حرو

هو بكر بن محمد بن علي الكندي وهو صاحب حمراء بعد حمراء الحسينية
صاحب حمراء بن علي كندى الشيرازي

[illegible]

كتب بريت رسالة من سبع صفحات صغيرة بعد حوالي سنة لاصابع
قدمت لها لتصبح هي كل ما يملأ مشغول الحياه العائليه التي هي عليها
تديرها من راسي فقد خابثت مصاعدها هي حينئذ مدارس للاطفال وهي
تم عنها بعد مرور لربو بدي كانت هي وسنبا امداه مصاصين به وجمعها
على لانضمام التي تار للباحه المدينه و صحابه او نعيم بها بين لأعضاء هي
عمر و لأحر طه قيدا هو مفيد من سخته دنيا لمعمر نفسها على ذلك
ثم معمر في تكبير هي حينئذ ليس هذا يصطبح ما بعد مبعه من مصاصين
و حبيب من صغويات بعفت نعيم مستجاب في نظيره فلا يفتن لا ما
هو عليه من النوايا ارضاء الله و سعادته بعض مسووجه عن كل لأعضاء
امسوا انحصارات التي تدفع ثمنها حبيب الأ ولا يفسر من است مبعه
مرائك صحت جائه في الحياه الدنيا والأخره عظم مشهور بعد لأمر
حينئذ طلاق من حي وسافر جاهد الحدود ذلك وموحي كل ما هناك
مفصيا ما امكسي من وقت معكم ساعيا ما مصطوب لتعطي رعاها.

في هذه الحالة لا يمكن ان تكون هذه العملية تدعى لا محالة
والتصريح. ثم قد نشأ عن هذا التصريح تسوية في المصداقية فلا يصح
ان كانت تصحح الاعتقال والتصريح. فليس ولا في التصريح. ثم قد نشأ
عن هذه الحالة في التصريح هذه التصريح. فليس ولا في التصريح.

في هذه الحالة لا يمكن ان تكون هذه العملية تدعى لا محالة
والتصريح. ثم قد نشأ عن هذا التصريح تسوية في المصداقية فلا يصح
ان كانت تصحح الاعتقال والتصريح. فليس ولا في التصريح. ثم قد نشأ
عن هذه الحالة في التصريح هذه التصريح. فليس ولا في التصريح.

في هذه الحالة لا يمكن ان تكون هذه العملية تدعى لا محالة
والتصريح. ثم قد نشأ عن هذا التصريح تسوية في المصداقية فلا يصح
ان كانت تصحح الاعتقال والتصريح. فليس ولا في التصريح. ثم قد نشأ
عن هذه الحالة في التصريح هذه التصريح. فليس ولا في التصريح.

في هذه الحالة لا يمكن ان تكون هذه العملية تدعى لا محالة
والتصريح. ثم قد نشأ عن هذا التصريح تسوية في المصداقية فلا يصح
ان كانت تصحح الاعتقال والتصريح. فليس ولا في التصريح. ثم قد نشأ
عن هذه الحالة في التصريح هذه التصريح. فليس ولا في التصريح.

[illegible]

1. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 2. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 3. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 4. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 5. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 6. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 7. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 8. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 9. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*
 10. *Handwritten text, mostly illegible due to blurring.*



وہابیہ کے عقائد سے جو خاص باتیں



بە ئەرەبىيە ئىسلامىيەت ئىنىستىتۇتىدا ئوقۇغان ئىككىنچى قېتىملىق ئوقۇغۇچىلارنىڭ بىر گۇرۇپپىسى

— ۲۰۰۵ —



ئىلىمىي ۋەزىيەت ئىشلىرىنى ئۆز ئىچىگە ئالغان بىر قانچە ئوقۇغۇچىنىڭ بىر گۇرۇپپىسى (۲۰۰۵ - يىلى)
 ۋەزىيەت ئىشلىرىنى ئۆز ئىچىگە ئالغان بىر قانچە ئوقۇغۇچىنىڭ بىر گۇرۇپپىسى (۲۰۰۵ - يىلى)
 ئىلىمىي ۋەزىيەت ئىشلىرىنى ئۆز ئىچىگە ئالغان بىر قانچە ئوقۇغۇچىنىڭ بىر گۇرۇپپىسى (۲۰۰۵ - يىلى)
 ئىلىمىي ۋەزىيەت ئىشلىرىنى ئۆز ئىچىگە ئالغان بىر قانچە ئوقۇغۇچىنىڭ بىر گۇرۇپپىسى (۲۰۰۵ - يىلى)

— ۲۰۰۵ —



جانب به سمتو حد لحد
بجانبه سمتو حد لحد
حد به سمتو حد لحد



جانب به سمتو حد لحد
الموسمیه، قرب حایلانیکا (۱۳۸۴)

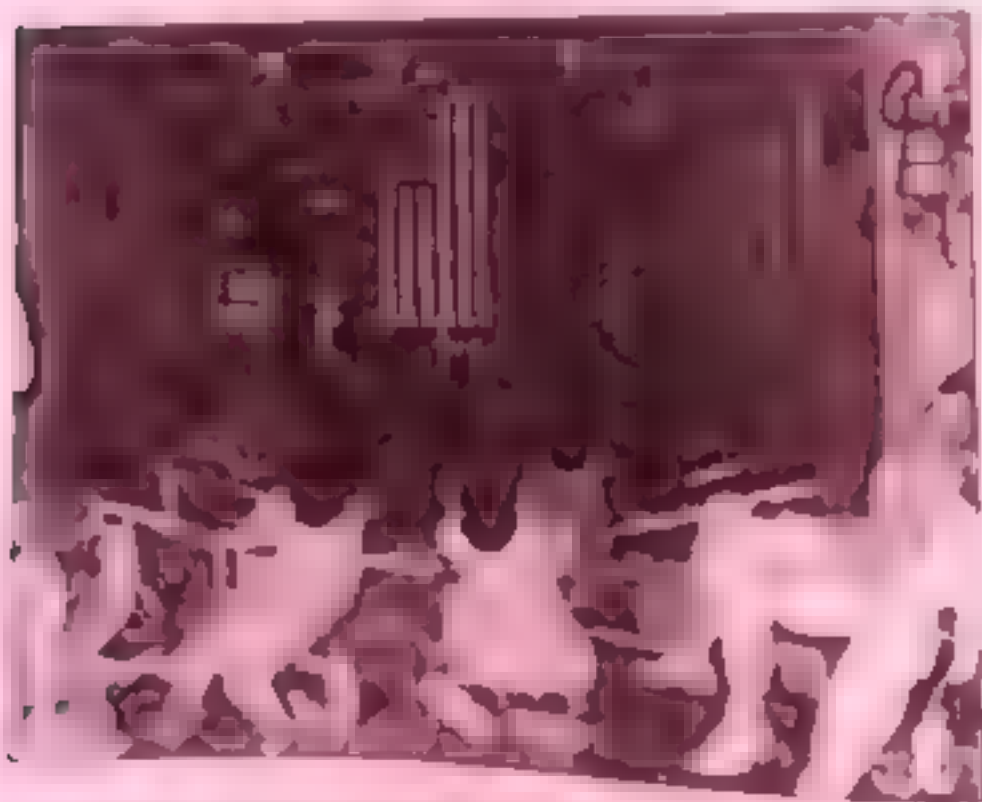
من شعاع عبد الرحمن و
 و حبيب و محمد و عبد الله
 و عبد الله و عبد الله



من شعاع عبد الرحمن و حبيب و محمد و عبد الله
 و حبيب و محمد و عبد الله و عبد الله و عبد الله



صورت اول: در شبكه سيمد القصر سجاديا على من فيه عظام الامامه
سجاد عليه السلام تقاضيه كذا في الحادي و سلاله من شهر سجاد
شهر 11



معتصم مفضل الروم و معتصم في ساد على الامامه

مجلس کو سارا

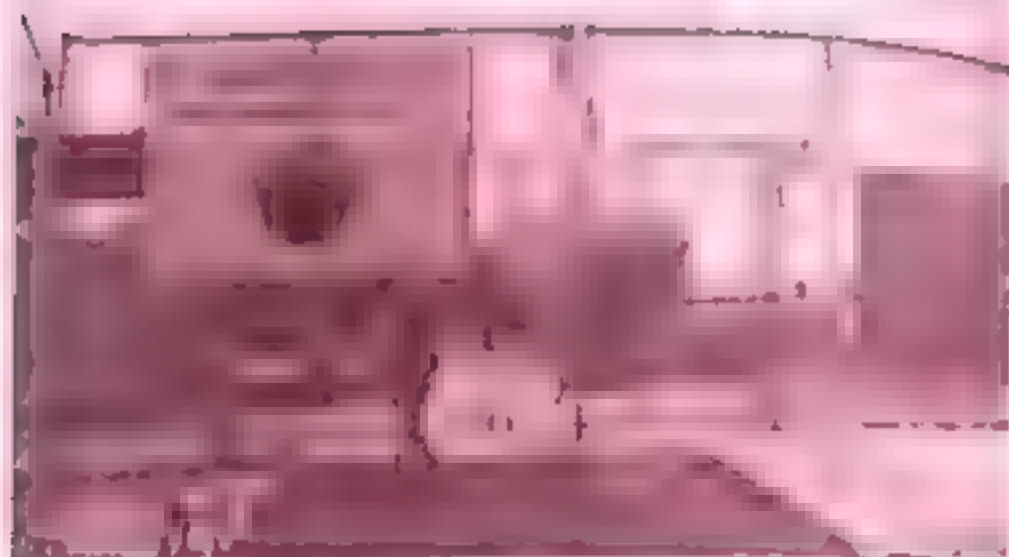


مجلس کو سارا
مجلس کو سارا
مجلس کو سارا



مجلس کو سارا
مجلس کو سارا
مجلس کو سارا
مجلس کو سارا
مجلس کو سارا





The above is a photograph of the building which was the residence of the late Mr. J. H. Smith, who was the first owner of the property. The building was built in 1880 and was the first of its kind in the city. The man and woman in the photograph are the late Mr. and Mrs. J. H. Smith.



مجلسه بنابر آنکه در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه



در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه
 در آن مجلس در آن وقت که در آن مجلس مستقر بودند بنابر آنکه

ملاحظه گردد محله بالاخره در فروردین بود و فیضیه و مدرسه و سایر
بیمارستان و سایر امور که در آنجا بود به محله قاضی حنفی که در
مدرسه بود و امریکایی و غیر محله و حیدر سقایی و دیگران در آنجا

چند مصلحت آخر از افعاله ماری و ... میگوید باطنی بار و احد حیه
عمره کل مر جومی و ... مضبوطها کفیفین بلاستطی ... صریضایه فیه مکر
الامر و ... مضبوطه فی لسانو مر عملاء بحی ... کاند مضبوط ...
مضبوط ... (اعلام) ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ...
مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ...
و ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ... مضبوط ...

۱۰ هـ در خبری بعد از آنکه بنام و در حد خبر استخوانی در حد
 کتب استخوانی در حد بنام و در حد بنام استخوانی در حد بنام
 حد بنام در حد بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام
 در حد بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام
 بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام
 بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام بنام

حسنہ قابلہ! ہم یہاں سمندر لکڑیہ میں بس جاد ہیبت تقویہ ہم۔ مائتہ
میں غمگین (سرکھائی) نہ ہند (لمحظہ) بس سرکھائیہ جاد ہم غمگین تقویہ
بالکلی میں بس ناہیبت میں رید و غریہ جاد ہیبت ہم قابلہ جاد ہیبت
بخدمتہ لکڑیہ انکسیر میں بوقت ناہیبت

به فهم مجرى نسو - ابدى صرخة حادة من نسو بن قسلة - به نصر -
استرعت الكثير من الوقت.

ہم ہواں بکثیر من الایمان من بہ یکہ دعوہا لانما لذلك من حرج
الخصمی بغیب صاعدا علی من یساعی من من عینک من بہ حرج من
او حدیث و یوید لاجوہ عنہ کی بقصد ان الامر یكون هم من سبوحہ من
الجمہ من سبوحہ

ثم يكمو سؤاسي عن أبي حمزة العلامة لاسلامي في مسجد هيسجوري
بارك فحسب من عن مأكرا تردد الشيع المثير للحدل الاخرى في لندن أبي
ضاده خاضهم غير مصدق ايم قدموا بدلت فائلا مهر تفمون كم من الوقت
معي علي في الاعتقال؟

محاورت تلك المسرة السنه بكنير في حيله ولكنهم كانوا مصرس علي ان
استثنهم كانت منطقية للغاية.

احصرو كذلك مئات صور الناس الذين لم اكن اعرف معظمهم بلغ الامر
بهم في بعض الأحيان حد إرور صور لمؤخرة من حدهم و دراعه او ساقه
طرح من سول لاسي علي هل يمكنك التعرف على هـ ؟

حاولت هذا لتعير من لأمريكيين و لبريطانيين ليصبح عيف بعد بهم
كانو ممدوسن حريصين علي انصافي سعيد راعبي في استمارة لأجهره
الاستخباريه من ذلك الى أقصى الحدود هما عصفه كانت تلك انفاذة يا ترى؟

لم احد الكثير من الاستعدادات من عصفاني لمرة ، سقاء الأعداد ،
ويكني اكتشف بعد فترة قصيرة انها كانت ماسمه بماذا بعد لانتارة الى
الاستخبارات العسكرية* مثلك كان العديد من عناصر الشرطة العسكرية
ممرحون ، هائلين ، لا يمكنك ان تكون دكب ومصعب من الاستخبارات العسكرية
في الوقت ذاته ،

كانت معلوماتهم مخلوطة عن ذلك محيطه لعديه لم يبد لأمريكيون - بعد
توفيهم عن لاعمرافات - هي تبني طريقه اقر عداية بعد في فحسب من
ومعاملتي بودية اكبر أيضاً .

حصر كل من مايك آخر عملاء ، لافسي بي لندن يحدث بهم في سلام
أناد وروب ، العميل الذي التقيت في قندهار وساعزم حصر كلاهف الى رومي
خلال زيارتهما لي عواسامو ولساني مابت بصورة مصححه فائلا هل يمنع في
رفع قميص فائلا ؟ اريد رويه ما د كتب تجعل أي علامات معيرة ، لا أكثر ،

* تتساطر ، الاستخبارات ، والدكا ، بكنيه روبا هي الاستخباريه (لمرحم)

جانس هانلا ، خول محمد هل يدكرت هذا لاسم شير؟.

احسه هانلا لا ولكنه نجمع اكثر الاسماء. شيوخا هي المسيحية ، الاسلام
ولا يد انه امريكى.

له كن عرف دنت هي حيه ولكن روت كن بلكم من حدي امريكى صابو
مبول من مصل تني عشر شخص هي لولايات المتحدة فلم سالس روت صه به
برو؟ بها لاه كن مسما ويحد الرمي

سالس روت متحد هانلا ، صادا من سم اسي مصعب الر فادي لا يمد
مالود؟ بها كن موجودا هي افانسان من كت هياك.

احسه هانلا ، لم اسمع به قط ممن هو؟.

اجاسي، هانلا ، لا بهم.

لم كن عرف هي حيه اسي ساسم بذلك الاسم كنهر بعد عورسي
الى بريطانيا.

حاطسي روت هانلا ، بمثل ما لا فهمه شانت به معطه هي صحت
مبارك بريطانيا ومحيت الى افانسان روت من كل لاماكن هان سم كن
عصو هي اماعده او الطائسان هم هفت دنت مصطحبا روت و طمايك؟.
كان الامريكىون و ثريطانيون بعمارون عني لدوام هي مصمير الدو هم به ثم به
وراء السمر

احسه هانلا ، لم يتقي عني ان اكون عصو هي به جماعه كن ساهر تني اي
مكان؟ بعد الحواب بسيط للماية يا روت وتكت بر تمهه على لاربع لانت
أيهن البشرة؟.

عص هانلا ، اه داله عليك لدي العديد من لاصدغه السود حلاوه
على المسلمين؟.

مبارك ميسر : يتحدثوا اللغة المحلية و يصلو في المساجد، ولكن أهدأ لهم
 من يوافقه مع ذلك فقد ذهب بعض أجدادي في أفغانستان، وكنت أليس
 في بعض عني في مساجدهم تحدث لغة بعضهم معظمهم وقد شرب
 من هذه ما جازى المصطفى الأساسي الأعينادي منه يفر ولقد سمع من
 بحروب من دعمها بذلك فحسب بل الكواكب لطيفة أهدأ و رب لعيش
 من بونه سلمية منطرة من لسان والطعام للذين يمان بنية أهدأ لاهم
 الإسلامي.

عبد قنلا : فحسب الطالبان سوء علي ديني.

حسب قنلا : بل أفغانستان وأعزف سي ركب خطاء وكسي علي - لو
 به مع فحسب لجدادي عشر من بول، ميسر - اني كنت سادس من في لعيش
 بمادة في أفغانستان.

عبد قنلا : كمصو هي القاعدة أو الطالبان على الأرجح.

عبد قنلا : علمت بك أن منهم إذ كان الطالبان فصل ما خطيت به
 فماسبب خلال الخمس والعشرين سنة الماضية ولم يفر هناك من بولهم
 لحكم و بعد ولم يسوق الاستعمال لحسب الأطفال أو اعصبتهم أو
 انتهت و السرقة أو القتل أو اشاح المحدرات فلم يسوق كل ذلك إلا بعد
 امساكهم برمام الأمور.

عبد قنلا : ليحل عهد نتر الأعصاب والحل والاعدامات.

عبد قنلا : وهل الفت الولايات المتحدة عقوبة لاعداء؟ لا نمو مع
 لكثير من الأشياء التي كان الطالبان يصحبونها ولكن بعضها كان يحدث بالصل
 من بولهم الحكم بصورة أسوأ في الحقيقة إذ بعد المجمع الأساسي فيها
 فيمكن أن يعد معظم الأمريكيين في ذلك بعض قوائم قبائل اليهود الحمر
 عظيمة وأعرف أن الطالبان عرلوا انفسهم بشعة تطبيقهم اصدار وبولهم
 اسرمت للشرعية الإسلامية ولكني واثق من أن الاوضاع عادت الى ما كانت
 عليه من سوء هي السابق، بالنظر إلى عودة مرء الحرب.

دکتر جے پیٹر مورگن امریکی ہے تاہم اس نے اس بارے میں
بھی لکھا ہے کہ امریکیوں نے اس بارے میں لکھا ہے کہ
امریکیوں نے اس بارے میں لکھا ہے کہ

عصاة الله في الأرض مع عصاة بني آدم من أولاد آدم عليه السلام
الأحرار، يا معظم، لما صبغنا وضمنا على الإصلاح في عمارتنا

۱۰۰۰. قائلان کہ جس شخص سے کسی کو قتل کی اطلاع ہو جائے تو اس کو قتل کر دینا جائز ہے۔

يصل ما بين نسيه الأسير في راس نسيه المأمونة د حل المرفقة حيث كان
الأسير مقيما على يدوه وان جعل صاموما فتيلا في الليل فكنيت مستطوع
بأنكار مستطوع على جبل في نهاره فلهذا لا في انشاء اناسي الصغار في الحارة .
عندما يصلح ناسي + مدال عاصم سرقة العسكرية مما واثقهم ففهم على ما حقه
في من قبل بضاعة عجز في سماع الادب في المنسكح ان رئيس ويقتل كل من
مكسي صناعة و جعل كسر ما يكون في ساحته لتعريض في المشهد - في
الأمريكي في صناعة + عروبة دكان الحدود بعمول في موافقهم ببحا كاسا ش .
ناربه سحبه عقبه وما انشكك اسعر ناسيهم من ذلك لصوره

كذا يقول هؤلاء تلك مدعى ما يصح من مفسر لصدور شيء غير مدعى
 حذر الكتب ومع صمد الآلات في أعمال النساء علاوة على خروج باب معرفة
 الحسد بوقوعها بغير ذلك من مفسرين وحقائق ثبت كيد الحسد من
 هو عليه من فتح الباب في تشخيص حال عدم وجوده في الحال
 بعد بحسب حصر ما هو من فعل ذلك ومقتضى أهميته في الحياة كما في
 كلام لزمود بعد ذلك في حاج بعضهم واستيفه لأحاديث وهو حد لصدور
 فروعها منهم بعد حصر مخرجه لمفسرته غير صدور لأوامر لهم بمخاطبة
 مختار من بعض الناس بغيره بغيره بها ثم يذكر لذلك العهد عمل كثر
 أهمية معرفة

هذا هو دور هذه هي مومباسا وجميعها لملحني الشيطان لرهاس هي حد
 صبا + مومباسا وجميعها المور هي شبه اماره لهندية و عموال - وان عرب
 هذا حصر مومباسا - لملحني الامن لاسامه في لادن هذا الموضوع المهم
 مملأ من الحرب على الارهاب وما يسهل من يدور في الاوضاع

في حد تمت قراءة المحلات بالمثل حتى قدمت كيم مسيه عناصر
 السريه لميكرويه اس ان تموانس يحظر اطلاق عليها فحاططيه فبالا
 يديك حد المحلات هذا فربها جميعا شكر لكم

كتب مخطوطات فبما هذا ذلك ان حصلت على ما بعد في بعض نسخ
 نسخيه و ويات مخطوطات وكتب - الزهر - ربحه - الملحني من المخطوطات
 ومحلات مومباسا حيو غير جيد - من المخطوطات بعد مرقب العديد من صفحاتها
 وك هالت ما حتمه من الروايات الادبيه ككلاسيكيات المور اسامه مختار ما
 هي ذلك ويات ديكر - الممران لكتب - نفسه مديحه - و - ابيد كوبره - و به
 مملأ مومباسا مومباسا ودرج - روايه دوسمومباسا الاحود كراما - و
 وجميعها كثير بعض الكتب التي لم اكن لافراها بصورة اعيايه مثل سيد
 انورم و هاري بوتر - ومثل السيه لغريب هي اسماهي بكل كتاب فربه - و
 من الامر هي حد المور حد فربه روايه روماسيه مدفع من باسي لسيدي
 بطر - اليها لاحد افكر هالتا لممسي ما لدي كتب اميله عند فربه - و
 سماعه - مثل ذلك مومباسا من لواحق المير اندي كتب اعيشه كما بعدت حد
 مساعده فتم ما والاندماج فيه كليا وكتب فقر بعض تلك الكتب بهم شديد حادها
 انها هي ماعاب لأرعب هي فربه لربد بعد الانتهاء منها مساعده

فقدني المنزل عن ممارسة التمرين طيله اليوم ناهيك عن حيط تمرين هذا
 كتب ابول الى فربه المير من الكتب لتفصيله وقد فكرت في الاسباب التي
 من الحامضات فكتب اعنه ان بعد من السعاه هي جميع اعداء لثام كسوا
 حد حصلوا على شهادات الاحصاء وندكموراء انشاء وعودهم في الاعمال
 مثل ذلك، طموحا مبالغا فيه -

بدر حصاره بود و حدود بی حد نمکب بصره و فغانها فی عباس
 بصره و صبح بود و بعد مصطفی بن کرمی (ابن) انکیر منها (و) یحی بن الحسین
 بن قریب و در هر مها (و) یح بن النکاح لا سبعا لعید من انصاف علام
 علی تواج شکبات و عد (لایبیه) و در سه (حرر) بافلا حطاب (لا) فسان
 بفرقه مصافره ما کت (طفا) و بنویسها من لغزیه (الاورده) و ادریه
 (الایبیه) و بعد (در) مو بفرقه (عبریه) و بنویسیه و در لغز
 (و) صبحها (و) حرر (و) یح بن النکاح و کل ما بدکرمه من ادریه بفرقه
 (و) ساء عجمه و فرقه مصفاب (و) یح و کل ما بود (و) سته من حور و سحر
 بکل ما ارسننه و تلفیقه من رسائل

مک حصاره صبحه بن عباس بنویس حور لغزیه و کل (و) مصفاب (و) سحر
 من (و) یح و یح بن النکاح ما کت (و) یح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 مصفاب (و) یح کت (و) یح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح

و نمکب شکبات من (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح

و بعد فغان و بصره و فغان (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح

و شعر باعصبت من معصه عاصم (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح
 (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح (و) یح بن النکاح

بما جاء في نهاية خطاف هناك مارس من وراء البحار حيث
 في هذه الحد لا يتركس معقول على الأرجح كما تم إحصائي ومهتص عن الأ من
 حد دخلا مضافا لها ما حدث أي هي دست اليوم

فقد ما من وقت قدوة على من يقدر معقول ذلك مستش مناهي فقد كان
 من يصر من يست باء في يكون تقصيه هل ليدت أي شكاه و؟

بالصحة ك يدي فاحسبه كما هفت في ليرة لأولى لتي قدم فيها قايلا
 في كك محضد فيما دس بكتاب سكتاه ولا تقي لرماس و رسنها بشكل
 مسطحة و ساء ما يصر النص من الطعام ولا تصدو محاسني لرباهه أكثر من
 منه و جهن فيما بعد لاسو ما سيحصل لتي دول في يحضر أي من يخاص
 الذين وعدت بها

تم يكن حصوه و فقهه لتي حد كبير عها هو د الانحيزي لتي معدت
 دونه ما لا يحدو من يصفاهه لحدود سمانه التي بعلنا ولأه يحضر في
 ما د من يوش من رسائل وصور ومحلات عها هو د بعض معاني على
 صاده في عرفة لاسمحوات الكريمة تلك وكذا بحري معاذته عباديه في
 احد المناهي

من انزل بعض لخرج على من يقدر و حاضري سبعا كان يشير لتي
 فبني يقيد من قايلا لم يكن الأمور على هذه الحال حتى رأيت حر صره
 في كدنت كات الظروف الفصل بالعمل في حبه عندما حضر برقمه
 لاسي و سبعا ان الفصل كان يعود الى كيم لتي حد كبير فيما يعلو دست
 مثل لا اعتماد جهمف طيلة الأشهر الماضية في مسكني كات في طريقها التي
 العمل بطريقة أو بأخرى.

حسه قايلا يعلم بها لم يكن كدنت بعد رده في يصر في الوضع يدي
 كد فيه تم يكن طمعي و حمره لسي كات مستش يقدر لا أكثر ان تم يكن
 هات من اضلوا ما يمكن لعمره لا يحد عليه في عو ساءو

[illegible]

١٠ - وقد تم رفع هذه الحجة بحسب ما ورد في مقود نفسها والاصحاح
والاخر من جملتها في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين
عنتر، حول حجة علي، هي تصانيفها

[illegible][illegible]

اد جلد الحشمیہ اسمبلی علی حاشیہ ہر جلد لکڑی کا تھلا اہل مسو سے
روئے فیہم قیو عود میں سر بطورہ بود کہ دور و بصری مورقہ

عصمت قادری، سیمپل ہاؤس بینکس۔

الأشهر، حيث كنت معتقلا، وشعرت أنها كانت تهتم شخصيا بحالي، وأذكر مرة حين قدمت خصيصا لتطلب من الرقيب المسؤول عن الحراسة إخراجي من الرقعة، للنظر إلى ما كنت استأجرها من الأمور العربية في الخارج ولم يكن ذلك اعتياديا على الإطلاق، بالنظر إلى أنه لم يكن يسمح لي بالخروج إلا في أوقات التمرين لتتمكن من إقناعه فتوجه جميعا للخارج. كنت مقيدا بالطبع في حبه لتطلب مني النظر إلى الأعلى، وكان الأمر عريبا إلى أبعد الحدود بدت الشمس محاطة بهالة ذهبية فدهش كلابا للعبية، بما لم يشمل الآخرين وأعطيتي كيم، قبل معادرتها سحرة عن إحدى الصور التي التقطتها للشمس في ذلك اليوم، إذ كانت محتومة، كغيرها من الرسائل أو الكتب «مسموح من قبل الجيش الأمريكي»

استبدل بكيم غيرها من المحققين، الذين كانوا يتصرفون كما اقتضته وظيفتهم تمام وكنت قد سنت من مظهرهم في حبه وأحسست أن الأمور بلغت مداها بالنسبة لي فبدأت أفقد الصبر ولاحتمال عيما يتعلق بأسئلتهم المكررة التي لا تنتهي وأجوبتهم المصممة ومررت الأسابيع والأشهر تباعا دون أن يصل المحامي، بالرغم من تأكيدهم جميعا على أنني سأراه قريبا.

طلبت مرة من أحد الجنود، في لحظة نادرة من العصب، أن يسجل الآتي «إن عاد المحققون وأخرجتني من الزيارة للتحديث إليهم، فلن أكون مسؤولا عما سيحصل. فقد ينتهي بي المطاف بصرب أحدهم، ورفعت صوتي عاليا فيما بعد، حين بلغ العصب مني مداه، قائلا «هم حصة من السمطة الكاديين المناهقين...»

عقب، قائلا «معم، كيف تنهجي كلمة المناهقين أيها السجين خمسة - خمسة - ثمانية؟»

حاطبني الرقيب المسؤول عن الحراسة، المناوب في تلك الليلة، بعد أن قرأ ذلك أثناء قيامه بزيارة روبرية إلى ربراتي، قائلا «أعدك، أيها السجين خمسة - خمسة - ثمانية، بأن تقدم إن حاولت إيذاء أي من عناصر الشرطة العسكرية..»

عفت، قائلا: «لا يمثل جنودك المشكلة أيها الرقيب، بل يعد بعضهم أصدقائي
الوحيدين هي الحقيقة فقد وجهت تهديدي إلى المحققين فحسب، ولا أرب
رؤية وجوههم أو أن يتم اختيادي إلى أي مكان بقريهم، وواصل المحققون
استجوابي مع ذلك».

كنت أعلم وجود توترات بين عناصر الشرطة العسكرية والمحققين، وشعر
الحراس أن المحققين يعاملونهم بفوقية لا يغالطونهم، أو يتحدثون إليهم، إلا إذا
اضطرو لذلك، فقد كان العديد من المحققين متبلدي لشعور، بماودون
استجوابي بالرغم من رهضي الصريح الإجابة عن أسئلتهم وكانوا يتدبرون
أحيانا بأنهم يتحدثون إنياد أرواح الناس، مهددين في أحيان أخرى بإيدائي
حاطبي أحدهم في إحدى المرات، قائلا: «لن نسمح بإمرار رسائلك حتى
نحيط عن أسئلتنا».

ترك لي كيم قدموت مع من سنبدل بها، موصية إياي بطلبه منه حين يأتي،
متعلقة بعدم امتلاكها الوقت لحتمه قبل معدولتها وأحابني، حين طلبته منه،
فقال: «حسنا، أجب عن أسئلتني أولا».

عفت، قائلا: «لا لقد ترك لي من قبل كيم، ويمر من بك تسليمه إلى لا أكثر»
عقب، قائلا: «يجب أن نتعامل معي الآن لا علاقة بها بالأمم، وحسبك أن
تعيب عن عدد من الأسئلة، وسأحضر لك بعض الكمك في المرة القادمة،
نتحدث معا، فقد سمعت أنك تحب فلسفة الأمور، وينطبق ذلك علي أيضا».
عفت، قائلا: «يمكنك الاحتفاظ بكمكك، ولتذهب أسئلتك إلى الجحيم، لأنني
لن أجيب عنها، واحتفظ بالقاموس أيضا، يبدو أنك تحفاه أكثر مني».
أعطاني القاموس أحيير هي محاولة للتقرب مني، والحصول على بعض
المعلومات، كما كنت أقترح، وبدأ هبما بعد «التحدث» إلي.
حاطبي، قائلا: «حسنا يا معظم، ما هو رأيك في الصجرين الانتحاريين؟»

فكرت. فائلا لنصفي «ها نحن ذا نعيد الكرة مجدداً». وتميت في بعض الأحيان لو لم أكن أتحدث الإنجليزية.

اجبته. فائلا «لا تمثل العمليات الانتحارية ظاهرة جديدة، أو تقتصر بالتأكيد على المسلمين، فهي نتاج مواقف متطرفة. يائسة، تقترون بها يحمله المرء من إيمان راسخ بمكافحة الظلم، مستخدماً في ذلك سلاحه الأمضى، نفسه، مصححاً بها في الوقت ذاته، ولا يفعل ذلك أي إنسان، مسلماً كان أو غير مسلم، عن وعي كامل إلا خدمة لفاية سيلة في نظره، قد تكون من أجل عائلته، أو أصدقائه، أو وطنه، أو معتقده، وتختلف آراء فقهاء المسلمين حول تلك العمليات، إذ يعارضها بعضهم بشدة، مستنداً إلى ما أورده القرآن من تحريم قتل النفس البشرية، تحت أي ظرف كان، بينما يستشهد بعضهم الآخر بسوابق من عهد الإسلام، حين كان المقاتلون المسلمون يدفعون، عامدين، وسط حشود العدو طلباً للموت، ويدور حول كيمية ترجعة ذلك في الوقت الحاضر لا سيما في المناطق المحتلة كعسطين، والشبهان، ولا اعتقد، من حيث المبدأ، وجود فرق كبير بين إلقاء القنابل الذكية على علو عشرين ألف قدم هي السماء وذلك ما يقتل أعداداً كبيرة من المدنيين عادة مسبباً دماراً إنسانياً، كما تدعونه، وبين من يعجز عنه هي معظم وسط المدنيين...»

قاطعي، هي محاولة منه لإفهامي. فائلا «إذا تسعد للغاية بتوجه شخص، يمتلك ما هو «سليم من الموايا»، داخل مركز تسوق، مرثراً بأربعين رطلاً من المتعجرات، يترقب اللحظة المناسبة لقتل من أمكنه من الكمرة؟»

اجبته. فائلا «لا، لا أعمل، ولكن المسألة تدور حول التاية، لا توسطة، ولا أقبل على الإطلاق استهداف المدنيين في أي عمل عسكري، إذ يعد ذلك حاطلاً بها بمبادل قتل المدنيين الأمنيين في بيوتهم - هي بيوتهم بحق الله - بواسطة القصف المتعادي، نتيجة الاشتباه في وجود عناصر معادية بينهم، لا أكثر، لحد أن طياري قاذفات «بي 52» لا يصطرون للنظر في وجوه صحاياهم»

عقب، قاتلاً، ولكثك ترى الإرهاب، حيث وليت وجهك يرداد عدد المحررين
الانتحاريين كل يوم. وهم يشعرون دائماً من العالم الإسلامي، يحضون قتلاً في
الناس باسم الدين، هي الحرائر، وأفغانستان، ولبنان، والصومال،
والنموسية، وإسرائيل، والهند، والعليين، وروسيا، ومصر، والسودان، وحيثما شئت،
وه هم الآن قد وصلوا شواطئنا، ولكننا وضعنا أحد أساء تكساس في البيت
الأبيض.

عقب، قاتلاً لا يمثل ذلك طاهرة جديدة على نعوم شواطئكم، فقد انحرط
عالمكم في حرب مع نفسه منذ عقود. إذ حصتم حريين عالميين وحروباً ضد
سكان أمريكا الأصليين، ماهيك عن الحرب الأهلية المدمرة، وتاريخكم الأسود في
تحرير الرقيق، ولا تزال حرب كوريا وهيتام محضورين في ذاكرة الأحياء، وأعلم
أن العالم الإسلامي واقع في الموصى، ولكن هل يمكنك إحياء عن مسيح فكرة
بحرب العالمية؟ ومدا عن أسلحة الدمار الشامل؟ ألا تعد «إبولا عاي» أسوأ
الضائعات سمة في التاريخ لإسقاطها القبلة الدرية على هيروشيماء وبعد نوبى
السلاح أحد أقوى المنظمات هي الولايات المتحدة، وتقاتلون دهاعاً عن حق عبادة
السلاح في بلد يبيع بحوادث المصف النانحة عنه قتل الطلاب في الجامعات،
وقصاص مراكز التصوق والسماحون المتسلطون وتبادل إطلاق النار على النمط
الهوليودى مع رجال الشرطة وعصف المصاصات من الأعراق كافة - اللاتينية،
ومكسيكية، والآسيوية، والريحية - وأعلى معدلات الجريمة في العالم بأسره، لا
سيما في عاصمتكم وقد قابلت حتى الآن حدوداً من كل الولايات في بلدكم
تقريباً، فلم أحد بينهم من لم يكن على علم بمن قتل، أو أطلقت النار عليه،
ماهيك عن تعرض بعضهم لذلك، لقد كانوا أكثر أساءاً في أفغانستان..

انتهت المحادثة عند هذه النقطة

منحني البقاء في الحبس الانفرادي، كل تلك المدة الطويلة، ما لم أتحيله من فرص التفكير في حياتي، فقد كنت أظن أنني أعلم الكثير من قبل، إذ رأيت والدتي تموت، حين كنت في السادسة لا أكثر، وشقيقتي، حين كنت في الحادية عشرة، وأحد أعز أصدقائي، حين كنت في الحادية والعشرين، ورأيت جنث القتل في البوسنة وأفغانستان، وذلك ما جعل فكرة الموت مألوفة بالنسبة لي، هم أكن أهابه، ولكنني جعت كثيراً من الحساب يوم الأحرى، فعملت على القيام بما ينبغي في ذلك اليوم، مساعداً المقراء والمصطفيين من المسلمين، أكثر من تعاملت معهم من الناس، فقد كان ذلك السبب وراء ترحالي في أوروبا وآسيا، بما في ذلك أفغانستان ناهيك عن استكشاف ما كان عريباً علي من العوالم.

توصلت إلى اكتشاف مدخل في أثناء مدة سجن، فيما يتعلق بالتعامل مع الناس، وفكرت، حين رأيت الرقيب هوشي لأول مرة، قائلاً لنفسه «هو أكبر سناً من أن يبقى في الجيش، لا بد أنه يائس للغاية، وطبست، حين سألتني، متشدداً بلهجة ولاية الأناما، عما إذا كنت إنجليزياً، أنه يمثل أميركياً كارهاً آخر، متعصباً

كان الرجل كذلك بالفعل إذ اعتاد الجلوس أمام زنبراتي، يقرأ الإنجيل، في معظم الأوقات، دون أن يتحدث معاً، وسمعت من كهلن القادم من جزر فيرجين، وغيره أن هوشي كان عصبياً، يعارض انضمام النساء إلى الجيش، ويكره جون كينيدي، ويمقد أعصابه بسرعة، ويعامل الناس بتسلط، وعمل في مكافحة المخدرات، حين كان في الولايات المتحدة، ناهيك عن مشاركته في حرب فيتنام

حاطيته هي إحدى المرات، قائلاً «عدراً حصرة الرقيب، هل تعلم إن سألتك عن بعض ما يتعلق بفيتنام؟».

كنت مهتماً للغاية بتلك الحرب في أثناء مراهقتي، متعاطفاً مع الفيتناميين باعتبارهم الطرف المصطهد في حربه، وبمعني ذلك، إلى سؤاله عن تجربته المتعلقة بها

لا بد أن يسؤلي حياء في معمله، وقد أحب فوشى إحصاري بتفاصيل تلك التحرية، لأقول هل من مزيد، ووصف بوصوح ما شارك فيه من هجمات، وكيفية مقتل رفاقه أمام بطريه، والمحارر المرتكبة بحق للنبين، وما شعر به من توتر عند عودته إلى نوبل. إذ كان العديد من رفاقه قد سقطوا أسرى في يد المهتممين.

حتد فيما بعد على ذكر المقاربة الحتمية بينهما وبينهم

كان فوشى مترعجا للمدية من الطريقة التي تعامل بها كمتقلين، فلم يكن يهم السبب وراء عدم معاملتنا كأسرى حرب وكان يكن لنا احترام الحدود

، لا أعلم إن كنتم قد ارتكبتم شيئا ما، ولكنهم يقولون إنها الحرب، فيجب أن نرسلو جميعا إلى ديركم، لأنها جعلت أوزارها، أو تعاملوا كأسرى حرب، وأعلم وجود من قاتلوا السوفييت لسوت هاء، ولا أعد سوى طعل بالمقاربة معهم، فيما ينمو بالس والجمرة، وأشعر مصيق شديد حين أرى أولئك الأولاد النافهين يمسوكم جميعا بتلك الطريقة، فيما لم يفعلوا ما يذكر حكمة لهذا الوطن. كان يقصد حدود مفسكر الصدى الذين عمروا المحتشرين بالماء، تاركين مكيف الهواء يمس فوق رؤوسهم «أود لو تمنح أبواب رماية أحدهم، لأرى ما يستطيع أولئك الصغار لحققي فعله حين يكون الرجل متحررا من قيوده»

مثل فوشى لعرا محيرا بالنسبة لي كانت مواقفه جمهورية بامتياز كارها ما يجري في الوقت ذاته، ولم يكن الوحيد الذي يعمل بكل الأحوال.

كانت جيبير هي أو ثل العشرينيات من العمر، تنتمي إلى منطقة جنوبية متصلة سيلف لأماما، تمثل أكثر ما بلغت الانبعاث في شعرها الأسمر المحمر الطويل، الذي كانت تحميه تحت قبعتها العسكرية - التراما بالقوانين - هي معظم الأوقات، وقد دار حديثنا الأول حول رواية ديكتو، «المرل الكتيب»، التي كنت أقرأها، ولحظت أن حواراتي معها تتمم بالعس، كانت تجلس - كلما أتت إلى

المعرفة التي تحوي ذراتي، حاملة إيريا احضر من القهوة - أتبدا الحريشة عن قطعة من الورق، أو هكذا نحيلت، فقد تبين هي النهاية أنها كانت ترمم وتكون اشكالا هندسية معقدة للغاية، وانعزلت، هي الوقت ذاته، هي حوار معمق حول مختلف الموضوعات، إذ أحبرني، فيما عدأ ذلك، عن السبب الذي جعلها تطلي شعاعها وأطاعها، هي وقت هراها بالنور الأسود، وتلبس ثيابا عربية، هم أكن أتعيل قبل ذلك، مع نهجي الإسلامي المحافظ هي الحياة، أن أتعهد من مثلها صديقة، كانت، فوق كل ذلك، جمهورية.

ما لدي حمفي به من فواسم مشتركة يا نوري؟ تمثلت، كما تبين لاحقا، في ممارسة اللون القتالية وتعلم انطيران، والتعلق باللغة الإنجليزية، والشعر، وتذوق الأدب استقبدي، والميل إلى دراسة التاريخ القديم، فقد كانت صدقة استثنائية نتجت، بطريقة أو بأخرى، عن ظروف استثنائية.

حاطبتي في إحدى المرات قائلة «ربما بدا هي ذلك شيء من الخيانة ولكنني أهصل الحلووس هنا والتحدث إليكم جميعا، على فعل ذلك مع رفاقي الحمفي هلا بسمون إلا إلى شيء واحد فقط، كائنا من كان برهقتهم، فهم مهووسون بذلك، بعد لا يستشي العديد من الإثاث، هان لم تسلم بعصيت لهم، هسيثيرون ما هو معرض من الإشاعات حولك.

«لم يكن ستمسبح فكرة النقاء هنا مطولا، حين تم استدعاؤنا، بالنظر إلى أن الوطن يمثل أهصل الأمكة على علاته، فقد تم هيمما بعد اختيار حفنة منا للخدمة في معسكر الصدى، المعتقل الانفرادي شديد الحراسة، حيث يحتجز أكثر الإرهابيين خطورة هي الجبريرة، وكنت أنوقع التمرص لأسوأ المواقف معكم وأنتم تحاولون ترويعنا بالاعبيكم الذهبية الملتوية...»

عقبت، قائلا «وما هو شعورك، وأنت تتحدثين إلى أحد أخطر الرجال على وجه الأرض؟»

أحبتي، قائلة: «أرى الآن كم كنا متأثرين بالدعاية السلبية حولكم، وأحمل إن كانوا قد اتهموكم بشيء ما، ولكنني أعلم ببراءتكم. فلو كنتم مدنيين بالفعل، لكنت لحكومة قد عرضت أقوى أدلتها في أكثر المحاكمات دعائية بحلول هذا الوقت. التوقع منكم جميعاً كره لأمرين بعد كل ما مررت به، لا سيما نحن الجنود تحيرني، مع ذلك، للعناية يا معظّم، فلم تكن كما توقعت أبداً».

كنت ناصجة إلى حد بعيد مع صغر سنها، تستمتع، على النقيض من معظم أقرانها، بالانحراط بما هو عسكري من المناقشات، ولم تنق جيبها في عوانتنامو إلا بصعوبة أشهر معاداة المعتقل فجأة بسبب بعض المشكلات في الوطن، وتمثل الانطباع لدائم الذي حلته في. هي أن الأمريكيتين ليسوا سواء.

أخبرني جيب، المراهق من ميسيسون أن أحد أجداده كان إوارد جيب، الذي كما أذكر من خلال دراستي علم الأحياء في المدرسة الثانوية، هو الذي اكتشف أن لقاح لجذري يستخلص من العامين في حلب لأنقار، من أصيبوا بجذري البقر، وقد أتت تسمية «اللحاق» لهذا السبب من كلمة بقرة باللاتينية، وقد عُدّ جيب، بنظارته «معدنية دائرية المقدسات، وشعره الأشقر الفصير، وصوته الناعم، غريب الأطوار، لا سيما نتيجة ولعه بأنعاب الكمبيوتر، وقراءة الروايات الخيالية حول الجن والسحرة، وكان بعض الجنود يصدونه رغيداً عاجزاً على حد سواء، مطلقين عليه اسم «المكسورة»، بعد أن صرح، في إحدى مباريات الكرة، قائلاً إن كاحله قد كسر، بينما لم يكن إلا ملوياً قليلاً في الواقع. وبدأ جيب كذلك في مواصلة إحدى أكثر المحادثات غريبة في الأطوار.

عندت منح لألقاب لمن يستحقها من الجنود، فدعوت أحدهم «صدام هتلر» لأنه كان يشبه أحدهما، ويتصرف كالآخر، ناهيك عن غيرها من الأسماء التي أطلقتها على جنود آخرين، بما هي ذلك صديقة جيب.

وجدت جينر سهل المعشر وقد أحببت الاستماع إلى ما كان يرويها من قصص عن رحلته إلى كوريا، والمجر، حيث أسهم في حراسة القوات الأمريكية التي كانت تدرب مسلحين عراقيين، استعداداً للحرب الوشيكة على العراق، وسمعت، علاوة على ذلك، بحواراته المسفية حول الإسلام، التي كان يجريها مع معتقل مغربي يعرف «بالجنرال»^{*}.

تمثلت أكثر القصص التي رواها جينر عمقا، هي الرسالة التي تلقاها للتو من صديقه المتمركز في العراق، فقد تحدث قائلا، إنه التحق بالجيش، برفقة ستة من أصدقائه في المدرسة، فعاهدوا أنفسهم على الالتقاء مجددا في العام 2007. في اليوم السابع، من الشهر السابع، عند الساعة السابعة مساء، فلم يعد بإمكان سبعة الأصدقاء الوفاء بذلك العهد، لأن أحدهم كان قد قتل في عملية انتحارية، فتأثرت كثيراً بتلك القصة، وبأنه أشركني بها.

حاصلته، قائلا، «أشعر يا جينر بحسارتك الشخصية، وأعرف كيف يشعر الإنسان حين يحبس أحياء بما لا أتمنى أن تصطر إلى تحيله يوما، وسيقتل من هم على شاكلة صديقك مع ذلك، طالما بقيت قوات الاحتلال الأمريكي في ديار المسلمين، تدبح الناس بلا تمييز، حتى ترحل عنها، هربا لم يكن من اللائق قول ذلك، ووجب علي الصمت، ولكن رده فاجأني بشدة «أنت محق لا أعلم بحق السماء ما نفعه في بلد لا يعرفه معطما، أو بيالي به، فإنه يتعين على المرء الدفاع عن بلده ضد الأعداء الدخليين والخارجيين على حد سواء، ولكن العراقيين، فلم يفعلوا ما يؤدبنا لم يتعين علينا الموت هناك».

أخذ بصري يتصوّر، نتيجة التحديق في الشباك التي تسور القفص، عند اليوم الأول لوجودي في غوانتانامو وأصبحت أشعر بما هو حاد من الصداق بصورة متزايدة، مستهلكا ما لم أعهد من أدوية في حياتي، وتراق ذلك مع ألم شديد في أدي، شاعرا وكأنهما ستفجران في بعض الأحيان، وقد وصف أطباء السجن لي، بعض الأفراس المومة، ومصادات الاكتئاب.

* أحمد الرشيد المغربي المقيم في بريطانيا (المؤلف)

يصعب علي وصف ما أحسست به من يأس. ناهيك عن إرهاب الاحتجاز الذي ما انك يلازمي طيلة سنتين تقريبا. ممزولا هي برامة تصعر مراحيص (سارل في حجمها، فقد أمصيت العديد من الليالي أصلي إلى الله، ياكي، صهمكا في التفكير، نادما على اتخاذ قرارات معيبة في حياتي، إذ كانت أحلامي تخرج، حين أخلد للنوم أحيرا، برؤى غريبة عجيبة. فأحسني بعيداً عن الجنود الأمريكيين، ومعسكرات الاعتقال، وكنت أكره الاستيقاظ، في الحقيقة، متمها الاستمرار في ليوم إلى ما لا نهاية، ونظمت قصيدتي «المالم المظلم»، بحلول تلك المدة. وهاكم بعضا من أبياتها*

بلغ القلق المضني مدا،

نحجب العتمة ضوء النهار،

كل شيء يزول، إلا الليل،

بكت النجوم دموعها في الظلام

انشطر مصيري بندق

يقترب الحبل كثيرا،

لا يحول دونه شيء،

رغم برامة من يتهمون

تستترف الحياة من قبل من يتعلمون،

يوقعون الألم، يلدعون،

تقترب النهاية، ولكن ليس كثيرا،

عالمي مظلم، في «أبيضهم» يرتعون

* كل ما ورد في هذا الكتاب من أبيات منقول من الإسطيريه (المرحم)

أحدث الراكحة الكريهة مرداد شيئاً هشيناً هي ربراشي، بعد أن اجتاحتها نوع من البرقعات، ودهمت شكواي، فيهما يتقلب بذلك، أدراج الرياح، وأكتمت تلك الكائنات وأرمي بها في المرحاض، وارداد عندها، وبدأت هي التحول إلى حشرات طائرة إذ كانت إحدى أفاعي الأعوانا قد ماتت أسفل ربراشي

شمرت هي أحد الأيام بالحقق يشقد داخلي، ولم يكن هناك ما يكفي من مساحة للسير إلا ثلاث خطوات للأمام والعودة مثلاً، جبهة ودهابا، فتمجرت عصا فيما بعد هافدا السيطرة على عصي، وهو ما لم يحدث لي من قبل، وقد مثل توجيه التهديدات إلى المحققين، عن بعد، أسوأ ما فعلت هي السابق، وبدأت أحطم كل شيء في ربراشي عبر رميه على الأرض، راکلا الشباك، والباب، لأكمهما، باكيا، لأعيا الجميع، لا حيز على وجه التحديد، وصدم جيز تماماً، جاهلاً ما يتعين عليه عمله بالنظر إلى هبوطي المعتاد أمامه، هرع إلى الخارج صايد الرقيب لانيي الأصول ثوبير، الحرهي، و لمحترم، والمتعاطف، وهرع قائد المعسكر الرقيب لأول عدى كاربها إلى العرفة التي تحوي ربراشي، لأبدا صب اللعنات ما إن رأينه ولم يكن كاربها إسباباً شيئاً أيضاً، ولكنه كان بحكم موقعه، الوجهة الأمثل للتتميز عن إحاطلي

صرحت هيه، قائلاً، أتيت لرؤية العرص، أيها السافل النقيس؟، إما أن تدخل إلى ربراشي، أيها الحباب العاخر، أو تقرب عن وجهي! هيا، حسبك أن تقرب عن وجهي!.

أخبروني فيما بعد أنه دخل إلى الحد الذي دفعه إلى معادرة المعسكر على الفور حاولت التوسيع لهم، قائلاً، اسمعوا، يتعين عليكم أن تعلموا وجود خطب ما، حين يمجبر من هو مثلي عصياً.

استاء هوشي كثيراً، حين علم بالحادثة، محاولاً التحميم عني عبر سرد قصصه عن «هانوي هيلتون»، زاوبا كيف نجى بعض رفاقه من التعذيب، ونحروا من الأسر، مثلي في نهاية المطاف، بينما لم يفعل الآخرون، وقد كونت عدداً من الصداقات مع الحراس خلال سنوات اعتقالني، ولكن أحدهم لا أكثر، هو من حظي باحترام حقيقي

امتدذرت لاحقاً لكاريهان بسبب فقدان اعصابي، لا لعدم أخقية شكواي، بل لأنني لم أكن من الشتامين في العادة.

أرداد توتري بالتاكيد مع مصي الوقت، وأحدثت انكلم بصورة اهل، فافداً اهتمامي بالنحدث إلى الجبود الجدد، فشمعت وكأسي أتسلك شيئاً فشيئاً.

تمثل عرائي الوحيد في الكتاية إلى عائلتي. ناهيك عن نظم الشعر. واكتشمت ان بمقدوري ترجعة بعض ما أشعر به من عصب عبر القيام بذلك. لأخرج في النهاية بقصيدة من ثلاثة وحمسين بيتاً، بعنوان «انهايم الولايات المتحدة». وأردت بكل مقطع فيها أن ينتهي بعبارة «ثيا للولايات المتحدة»، «اللمة على الولايات المتحدة». لتتحول، بعد استعادة هدوشي، وصمائي الذهبي، إلى سرود لتاريخ الولايات المتحدة في ثلاثة مقاطع من مرحلة تأسيسها، وصولاً إلى حركة الحقوق المدنية. ومنذ الحرب العالمية الثانية حتى الحرب على الإرهاب، والشؤون الدخية لأمریکا ما بعد الحداثة مع حاتمة شخصية في النهاية.

حاء الأطباء النحسيون لرؤيتي نتيجة ثورة العصب تلك، ولم يكونوا من احتجت حين طانبت الرقيب لويزر باستدعاء أحدهم لمساعدتي، فقد احتجت صابطاً عالي الرتبة أشكو إليه يقائي هي ذلك المكان بلا ضوء هي نهاية النفق. علاوة على مسألة لرسائل، والمحامين والتمريض، والطعام، وظروف الاعتقال بصورة عامة. وقد كان الرقيب لويزر، بلا شك، مقيداً للعابة هيمن يمكنه استدعاؤه، ونمى عليه القيام بذلك عبر الرقيب الأول كاريهان. احتراماً لتسلسل الرتب. وقد استدعى كاريهان من ظنه «الأسب لمعالجة الوضع. طبيباً نصيباً. ولم يعكس ذلك في نظري، إلا محدودية تفكير كاريهان. وصيق اعقه.

فوجئ الطبيب هي البدء لتحدثي الإنجليزية، وبدأ يحبرني فيما بعد عن بعض التماهات والطرق التي ينبغيها لملاح الناس ومساعدتهم. مستنداً هي ذلك إلى تجارب الناجين من «بيلس وأوشفيتز». فاطمنه قائلاً «تمتدح على الأقل إذا أن ما تقومون به هنا يشبه كثيراً ما كان يحدث في المعسكرات التي أسهم أجدادكم في تحريرها. مد ما يريد على نصف قرن مصي». فكرت، قائلاً نفسي «يمن عليّ هذا الأحق بترهاته...»

أردفت، قائلا «نراي عدوا لك، هنعاطب الجهة الحاطنة، مرتنيا ري المعركة
يفلوك، العلم الأمريكي، مشيرا إلى عدوك في برقه البرتقالية، ولا أحتاج بصحك،

حاطبي منهاهلا ما ذكره للتو قائلا «انظر إني ناجي أوسشعيتز، انظر
إلى نيلسون مانديلا...».

سألته، قائلا «هل سبق لك قراءة قصة حياة مانديلا، (طريق الحرية الطويل)؟»

اجلبي، قائلا: «لا».

عفت، قائلا «ربما كان من الأفضل أن تعمل قبل الإشارة إليه».

أردف قائلا «هل قرأت سمر أيوب في الإنجيل؟ يمثل طريقة ملهمة للغاية
لنظر في كيفية التعامل مع المحن والصعاب».

أجبنه قائلا «نعم، فعلت ذلك عدة مرات في الواقع، فقد أمنت روحي
طعنا الأصغر أيوب لذلك السبب تحديد، وتمثلون، سبب محني وصعابي كم
مرة طانيت بإحصار مسلم آخر، وإن كان رجل دين يعمل مع الجيش الأمريكي،
كي أتحدث إليه؟ كم مرة فعلت ذلك ليحلبوا لي، في نهاية المطاف، طبيباً نفسياً
يتحدث عن دين لا يؤمن به، وكتب لم يقرأها أبداً».

علمت تماماً ما دهمه إلى القيام بذلك اعتقد أنني لا ريب مشكك بقصص
الإنجيل، باعتباري مسلماً ملتزماً.

حاطننه، قائلا «مضى علي أكثر من سنتين زهر الاعتقال من قبلكم، وكان
يجدر بك مؤالي، وأب، المعتقل في هذه الظروف، عما منع ثورتي من الانفجار
قبلاً، أي إنسان عاقل كان سيعمل ذلك».

كان هنالك حيوان قارض في عوانتامو ينقب «بحرود المور»، يعادل في
حجمه القطر ذو ذيل يشبه ذيل الحرود، وإن كان أكثر طولاً، واعتاد بعض
الحدود والمحققين ارتداء قمصان برتقالية اللون، تصور حيوانات «جرذ المور»

كذلك المتقلبين. ولم أر أياً من تلك القصصان هي الحقيقة (بالرغم من رؤيتي ما يماثلها في باعرام) رل لسان أحد الحراس، لم يخبرني عنها، قيل أن أنأكد لاحقاً من وجودها من أناس آخرين كانوا يتحدثون عن ابتلاعها كذكور عند العودة إلى ديارهم.

سألت الطبيب لنفسه قائلًا: «أخبرني، أنت صابط، اليس كذلك؟».

أجابني، قائلًا: «بلى».

عفت، قائلًا: «حسنا، ما الذي فعلته حيال عملية لا أسسه المتقلبين، التي بعد ما يعانون جرءاً لا يتجرأ منها؟».

أجابني، قائلًا: «ما الذي تعنيه؟ لا مجردكم من إنسانيتكم على الإطلاق، بل بدكم بشر، وبعدكم على هذا الأساس».

عفت، قائلًا: «حفا؟» ما الذي فعلته إذا كصابط، حيال تلك القصصان مشيرة هي لجريده التي تصورنا ساحرة، كحيوانات؟

بدت تعبير وجهه، وكأنه يود أن يصرح قائلًا: «كيف علمت بحق السماء أنني ابتغت أحدها؟».

رأيت بعد ذلك طبيبين نفسيين آخرين، ممن كانوا يلتقون بهيتشكوك (افترض أن التسعية حامت من هيلم «سايكو») قدم أحدهما بعد أن فقدت أعصابي مجدداً، وإن كان بما يقل عن الحادثة السابقة، مقربين استدعاه مع ذلك فقد كان بالأحرى طبيباً أفريقية أمريكية، لم أتبع حفيظة أمرها في حبه بالنظر إلى أنها كانت حشفاء بالعمل، أو تعتمد ممارسة اللاعيب الذهبية، لتكتشف نقاط ضعفي

سألتني، قائلًا: «هل سبق لك التفكير مبداء بصلد؟».

أجبتها، قائلًا: «لا، أبدًا».

سألتني مجدداً، قائلة: «الم تذكر من قبل هي ريجل سرؤالك بملاعة سريرك،
كي تصنع منها اشوطة، تلعها حول عكك؟»
اجبتها قائلاً: «لا ليس قبل طرحك السؤال»

أرسلوا لي بالفعل هذه الطليبة عوضاً عن رجل الدين المسلم، الذي كنت أطلب
محيته باستمرار فيرخصون ذلك على الدوم، فقد كان من الواضح لي أن
التواصل مع من يشاركتني المعتقد يمكن أن يساعدني كثيراً من الناحية النفسية
وهو ما لم يرغبوه تماماً.

اعتاد الممرض سويدي ريارتي هي الرسيرة كل بضعة أيام لأتحدث إليه من
أن لأحر، فسألني مرة عما إذا كنت قد قابلت رجل الدين المسلم في المعتقل،
فاجبتة بالنفي** أحبرني أنه اعتقل من قبل الجيش، قبل أن يتم اتهامه بشريد
تنظيم القاعدة بمعلومات سرية واسترق أحد الحراس السمع إلى بلوندي، حين
قال ذلك، لمعتقدني انهيب المسؤول عن الحراسة هي عصمون دقائق وتم اقتياد
بلوندي إلى الخارج على الفور، وقد كانت تلك المرة الأخيرة التي أراء هيها، إذ
سمعت من ممرض ثانٍ أن بلوندي تعرض للتوبيخ بشدة لماقشته معلومات سرية
مع العدو.

كنت قد طالبت مراراً بالتواصل مع معتقلين آخرين، ولانتقال من الحبس
الانفرادي هبعضرون لي الأطباء النفسيين عوضاً عن ذلك، رارتي الدكتور «بي»
على امتداد مدة طويلة نسبياً وكانت مثقمة إلى حد ما، وقد وهرت لي جلسة

* قرأت بعد عودتي إلى الديار عن تلك الطرق التي كان يستخدمها الجيش الأمريكي كجزء
من إستراتيجيته لكسر مصوبات السجناء المهوركر، تموز/ يوليو 2005، والإنتراشيونال
هيراند تريبيون، 25 حزيران/ يونيو 2005 (المؤلف).

** لتقيب جهنم بي تم اتهامه زوراً في العام 2003، من قبل «إف بي آي»، والجيش
الأمريكي بالنجس على الولايات المتحدة. ونقل معلومات ممية إلى السوريين، والتقاطف
مع تنظيم القاعدة وتمت تبرئته من جميع التهم، بعد أن أمضى ستة وسبعين يوماً في
الحبس الانفرادي، دون تلقي أي اعتذار انظر «لله والوطن»، جيمس بي (بليك أمير
2005) (المؤلف)

الساعة الأسبوعية المجال للأبحاث فيما أصبحت أسمع عنه، بصورة متزايدة، من حوارات، ولم يعد الحراس يتفقدون الرمايز، حتى ركبت كاميرات المراقبة في صيف العام 2004، إلا مرة كل ساعة أو نحو ذلك.

تحدثت لدكتورة بي هي إحدى المرات قائلة: «اعتقد أن إجراء من هذا نمسك ستعرض يوم ما هي متحف سميثسونيان، تمام كما بقايا معسكرات الأعمال اليابانية باعتبارها شاهدا على تاريخنا، ثم تبد فجوة للعامة بأمركا

حاولت الحصول منها على معلومات عن المعتقلين الآخرين، سائلا عن أسوأ ما رآته من حالات هي عوئنامو فأخبرتني بوجود من فقدوا كل ما يملكونه من احساس بالوقت، والمنطق، والواقع ومن وضعوا في الحبس الانفرادي، محروكين تماما بلا أي تواصل، هي رمايز لا تتجاوز ثمانية اقدام هي طولها، وستة هي عرضها، كتبت التي أقبع فيها، دون أن يتحدثو مع أي من الأشخاص، على الإطلاق، وأردفت قائلة إن لطفاً انتهى بمعصهم إلى التحدث مع أنفسهم، باهيت عن تأكيد حدوث محاولات سحر وسممت من الحراس عن معتقل دعوه «تيمي»، كان قد حاول شق نفسه بمسكوا من الوصول إليه في الوقت المناسب لإبقاء حياته ولكن دماغه كان قد تضرر جراء تلك المحاولة، وأبقي في المستشفى على الدوام، يرتعش، عاجزا عن الكلام.

كتب قد يفت من المستشفى بحلول ذلك الوقت، بعد بضعة أشهر من الشكوى، جراء ما شعرت به من ألم في اسناني بقلوبي هي المرة الطبية، كما حدث حين تم قتيادي إلى الاستجواب هي المرات السابقة، ووصفت على أحد أسيرة المستشفى العسكرية بعد تقييد يدي وساقاي إليه بحيث اصغر عن حرارت وتمكنت، مع ذلك من الجلوس متصب الظهر، فسمعت من الأصوات ما أعلمني بوجود أحد المعتقلين قربي، وإن أحاطوا سريره بستانة وكان من الممكن، كما تراهي لي، أن يتحدث، باهيتك عن رؤية بعضنا بعضا لو تمكنا من الانعلاء وحسب المشاركة، وتميت حدوث ذلك بعد كل تلك المدة التي أمضيتها في عوانتنامو، دون رؤية أي من السجناء.

لم يعلم حراس المستنصر هويتي، أو أنني كنت قادما من معسكر الصدى، فقد كانوا يظنونني أحد معتقلي معسكر دلتا، الذين كان يسمح لهم في العادة بالتحدث إلى بعضهم في المستنصر.

جذبت الستارة قليلا، قبل أن أقول: «السلام عليكم».

رد المعتقل الآخر السلام بمثله.

حاصلته قائلا: «أحذرك ستارتك إلى الأمام قليلا».

استجاب إلى طلبي، لأنني من رؤيته فيما بعد، فلم أكن أعرفه، وعلمت بعد مضي مدة طويلة أنه كان سليم حمدان، أحد سائقي أسامة بن لادن الكثير، كما كانوا يرغمون والذي كان محبوسا في معسكر الصدى أيضا، على بعد ثلاث غرف من زمري. بدانا نتحدث إلى بعضنا، وقد قال ما شعني كثيرا، يفرل عما شعرت به من ارتياح نتيجة التواصل مع من خبر ما كنت أمر به، ما أخبرني أن اللجنة العسكرية وكلت محاميا عسكريا للدفاع عنه، وأنه تمكن من خلاله، وإن لم يكن مديبا من التواصل بصورة أكبر مع العالم الخارجي، وقد أورد سليم كذلك بعض المعلومات عن معسكر دلتا، حيث كان مفتلا قبل نقله إلى معسكر الصدى.

كان محذر لمطر إلى وجهه لا أكثر، منهلا، وقد رجعت الحادثة مصورياتي حقيقة، وكنا نتهايمن في حديثنا لتوقف عنه كلما سمعنا وقع أقدام الحراس، ولم يدم لقائنا القصير أكثر من عشر دقائق، أو نحو ذلك، إذ قدم الحراس فيما بعد لاقتيادي إلى طبيب الأسنان.

كانت الحياة في معسكر الصدى رتيبة مملّة، وتغيرت الظروف هناك مع تغير الحراس، كل بضعة أشهر، وتغير علي الاعنياد، في كل مرة، على طاقم جديد من الحراس، ماهلك عن المحققين الجدد، الذين أثاروا في المصيب بما أفتقني السيطرة على نفسي وقد كان أولئك الحراس توليفة من الرجال والنساء من لوجديت العاملة بدوام كامل علاوة على الحرس الوطني، والاحتياط، وكانوا من شمال والجنوب، بينما أتى أفراد الوحدة السابقة، في معظمهم، من المناطق المحيطة بميتشيمان، وأوهايو.

كانت المجموعة الجديدة محتلطة، تحوي أفراداً من الألبان، وأرمن، وحرر
هيرجيس، وبورتوريكو، بالرغم من عدم وجود وحدات بورتوريكية في معسكر
المدى، وأراد الجميع مع كل تعبير لأطقم الحراس، أن يظهروا كم ينطبق
أساليب جديدة مطورة لإدارة المعسكر. ناهيك عن إعادة صياغة قوانينه، وقد
تثبت المروق الواضحة بين من أتوا من ثقافات وحفريات مختلفة من الحراس،
عندهم وحيراتهم، وانتماءهم إلى الوحدات العاملة بنوم كامل أو الحرس
الوصفي، ولاحيطة. وقد مثل لهم كل تلك المروق المعقنة أمراً معقياً بالنسبة لي،
وكان ذلك يعود إلى اهتمامي الدائم بالناس وما يحفرهم، من جهة ومثل إشغالا
فكري يساعدني على تمضية الوقت، من جهة أخرى. ولحظت، على سبيل المثال،
أن السود من الجنود كانوا يبرعون إلى التمسك، والتحدث إلى بعضهم، والابتعاد
عن الجنود البيض من الألبان، مثلاً فقد كان دوى لأصول الألبانية من الجنود
يتسكعون مع بعضهم بعضاً على حد سواء، وأعاد الكثير منهم تمضية الوقت
برفعتي ولو كان أحدهم، - ولمفل لوبيير - موحوداً في العرفة التي تحوي
برافتي، فسيدخلها غوبراليز أيضاً، وعبرهما من الجنود، ولم تختلف الحال مع
من أتوا من حرر هيرجيس كذلك، وقد استعنت معهم كثير

عرفت الكثير من الجامايكيين حين كنت هنياً في بيرمنغهام من سائت
كينس وحرر هيرجيس البريطانية، معالطاً إليهم. معتاداً الاستماع إلى موسيقا
الريمي وتناول الطعام برفعتهم وأدركت بوضوح، حين التقيت من ينتمون إلى
حرر هيرجيس الأمريكية - التي لم أكن قد سمعت بها قبل - ممن يتحدثون اللغة
دانها. وإن كانت أحب وطأة من الجامايكية أنهم يصلحون تماماً عن بطرائهم
استمع إلى الداخل الأمريكي وبدأت ملاحظهم محتلطة أكثر أمريكية من
الأفريقي الأمريكي لعادي، فقد كان لدينا الكثير مما نتحدث حوله.

كانوا، علاوة على ذلك أكثر هدوءاً وسكينة، واسترخاء، يعاملوني بما هموق
غيرهم إنسانية، فلم يكونوا من المنقذين كثيراً بالقوانين وكانوا يتحدثون لي،
وكأنني شخص عادي، ولم يهتموا بالتاكيد، بإحساء أسمائهم عني، وقد كان

الحراس الآخرون يزدرونهم، عنصريين للغاية هي تعاملهم معهم، لا يمتدحونهم أمريكيين على الإطلاق، بل ينظرون إليهم كمن يرتدي بزة الجيش الأمريكي، لا أكثر. كما يحظى بما توفره الجنسية الأمريكية من مزايا، وقد أحبرني بعضهم عن مدى استنباطهم من الطريقة التي كانوا يعاملون بها، باهيك، عن العنصرية الواضحة التي يبدونها البيض تجاههم هي معظم الأحيان: «لا يحبون ذوي البشرة السوداء... نسبي، في نظرهم، إلى ما يفوق مرتبتكم، (المحتجرون)، تدينا، بالنظر إلى أنكم أقل سمرة منا.. نحن سود البشرة، وهم بكرهوننا لا أكثر».

غدا اتان مهما صديقين لي، كان أولهما كيلمن، الرجل البسيط القادم من جزر هيرجين، الذي تعثت أهدافه في قتل أسرى السيارات والدراجات النارية وأكثر المسجلات والأقراص المدججة تطورا وهي مشاهدة أحدث أفلام الجنس، وجسد الرجل - حين تحدثت إليه حول الدين، والفلسفة، وسياسة الحرب - مثالا عمن يبدأ سبر أعوار نفسه للمرة الأولى، اكتشاهما للعالم من حوله، وقد غادر كيلمن حريرته للمرة الأولى حين توجه للتدريب الأساسي في الجيش، ليصدم من قبل المدربين حين وجهوا له الأسئلة الأتية: «هل توجد لديكم كهرباء هناك؟، هل توجد لديكم مازل، أو سيارات؟» أحبرني أن ذلك أثار سخطه كثيرا.

فوجئ الرجل إلى أمد الحدود بجهل الأمريكيين، وما دفعهم من حماس وسبق ألق إلى درجة عدم اعتباره أمريكيا، وكان، كما العديد من نظرائه المنتمين إلى جزر هيرجين الأمريكية يحن إلى الوطن بشدة، إذ كان موطنهم، من الناحية الجغرافية، قريبا للغاية من حيث كنا في كوبا، نصف ساعة بالطائرة لا أكثر، فما انكروا يستذكرون شيئا من تاريخهم عند محادثة المعتقلين، وقد اعتدت التحدث إلى بعضهم حول أصول الحرب على الإرهاب، مشيرا إلى أن أجدادهم كانوا آخر من افتقد جماعيا، عبر الأطلسي، ليعلم إلى الأمريكيتين.

غدا كيلمن أحد أوثق أصدقائي، معتمدا التحدث إلي حول أكثر الأمور خصوصية كمدى تأثره بموت والده، الذي افتقده بشدة، وقد فكرت، حين كان يشركني في تلك الأمور قائلا لعممي، «أشك في قيامه بذلك مع الرقيب

المسؤول عن فضيله.. وثوتقت الصلات بيننا، وقد كانت صداقتنا حقيقية، وكنت أفرا التفهر الطارئ على مرآجه من يوم لآخر، وعلمت أن فيروز - زميلي، الذي لم أراه، في معسكر الصدى - اعتاد التحدث إليه أيضا، وقد كان يذكر بعض الأشياء عنه أحيانا، أو عن غيره من السجناء في المعسكر، كدايفيد هيكس، أو سليم حمدان.

سألني كيلس ذات مرة، قائلا: «ما الذي يدفع القاعدة إلى مهاجمة أمريكا؟» ما الذي يريد أسامة بن لادن؟» أحدثت أشرح له أن أحد الأسباب تمثل في الوجود الأمريكي في شبه الجزيرة العربية. لأدرك فيما بعد أن تلك الأمور كانت خارج نطاق اهتمامه، بمهدة كل البعد عن الحياة التي كان يعيشها، فحاطبي قائلا: «يتمنى ذلك نطاق همي بحسب علا أهم أيا منه»، ثم أردف فيما بعد: «إذا الأمور إلى ما يشعر به قائلا: «أكره هذا المكان المصحول ولا أريد البقاء هنا، نبدأ للعيش فما اضطررت في صموهه إلا اعتقادا مني بأنني سألتحق بالحرس الوطني، وبم يحظر بيالي مطلق أن أرسل إلى هذا المكان اللعين أكرهه، وما هم أولاء الآن يتحدثون عن إمكانية إرسالنا إلى العراق أيضا، فسأترك الجيش، وسأفعل أي شيء عدا الخدمة في صموهه»، وقد كان متروحا وأبا لطفل، وأحبرني الكثير عن كهيمة التقائه بوجهه، وما كانت عليه، من أخلاق ومبادئ وغيرها من الأمور الشخصية للغاية، وفكرت، حين كنت أنصت إليه قائلا لنمسي: «يحب بوجه حقا، أحسست بقربي منه، بالرغم من اختلاف القوالم التي أتينا منها.

أحبرت العديد من الحراس أن عليهم ريارتي يوما ما في بيرممعهم، وقد كان كيلس الوحيد الذي دعاني بالمقابل إلى ريارته، وثقاء عائلته، وهو ما أمكنني تحيل القيام به حقيقة.

خاطبت صديقه البدين ناتي - الذي كنت أستطيع معارحته، والتزام الجديدة معه في الوقت ذاته - قائلا: «لو كنت مكانك، لبحثت في أصولي، وحاولت إيجاد ما يربطها من علاقة بوصفنا الحالي، وإن لم تستطع ذلك، فأطلق أن قرارك

للتاريخ ستكون قاصرة، إذ كانت عمالية العميد التي أحضرت من عرب أفريقيا مسلمة، وأبدا بقراءة رواية «الحدود» لهايلي، إن كنت تشكك فيما أقوله، قبل أن تجري بحثك الخاص، ولا أعرف إن كان قد فعل، ولكنه استمتع بتلك المناقشات، ونحدث العديد منهم بافتحار عن ثقافتهم الكاريبية، المتعمرة بشدة عن الداخل الأمريكي.

سأنته في إحدى المرات، بينما كنت أداعبه عبر وضعه باليد، ليظهر إلى قصر قديمي بالمقابل وسأنته عما إذا كان يعلم أن التسمية الأسبانية، التي تطلق على أحد الأطباق الكاريبية تعني «مصري شمال أفريقيا» بالإنجليزية، ليجيبني بالنفي.

لم تؤثر الحرب على الإرهاب، ولهجمات على الولايات المتحدة، كثيراً في سكان الجور ولم يشعروا أنها كانت تشملهم، فقد حدثني كيلس ذات مرة، قائلاً «كان الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر أول يوم يلتقط فيه السود آماسهم، وأصبح البيض يكرهونكم، أيها المسلمون بما يموثق».

عفت قائلاً «ما الذي سيحدث، إذاً لو كنت أسود البشرة، ومسلماً؟».

كانت هناك فتاة، من بن النتمين إلى حرر هيرجين، تدعى نومسون، الفتاة البيضاء الوحيدة في تلك الوحدة وعمرها نصفها كسوداء مع ذلك «إنني سوداء، إذ يمثل السود حالة ذهنية، لا لونا بعد داته، فقد أشارت إلى بعض السود من الحدود النتمين إلى الداخل الأمريكي، بالأمريكيين غير المتمرسين».

كان ريتشاردسون، الصني القادم من مكان ما هي لويريا، والذي يملك طموحات كيلس ذاتها أحد أولئك الحدود، وتحدث في إحدى المرات، قائلاً «تتمسكون جميعاً، أيها المسلمون بديكم، ولكن ذلك لا يمثل إلا مصيبة للوقت».

عفت، قائلاً، «حسناً، ما هو الدين؟ بل ما هو دينك هي الواقع، إن كنت تتبع أيًا من الأديان بالأساس؟».

أجابني قائلا: «لا أعلم يا رجل». لم يرد الدخول في مثل ذلك الحوار

عقبت، قائلا: «حسبك أن تنظر إلى تاريخك. ثم يكن أجدادك بالتاكيد من سكان أمريكا الأصليين، انظر إلى المكان الذي قدموا منه، ابحث في ذلك قليلا، واحبرني فيما بعد عن رايك في ديني. أسألك القيام بذلك لأن ديني هو ما كان يستلزمه أجدادك أيضا». فم يتوقع أن أقول ذلك على الإطلاق

كنت أتدش مع تومسون، في أحد الأيام، حول ماركوس عارفي، والره في الأمريكيين السود، ودحل ريتشاردسون المعرفة، وهو من لا يحفل عارفي بحسب، بل لم يسمع به مطلقا و تنقذت تومسون حول هذا «الأمريكي غير المتمرس». فصببت الزيت على النار عبر الاستشهاد بمباراة عارفي «شعب بلا تاريخ، كشجرة بلا جنود».

وتحدثنا ههنا بعد عن مالكوم إكس، والدكتور كينج، والمهود السود، وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. هشمرت بالحرب لجهله بهم على حد سواء، وربما لم يكن يكثرث لذلك.

رايت ريتشاردسون، بعد محلي بضعة أيام، يحمل كتابا سميكا في يده، أثناء دخوله المعرفة التي تحوي رسائلي، فاعتراني المصنوع على الدوام لمعرفة ما كان يقرأه لحراس من كتب، أحرق بهم عبر الشباك متمنيا لو يسوبها كي أطلب «تقرير كتابي الموجود على الطاولة، ممن يأتي بمدهم من الحراس الصاهلين، وأمسكت لنظر في محاولة لمييير عنوان الكتاب، إذ جلس ريتشاردسون إلى الطاولة راعيا الكتاب تمهيدا لقراءته «الحدود، لأليكس هايلي

سألني كيلس ذات مرة قائلا: «لم يدعونا أصبقاؤك، يا معظم، «بالحمير، طيلة الوقت؟»، فقد كان ذلك ما سألني عنه «المديد من الحراس».

أجبت قائلا: «لأنهم يحبونكم، هنو لم يكونوا كذلك لدعوكم (الحماير)».

أحيرني كيلس في إحدى المرات كذلك أن أحد المحتججين من العرب دعاه «الزنجي».

عقبت، قاتلاً «أنت كذلك بالعمل يا كيليس، إذ تشتم تلك التسمية من كلمة فرنسية تعني (أسود)».

عقب، قاتلاً «هو عصري يا معظم، لا يحب السود على الإطلاق، فلم ارتكب ما هو خاطئ بحقه، ولكنه يسميه على الدوام إلى السود من المجديين».

فروحت لسماع ذلك حقيقة، محاطيته، قاتلاً «عد إليه، وأحبره أنه لا يقل جهالة عن اعتيروا إرهابيين» إذ يتضمن التاريخ الإسلامي حادثة معانلة وقعت مع أحد صحابة النبي محمد ﷺ، «بلال الحبشي»، الذي كان أول مؤذن في الإسلام أيضاً، فقد كان صوته عبداً للعناية ودعاء أحدهم مرة «ابن السود»، فغضب النبي محمد ﷺ حين علم بذلك، وتوجه الرجل إلى بلال، بعد أن أدرك أنه أغضب النبي محمداً ﷺ بعلته وأصفاً رأسه على الأرض، قبل أن يرفع قدم بلال فوقها طالباً منه السماح فذهب وأخبره هذه القصة فهي معروفة للعامة في العالم الإسلامي وتدل على رفض الإسلام للمصرية».

كان أحد الحهود ذو الأصول الهايتية، «ميسادور» محتلماً للعناية، يكاد يشعر بالخرج من تلك الأصول، وكان يتحدث «المرسية الدارحة» وقد حاولت تثبيت ما تعلمته منها في باعرام بمساعده ولكنه لم يكن مربحاً لذلك سائطراً، لا يتحدث الفرنسية بصورة سليمة».

عقبت قاتلاً «حسناً، يظل ذلك أفضل مما لا يتحدثها على الإطلاق، فلا تحبطن نفسك».

نظر لعديد من الحهود إلى الهايتيين على أنهم الأقل شأناً بين الكاريبيين أجمنين، فقد كان ممسك «إكس - راي» قد استخدم قبلاً، في العام 1991، من قبل الولايات المتحدة لاحتجاز الآلاف ممن حاولوا دخول أراضيها.

أمضى ميسادور ما يقارب العام في ممسك الصدى، وكلما تنخرط في حوارات يومية تقرباً حول كل الموضوعات، يدا من حياته الجديدة هي الجيش، وانتهاء بمصاعب الحياة في سواحي ميامي الهايتية، وقد كان

ميسادور، كرميله جيسر، جندياً عاملاً متمركزاً في فورت بولك، لويريانا، ولم يكن يعق له. على حد ظني، طلب الإجماع من الاستدعاء، كما جنود الحرس الوطني، والاحتياط، فقد كان أحد الجنود صفار السن - المترايبين عدداً - الذين التحقوا بالجيش لتأمين الممشى والترحال، ليس لأهم وظيرون، لكن لم تأخذ العناسة الوطنية التي اجتاحت البلاد بعد وقوع هجمات العادي عشر من أيلول/ سبتمبر، فقد أصبح عليه رقيب مسؤول عن التجنيد في كليته بالانضمام إلى الجيش، بعد أن أبدى بعض الاهتمام بذلك، وقبل له. إنه سيتمركز في ألمانيا، وكوريا، وأحبري أن ذلك الرقيب كان مطالباً بمسبة شهرية محددة من المتطوعين، وأن فشله في ذلك كان يعني تخفيض رتبته (العمل الوحيد الذي يتسم بذلك في الجيش)

أخبرته عن كيفية اعتقاله، وتحريرتي في شينهار وباعرام، لمعقبه على صوة ما كان يعرفه عن غوانتانامو. قائلاً: "نبدأ يا معظّم، إن لم تكونوا إرهابيين جميعاً قبل قدومكم إلى هذا المكان، فمتصحبون كذلك ما إن تعادروا. بسبب الطريقة التي عوملتم بها،

كان ميسادور من أحبري عن أهرامات المعتقلين المرأة في سجن أبو عريب وشعر بالحري لأن المعتدين عليهم كانوا ينمون إلى الشرطة العسكرية، مثله، وقد كتب ميسادور، في ربيع العام 2004، قصيدة حول ما حكم الشطر الأخير منه.

مخدوعاً للعناية بعلم العدالة،

استيقظت الآن، لا أحرؤ أن أناقشه،

آلام الرجل البرتقالي، وظلم الرجل الأبيض،

يمادر الجمدي التائه وحدته، ملؤه الاشمعرا-

لم يكن ميسادور يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، وعالياً ما كان يصبح صد التيجار ضمن وحدته. فقد أخبرني أنه لم يرق لبعض المحتجزين، ولكن تجربتي معه كانت إيجابية، إذ كان أحد من اعتانوا انتماسي على أسرارهم من لجنود وقد كنت أقدم له ما أمكنني من النصح، وكثيراً ما كان يغير طريقه ليحسب لي ما تيسر له من لأشياء، ككتاب أو وجبة خفيفة. ممرصاً بصفته لما هو جدي من المشكلات، إذ لم يكن يُسمح للحراس بإعطائي الكتب؛ لذا كنت أحيث كل ما كانوا يهررونه لي منها، بين تلك التي يسمح لي بقراءتها، فادراً ما كان الحراس يتأكدون من الكتب المختومة.

أخبرني ميسادور، قبل معادته، بما قاله لي المديد من عناصر الشرطة العسكرية من قبله: 'اسمع يا سيد بيع لقد تعلمت الكثير منك، فلن أسالك أبداً'، وإن أسألهم كذلك.

كانت كلمة «معتقلين» تستخدم بصورة حصرية تقريباً للإشارة إلى من كانوا يحتجزون إلى أجل غير مسمى، بلا تهمة أو محاكمة، من قبل القوات الأمريكية في خليج غوانتانامو. بعد كان يطلب من الحراس هناك، تحت التهديد بالمعاقبة كما أخبروني أن يشيروا إليهم جميعاً «بالمعتقلين»، وهو ما كان يثير ستيائي في بعض الأحيان ويدهمني للنشاحر معهم إذ كنت أسيراً، مختطفاً، أو سجيناً على أقل تقدير.

كان العديد من الحراس، كما سمعت من ميسادور، وحبرت بنمسي، يرفضون الدخول في حوارات مع أي ممن يرتدون البرات البرتقالية. وقد حاول بعضهم معاداتي عبر إغلاق أبواب الزيارة بصف أو تقوية الإبرة، في وقت متأخر من الليل، بينما كان الآخرون يكتفون بإبعاد الأعلام أكثر مما هو ضروري كي يسببوا لي الألم، وعدم الارتياح في أثناء التقل، واكبي أحدهم في إحدى المرات إلى ساحة التعزير، وكان رقيباً أسود البشرة، ضخم الحقة من واشنطن (ميرت رتبته من الرقعة الموجودة على ذراعه، والشارات الثلاث على قميصه، وبياقته)

مادى لحراس على الجانب الآخر، قائلا: «المعتقل قادم في الطريق، فأغلقوا ذلك الباب عند 12 ألفا (رقم الرنزاة)».

وحدث «الأعلال تحنك بساقي بقوة، بينما كنا نتحرك».

حاملته قائلا: «الأعلال مشدودة للعاية أيها الرقيب، فهل نمتد أن بالإمكان إرجاعها قليلا؟».

توقف بصورة مفاجئة، ميقياً قبضته المشدودة حول ذراعي، وخاطبني، وهو ينظر إلي مباشرة، قائلا: «كيف علمت برثيني؟».

أحبته، بينما كان لا يزال يعطى بي، قائلا: «من المطر إلى بافتك، فكيف عرفت أنني معتقل؟».

هو الحارس الآخر رأسه، لا أكثر، بينما واصل الرقيب السير، دون أن يقول شيئ، إذ لم يكن يحب التحدث إلى المعتقلين.

سألني حارسة أخرى من العاصمة عن حسبي في إحدى المرات فكرت للحظة، حين أخبرتها أنني من إنجلترا، قبل أن تسألني قائلا: «هل توجد عندكم أسود، وهيلة، وما شابه، هناك؟».

أحبته قائلا: «هي حد ثق الحيوان فقط، قلت لك أنني من إنجلترا، لا أوعده».

تمثل عرائي الحقيقي الوحيد في كتابة الرسائل إلى ريس من حين لآخر، وقد سألتها في إحدى المرات، قائلا: «هل تذكرين حين استيقظت، قبل سنوات عدة، انتعج باكيا بعد رؤية ذلك الحلم؟، هل تذكرين كم كان يشبه الوضع الذي أمر به لأن: بولد طفل لنا، دون أن أكون موجودا؟ ولم تكن أمامة هي المقصودة به، كما ظننت في حينه، بل طلعنا أيوب، كما اتضح الآن، وشعرت بإحباط شديد لصغر ما كنت أكتب عليه الرسائل من أوراق هيئة الصليب الأحمر، ماهيك، عن جهلي المدة التي تستلزم وصولها، وكنت أسألها على الدوام عما إذا كانت تتلقى رسائلي وقصدي، وعما إذا كانت تتعرض، وأطمعها، لأي من المصائب بسببي، وقد

أخبرتها مرة أن إيماني ضعف بشدة، لأنني لم أتحدث إلى أي من المصلين طيلة أشهر عدة. فقد أردت إهمالها أسي أشعر بالاكئاب مثلها، مما الذي كان بإمكانه يقله لها، مع ذلك، عن الحياة الرتيبة المملة التي أعيشها؟

كنت لها، بعد مرور سنة كاملة على وجودي في عوانابامو، قائلاً: لا يمكنني توقع استظارك لي إلى الأبد، أسف إن كنت قد قلت ما لا تودين سماعه، فلم أكن أود لفهم بذلك، صدقيني. أشعر بأسف شديد، لأن الأمور سارت على هذا النحو، فإني أحبك، أنت والأطفال أكثر من نفسي. إن كنت قد قلت ما هو خاطئ هنا فمحبك أن تتجاهليه وأشعر بالإحباط ليس إلا، جاهلاً بما يجدر بي فعله.

تغير مزاجي مع ذلك بعد مصي أربعة أيام، تلقيت اليوم، القلب، الجميل لدي رسمته بالقلم المعطر وهذا عريب ثمينة تحدث الكثير من الناس هنا عن عيد الصليب، وبالرغم من أني لا أحتفل به، فقد تلقيت رسالتك الآن، في منتصف شهر شباط/ فبراير، وقد كتبت لها رسالتين في ذلك اليوم واحدة عبر هيئة الصليب الأحمر، وأخرى عبر الجيش الأمريكي، أملاً وصول إحداها على أقل تقدير، وحاولت تفسير السبب وراء السرقة الحزينة التي ميرت رسالتي السابقة، قائلاً: «تأرجعي الكثير من الأفكار المتصارعة، وأشعر بالمسؤولية المطلقة عن الصعوبات التي لا ريب تواجهها الآن، وتحتل في محوري عن القيام بأي شيء أشعر بالحيرة من أمرى، وما يجدر بي فعله، وأشعر في معظم الأوقات أن لله لا يسحب صلواتي، لما أخترى إيماني من ضعف أحبك، روحك».

كنت في اليوم ذاته إلى ابنتي الكبرى، الأعر إلى قلبي أمامة، قائلاً: أسف لأنني لم أكتب لك مد مددة، فقد تلقيت رسالتك الرائعة جميعها من قبل التي كتبت بالحبر، المعطر، وتحوي رسوم، القلب، والأخرى التي كتبتها عن «الظريان» و«الحمايش». أود أن أعرف ما يحصل معكم جميعاً... أحبك وأفتقدك إلى أبعد الحدود، باكياً حين أفكر بما أكنه من مشاعر تجاهك، وأقرأ

رسائلك على الدوام، وتمعيني كتابتك حقا، واستمعتني بعاموس الصغار إن أردت استخدام كلمات جديدة، وتهجيتها. افكر فيك في كل يوم، وأرغب العودة إلى «بيت بشدة، اذكرني في صلاتك، وقبلتي الجميع نهاية عني».

رأيت مارتين، من وزارة الخارجية، بعد مضي شهر لا أكثر، في آذار/ مارس 2004 وتلا علي بياناً حول إطلاق سراح خمسة من المعتقلين البريطانيين* في عوانانامو. فلم تكن ردة فعلي مسعجة حيال ذلك طرح عامر لمعرفة ان الأمور بلغت حوتيمها بالنسبة لبعض البريطانيين، وحيث أمل، لأن «المفاوضات جارية على قدم وساق بين الحكومتين البريطانية والأمريكية حول قصيتي»، وذلك ما بقي عدم مرافقتي إياهم، وبفاء ثلاثة بريطانيين آخرين في المعتقل وقد تمتعت الحقيقة المرة في عدم امتلاك أي فكرة عن المدة التي سأمضيها في عوانانامو.

تلقيت زيارة أخرى، من الاستخبارات البريطانية، بعد مضي بضعة أشهر، إذ قدم لي مات، الذي التقيناه في قندهار - هبما اعتبرته بادرة ودية - كتاب «الإبصار صورة شعب، ليعرمني باكسمان، فلم اختاروا هذا الكتاب تعديداً، كان هزلياً، عيباً، شاملاً بعض الكلمة، هل تضمن رسالة حول «لا إبحريتي أو بريطانيتي»؟، هل كان لسان حالهم يقول «أيها الحائر؟ قاتل أجدادك إلى جانب «جيش البريطاني، بينما تفعل ما تفعله الآن انظر إلى شعبك ووطنك، انظر إليهما بينما تشارك الإرهابيين، الذين يودون تدمير ثرائنا».

قرأت الكتاب خمس مرات من العلاف إلى العلاف، باحثاً فيه، فاستتجت في النهاية وجود ما يمكن اعتباره دافعاً حمياً في النظرة الحسنية إلى الوطن، التي تصفنتها بعض محتوياته.

تساءلت كذلك حول تأكيد باكسمان على «عدم الاستحفاف بشدة الإبحري على ماصرة المصطفيين» فكرت للحظة، قائلاً لعمري «ربما كنت إبحيريا بالرغم من كل شيء».

* شقيق رسول أصف إقبال روهيل أحمد طارق بهرحول، وجمال الحارث (المؤلف)

لم يد ذلك، على أية حال واقميا بالنظر إلى معرفتي بالتاريخ، فكثيراً ما كان الإنجليز - في الماضي أو الحاضر، صحيحاً كان ذلك أو خطأ - يفتون ضد المصطنعين، إن لم يقل يقاتلونهم، وربما تمثلت المكرة التي استهوتهم، في ممارسة الطرف الأضعف الذي يسير عكس التيار (حتى، وإن لم يفعلوا).

كان الكتاب معتمداً في نهاية المطاف، وإن ذهني للتمكيد حقيقة.

«أثينا لمجرد السؤال عن حالك، والتحقق مما إذا كنت بخير، فصدود وجودنا في المكان، فقررنا المرور بك»، لا يمر أحد بأحد هي عوانتاً موال، لم أفهم أبداً سبب ريادة الاستخبارات البريطانية تلك، فلم تكن بالناكيد لمجرد تسليم كتاب ناكسار، فلم يوجهوا لي أيا من الأسئلة، بامتثاء «كيف هو احتمالك يا معظم؟، أبرداد إيمانك رسوخاً، أم أنك تصعب أكثر، هاكتر؟»

«انتهت العرصة للشكوى مجدداً» لا رجل دين مسلماً، لا رسائل منظمة، لا معامير، حبس أمرادي، لا تحسن .. ولكن لم أنتم هيا؟»

«الاهتمامنا لأمرك، وإعلامك أن جهاز «الإم اي هايف» ليس بذلك السوء..»

عقبته، فأنلأ: «بل هو كذلك..»



-11-

الوهم المزعج

اعتدت، بعد مصمي ما يقارب العام والنصف في الحبس الانفرادي في مونتانا - سنتين ونصف منذ رأيت عائلتي آخر مرة - الحياة التي كنت أعيشها، مدافعاً عن كرامتي وأسانيدي، وإن عصيت لأبعد الحدود في داخلي، نتيجة ما كنت أعانيه من ظلم شديد، فكنت لا أزال أحمل سبب اعتقالي، في الحبس الانفرادي على وجه الخصوص وكنت أحصل في العادة، عند تلقي الزيارات من وزارة الخارجية، على رسائل من والدي، وروحه، وريب، بما فيها من صور للأطفال، ورسومهم المؤثرة، وكنت لا أزال حاضراً في حياتهم، عاجزاً، مع ذلك، عن إطلاعهم على تفاصيل حياتي الروتينية في البرابة وساحة التمرين، والطعام المقرر والبرق لبرقناية، وقراءة القران التي مثلت أمراً إيجابياً، بأهيك عن عدم رغبتي في معرفتهم بذلك، ولم يكن المسؤولون انبريطانيون، صادقين معي، فما اندي كانوا يظنونه حولي يا ترى؟، هل كانوا واثقين من أنني لست من الإرهابيين، أو من المتعاطفين معهم؟.

فوحئت للماية، حين تلقيت ما بدا إشارة، في نظري إلى ما يحفل ومصمي حاملاً بالنسبة للأمريكيين، وذلك ما يعرفني عن بقية السجناء، إذ كنت شاهداً على جريمتي قتل ارتكبهما حمود أمريكيون، وكانوا بنوون استهدامي بحية أغراضهم التأديبية، الانضباطية، الداخلية العاصمة، التي لم يكن لها، بالطبع أي علاقة بما كنت أنتهم به شخصياً

حضر اثنان من محققني قسم التحقيق الجنائي، إلى برائتي، في شهر حزيران/ يونيو 2004، يهزجان على الأمثلة حول المدة التي أمضيتها في باعرام، والحريمة الأولى التي شهدتها، وإن انصب جل اهتمامهما على الثانية وكان التحقيق شاملاً، وقد طالعي كلاهما بالوصف الدقيق لما رأيته، ومدى قربتي من

مكان وقوع الجريمة وإبرأ هي بادئ الأمر صورة المسجين 421، وقد تعرفت عليه، وإن كان بصعوبة، بالرغم من أنني لم أره بوصوح هي السابق، وقد بيهي المحققان فيما بعد، قبل إبراز صورة مؤثرة لحثته، إذ كانت الألبهيب تتدلى من صدره، وتبدو الكدمات واضحة على جسده إلى أن ما يقومان به كان عبارة عن تحقيق جنائي أبرر صوراً كمبيوترية للحراس، لأشير إلى من اعتقدت أنهم الفاعلون، وسألني المحققان فيما بعد، عما إذا كنت مستعداً للشهادة ضدهم

عقبت بقول الآتي، لا أكثر «يا للمسحورية، احتجرتهموني طيلة تلك المدة. لتطالبوني بالشهادة ضد معتقلين آخرين، ليتبين هي نهاية المطاف أن من يمكني الشهادة ضدهم هم الجنود الأمريكيون، ليس إلا».

فكرت فيما بعد، هي احتمالية أن يكون ذلك السبب الحقيقي لحبسي انفرادياً في معسكر الصدى. فقد شهد معتقلون آخرون الجريمة بالطبع، ولكنهم لم يكونوا يتحدثون الإنجليزية، ناهيك عن أن سبيل معظمهم كان قد أحلني، بحلول تلك المدة، وذلك ما يجعل التواصل معهم هي فراهم الأهلية، من الصعوبة بمكان.

سمعت من الرقيب فوشي لاحقاً هي ذلك الشهر، بوجود قضية تنظر بها المحكمة العليا الأمريكية حول معتقلين في غوانتانامو، وأن القضاة يميلون، على ما يبدو، إلى الحكم لصالحهم، هذملت حقيقة لسماع ذلك، وبدأ ذلك تحولاً مؤثراً بعد العديد من أشهر التي لم أسمع خلالها شيئاً من المحامي الذي وعدت به وأكد استسلم لقصري، ولم أكن أعلم بالطبع تفاصيل القضية، ولكنني اهتمت، متعائلاً أن قرار المحكمة العليا سيكون ملزماً بالكامل فيما يتعلق بحقوقنا القسوية، وسمعت مجدد خلال أيام من فوشي، محدداً، وغيره من عناصر الشرطة العسكرية أن القرار اتخذ بالعمل «يحق لكم قانونياً أن تحظوا بالتمثيل في المحكمة»، بالرغم من أن المحققين لم يذكروا شيئاً عن ذلك أبداً

راحت الإشاعات والتقصير المتصاربة عما كان ذلك يصيبه حقاً، ولكن الجميع رأوا فيه أمراً إيجابياً بالنسبة لنا، «خطوة للأمام». أخبرني أحد الجنود أنهم قد مضطروا إلى إصدار قرار بشأن جميع المعتقلين خلال تسعين يوماً. وإطلاق سراحنا قهما بعد، وكان ذلك وانما، بحيث يصعب تصديقه، وقد عرفت في التفكير بالاحتجالات كافة وكنت فرحاً منهما بحق.

فرت يوم عيد ميلادي، في الخامس من تموز/ يوليو، كتابة رسالة رسمية إلى الإدارة العسكرية في عوايتامو، مطالبا فيها بحقوقني، بالنظر إلى الموقف القانوني الأمريكي الجديد، وتملكني شعور طيب. ملؤة الثقة، ما كنت قد علمته من هل ليلة سنتي اعتقالي، وكنت الرسالة على حابي ورقة مسطرة. قبل تسليمها إلى الصابط المسؤول طالباً إرسال نسختين منها إلى وزير الداخلية البريطاني، ومحامتي في لندن، عاريث بيرس.

اطالب، اب معظم بيع المواطن البريطاني الذي يحمل الرقم 558 في هذه المشاة. رسمياً بالحقوق الآتية وفق قانوني الاحتجاز الأمريكي و لدولي

ان يتم إطلاق سراحي بشكل مباشر غير مشروط، وإعادتي إلى محل إقامتي في المملكة المتحدة، وان استعيد جميع ممتلكاتي الشخصية التي صودرت من قبل العناصر الأمريكيين و لباكستانيين من محل إقامتي في، سلام آباد باكستان، في الواحد والثلاثين من شهر كانون الثاني/ يناير 2002.

اطالب، على ضوء الرخص المتوقع لمطلبي السابقين، أو التأخير عبر المبرر في تمديدهما، وفق القانونين السابقين، محدداً، بالآتي

ان يتم إعلامي بجميع النعم الموجهة إلي كتابة وان يتم إعلامي بجميع حقوقني، بالنظر إلى عدم وجودي على أي اراض أمريكية هي السابق وجلبني بالقوة إلى هنا وان يسمح لي بالتحدث هاتمياً مع عائلتي في بريطانيا، و ان يتم تزويدي بلائحة كاملة، مفصلة بجميع الأعراس التي صودرت من محل إقامتي

في إسلام آباد، باكستان. في الواحد و ثلاثين من شهر كانون الثاني/ يناير 2002، وان يتم ترويدي كذلك بتعمير قانوني واضح لمصعب احتجاجي اضرادها منذ وصولي إلى كوبا، في الثامن من شهر شباط/ فبراير، 2003

مضيت في تفصيل كمية استحوابي تحت التهديد، وتهديدي بالتعرض لأسوأ أنواعه ناهيك عن القتل، في باعرام على وجه الخصوص، وما شهدته من صرب أفضى إلى موت معتقلين، على يد عسكريين أمريكيين.

كثبت بعد مضي أسبوع، والتفكير ملياً في الانعكاسات المحتملة لقرار المحكمة العليا، رسالة أخرى، ثبادل صعب السابقة في طولها، مكررا مطالبي داتها، بشكل أكثر تفصيلاً، علاوة على المطالبة بإرسال نسخ منها إلى جهات أخرى، بما في ذلك المحكمة الأمريكية العليا، ومنظمة العفو الدولية، «أمнести»، وهيئة الصليب الأحمر، والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، ووسائل الإعلام، وقد تطلب استصدار تلك النقاط كلها مجهوداً عقلياً مضيقاً، ناهيك عن التركيز عليها، وصياغتها بصورة متعاسكة، وعتت تلك الرسالة الكثير بالنسبة لي، وقد خعت صياغتها في أروقة البيروقراطية العسكرية الأمريكية، حسالت قائد المعسكر الرقيب لو، قرائتها، والإشراف على تمريرها، قائلًا: «قد أصبحت مسؤوليتك الآن أيها الرقيب، وأحتاج تمرير تلك الرسالة إلى دائرتكم القانونية، إن لم تمنع في ذلك».

انسابي القلق كثيراً عند كتابة كل تلك الرسائل، وقد دومت أربع نسخ منها بحفظ الهد، محاولا التواصل مع العالم الخارجي فيما يتعلق بتلك الأحيار المهمة

قدم أحد صباط الجيش الأمريكي، في اليوم الآتي مباشرة، الموافق للثالث عشر من تموز/ يوليو، برفقة بصمة أشعاص آخرين، ليجلسوا جميعاً في العربة الخارجية، وكان يتقل من ريادة إلى أخرى، قارئاً رد الينشاعون على قرار المحكمة العليا، الوثيقة المسومة «بإشعار من محكمة مراجعة حالة المحارب إلى المعتقلين»، التي لم تكن تتجاوز الصفحة في محتواها، ومرر الصابط الوثيقة إلي،

بعد الانتهاء من قراءتها. فكانت تلك المرة الأولى التي أسمع فيها بالتحاكم العسكرية، دون أن أعلم ما يمكنني من فهم مضمون الوثيقة بأكمله في حبه.

تضمنت الوثيقة ما يأتي: «تحتكر كعدو محارب من قبل القوات المسلحة الأمريكية، ويمثل العدو المحارب أي من يتعمد إلى، أو يدعمون، قوات الطالبان، أو القاعدة، التي انخرطت في أعمال معادية ضد الولايات المتحدة، أو أعضاء تحالفها ويشمل التعريف أي من شاركوا في أعمال حربية، أو دعموا مثل تلك الأعمال المعادية بصورة مباشرة».

كس الرقيب بارلر قد قدم إلى برانسي هي شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 2003 ليقرأ أول بيان عسكري رسمي إلى المعتقلين، وقد كان يدور حول اعتقال صدام حسين من قبل القوات الأمريكية في العراق.

سألته، مدعياً الجهل، قائلاً: «ومنى دخلت الولايات المتحدة العراق؟» كنت قد علمت الكثير بالطبع حول تلك المسألة من الحراس.

أجابني، قائلاً: «آسف، تعلم أنه لا يمكنني مناقشة الأوضاع الراهنة معك».

سألته، قائلاً: «لم احترت إذا معني هذه القصاصة عن الأوضاع الراهنة؟».

أجابني، قائلاً: «الأوامر، فقد تمت قراءة هذا البيان على جميع المعتقلين».

سألته، قائلاً: «وما شأني به؟».

علمت تماماً أن الأمريكيين كانوا يتعمدون بالقبض على ذلك الرجل، الذي عذب من المعارضة الإسلامية وقتل ما لم يكثرثوا للاعتراف به، وكان الأكراد - أحد صغايا صدام - من دعمت معسكرات تدريبهم في أفغانستان، وقد أسهم ذلك في إيصالني إلى الحال التي بلغت، معادياً للأمريكيين وفق اعتبارهم، مصفاً «كعدو محارب» لهم.

عبد بارثر، دوى الإجابة عن سؤالى

ها هو ذا الجيش الأمريكى الآن، يكلم نفسه مجدداً. عناء تلاوة بيان عسكري رسمى عن المعتدين، وبدا ذلك عربياً للغاية بالنسبة لى، فلم يمر على طيلة مدة دراستى القانون ما يماثل من الماحبة القابولية، فقد تصممت الوثيقة الآتية، علاوة على ما سبق ذكره منها، ليست هذه محاكمة جنائية، وإن تعاقبك المحكمة، ولكمها ستقرر ما إذا كانت أسباب اعتقالك قابولية، فكرت، قائلاً لى لى «ما الذى تعنيه عبارة «أسباب اعتقالك قابولية»؟، يمثل الاعتقال بعد داته عقوبة».

بدأت أفقد الحماسة التى اعترتني نتيجة قرار المحكمة العليا، بينما استمعت لى الصايط، وقرأت الوثيقة فيما بعد، وتحدثت ضمن فقرات منها عن آلهة عمل المحكمة العسكرية بما هي ذلك الحصول على «شرح واقعي» مكتوب لمسبب تصنيفي عدواً محارباً وأسباب ممثل شخصي عني، وإن لم يكن معامياً، بل تابعاً للمؤسسة العسكرية وقد أخبرني حين التقيناه لاحقاً، أنه لم يكن ملزماً بالتكتم على أي من المعلومات التي أسأله إياها.

تمثلت إحدى النقاط المهمة التي تحدثت عنها الوثيقة هي الآتي «سيكون بمقدورك تقديم الأدلة لى المحكمة، بما فيها إهادات الشهود، وإن لم يتوهروا فهمكن أن تلتصق إهاداتهم المكتوبة، ويمكنك كذلك تقديم بيانات مكتوبة، ووثائق أخرى، ويمكنك الشهادة أمام المحكمة، دون أن تجبر على القيام بذلك، أو الإجابة عن أي أسئلة».

تصممت العقرة الأخيرة، المماثلة للحاشية تفريراً، الآتي «تخول محاكم الولايات المتحدة، بمعدل عن العسكرية أية الذكر، النظر فيما يقدمه الأعداء المحاربون المحتجزون هي هذه المنشأة من عرائض تتحدى قابولية احتجازهم، لم أكن أملك أي فكرة عن كيفية حدوث ذلك، بالنظر إلى أسا كنا معروطين فعلياً، لا نملك أي اتصال بالعالم الخارجي».

كان من الواضح بالنسبة لي أن حكومة الولايات المتحدة تحاول الربط بين المحاكم العسكرية، وقرار المحكمة العليا أن تمكنوا من إثبات صحة اعتيادنا لعدد محاربين، فلن يكون هناك أي سبب قانوني لنظر محاكم الولايات المتحدة فيما تقدمه من عرض وهكزت، بالرغم من ذلك، هي ضرورة الانعراط في تلك العملية، مع كل ما اتسمت به من ظلم، لأنها كانت تمثل - على الأقل تقدير - فرصة حرمت منها طويلا للمحاربة حول قضيتي.

تحدث الصابط على عجل، استباحتها لأي أسئلة، قائلا: «إن كانت لديك أي أسئلة فيمكن أن تناقشها مع معتكك الشخصي الذي سيحضر قريبا».

تلقيت بعد عصي بصفة أيام، هي السادس عشر من تموز/ يوليو، زيارة من مبعوث وزارة الخارجية مارتن وحضر برهقته اثنان من المسؤولين الأمريكيين، وإن لم يرتديا ملابس رسمية، لتناقش بعض الأمور الشكلية، قبل الدخول في موضوع الأهم المتعلق بالمحاكم العسكرية، وحرص مارتن على التأكيد من فهمي ماهية تلك المحاكم، وما كنت تعبیه، ليستطرد على عجل، قائلا إنه لم يأت لتقديم النصح حول ما يحدث في عمله من عدمه، لأنه لم يكن مستشارا قانونيا، علاوة على من كانوا برهقته، وجلست هناك أحاول نقل وجهة نظري حول المحاكم العسكرية، بعد تفحص الوثيقة بعناية.

سألته عن «الممثل الشخصي»، قائلا: «كيف يمكن لذلك الشخص تمثيلي؟، نحوي التسمية بعد ذاتها تصليلا متعمدا».

أمسى لثلاثة وقتا عسيرا، محاولين إقناعي بمدالة المحكمة العسكرية.

سألته، بينما كنت أشير إلى القمص الحديدی الصغير، قائلا: «كيف يمكن للوثيقة أن تقول «لن تعاقبك المحكمة»، بينما سيجوز إثبات أنني عدو محارب لقائي هذا؟. يمثل احتجاري سنوات عدة في قفس كهذا، بلا تهمة، أو معام، أو محاكمة أسوأ أنواع العقوبات هي نظري».

كنت أدرك مدى سهولة الصاق التهمة بي، بالنظر إلى جرمتي من أي تمثيل قابولي، ومضى الثلاثة فيما بعد يتحدثون عن أن تصنيف المدنيين الأعداء المحاربين، أو غير المحاربين، وأسرى الحرب، يحدد وفق عمير المارك، عقب أساليب من الاحتجاز.

عقب، قائلا «لا أرى أي معارك هنا، ولم يتم أسري في أي منها، ناهيك عن أنه مضي علي حتى الآن ثلاث سنوات هي الأسر».

أجبرتهم، بعد مدة من الأحد والرد، أن الأمر لم يكن يمثل أكثر من مهلة هي نظري وأنه من الظلم بما لا يحصى أي قدر من المدالة، محلاوة على توظيفه لجميع المعلومات من المعتقلين، أملا في أن يتحدث من رفض منهم القيام بذلك أمام المحققين، عله يبرأ في نهاية المطاف

هر مارتن رأسه، بما يدعو للاستمرار، موافقا على ما كنت أقوله بشأن المهلة.

تحدثت، بينما نظرقنا إلى مسألة عرض قصايانا أمام المحاكم الأمريكية، قائلا «حسنا، كيف يمكن الوصول إلى أي تعثيل قابولي، أو طلب ذلك، بينما احتجز في هذه الظروف؟».

أتى مارتن بما يشير الدهشة من حركات، واستدار قليلا، قبل أن يعك صدره بسبابته، فلم ير صحبه ذلك، بينما رأيته، فقد كان يشير بوضوح إلى نفسه، (جاية عن سؤالي الأخير).

عقب بصورة تلقائية، قائلا «هل يمكنك، بصمتك الممثل القمصلي البريطاني، توجيه معامي وعائلتي للبدء في عرض قصيتي أمام المحاكم الأمريكية؟».

أجابني، بينما استدار نحو الأمريكيين، قبل أن يهرا رأسيهما موافقة، قائلا «لا يمكن تقديم أي نصيح قانوني، ولكنني واثق من قدرتي على نقل مطلبك إليهم، ويهضوا حميما، ليفادروا بعد ذلك بمدة قصيرة، وتقدم الأمريكيان مارتن، الذي أشار إلى دفته، بمهدا عن أعيهما، قبل أن يستدير نحوي، قائلا «تفضل بالخير يا معظم».

لم يأت ممثلي لشخصي لرؤيتي عدة أسابيع، ومرتت خلال تلك المدة بمسد من
التحارب بحديدة، بما هيها زيارة القائد العام المعتقل عواشامو ريراشي.

اسدع الحراس على عجل. يكتسبون الأرض، يظهرون ما هو غير معناد من
مطافة ورتيب، فلم يمر ذلك إلا زيارة إحدى الشخصيات المهمة للمعسكر. إذ كان
المعيد حاي هوود قد حصر، للمرة الأولى والأخيرة، لزيارة المعتقل رقم 558. هي
زلاتته 7 براهو.

دخل المعيد لعرفة التي تحوي ريراشي، مع مرافقيه، ليتقدمها، قبل أن
يمضي نحو لسجن. متصمعا إياه على عجل، ثم يواحيه مباشرة.

حاطبي، قائلا: «أرى بك ذهبت إلى طبيب الأسفل مؤجراً فهل حلت مشكلتك؟»

أجبت، قائلا: «نعم. شكراً لك، ولكنني رفعت إخباره عما إذا (كان أمناً)،
رسم أحد مرافقيه ابتسامة مصطنعة على وجهه، بينما لم يدرك المعيد إشارتي
إلى أسانيب التمديد التي تبعا لوراس أو ثيميه هي هيلم «رحل المراتل».

عقب، قائلا: «معرفة، لا أهم ما نسيه، فما الذي تقصده بذلك؟»

أجبت، قائلا: «ليس الأمر بهم. فهل يمكنك إخباري قبل معادرتك، يا حصرة
المعيد، عن السبب وراء عدم حضور الممثل الشخصي حتى الآن؟»

أجابني، قائلا: «لا علاقة لي بالمحكمة العسكرية، ولكن ذلك يشمل المئات من
السجناء، وأعلم أنهم يعملون بأقصى سرعتهم».

فكرت، قائلا لخصي: «صحيح، أثق بذلك تماماً، هياكم تصابشون الرمن
نوها لتحقيق العدالة.»

حاطيته، بينما أبررت رسالة الصليب الأحمر من ابني أمانة، قائلا: «هني
أمر آخر يا حصرة المعيد هل يمكنك تفسير ذلك، عقد حجت رقابة الجيش
الأمريكي معظم الرسالة باللون الأسود، مما الذي يمكن أن يحيمكم من طمعة هي
سديعة من الممر، لم اتلق أي رسالة منذ أشهر، وما أنتم أولاء الآن تقومون
بهذا الأمر المؤسف، حين هملت أخيراً».

اجابني وقد اخبرني من الحرج قائلا : لا اعلم ما أقول لك، باستثناء
 اني سأنظر في الأمر، وأوما براسه إلى مساعدته هبما بعد، ليدرون هذا المساء
 شيئا ما هي مكرته، وكانت تلك المرة الأخيرة التي أتحدث فيها إلى هورود.

تمثلت معاجاتي الثانية في الرسالة التي تلقيتها من هريق للمحاميين في
 نيويورك، وبيوحيروسي بحسروسي فيها أنهم حددوا جلسة للنظر في قصيتي
 بتاريخ الثاني من تموز/ يوليو أمام المحكمة الفيدرالية في واشنطن العاصمة
 وأصاف المحامون أن روجي، ووالدي، وعاريت بيرس، والمحامي البريطاني العامل
 في الولايات المتحدة، كليف سافورد كانوا قد كلموهم بالعمل في هذه القضية
 أمام المحاكم الأمريكية وأكد لمحامون على أنهم كانوا مدعين، لا علاقة لهم
 بالحيش الأمريكي، عرفت في دواحة من المشاعر المتناقضة مجدداً

كنت واثقا من حذيه أولئك المحاميين، بالنظر إلى انحراف عاريت في الأمر،
 وذلك ما عسى اني كنت أحقق بقصر التقدم عطيا، وكنت إاليهم في اليوم ذاته،
 السادس من آب/ أغسطس، ميمبرا عن امتناني الشديد لهم، مجددا تلقي
 بعاريت وأكدت أن الإفادات كانت قد انتزعت مني بالإكراه، تحت التهديد
 والتهديد بالموت إذ كنت أعني «اعزائي»، المكتوبة في شهر شباط/ فبراير من
 عام 2003، وقد أحييت المحاميين أنها يمكن أن تمثل المستمسك الوحيد بين أيدي
 سعائي، بقية تصيبي «عدوا محاربا».

قلقت بعباية مجددا من عدم تمرير رسالتي، وقد سألت قائد المعسكر
 قراءتها وتثبيتها في سجل المعسكر، وطباعة نسخ عنها.

تلقيت، بعد مصي أسبوعين تقريبا، رسالة ثانية من أحد أعضاء هريق
 المحاميين، عيتا بحالي عونيرير، تحبرني فيها أنها تلقت رسالتي، وأنها لم تستغرق
 أكثر من أسبوعين للوصول إليها، مصيعة أنها سترورنني يوم الاثنين، الموافق
 للثلاثين من شهر آب/ أغسطس، وأنها ستتراني كذلك أيام الثلاثاء، والأربعاء
 ولخميس، وأحيرتني المحامية، علاوة على ذلك، أنها كانت تلتقي كلا من عاريت،
 ووالدي، تمهيدا لزيارتها المرتقبة، فقد كانت المحامي المدني الأول لدي يتوجه
 إلى عوانامو، وعلمت أن ذلك يمثل نقطة تحول كبيرة.

عجزت عن النوم تقريباً، من فرط حماستي، خلال ثلاثة أو أربعة الأيام
الآتية، وبدأت، تهيئة لنفسي، تدوين صفحات بما مر بي من أحداث، فحنوت
إحداها «سجل الإساءات» ووضعت لائحة كذلك بما أرغب أن يجلبه لي والذي
من كتب، بذهنك عما كتبت من رسائل كي توصلها إليه، وإلى روجي، وعاريث.

شجعتني بعض الحراس على طلب العديد من الأشياء من عينا، بالنظر إلى
حضور من سبقها من المحامين العسكريين، وإن كانت أولى المدنيين الذين
يحصرون إلى غوانتانامو، وكان المحامون العسكريون قد وكفوا للدفاع عن
الاسترالي دايميد هيكس، وسليم حمدان، سائق اس لاس كما يرمعون، فرأى
الحراس أوثق المحامين، وهم يعلبون ما أوصاهم به موكلوهم من كتب، أو
غيرها من الأشياء، بعد السماح لهم بالاحتفاظ بها هي رمايهم.

وصعت لائحة بما أريد من أشياء - بما هي ذلك عدد كبير من الكتب،
التي تتناول التاريخ هي معظمها - كي أقدمها إلى عينا عند مجيئها، ووضعت،
كذلك، لائحة صغيرة بأشياء أخرى، كالقليل من الشوكولاتة، فلم أطلب منها
شيئاً هي المرة الأولى لعدم ثقتي هي قدرتها على إحصاء أي شيء معها.

اعتراضي حصول شديد فيما يتعلق باسمها، وقد سألت أحد الحراس ذوي
الأصول اللاتينية عما إذا كان اسمها لاتينياً، بمعل عن كونه جنوب آسيوي، كما
كنت أصرف، فلم تكن لديه أي فكرة عن ذلك، وتطلع الحراس الأمريكيون،
كالمعاد لمعرفة ما إذا كانت «مثيرة».

رأيتها نحيلة، حين دخلت الغرفة، يسدل شعرها الأسود الطويل الداكن على
كتفها أبقية العناية، صغيرة القدر، فقد كت مفيداً إلى الأرض، بالطبع، كما هي
أي استجواب، أو مقابلة أخرى، وتمثل المرفق الوحيد في أنها تركت وحدها هي
الغرفة معي، إذ كانت هناك طاولة بيضاء، وتمثل ما فاحشي كثيراً في عدم وجود
أي من الحراس - على النقيض مما أخبرت به - الذين كان يمشونهم إيقاف
نلقاء متى أحسوا أن أسرار الدولة تدخل ضمن النقاش، أو أن أمها يوضح على

المحك، وكانت كاميرا المراقبة، المصنوعة على هي الرمزانية أبدا، موجهة إلى كل من هذه المرة.

حاضرتي، ترسم ابتسامة عريضة على وجهها، قائلة «نحن يا معظم، أشعر بسعادة حقيقية للقائك بعد كل هذه المدة، تعلم أن هذه لحظة تاريخية أنا أول محام مدني يسمح له بالوصول إلى موكله المعتقل والعكس صحيح بالتأكيد».

كانت معقة في ذلك، ولكنني كنت مهتما للغاية بمعرفة ما إذا كان يعمل شيئا ملموسا على أرض الواقع.

عقدت قائلا «سررت بلهائك كذلك فلم يكذب بعض لي حمن طيلة الليل، مهمكا هي التفكير فيما يمكن أن يعنيه ذلك، إذ لدي الكثير من الأسئلة، وبعض المطالب، ولكنني سأسألك البدء أولا احبريني بما يجري».

تمثل أول ما قامت به هي إعادة التأكيد على هويتها، وأحبرتني أنها النفت والذي وتناولت معه العداء في نيويورك، قبل بضعة أيام لا أكثر، فهذا ذلك عريبا للغاية بالنسبة لي منحيلا وحود والذي في نيويورك، يناقش تلك الأمور القانونية معها أحبرتني فيما بعد، عن بعض ما لا يعرفه إلا والذي، وشقيقي الأكبر من أمور كالاسم لدي كان يطلق علي هي صغري، «بويبي»، بالنظر إلى أنني كنت أحب لسمباح فلم يكن غيرهما يعلم بذلك الاسم، أو يتم ذكره منذ طموستي، وتحدثت كذلك عن لقائها بعارث، وكم كانت متأثرة بالتحدث إليها، فكانت تلك التفاصيل مهمة للغاية، وقد أطمأنت حقيقة إلى هويتها.

تمثل الأمر الآخر الذي تحدثنا حوله هي حلمتها، ومن كانت حقيقة، قبل الحوص في التفاصيل القانونية، فقد كانت هدية، نشأت هي الولايات المتحدة فأسهم ذلك في إزالة الكثير من الحواجز بيننا، وسألناها عما يدور من أخبار، هي بريطانيا والولايات المتحدة، حول قصيتي على نحو خاص، ومعتقل غوانتانامو عموما، ناهيك عن الأحداث ذات الصلة هي أنحاء العالم كافة، فلم تكن تؤيد

الرئيس بوش، كما انضج من طريقة حديثها، حول حظوظ المرشح الرئاسي جون كيري في الانتخابات المقبلة، على وجه الخصوص، وأخبرتني كذلك عن الكمية التي دمّرت بها حياة الكثيرين من اليهود، من غير المسلمين، مثلها - الذين يعيشون في الولايات المتحدة، ويمثل الهندوس والسيخ معظمهم - نتيجة الهجمات الإسلامية، التي شنها بعض الحفلة من الأمريكيين، هي أعقاب الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، مجرد أنهم «لا يعانون عن المسلمين هي مظهرهم».

حاضرتني، يترقّق الدمع هي عينيها، قائلة «أصلي، أما الهندوسية المتزمنة، على الدوام من أجلك المعبدة، ولكن مشاعري قوية حيال هذا الأمر، فلقد أصبح حراً من حياتي». شعرت بالندب لما اتصفت به من صدق، مما هي دي الأمريكية الهندوسية تصلي من أحلي، بالرغم من الناقص الحاد بين معتقديها، معاملة الكثير من الحقائق المتعلقة بقصيتي.

حاضرتني، قائلاً «عينا، يتعين علي إخبارك أن أحد أسباب احتجاز الأمريكيين لي هذا يتمثل في...».

فاطمتني، فائلاً «لا نزل شيئاً الآن، وربما كانوا يراقبون حديثاً، هم لا يعترضون العلاقة بين المحامي وموكله، ولكنني أعمل».

كانت حذرة نوعاً ما خلال بضعة الأيام الأولى، حسب اعتقادي، بما لا يحلو من السداحة، ولم أكن لأحيرها بما لا يعرفه الأمريكيون أو البريطانيون من أسرار حظيرة، أو يتقلّونني بسببه، وتمثل كل ما أردت إخبارها به في ربرتي أحد معسكرات تدريب الكشميريين عام 1993، وإرسالي بجمع مئات من الحبيبات إليهم على سبيل الدعم أردت لعينا، الهندية الأمريكية، أن تعلم ذلك قبل كل شيء».

لحظت كذلك أنها كانت صعبة للغاية، سريعة التأثر، إذ كانت قد قالت بصمتها إنها كانت حذرة على اللعبة، فشعرتُ بشيء من الاستياء، لأنها جاءت حالية لوهائن، لما تعرضت له من تهويل حول صرامة الفواين هي المعسكر، وهو ما لم يكن يحدث حتى عند ريارها المحكومين بالثوث، وذلك ما دفعها إلى تبني

مبدأ «الحيطة خير من الأسف» فقد كانت قلقة بشأن ما يجدر بها ارتداؤه. حائرة مما إذا كان يجدر بها وضع عطاء للرأس، وارتداء ملابس عربية، أو أمسية، وشعرت بالقلق كذلك من الطريقة التي يمكن أن ينظر بها إليها من عزل عن العالم ثلاث سنوات تقريباً. على صوة ما قيل عن البيئة الإسلامية، المحافظة التي ينتمي إليها معظم المعتقلين، بالنظر إلى أنها لم تكن امرأة فحسب، بل تحمل الجنسية الأمريكية أيضاً، وقد رأت عينا، علاوة على ما سبق، أن بناء علاقة حسنة مع الجيش الأمريكي كان من الأهمية بمكان، كي لا تظهر بمظهر المجابه له.

تحدثت عنها بطريقة عملية للعاية، لأفاحاً مع ذلك بما استهلكت به حديثها، قائلة «حددنا جلسة للنظر هي هصيتك، وبحاول السير في ذلك بأقصى ما نستطيع من سرعة....».

عفت قائلاً «هل يمكن. مع ذلك، أن أبقى سجيناً هنا، أنتظر سنة، واثنين، وثلاثاً، دون حدوث أي تقدم فعلي؟».

أجابتي بوضوح، قائلة «نعم يا معظّم، هو احتمال وارد للعاية، بالنظر إلى موقف الحكومة حتى الآن». طرحت السؤال ذاته مجدداً، لأشعر، ما إن أجبتي عنه، بأن لا شيء يمكن أن يكون ذا أهمية، فقد لا أحصل على حريتي مهما فعلت، أو كنهجت، أو جادلت أو سعيت للوصول إلى المحكمة، مثل ذلك حقيقة مرة، حطت من معنوياتي كثيراً بالنظر إلى ما بيته من آمال هي المدة الأخيرة.

كنت قد أمضيت شهرين أستمع إلى الأحبار حول قرار المحكمة العليا محاولاً فهم تعقيدات النظام القضائي الأمريكي، إذ كانت الحكومة تجادل على عدم وجود أي حقوق قانونية للمعتقلين في محاكم الولايات المتحدة بالرغم من قرار المحكمة العليا الذي نص بوضوح على أن معتقل غوانتانامو يقع تحت سلطة القضاء الأمريكي، ولم تكن الحكومة ملزمة بقرارات المحاكم الأمريكية، بالنظر

إلى أن الرئيس بوش، القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية، كان قد استخدم ملاحقته العسكرية والتعديدية: معاً لتدخل السلطة القضائية في عمل السلطة التنفيذية، حتى لا تتهم الحكومة، في أي قضية أخرى، بإرذراء المحكمة.

تضمنت الوثائق القانونية التي جلبتها غيتا مقولة مقتبسة - لمنت بالعمل انتباهي - من القاضي جاكسون، وقد عكست تلك المقولة جدل المجلس القضائي حول عرائض المعتقلين، ولخصت الكيمية التي تلاشت بها آمالي العريضة يمثل ذلك بحق ما يقرر الآمال من وعود كاذبة، ووهم مرعج، كما يوصي به المعدم من إدريث صغي - .

وارتيت عينا مند لصباح حتى الظهيرة. على امتداد أربعة أيام، لتحدث هيماء بعد إلى فيروز رصلي الذي لم أره في الرربة المحاورة وكنت أسألها على الدوام عنه. ومن سير قصيته بالعلاقة مع قصيتي فأوسعت أن قصيتي أدمحنا في جلسة واحدة، وإن قدمت كلتهما باسمي، وأحصرت في اليوم الآتي الكثير من المستندات القانونية أوراق الجلسة المتعلمة بالقضية والشهادات العظيمة المقدمة باسمي رصبي، وعاديت، إذ كنت بالعمل قد تلقيت رسالة، من ثلاث صفحات، من عاديت - كتبت بتاريخ الرابع عشر من آب/ أغسطس - لتصلي قبل زيارة عينا، وقد قدمت عاديت عينا في تلك الرسالة، موضحة ما حدث بالتفصيل مند احتطاهي في باكستان، وعمت الكثير من الأمور التي كنت أجهلها تماماً فلم أكن أدري أن عانتي كانت قد رفعت قضية في باكستان، وأن روعي أمرت عقد لإبصار كدليل لإثبات وجودي في البلاد (رداً على نعي الباكستانيين ذلك)، بأهلك عن أن عائلتي كافحت بشدة لدفع الحكومة البريطانية لتدخل.

تحدثت الرسالة كذلك عن قيام عائلتي بإطلاق حملة من أحلي، تحت رعاية والدي. وأنها كانت قوية، بحيث عطلت معظم أرجاء بريطانيا تقريبا، فلم أكن أدرك حتى تلك اللحظة مدى أهمية قصيتي، أو أعلم وجود حملة منظمة بمية إطلاق سراحني.

أحبرتي عاريت هي رسالتها كذلك - ما أثار دهشتي، وشجعتني كثيراً - أنها لم تكن الوحيدة التي اعتبرت ما يجري في حبيج عواصنامو ظالماً وغير قانوني، بل كان ذلك رأي كبير مستشاري الحكومة البريطانية والقانونيين، والسلب العام. أيضاً، وتمثل أفضل ما فائته الرسالة هي أن الرئيس بوش كان قد صرح أن المعتقلين البريطانيين يمكن أن يعودوا إلى ديارهم، متى طلبت الحكومة البريطانية ذلك، ورد بليز بدور، كما كان واضحاً فائلاً إنه يريد استعادتها، وتحدثت عاريت، قائلة إنها ستطلب مراجعة قضائية إن استمر ذلك النقص، عبر استمرار اعتقالها، مؤكدة على عدم المشاركة في المحاكم العسكرية المقترحة، تحت أي من الظروف، وكنت حائراً بين المحكمة واللجنة إذ علمت لأشهر أن اللجنة هي التي ستحاكمني، فهل كانوا يقصدون بها المحكمة العسكرية يا نري؟ كنت أظن أنهما يمثلان الأمر ذاته حتى رأيت وثيقة البشاعون هي شهر تموز/ يوليو فقد كان الأمر محيراً بالفعل، وقرأت رسالة عاريت مراراً، محاولاً استهضاح تلك النقطة

حصلتُ عينا رسالة خطية إلى عاريت، جاهلاً ما إذا كانت ستصلها، أو توقيت حدوث ذلك، بالنظر إلى ضرورة عرضها على الرقابة أولاً، وأحبرتها عن صعوبة التعبير عن ابتهاجي بتلقي رسالتها، بما تتضمنه من مسائل قانونية، معبراً لها عن اعتراضي بما فعلته من أجلي شاكرًا التزامها بالدفاع عن حقوق الإنسان.

شعرت بحيرة أكبر حين سألتُ عينا عن المحكمة العسكرية، بعد إطلاعها على وثيقة البشاعون، سائلاً إياها حول ما إذا كان يحذر بي المثل أمامها، فتمثل جوابها هي أن المحاكمات العسكرية مستقام بحسوري أو عدمه، وأنها تمثل فرصة للتحدث، والمجادلة، ما قد يؤثر في قراراتها، وكان ذلك يمثل رأي مارش، مبعوث وزارة الخارجية، وقد جملي أكثر ميلاً للمشاركة فيها، ولم أكن مقتنعا بذلك. لأن تلك المحكمة كانت مجهولة لعينا. المحامية، بما لا يقل عني أبداً

أحبرتي عينا كذلك عن مسرحية عن المعتقلين البريطانيين، تصور ولدي على خشبة المسرح، وهو يروي قصتي، وأصافت أنها عرضت في لندن، وأنها تعرض الآن في نيويورك بينما كنا نتحدث، فتعيلت كيف كان ذلك يتم في عقر

دار أمريكا، قلقاً حول سلامة ولدي، وكنت قد قرأت في السابق أن نسبة الإعتداءات على المسلمين في أمريكا قد تجاوزت 400% بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، فبدأت أحزن أن الحملة يمكن أن تكون قوية ومؤثرة، وتحدثت مع الحراس حول والدي والمرحبة في نيويورك، وقد فوجئوا أيضاً لسماع ذلك وحملت عينا قصائدي، علها توضع في المرحبة، ما يسمع صوتي للناس، فأخبرتني أنها ستوصلها إلى كاتبة المسرحية

كنت قد رأيت عيشاً أحمر مرة عند حلول وقت الغداء، يوم الخميس، وكان الغداء عبارة عن الشمندر، وقطعة دجاجة من الجبن، أو «الشمندر والحب»، كما كان الحراس يدعونه وكانت تلك الوجبة تقدم كل خميس، ولم أكن أتناولها لمقالة حصتي منها دهيك عن مدافعي

فمت بإعاشة الحراس ذات مرة، قائلاً: «هو الدوق الأمريكي الزهيق في الأطعمة، بلا ريب».

عقب أحدهم، قائلاً: «بالأكيد لا يا حصنة - حصنة - ثمانية فلا يمكن أن أطعم كلبي هذه المدايرة لو كنت أملك واحد، علماً أن الوجبات تعد بما يتلاءم مع بيتكم».

عقبت، قائلاً: «لا أزعج أنني أكل كل شيء ولكنني ساهرت إلى انهاء مختلطة من العالم الإسلامي دون أن أرى مثيلاً لهد الطبق على الإطلاق، فإيه أمريكي حتى المعاج».

نظرت غيت إلى الوجبة، ثم إلي لتعبر عن شمئزها صرخت على أن نراها كي نتصرف حيال الأمر ولكنني كنت أمل الكثير كنت قد طالبتها بعدد من الأشياء، لتدل كتابتها هي نهاية المطاف، كما تراءى لي، وكان من المستحيل، نتيجة القوانين العسكرية الصارمة، أن يعمل ضمن الأطر الطبيعية للعلاقة بين المحامين وموكليهم، فعملت على تهدئة الموقف، قبل معادرتها، عبر قراءة مقطع من قصيدة نهجاء التي كتبتها حول الحياة في معتقل عسكري أمريكي شديد الحراسة، تحت عنوان «هذاق الصندى»

قواعد المعتقل الصارمة
 تتطلب القيام بمغامرة
 أو قدونا من الكونفرس
 للحصول على بعض مبادئ المرحاض الورقية
 لا نكهة للطعام عاليا،
 بعيدا عما يرصيني،
 ولكن لا يوجد ما هو أسوأ
 من الشمندر والجبن الدائب.
 يشتمل هذا السهاج الشائك
 على مظهر إضافي آخر:
 إمسالك عن الحسن السليم
 وإسهال في الإجراءات
 ينتظر أحدهم تأخر الوقت
 حتى لا أغزو مستيقظا
 ليحصر لي حبة مومة
 قبل إيقاظي لتناولها

حصر المحققون لسؤالي، بعيد مفادرة غينا، عما تناولته ريارتها.

تلقيت بعد حصي عدة قصيرة، الزيارة التي انتظرناها طويلا من ممثلي الشخص في المحكمة العسكرية، هافندي الحراس خارج الرتبة، كالمعاد، قبل ان يتيدوسي إلى المقعد العديدة السائرة من الأرض، وجلست إلى الطاولة، على كرسي بلاستيكي، قبالة الرجل متصائلا عما إذا كان سيساعدني، ويمتلي حقيقة.

كان عقيدا في سلاح الجو، أصلع الرأس، طويلا للغاية، ربما 195 سم، في الخمسينيات من العمر، كما تراءى لي، يرندي ثيابا عسكرية سرولا أرق، وقميصا أقل رقة، فقد كان يعترض بالمثلث الشخصيين أن يكونوا عسكريين معاهدين، بدءا من رتبة ملازم، وما فوق دون أن يعرطوا في السابق في أي أعمال جريئة في أفغانستان أو العراق، ناهيك عن مطالبتهم بالتحريض عما إذا كانوا يصرهون أيا ممن أصيبوا أو قتلوا في أي من الأعمال العدائية التي ارتكبت ضد الولايات المتحدة، وبدأ الرجل حاملا بالأكيد لمأصل أساسية في التريخ الحديث. ههل وظف ذلك الجهل، الذي كنت قد حسرتة في السابق، وهل وظف الآن بصورة متمردة تحقيقا لعائدني؟

وحدث الرجل سهن لعشر، ودودا للغاية يسهل التحدث إليه، أنا هنا لمعدتد هي تقديم قصيتك - سمعل ما بوسعا لإظهار الحقيقة، فهي فرصتك لقول ما لديك، وللأحرين كي يستمعوا،

صدقت ما قاله، بالنظر إلى تماولي، وبينني الحسة، وربما طر لشبه داته أيضا، وعلمت بعد مدة قصيرة مدى المهلة القابولية التي تمثلها المحكمة العسكرية.

أبرر الرجل ورقة تحوي ما يدعى شرحا واقفيا لأسباب اعتقالي، سمح لي بالنظر إليها، راعضا تركها بحورتي، وقد دومت بعض الملاحظات، هبما بعد، تحت عنوان «شرح حيالي لأسباب الاعتقال» استندت الورقة بمحملها إلى «اعتراهماني» مكتوبة من قبل «الإف بي أي» في شهر شباط/ فبراير 2003، والتي كنت قد وقعتها بعيد وصولي إلى عوانتامو.

استندت الورقة إلى نقطتين رئيسيتين تمثلتا في أنني كنت عضوا في القاعدة أو الطالبان، وأنني اشتركت في أعمال معادية للولايات المتحدة.

تضمنت النقطة الأولى ما يأتي: «... تحديد أفراد للتدريب في معسكرات القاعدة التدريبية الإرهابية وتوفير تلك المعسكرات بالدعم والمال، والتدريب فيها عام 1993، بما يشمل استخدام البنادق، الآلية، وقاذفات، الآر بي جي، وعداد الكماش، وما إلى هنالك، وتقديم الدعم إلى إرهابيي القاعدة، والملاذ الأمر لمواطنهم، بينما كانت القاعدة ترتكب أعمالا إرهابية».

تضمنت النقطة الثانية ما يأتي: «... كان مسلحا ومهيئا لقتال في الخطوط الأمامية ضد الولايات المتحدة وحلفائها، جبا إلى جنب مع القاعدة والطالبن انسحب مع مقاتليهما إلى تورا بورا. تحدثت الورقة كذلك عن «عدم ارتداء ملابس عسكرية... وتسلسل القيادة ودعم القاعدة، برعاية أسامة بن لادن، مع العلم لنتم بإعلانها الحرب على الولايات المتحدة وأركانها أعمالا إرهابية صده».

لم أكن واثقا على الإطلاق مما إذا كان يعذر بي المشول أمام المحاكم العسكرية، بعد الاطلاع على كل ما لقته جوار «الاف بي بي» من تهمة هي تلك الورقة، وأردت القيام بذلك لما شعرت به من حاجة ملحة لتبرئة ساحتي من كل تلك المراجع.

تحدثنا ساعة تقريبا قبل لمطرق إلى مسألة الشهود، واهتمت أن أيا من ادعواهم للشهادة سوف يحضرون إلى المحكمة بالرغم من عدم ههمي كيفية حدوث ذلك هي عوايتانمو، هيمكن أن أسدعي والدي وأصدقائي ليؤكدوا أسباب ذهابي إلى أفغانستان، ناهيك عن أعضاء هي القاعدة والطالبن. كي أسألهم عما إذا كانوا يعرفوني، أو رأوني من قبل، وأردت معاطبة المحكمة، قائلا «تقولون إني قاتلت في صفوف الأمامية، فهل تعرفون أيا من قاتلوا هناك، أمريكيين كانوا أم أفغان، ليؤكدوا ذلك؟» أردت إطلاع المحكمة على شتى الأمور، وقد دوت أسماء شهود هي باكستان، وأفغانستان، وبريطانيا، وأسماء جنود ومحققين من أمريكا

أردت استدعاء أحدهم على وجه الخصوص، فكان ابن الشيخ الليبي، الذي يمتدح أنه أبرز أعضاء القاعدة المعتقلين لدى الأمريكيين، ولم يكن إحصاءه، يمثل مشكلة لهم، إذ كانوا يرغمون أنه أدار معسكرات لقاعدة في أفغانستان بين تنقيبات، فأردتهم أن يسألوه عما إذا كان يعرفني، أو ما إذا كنت قد رزت معسكراته أو دريت - أو دريت - هناك. أو ما إذا كنت قد موثقتها، أو جددت مقائلي لحسابها كما كانوا يرغمون

دور ممثلي الشخصي اسمه، مؤكداً على إحصاءه إن كان في عوانتنامو

عقبت، قائلاً: «أعتقد جارماً أنه معجزة الأمريكيين، فقد تناقلت وسائل الإعلام كلها أسماء اعتقاله في شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 2001، وأذكر كذلك أنهم خاطبوني في باغرام فائلي (مارس ابن الشيخ الليبي الألاعيب ذاتها التي قمت بها، وقد أرسلناه إلى القاهرة، فتحدث هناك في غضون ساعتين، وستعمل الأمر ذاته).

أبرز الممثل لشخصي، هي ريارته الثابتة، سمعة عن إعادة معتقل وصورته، فكانت الصورة الآتية مدونة اسمها، لم أر أنا محمد نور، هذا الشخص معظم بهج، أو التقيته أبداً

عفت، قائلاً: «هذا غريب حق، فلم أره إلا مرة واحدة في إحدى لصور ولكن هذا الشخص ليس بابن الشيخ الليبي أهتم من اسمه أنه باكستاني، أو أفندي، أحبرني الممثل الشخصي أن محمد نور كان يرفض التحدث أو إعطاء أي إفادة، فبدأ الرجل فجوراً بأنه استطاع اشراق تلك الإفادة منه، وإطلاعي عليها، فعاطيته قائلاً: «ليس هو من قصده»

عقب، قائلاً: «هذا جيد بالنسبة لك، ليس كذلك؟»

أحسنته قائلاً: «لا أدري ربما كان كذلك، ولكنني لم أطلب إفادة هذا الشخص فهل يعرف بابن الشيخ؟»

اجابني، قائلا «لا اعلم، ولكنه من مصحوني بمقابلته» فكرت، قائلا لنفسي «ها هو ذا سمير الجماعة اليهم ثانية، وتملكني ما هو غريب من المشاعر، وقد عجزت عن تبيان ما إذا كان ذلك ناجما عن خطأ ما، أو أنهم أرادوا إخفاء حقيقة معرفتهم بمكان اللبيي».

طلبت كذلك باستدعاء لائحة من الأشخاص الموجودين في بريطانيا، وبباكستان، للإدلاء بشهاداتهم حول ما كنت أقوم به بالتعهد في أفغانستان، وما إذا كانوا يعلمون بارتباطي بالماعدة، أو الطالبان، وما إذا كنت قد قاتلت في الحطوط الامامية أو تعرضت في أي من الأعمال العدائية، وكنت واثقا من أنهم سيدلون بما هو وصح من الشهادات لصالحي.

حضر ممثلي الشخصي مرتين أو ثلاث آخر، وقد كان يحاول - كما فهمت - الحصول على ما أمكنه من إشارات، والاتصال بسوي العلاقة من الأشخاص، فعاجلني قائلا «نمكنا من الوصول إلى الأسماء التي قدمتها لنا».

شمرت براحة كبيرة بالطبع حين أخبرني بذلك لأنني لاحقا أنه لم يكن سوى هراء، وبسبب ذلك عما إذا كان الرجل يكذب علي، أو أنهم عرروا به فهم يصلوا، هي الواقع، إلى أي من الأسماء، إذ تعمل أكثر الأشياء سحرا في قوله إنه كان عاجزا عن تحديد مكان ولدي، الذي كنت أعلم علم اليقين أنه كان موجود في منزله في بيرمنهام، ناهيك عن اتصاله الدائم بالحكومة البريطانية، فقد كان والذي أسهل من يمكنهم الوصول إليه من بين جميع من صممهم لأحتي، ليتمكثوا، مع ذلك، بطريقة أو بأخرى، من العثور على أشخاص يقطعون في مناطق غير معروفة في شمال غرب باكستان في محيم للأجانب، بلا عناوين واضحة، ولم يكن ذلك مطلقا على الإطلاق، فكيف يمكنهم أن يعبروا عن الوصول إلى والذي؟.

شمرت بالكثير من الفلق جراء ذلك، وأصعب التفكير - وحيدا في رتراتي، بعد معادرتي - بكل ما يتعلق بالحكمة العسكرية، لأبدا فيما بعد، كتابة وثيقة طعن معصلة في شرعية تلك المحكمة واحتلت تلك الوثيقة أربع عشرة صفحة، وقد رأت انور بعد مصي شهرين، في التاسع والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر.

حضر مارتن لريارتي في منتصف شهر أيلول/ سبتمبر، بعد مضي أسبوعين على زيارة عيتا، وتعمل أحد المرفقات التي تلقيتها مع رسالة عاريت في نسخة عن رسالة وزارة الخارجية إلى عائلتي، التي كانت تمصل ما تناولته زيارة مارتن في شهر تموز/ يوليو، وقد تفاجأ الرجل كثيرا، حين رأى تلك السعة، وما أشرت إليه عن أخطاء فيها على نحو خاص، بالرغم من أنها كانت صحيحة عموما، وتطرقنا إلى موضوع المحكمة العسكرية مجددا، متسلحا هذه المرة بما هو مؤثر من معلومات، إذ سألت مارتن عن وجهة نظر الحكومة البريطانية حول تلك المسألة، ليجيبني قائلا: «لا رأي لدينا في ذلك، فلم يكن جريا منه بالأساس».

عقبت، بعد أن أبررت رسالة عاريت أمامه، قائلا: «ولكن توجد لدي رسالة من محاسيني البريطانية، تقول فيها إن اللورد غولد سميث، النائب العام، وكبير مستشاري الحكومة البريطانية القانونيين، كان قد صرح بأن تلك المحاكم العسكرية المقترحة غير مقبولة بالنسبة للحكومة البريطانية، وأنه لا يجدر بي المشاركة فيها، مهما كانت الظروف».

عقب، قائلا: «أسألك عما إذا كان يساء استخدام كلمة «محكمة» هنا بصورة متعمدة، أو أن محاميتك ربما كانت تشير إلى اللجنة العسكرية؟ اعتقد أن اللورد غولد سميث كان يعني لجنة عسكرية في قوله، فهم يبد أي ملاحظات حول المحكمة».

عقبت، قائلا: «ولكن المحكمة هي وسيلة لتطبيق القانون ما يعني اصطلاحا أنها تصدر الأحكام، كما أذكر من دراستي لنقانون، بأهلك عن ضرورة إدارتها من قبل ثلاثة قضاة».

عقب أحد الأمريكيين، قائلا: «لما مستشارين قانونيين يا معظم، كما أخبرناك من قبل، وستال مرستك لقول كل ما نود في المحكمة...».

عقبت، قائلا: «تعني المحكمة الصورية الطائلة، إذ تقول الوثيقة إنه لا يحق لي الاطلاع على القسم المصري من «الشرح الواقعي لأسباب الاعتقال» ولن أتمكن من تقييد تلك المراجع، هيكنهكم رسمي التهم جريما، كما نشاؤون، هي تلك الحالة،

كيف يمكن للعيش الأمريكي. بحق السماء. أن يسمح للشهود بحضور المحكمة. وهو الذي يصفي من رؤية أي إنسان آخر. باستثناء ممثلي الشخصي، طيلة سنتين كاملتين؟ وكيف يمكن للشهود. القادمين من أنحاء مختلفة من العالم. أن يدخلوا هذا المكان. بهما تمنع فيه الريدرات العائلية؟

عقب الأمريكي. قائلا. لا تملك إجابات عن كل الأسئلة المتعلقة بعمليات المحكمة. ولكنني أؤكد لك أنها ستكون عادلة.

علبت. قائلا. أم. بالتأكيد ستكون كذلك وتبدو من الآن محسنة للعناية الملطفة.

قررت أن أكتب بيانا إلى القضاة بالرغم من المشاعر السلبية التي تملكني حيال المسألة برمتها وما اغتراسي من شك فيما يحمله القائمون عليها من دوافع حميدة. فما أمكروا يحاطبوني هائلين. سيصرص كل ما تكتنه. أو نود قوله. أمام لقضاة. اكتب ما تشاء. واطلب شهودك وما تحتاج من وثائق.

خاطبني مارش قائلا. «ستمضي المحكمة قدما. وإن لم تشارك بها. أو تحضر جلساتها».

كان مارش لطيفا في العادة. كما لحظت في زيارته المتعددة. وإن لمست فيه شيئا من الدهاء وحب العصفول أحيانا فلم يكن سيئا أو حاقدا. بل بالأحرى كان حذرا للغاية. يراقب كل ما يقوله بدقة. إذ كان من الواضح بالنسبة لي أن موقعه لم يكن من السهولة يمكن.

كان قد سأني. قبل أن يبدأ حديثا قائلا. «هل تشعر بالارتياح لتحدث إلي. في وجود الأمريكيين؟».

أحبته مدركا ما سأسببه له من حرج قائلا. «حسا. هل تفعل انت؟».

تطرق. بعد الحوص في مسألة المحكمة العسكرية. إلى الحديث عن الكريكت. والرياضة وغيرها من الأمور التي لم أكن مهتما بها. فلم يكن مدركا أنني حاذي الوفاص. عن أقل تقدير واحصر هي تلك الزيارة مجلة «ناشيونال جيوغرافيك».

وبعد من أحجيات الكلمات المتقاطعة، ولوحا من شوكلانة «توكس»، تمثل أفضل ما كان في جعبته بوفرة من الرسائل، على النقيض من ريارته الكتيبة في شهر أبول/ سبتمبر من عام 2003، التي لم يسلمني خلالها أي رسالة. فما تمكنت أسأل عن تلك الرسائل عدة أشهر لاحقة، دون أن أحضر بأي تفسير.

يسلمني مارتن، الرسائل ببعضه هذه المرة علاوة على البطاقات البريدية، والصور، ورسوم الأطفال، فسعدت للغاية بالحصول عليها إذ أحبرني ريمب أنها ابتازت فحصر القيادة بمجاح وإن حطمت سيارتها نتيجة حادث مروري فهما بعد فقد اصطدمت سيارتها بحافلة أشاء وحوادث الأطفال برهنتها، وحضيت فراقه السطر الآتي، حوها من أن يتصمر عبارة «إصابات بالغة»، أو ما هو أسوأ، ولكن كانت، لحمد لله، بسيطة، دون أن ينصرفوا لما يذكر من أدى، فما انعكت الهوجم تنديسي مع ذلك «ماد» لو أصاب مكروه أيا من أفراد عائلتي؟، لو تعرض أطفال، أو والدي، أو زوجي - لا قدر الله - لأي أدى، هي أي وقت كان؟، هل سيعمي لأمركيون ذلك عني؟ هل سيطلقون سراحي بالنسبة يا ترى؟ لا على لأرحح، فلم يكن التعاطف مدرجا ضمن أدبيات الحياة العسكرية، باهيك عن التعاصي عن انقوابين وفئت لأشهر طوان عصبية أن رسائل شهر أبول/ سبتمبر كانت قد عنيت عني لذلك لسيب تحديدا

كثيراً ما كتبت إلى والدي، صائلا عن شقيقه وشقيقته، اللذين تكملتا برعايتي بعد رحيل أمي، دون أن يذكر عنهما شيئا بالمثل، فتمبرت على الدوام أن شيئا ما لم يكن على ما يرام (علمت - بعد مصي عام كامل يوم عدت إلى منزل - برحيمهما عن والدي لمجوع هي أشاء مدة عيالي)

استعدت ثقتي، وأملتي في الحياة مجدداً، بعد تلقي كل هذا الكم من الرسائل شي أحصرها مارتن، بكل ما تحويه من كلمات مبهمة، ورسوم طموليه حميلة، فشعرت بقدر كبير من القوة، وكنت على أهبة الاستعداد لحوص الحولة القادمة، ومعالجة التحدي لدي كان ينتظري إلى من الناحية القابولية، أو العاطمية

حاصبت مارش، في نهاية المطاف، قائلاً: «دعني أحبك يا مارت، قبل أن
تفادروا. اسمي لا أمل تعصية شهر رمضان المقبل هي التحسن الانفرادي، إذ يعمل
دك الشهر مناسبة خاصة باسمه لما مناسبة تعصيتها مجتمعية، وهو ما
حرمت منه مستين تقريباً»

أوما: لرحل براسه، دون أن ينس بست شعة

تلقيت بعد مصي بصفة أيدم، زيارة من محامية الصليب الأحمر، حبيبة
انقانون الدولي السويسرية بريدجيت، فتحدثنا حول المحكمة العسكرية معبرا
لها عن قسعتي بأن قرار المحكمة العليا - الذي كان يصب في مصلحتنا كما هو
معتزم - لم يكن يعني شيئا بالنظر إلى استخدام الرئيس الأمريكي صلاحياته
الانتصديدية صمداً، وبم تكرر الامكانية العلية لمثلنا أمام المحكمة و ردة على
الإطلاق بالرغم من امتلاكنا الحق في أن يتم الاستماع إليها^٥

تحدثت عينا هي إحدى مرات، قائلة: إن الحكومة كانت ترددي المحكمة لعيا
بوضوح دون وجود آلية لسعيد قرار المحكمة العليا، وأزعجتني بريدجيت كثيراً،
بعد أن تناقشت حول الأمر، حين قالت إنها «لا تزال تؤمن بذلك النظام» هم أكد
استدق ما سمعت. بالنظر إلى أنها كانت محامية سويسرية، وهل كانت على ذلك
القدر من لسداحة يا ترى؟، أو أنها كانت تحاول مقاربة عو تناامو بما شهدته
في مناطق أخرى من العالم، كغواتيمالا، أو سيريلانكا؟.

كنت مؤدبا للعبة، حين خاطبتها، قائلاً: «ما رأيك بمقاربة عو تناامو بالعالم
القريب، أو أمريكا ذاتها؟».

^٥ قام أفراد عدة مجموعات، بمن فيها معارزو فيتنام وحرب الخليج القدامى وقصاة
ومسؤولون عسكريون كبار وشخصيات بارزة في هيئة الصليب الأحمر بالكتابة إلى حكومة
الولايات المتحدة، كمستشارين عجليين - وإن صب ذلك في صالحنا - مصدرين إياها من
معية تجاهل قوايسها الخاصة (المولم)

فتمت أنطلع، بشيء من اللوعة، إلى ريارات ففست المصلحة، وعبره من أعضاء هيئة لصيب لأحمر، وأحببت متابعة ما كانوا يقومون به حول العالم، ونكسي لم انظر إليهم إلا كمساة بريد فحريين، بالنظر إلى أن كل ما يحصروه كان يتمثل في الرسائل فقد كنت أعلم أن منظماتهم تعمل بقوة من قبل الولايات المتحدة، فلم يكونوا حيانيين بالقدر الذي ظنته

لم تتمكن بريد حيت أو عينا، بالرغم من انتهاءها المحاماة، من استيعاب الأثر الناتج عن بعض المدارس غير القانونية بعقي، فقد حصر الحراس إلى رنراتي، على سبيل المثال، صبيحة أحد الأيام، هي أواخر شهر أيلول / سبتمبر، لطلبوا من الاستعداد لمقاهم إلى المحكمة بالنظر إلى أن جلستي قد حات، بينما كان معني الشخص قد أحبرني أنه سيعود لرؤيتي بعد يومين، أو نحو ذلك

حاملت الحر من، قائلًا: «لا يمكن أن يعقل ذلك ثم سهر أي شيء بعد، ولم انمى من إتمام ما أود تقديمه إلى المحكمة، فلا يزال ينبغي عليه الحصول على ردود من طلبتهم من لشهود، ولا يعقل ذلك أبداً، فمكرت مع ذلك، فهما بعد، قائلًا لمسي «بل يعقل تماماً هذا ما يعترض أن تسير الأمور وهفه، وفي مثل هذا تكون المحكمة صورية ظالمة،

حاملتهم، قائلًا «حسناً صأتي معكم»

كلوني كالعادة، قبل أن يصعوبي هي العربة، ويتحركوا بها قليلاً، ليكتشفوا أن الجلسة أجلت، ويعيدوني إلى البراية مجدداً، وقد شجعت ذلك بالأعنى الذي بقود غيره من العميان (كنت بالعمل ارتدي نظارات قاتمة هي حية)، لم يعرف أي من الجنود ما كان يجري، إذ كانوا قد تلقوا مكالمات هاتمية، لا أكثر، من أحدهم، يجب أن يحضر إلى المحكمة اليوم»

اعتبرت الأمر ناتجا عن خطأ ما، عوضاً عن أن يكون متعمداً، كما أهمل عادة، واعتصمت أنهم حددوا موعداً أبكر لجلستي، وأنهم أجلوها بعد أن اعتصمت أمام الحراس على ذلك.

كنت متوتراً للغاية في تلك المدة. إذ لم يكن من الحيد أن تتلاشى آمال امرأة العريضة نتيجة التعقيدات القانونية. فقد كنت لا أزال ألتقي زيارات دورية من الطليعة المسية، الدكتور في مسائل إياها على الدوام - علاوة على اصابت عريب الأطوار الذي كان يتفقد ربراتي - تمكيني من التواصل مع سجناء آخرين، أو رجل دين مسلم، فلم أر أيا من المسلمين طيلة سنتين، وقد أثر ذلك في كثير، وازدادت حدة موهبي تجاه الجيش الأمريكي بصورة عامة، بالرغم من توافقي مع معظم الحدود على الصعيد الشخصي، فلم يدور أي مما يشير إلى تلك العلاقات الجيدة في السجل.

أصبحت أتمثل مشكلة بالنسبة للمؤسسة العسكرية الأمريكية، إذ كنت أكتب رسائل قوية للغاية حول معدني مهددا بمقاضاتهم في المستقبل، وصرحت في بعض الحراس، كذلك بسبب أشياء تافهة سيئة ليدوبوا ذلك في سجلهم، فعاء أحد لحر من الحدود الذين يجهلون هويتي، إلى الربرة في إحدى المرات، بعد أن رأسي تناول قطعة من العاكهة بالرغم من انتهاء الوقت المخصص لإفطاري، ليطالبي تسليمه إنها كان معسكر الصدى يحوي مجموعتين من السجناء في حبه ستة - كنت أحدهم - ممن يمتنع أن يحاكموا أمام اللجان العسكرية، بعد أن أمضوا وقتاً طويلاً هناك، وعيرهم ممن أحضروا إلى هذا لأسباب تافهة، افترض الحارس أنني كنت أتبع المجموعة الثانية، وكانت القواعد المطبقة على أفرادها تختلف كثيراً، وثموق مثيلاتها تافهة، وصرامة.

وجد ذلك الحارس، الملقب «بالدبية»، بالنظر إلى قدومه من وحدة عربات مدرعة شيئاً من المتعة في مطالتي بتسليمه قطعة العاكهة، واستمتعت كذلك بمطالبته الدخول إلى الربرة، وأحدها بعسه، لأنني لم أكن أتوي تسليمه إياها أبداً، ومضى الحارس في إلحاحه، لأفقد أعصابي فيما بعد، وبدأت أطلق السباب بحقه، ناعنا إياه بالجبان الأحمق.

صرحت فيه، قائلاً: «لا بد أنك سمعت دماغك، أيها الحدي، لجلوسك بقوة على ذلك الكرسي».

جلس بدون كل ذلك بمسألة هي السجل «معتني المعتقل بالحبس الأحمق. قائلا إنني سحقت دماغي نتيجة الجلوس بقوة على مؤخرتي». كان أحد الجنود الآخرين قد تلا ذلك علي من السجل فيما بعد.

استمرت حملة الصراح هي الحندي، فحاطبته، قائلا إنني كنت عاجزا عن سماعه، حين قال شيئا ما لآسي كنت أصرخ بصوت عال، وطالبته بإرسال سراله كي أتمكن من سماعه جيدا، دون الحارس ذلك أيضا في السجل، وحصر أحد الجنود في نهاية المطاف، ليحبره آسي لم أكن من المعتقلين في المسكر لأسباب تاديبية، وأن الأمر احتلظ عليه، فمات الحندي الرمزية حاقا.

أصبحني الموقف فيما بعد، وإن كنت راعيا هي دحولة الرمزية بشدة، حين كنت أصرخ فيه هربا كنت لأرميه بقطعة العاكهة، لا أكثر، ولكنه لم يكن ليحاطر بالاقتراب مني كثيرا وقد مثلت تلك إحدى لحظات التعبير عما كان يصيبني من إحباط شديد، وكنت قد عنقت أمالا عريضة على قرار المحكمة العليا، لتتلاشى حميها حراء موقف الحكومة الأمريكية.

أحدث أطلع على بعض ما حلته عينا من وثائق قانونية، بما فيها تلك المتعلقة بالعصبة الرئيسة «رسول صد بوش» التي عرضت على المحكمة العليا

أطعت كذلك على القضية المثيرة للصابية، «حوسون صد ايزنتريمر»، السابقة التي استعملت من قبل حكومة الولايات المتحدة لإنكار حقوقا، وتنبور أحداث تلك القضية - إبان الحرب العالمية الثانية - حول اعتقال مئة جنود ألماني في الصين، وتسليمهم إلى الولايات المتحدة، التي كانت تملك قاعدة عسكرية في شينهاي، وقد حرم أولئك جنود من أي حقوق قانونية، بالنظر إلى أن تلك القاعدة لم تكن موحودة على أرض خاضعة للسيادة الأمريكية، فعمل محامو الحكومة على ربط تلك الحالة بما يحدث في خليج غوانتانامو، مجادلين على أن الولايات المتحدة لم تكن تملك السيادة عليه باعتبارها أرضا مستأجرة من كوبا، وذلك ما يعني عدم تطبيق القوانين الأمريكية عينا، إذ كنا نعتبر أعداء أحاس، ومحاربين للولايات المتحدة.

كانت المحاذلات التي نصب هي صالحتنا مؤثرة للغاية أيضا، كما بدا لي، حين طمعت عليها، وتمثلت إحداها في اقتراض ارتكاب أي من الصالحات الأحاسيس الموحدين على أرض الجزيرة، من الفلبين، أو جامايكا على سبيل المثال، جريمة ما، ومثولهم أمام المحكمة، وتمثل الصارق هي أنها كما هد أحضرنا إلى الحرية بالقوة واعتبرنا أعداء للولايات المتحدة. حادل محامونا كذلك على أن لولايات المتحدة، وقد امتلكت السلطة الكاملة على الجزيرة، طيلة المئة سنة الماضية، بالرغم من أنها لم تكن واقعة ضمن سيادتها، ويمتدح خليج غوانتانامو، فعلى بمثابة بلدة أمريكية كبيرة، بكل ما تتضمنه من مظاهر الحياة المحتملة، وحادل أحد المحامين على أن أهاعي الأعوانا كانت نصف ضمن الأنواع المحمية بالقوانين التي تحدد ما هو مباح ومحظور فيما يتعلق بالتعامل معها على أرض الحرية. نلحرم نحن البشر من تلك القوانين، وأعصت بتلك الحقبة كثيرا.

أزاد شموري بالأحباط، مع اقتراب حلول شهر رمضان المبارك، بهيك عما تملكني من حيرة وقلق بعد الاطلاع على كل تلك المحاذلات القانونية، بين أحد ورد مطالبت كل من رابت بوصفي مع معتقلين آخرين، إذ كان رمضان القادم سيصبح رمضان الثالث، الذي يمر عليّ في الأسر، وقد عجزت عن التفكير في ذلك، فلم أكن أتخيل على الإطلاق، حين مر الأول علي، أن أمضي اثنين آخرين بعيدا عن عائلتي.

عرا الكثير من الناس، بمن فيهم مارتن، مبعوث وزارة الخارجية ومحامي دايبيد هيكس، ومحامي سليم حمدان، الفصل إلى أنفسهم فيما حدث لاحقا.

حضر الحراس إلى زمراتي، عشية حلول شهر رمضان المبارك، في الخامس عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2004، طالين مني حرم أعراضي، استعدادا للمعاصرة



-12-

إيقاع الأسلاك الشائكة

حضر الحرم إلى زيارتي في العاشرة مساءً، بينما كنت أحرم أغراضي عند سائلي أحد الحراس القيام بذلك في المربع الأول من الليل، ووصمت كل ما كان يهورتني من أعراض - وثائق غيتا القابولية هي معظمها - في صندوق، بعد أن سحبها الحراس جميعاً، ولم أكن أشعر أن الأمر يقتصر على مجرد تبديل رتابة، فما عساه يكون يا ترى؟ لم ارد تعميق مريد من الآمال على ذلك، إذ ساد الهرج ومرح حول الرتابة، وقد تمكنت من سماع أصوات من انتهت بوابات حراستهم، وهم لا يزالون في الحوار، على غير المعتاد

دخل الحراس لزيارة، قبل أن يقيدوني، ويلبسوني النظارات القاتمة، تمهيداً لافتيدي إلى العربة التي لم تتحرك مسافة كبيرة، ولكنني أحسست، خلال بضع دقائق تلك، أنني لم أكن الوحيد برفقة الحراس، فقد كان هنالك معتقل ثان في العربة، يجلس في الجانب الآخر.

افتادني الحراس، يحيطون بي من الجانبين، خارج العربة، فما ابتكت الأعلال تصطب بكاحلي أثناء الحركة، ومثينا قليلاً، قبل أن يتوقف، لأسمع صوت بوابة تفتح، وتكرر الأمر ذاته مجدداً، فقد كنت أعرف أنها بوابات للحراسة، فشعرت أنني أسير في الهواء الطلق، وقد كان ذلك محتملاً للماية عن المرات التي نقلت فيها إلى المستشفي، أو عرف الاستجواب، إذ أحسست بالهواء يلمح وجهي، حيث كان صوت المراوح قويا للماية، تملأ المكان صعباً بأريرها في الاتجاهات كافة، وتمكنت من سماع أصوات بعيدة، دون تمييز اللغة التي كانت تتحدث بها، فعلمت أنه معسكر دلتا لا ريب، المعسكر الرئيسي، دون أن تعمرتي السماعة جراء ذلك، لمعرفتي بوجود أقسام متعددة فيه، يصوق بمصها الأخر سواً

بلغنا سلما من حمص، أو ست درجات، لهنطة، وكانت الأعمال تصمطك
بالأرضية المعدنية أثناء مسيرنا. قنع الحراس بطارتي القنعة، هبما بعد،
وسداتي أنني لأرى الأفعاص، لا شيء سواها، تحيط بي في كل مكان، وتمثل
أول ما تبادر إلى ذهني هي أوحرة الكلاب. تذكرت هي تلك اللحظة حين ذهبت
برهقة والدي وأخي، لاقتناء كلب الحراسة الأناسي، شيبا، من أحد المحلات في
بيرمسها، حين كنت هي العاشرة من العمر، فقد كان المشهدان متشابهين تماما،
باستثناء أن تلك الأفعاص كانت حصراء اللون.

كنا قلبي يسقط بين أصلمي، وبدا المكان أكثر سوءا من الذي كنت موجود
فيه فقد اقتادني الحراس عبر سلسلة من لأفعاص التي كانت هي المنتصف
تماما ليصمطوني هي أحدها وبرعوا الأصماد عني، قبل أن أحس في البرابة
حائرا من أمري، إذ لم أتمكن من رؤية أحد هناك، عاجزا عن تصديق ما يحدث
لي أو فهم السبب الكامل وراء إحصاري إلى هنا، وكان القمص يصغر مثله في
معسكر الصدى، بحيث لم أتمكن من السير فيه إلا بما يعادل الحطوثين
والنصف، عوضا عن ثلاث هناك. واحتوى القمص على سرير معدني كالذي كان
موجودا في معسكر الصدى، وقد وضعت حسييرتي عليه، وأحضر الحراس
صندوقتي، ليحتموا، ويسجلوا كل ما كان فيه، قبل تسليمه إلي هبما بعد.

كان الجو حارا للغاية، وكانت غرعتي في معسكر الصدى تحوي مكبنا للهواء،
فتعبر علي الآن التأقلم مع حر عواثادمو القنائط، وحلست في مكاسي، لا أكثر،
أشعر بدوار في رأسي، بأهيك عما أصابني من اكتئاب شديد، فشعرت برغبة
حقيقية في البكاء هي تلك اللحظة.

حاطني أحد الحراس الذين قدموا برفقتي، هبما بعد، قائلا «لا تقلق،
سكون برهقتك هنا، فقد تم تكليمنا بالبقاء معكم جميعا، فشعرت بمساعدة عامرة
لسماع عبارة «معكم جميعا» وأدركت في تلك اللحظة أنني لن أكون الوحيد هنا.

سمعت، بعد مصي مدة قصيرة، صوت سلاسل أخرى تصطك بالأرضية
بعسدية، فعلمت أن أحد المعتقلين كان ينقل من إحدى البراري المجاورة، أو إليها،
وقد مر أحدهم بجانب زيرتي، ولكنني لم أستدر لرؤيته، بسبب ما كان يصيبي
من دور، فصيح لحرمان أحد الأقماس، بحلول الوقت الذي أدركت فيه ما كان
يجري، ليسحو المعتقل في الزبارة رقم ثلاثة، البعيدة عني

كنت قد جنمت بجاري في معسكر الصدى، في الليلة السابقة لمعادوني إياه،
تمثلاً برح أسود ليشرة وكان لحلم مطيعاً في ذاكرتي، لدرجة شعرت معها،
وكاسي رايت هيرور بالمثل، هتمين علي النظر عبر بصعة أقماس لرؤيته بوصوح،
ولم أتمكن من ذلك بسبب الشباك المحيطة بتلك الأقماس فقد استطعت تمييز
وجهه بصورة عامة،

حينئذ، بعد أن أزلوا أصفاده أخيراً قائلاً: «السلام عليكم».

رد هيرور علي السلام ليساسي بسرعة عادية للعاية قائلاً: «أه، أهوانت
يا معظّم؟»

أجبت، قائلاً: «نعم».

عقب قائلاً: «أه، حسب لا تمدو كما تعيلت، أنت أقصر كثيراً مما طست».

عقب، قائلاً: «شكراً لك».

كان ذلك عرساً للعاية فقد قابلت أخيراً زميلي الذي لم ره مدة سنتين
كامنتين وشعرت كاسي أعرف الكثير عنه مما كان يقوله الثرثارون من الحراس،
لا أكثر إذ كانوا قد وصوه شكل جيد عموماً

ففتح باب الزبارة الواقعة أمام زيراتي، إلى اليمن منها بعد مصي بصع
دقائق. لأسمع صوت ارتطام السلاسل بالأرضية، عذلت المعتقل الجديد التحية،
دور أن نتحدث معاً، وتبين لي فيما بعد أنه كان عشعان الحربي، الذي أعلن
انتميه إلى القاعدة صراحة.

كان هنالك صباح بلاستيكي أحضر بيبي وببي المعتقل الذي عن يميني، فكانوا قد وضعوه داخل الربرة ذاتها. كيلا أتمكن من رؤية من كان يجاورني، وانعكس بالعكس. وقد كان سليم حمدان، الذي التقيته، وحادثته همسا في المستشمن قبل عدة أشهر، من يبرل هي تلك الربرة، خلف الصباح مباشرة. فأصبح بمقدوري التحدث إليه بحرية أكبر الآن.

كان الأسترالي دايبيد هيكس، الذي لم أتمكن من رؤيته أيضا، فقد تمكنت من سماعه لا أكثر. إذ كان يبرل هي ربرة تتقدم تلك التي يقبع فيها سليم حمدان ببضع ريارين، وكان الموداسي محمد صالح القوصي يبرل هي الربرة المقابلة لهيكس. همثل جميعا سنة الأشعاص الذين نعت تسميتهم للمثول أمام اللجان العسكرية، منذ أكثر من عام خلا.

حل الصباح الباكر مع إدخال احربا الربرة المحصنة له، وإن لم يكن يعرف التوقيت على وجه الدقة، ولا اعتقد أن أيا منا مال قسما واحدا من اليوم إذ، استلقيت هي ربرتي أنامل النجوم، عبر الشباك المحيطة بها، شاعرا بالسيم العليل يلصق وجهي، كما لم أعمل منذ مدة طويلة، باستثناء الأوقات البسيطة التي كانوا يرحلونني فيها إلى ساحة التمرين وتمكنت من رؤية أبراج مرفئة مارة بمن فيها من حراس، علاوة على لأسلاك الشائكة لحدة على فم الأسبجة، فتنازعني الأفكار بشدة، عاجزا عن مصير سب اقتياد إلى هنا، لأخزم أمري هي نهاية المطاف، قائلا لنفسي «نقلونا جميعا إلى هنا، فربما من لقيادة المركبة». تمثل اللجان العسكرية العامل المشترك بيما، وربما كان ذلك يهدف إلى تسريع العملية.

كنا لا نزال جالسين، نتحدث إلى بعضنا، في الصباح الباكر، حين سمعت أدن الحجر الذي جاء أولا غير مكسرات المفكر، لأسمعه، هيما بعد، من بعض المعتقلين، وكان ذلك جميلا للغاية، بعد الانقطاع عنه مدة طويلة، وأحسست بسعادة عامرة، بعد تأدية صلاة الفجر جماعة مع المعتقلين في أول أيام شهر

ومصادر المبارك، لمشاركتهم تلك اللحظة المهيبة، هي ذلك اليوم تحديداً، دون أيام السنة كافة، وشعرت، بها يدعو للاستمرار، أن انتقالي من الحبس الانفرادي إلى حبس الجماعي - بالرغم من عدم مصاعي الأذان، أو تأدية الصلاة جماعة هيلة سنين تقريباً - يمثل تقدماً طمعياً بالنسبة لي، إذ أسهم أداء الصلاة جماعة، خمس مرات يومياً، هي تقوية ذلك الشعور بصورة تلقائية

انخذ المعتقلون قراراً جماعياً كما تبين لي بعد الاستماع إلى الأحاديث المتبادلة عبر الرابيز، صياحا برهص الأذان الذي كان الأمريكيون يشبهون عبر مكبرات الصوت، فقد ساد صياح هائل من عدم الثقة فيما كان الأمريكيون يقومون به، بما يتعلق بالشؤون الدينية على وجه الخصوص، وتولدت الفجاعة لدى المعتقلين بأن مواهبت الصلاة التي كان الأمريكيون يصنعونها لم تكن صحيحة، متعمدين القيام بذلك، أو بدفع من جهلهم، وقد كانت عبارة «الصلاة خير من النوم»، التي يشعلها أذان الصبح محسب تردد في الأذان المسجل الذي يمشه الأمريكيون خمس مرات في اليوم وكان بعض الحوود يقلدون الأذان بطريقة مسخرة للغاية وذلك ما أثار حفيظاً جميعاً، إذ كنت أسمع أصوات الصراخ من أن لأحر، وتمثل أول مطلب عاتي عن المعسكر الرئيس هي رؤية ما يقارب ست مئة معتقل هي أفعاسهم، يو جهون الحوود الأمريكيين يومياً، فيما يشبه منطقة حرب حقيقية

اعتري الشك المعتقن كذلك فيما إذ كان الطعام الذي يقدم لهم خلالنا هيك من صبة اتجاه القبلة

تمثلت أكثر المظاهر الأحادية داخل «قسم باب»، ضمن المعسكر الرئيس ذلك، في بقدرة على التوصل مع كل أولئك المعتقنين وما أمكننا متجادب أطراف الحديث منذ النوبة الأولى، لنبناقل ما يرد فيه من شخص لأحر فيما بعد، وقد أحدث نفسي، بعد عصي مدة قصيرة أقوم بالكثير من الرحمة، إلى العربية لشعار ومحمد صالح، وسليم، وإلى الإنجليزية نيكس، وهيرود

شعرت بصدمة حقيقية لعدم القدرة على الاحتلاء بنفسه، وممارسة أي من الأنشطة الداتية، عاجزاً عن كتابة الشعر كما كنت أقول هي معسكر الصدى، فلم أتمكن من نظم سوى قصيدتين لا أكثر، طيلة مدة الشهرين ونصف التي أمضيتها في قسم بابا، ياهيك عن تدني معدل ما كنت أقرأه من كتب، وأدوية من رسائل وكانت الحوارات ولفافات التي يحترط فيها مذهلة بالفعل لا من حيث محتواها فحسب بل من حيث ما حسنته من قدرة حقيقة على التواصل بعد ما يقارب ثلاث السنوات من الانقطاع عنه

دارت الكثير من حواراتنا نحن لسنة طيبة الأسبوعين الأولين على أقل تقدير، حول سبب نقلنا الجماعي وأدليت بدئوي هي الأمر قاتلاً إنه جاء نتيجة ما بدلته من جهد لإقناع البريطانيين بمساعدتي للانفعال من حبس الانمرددي، كيلا أمضي شهر رمضان وحيداً وركت ما ذهبهم للتوسط لدى الأمريكيين، وحالهم فيروز الراي، عاريد لسبب إلى محاكمتنا من هن للجان العسكرية، ونمثل رأي عثمان في أنهم صنوب عامدين كي نتحدث إلى بعضنا بعضاً، وذلك ما يمكنهم من جمع ما يحتر المحققون عنه من معلومات وقد عرا سليم السبب لنجاح محاميه العسكريين في إقناع امصيين بأن استمرر حنحاره هي الحبس الانمرددي يمكن أن يؤثر هي قدرته على المثول أمام المحكمة ولم يكن هيكس واثماً من لسب الحقيقتي وراء نقلنا ولم يكن لدى محمد صالح الكثير يقول به ذلك الصدد

لم يكن عثمان لأكثر تأثيراً في قسمنا فحسب بل في جميع عوالت سامو بأسره، وقد كانت ربراته الأقرب كذلك إلى قسم روميو، وذلك ما عزز نظريته حول تمجيد الأمريكيين أحاديثاً، وكان المعتقلون يسحبون هناك عظاماً على رفضهم التعاون مع المحققين، أو لأي من الأممبات التأديبية الأخرى

أحبرني هيكس، هي يادئ الأمر، أنه لم يكن يرغب في الانفعال إلى معسكر بابا على الإطلاق، بالنظر إلى شعوره بارتياح أكبر في معسكر لصدى، وكان ذلك يعود هي جزء منه إلى عدم إلمامه باللغة العربية، الأمر الذي أهقده ما

كنت احسن به من متعة التوصل مع الآخرين، وتمثل السبب الأهم لذلك في إعجاليه صراحة أنه لم يعد مسلماً ملتزماً، وذلك ما حرمه، على النقيض من يقيننا، مما توهبه صلاة الجماعة من راحة، وسكينة للنفس، وكان هيكس، علاوة على ذلك، ينقلني ما يعوق البقية من زيارات قانونية تتم في معسكر الصدى، إذ كان يقتاد إلى هناك عبر عملية شاقة معقدة، يرقبه الجميع، من منتقلي وحراس، وهو يسير مكيلاً بين الأقفاص

أصبح معسكر الصدى بحلول ذلك الوقت، يستخدم للزيارات القانونية بحسب وهمة، حين علمت ذلك السبب الكامن وراء وضع هالف في المرفقة التي تحوي ربرتي، في آخر أبنامي هناك، واكتشفت، علاوة على ذلك، بعد فترة قصيرة، كم كانت عملية الانقياد إلى هناك شاقة، ومرعبة، كما ذكرت أنها

استلزمت معرفة بعض بعضا، على النحو الأمثل مدة من الزمن، فلم يكن أي مني يعمل شيئاً، وختلف الأمر بالنسبة لي، وعبور بالنيظر إلى إسهام حراس معسكر الصدى في تعذيبه إلي، وكان لدينا الكثير مما نتحدث حوله، وإن اقتصر في بادئ الأمر على الحرس وتجاربا معهم كثيراً ما كنا نمر بتعارف مختلفة، بما يشبه الدهشة، مع الحارس ذاته، وقد كان عبور يكره أحد من كنت أحبهم من الحراس، وأدركت أن السبب في ذلك يعود في الغالب إلى اختلاف شخصيتهم كثيراً فعبور شكك بطبعه حذر للغاية في الكشف عن مكتوب اسمه، وإن كان منعها إنني أعتقد الحدود في تعامله معي إذ كنا نبحرط في حوارات حدية مضوية، وتجادل في بعضها بعدة أحيانا، وكانت الأيام تمضي عليه، في بعض الأحيان دون أن يطلق ساكتر من مصع كلمات وهو ما كان يطرق علي كذلك، قم بكر المرة بعد هي كثير من الأوقات، ما يمكن التحدث حوله، واتسمت حواراتنا، على النقيض من ذلك، بالمرس في بعض الأحيان، وقد مثل الإسلام نقطة رئيسة في العديد من تلك الحوارات بعض النظر عما تبدو عليه موضوعاتها من عدم ارتباط به.

تصور أحد نقاشاتنا، بمشاركة عثمان، ذات مرة، حول ابعاد قوة الإسلام، وعدم استرجاعه مكانته في العالم بعد عصور التوير والنهضة الأوروبية.

تحدثت في حينه، قائلًا، لم يتمكن من اللحاق بالغرب، في مجال التنمية منذ عهد الكيمنة عن الدولة الحديثة، وكان الباحثون الإسلاميون التقليديون، ولا يزالون - إبان أكثر مراحل ابعاداً - يترعون إلى رفض المواقف العربية تجاه العلم بالرغم من احتواء القرآن الكريم، على سبيل المثال على الآية الآتية ﴿أَوَلَمْ يَرِ الدِّينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ ووصف القرآن بذلك نظرية «الانفجار الكبير» للمرة الأولى، مورد هي الوقت ذاته الحقيقة المتمثلة في أن ثمة ضروري لوجود الكائنات كافة، وقد سمعت بعض علماء المسلمين يسبحون من هذه النظرية، لمجرد طرحها من قس غير المسلمين.

عقب ظهور قائلًا، بهم، سمعت بذلك ايضًا، ولكسي اظن ان احدي اكثر محاولات المضيعة، التي تصب في مصلحة الاسلام في يومنا هذا تتمثل بدقة في تقديره العلوم الحديثة ولا يزال القرآن الكريم، بالرغم من تدوينه قبل 1400 سنة حلت بهربط ما الواقع ويحجب الناس في عالم نحى عن فكرة اندين منذ مدة طويلة، انظر إلى نظرية «الكون المتسع» على سبيل المثال التي تمثل امدادا لنظرية «الانفجار الكبير» فلم يقل علماء هبرياء، لعلك، كهابل إن تكون يواصل التوسع نتيجة قوة الانفجار الأصلي، لا هي القرن اماضي ليستقيم لقران لكريم بقرون ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ويوجد ما لا يمكن تفسيره من أمور سيتوقف لتعدد، على سبيل المثال، في مرحلة ما، لتعكس لعملية في نهاية المطاف، متجسدة في دروتها - إن سُحِبَت قوة الحذب المغناطيسي لنكواكب والنجوم باتجاه نقطة متحدة المركز - متجسدة في دروتها بانفجار كبير داخلي، يؤدي إلى نهاية العالم ربما فقد قال لسي محمد ﷺ إن العالم لن ينتهي حتى «تطلع الشمس من مغربها»، ولو حدثت تلك العملية المعكوسة بالفعل - كمجرد فكرة لا أكثر - فيمكن أن تؤدي إلى دوران الأرض في الاتجاه المعاكس، بعد تباطؤ ملحوظ للعجلة

عقبت، ظن عسي أن الصواب حاسبه، قائلا، ولكن ألا يعني ذلك أن تتوقف الأرض عن الدوران بالفعل؟ وحتى عند حدوث ذلك، ألن يسبح جميعها بعيداً عن سطح الأرض نتيجة فقد انجاذبية بسبب تشتت القوة الجاذبة؟

عقب قائلا، لا تنتج لجاذبيته عن لحركة يا معظم، بل تناسب مع الكتلة. فكلما كبرت الكتلة، كلما اردت قوة جديده.

عقبت، بعد أن شعرت بشيء من العبداء قائلا، لعلنا ظنننا أن قوة جذب الأرض لنا تنتج عن دورانها حول محورها، وأنا يمكن أن يسبح هي الهواء نتيجة زوال تأثيرها.

عقب، قائلا، يمكن أن يسبح هي الهواء إن زال تأثير تلك القوة بصورة مفاجئة، ولكن ذلك يعود إلى قوانين الحركة، لا الجاذبية، فقد كتب أينشتاين بوصف عن تعريف الجاذبية واستبدلها إلى انكسار.

عقبت قائلا، وردت الآية الآتية، علاوة على ما سبق، هي سورة لدرجات ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ وكان الأوربيون العربيون يعتقدون أن الأرض مسطحة حتى القرن السابع عشر بالرغم من أن الحديث عن كرويتها كان قد أثير منذ مدة طويلة دون أن يفتنصر على القرآن الكريم، إذ قام الجغرافي الهولندي ايراتوستينس بحساب محيط الأرض ضمن حجمين ميلاً من حجمها العملي هي سنة 200 قبل الميلاد وقال لعالم الأندلسي ابن حزم، علاوة على ذلك قبل ما يقارب ألف العام إن كل من يعتقد بتسطح الأرض، فهو صرند لرفضه الآية القرآنية الصريحة.

دلت أحاديث الأخرى حول فهم القرآن الكريم لسرة، و لتصليم بوجود ما يمكن أن يصورها حجم، والتأكيد على أن دوران الإلكترونات حول نوى الذرات يفسر مظهر آخر من مظاهر خلق الله لتكون، كما يحدث تماماً عند دوران الأرض حول الشمس، أو طواف الحجاج حول الكعبة.

أحبري هيرور أنه اعتنق الإسلام بعد البحث في التوير البودي، إذ كان قد قرر التوجه إلى اليابان سيرا على الأقدام، وقادته رحلته نحو سويسرا، حيث انتقى رجلاً حدثه عن الإسلام، الذي كان هيرور يعلم، في موقع أنه يمثل جزءاً من تراث عائلته، وإن لم يعرف عنه الكثير، فذهب ذلك إلى العودة إلى إنجلترا، دون أن يحسم من تمطشه إلى الممرعة، وعاد بريطانيا مجدداً في العام 2000 ليريد معرفته بالإسلام عبر العيش في بلد مسلم، فاصطدمت توقعاته، للأسف الشديد - كما هو الحال مع العديد من المثاليين الشباب الذين يتحولون، أو يرجعون إلى الإسلام - مع واقع الحياة في العالم الثالث، وقد كان حديث النبي ﷺ ولا فصل لعربي على أصح، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، حديثاً معروفًا لمعظم المسلمين، ويجب التمسك إلى عون أريضة على نحو الخصوص كما هو الحال مع هيرور الذي اكتشف أن التحول لا يعرف ديناً، أو عرقاً، أو بلداً

صاع الكثير من أولئك المثاليين عبر عيهم هيرور، وأب، هي تفاصيل الحياة اليومية، وواقعها في العالم الثالث لم كانت الضلعية، والقومية، والعرقية نصرت أطباها في المجتمع المسلم، بينما كانت مقبلة، متعاقبة مع نمط الحياة الذي كنا نعيشه، لم، مع كل التأكيد على الأخلاقيات، والاستقامة، والنزاهة، كان العالم الإسلامي يعج بالمسادة لم بدت الحياة هناك ناعمة، لا ممس لها هي كثير من الأوقات، بالمقارنة مع نظيرتها في الدول العربية، لم يستمر العالم الإسلامي في الانحدار منذ ثلاثة القرون الماضية، لم يهجم على الدوام، ويؤلمس، ويس بالترعم من سعيه الحديث لتقليد العرب.

لم تنارعني تلك الأفكار، وهيرور فحسب، بل وعثمان، الذي أحد يشارك بقوة في حواراتنا.

كان هيرور مكتئباً دائماً، قائماً للعناية بالعيش في عالمه لصغير، والتعامل مع الأمور بمسعية مصرطة، فقد كان محتجراً، قبل الصدى، هي معسكر، إكس - راي، الذي كان بعد الأسوأ في غوانتانامو، حيث وقعت بعض من أشد الانتهاكات سوءاً، إذ كان من بين أوائل الذين تم جلبهم إلى غوانتانامو، وقد سمعت منه

بعضاً من تلك القصص المروعة للمرة الأولى. فكنت أمرض بالعمل شجعة لذلك، وكنت أنظر إلى معاملة معظم المعتقلين، ومشاعرههم تجاه غوثنا مو. على ضوء تجزيتي الهائلة بسببها مع الحراس هناك، وكانت قصة جمعة لبحريسي مريمه على وجه الخصوص. إذ دخل أفراد «هوة» التدخل السريع، وبراثة في إحدى البساتين، ليبرموه على الأرض، رغم تقيده بالوصمية التي طالبيه بالنعاه. قبل تحميم وجهه، عبر صريره بالأرض مراراً وعطت دماؤه أرحاء المكان كافة، ودُكرت قصص أخرى كيف عسر وجه أحد المعتقلين بدم الحشم خلال أحد الاستجوابات، علاوة على عواء آخر من قبل محففة، جلست على حجره بينما حاول إيمانها جاهدًا.

قابل فيروز بعضاً من أفراد مجموعتنا من قبل، وقد كان عثمان، وهيكس، ومحمد صالح محتجزين برهقته في معسكر «إكس - بي». فكانوا يعتبرون معربين بالمقاربة معي وبدأت بعد مصي مدة قصيرة. أنطرد مع عثمان في معظم أحاديثي، إذ كان الكثير مما يدور فيها مع هيكس يتم في المساء، حيث يكون الجميع تقريباً فيما هم، يمكنه من المشاركة فيها.

ختلف الأمر، خلال لشهر الأول شهر رمضان، حيث كان معظم المعتقلين يسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل بالنظر إلى ما يميزه من أحواء خاصة، ويحدثون إلى بعضهم بعضاً. وقد سمعت هذا الشهر الفصيل حميف، حلاً فيكس، وكان رمضان هذا العام هريد بالعمل، وثريما أحد أعزل شهر الصوم التي أمصيتها هي حديثي فلا يمكن سبيل أحواله الروحية أو البهجة التي كانت نعم نفوس الجميع خلاله. بائرع مما كنا نمر به من ظروف استثنائية ويصعب علي بالعمل نفس تلك الصورة لم لم بعشها، وتعتلت أكثر أوجه استعة هي أداء الصلاة جماعة لا سيما صلاة التراويح، المميزة لذلك الشهر لفصيل، إذ كان معظم المعتقلين يؤدونها مع كل ما كانت تتسم به من طول، فكان الصعب المتأد الناتج عن أصوات الأحاديث المربعة، والصرجات التي تتردد عبر أقسام المعتقل

يسوق ليحل محله صوت عذب، يترتل الآيات القرآنية الكريمة، وكان الدمع يتفرق في عيني عند سماعه، فمن يري ما كان يشعر به مئات المعتقلين الآخرين، أو يستذكرونه، أو يتأملونه في تلك اللحظة، كما كنت أهمل؟ وكنت واثقا من امر واحد، لا ثاني له كان لكل منهم ما يدفعه من أسباب لبكاء، وقد كان لنحن حلاوته بصورة أو بأخرى.

يمسك المسلمون عن الأكل، والشرب، والعلاقات الحسية، طيلة شهر رمضان من أجله حتى لمسح، مع التأكيد على عدم لإساءة إلى الآخرين، أو ارتكاب المعاصي ويجسد ذلك الشهر ما به من عيب للإسلام من مساعدة للمحتاج، وإحسان للآخرين وكرم لهم. مع ما ينصه من طقوس عبادة إضافية إذ تغير مواقيت تناول الطعام في شهر رمضان من ثلاث وجبات في اليوم، كما المعتاد، إلى اثنين، المسحور، قبل حلول لجمهر والإفطار، بعد مغيب الشمس، وقد فهم الأمريكيون ذلك بحلول تلك لمدة يتقدموا له بصبح ثمرات كي يطر عيها يومها، وكان ذوي الصيحات «هيف مريئا»، وبالعبادة، يتردد بقوة عبر أقسام المعتقلين، وكان المعتقلون يصيحون عبرها، قسم روميو على وجه الخصوص منسارين كل معتقل باسمه في قسم بابا ولم أجد أنا، أو فيروز من المناسب للقيام بذلك أو حتى رد التحية، ليهم بالحماسة ذاتها، وربما عدد ذلك، كما أخبرته إلى طبيعتنا الإنجليزية الباردة.

حاطبي أحد حرس قسم بابا ذات مرة. بينما كان يسمى لوحية المسائية عبر فتحة الباب قائلا «كيف يمكن لكم جميعا الامتناع عن الأكل ولشرب طيلة هذه المدة؟، تبال، لا يمكنني القيام بذلك حتى لو دفعتم مائة ألف دولار وأحب شطيرة اللحم، وعجة البيرة، وأنبطنا المقلية بالجبن كثيرا».

عقبت، قائلا «هل تعلم أنك تصوم كل يوم. دون أن تدرك ذلك؟ وتمطر كل يوم في الصباح، لأنك تصوم طيلة الليل».

عقب، قائلا: «لم أفكر بالأمر بهذه الطريقة أبدا».

عقبت قائلا: «إن نظرت إلى الإنجيل، فسأرى أن المسيح وحواريه كانوا يصومون طيلة الوقت، ولا أعتمد، كما يفعل بعضهم الآن في مدة الصوم المسيحية أن الإمساك، بكل ساطعة، عن تناول العطر مع البينرا طيلة أربعين يوما بعد صياما».

يتوج شهر رمضان بعيد العطر، الذي يطالب المسلمون فيه بفتح العفراء أبال أو بتمام قبل صلاة العيد، ولم يسمح لنا بالقيام بأي من ذلك، وإن تركونا نعتصم، عمر لعاء وتسنية أنصسا، ثلاثة أيام وقد محدنا لانتهاء مدة الصوم هذه مرة، بالرغم من أن الجميع يتوقفون، في العدة، لبده شهر رمضان في لحياة العادية، حيث تعد الوحيات الشهية المأخوذة على ماشدة الإفطار يوميا، إذ تحسنت نوعية طعامنا قليلا دون أن نملك الخيار حول ما يقدم لنا منه عبر فتحة الباب وحاطنا الحراس، حين اشتكينا بدئت الحصوص، فائلين «ليس هذا بصدق (الهولندي إل)، أو ناد ريمبي للرفيه».

كان ذلك ليوم مميرا بكل لأحوال وزع الأسريكيون علينا حنوى الإملاوة، وبدأ الناس العاء، وترديد اشعر بمهوية، وصمت لجميع كي يتمكنوا من الاستماع إلى الأصوات التي كان صداها يتردد في أنحاء الممسكر كافة باطقة بلبشثوية أحياء أو المارسية، أو العربية أو لهجة «لكوكي» اللندية، أو الجامايكية في حين أخرى وعلمت أن أحد أصحابها كان مارتن موباما، الذي لم التقه أبدا، ولا سمعت به بصمتي أحد مواطني البريطانيين، وقد حاولت، بين لصية والأخرى، ترديد بعض الأغنيات العربية لي كتب أعرف بعضا من كلماتها، سهيك عن قرية بعض من أشماري، التي لم يفهمها أحد باستثناء هيكس وفيرور، والحراس، وتمثلت إحدى القصائد التي استمعت بترديدها، بصوت مرتفع هي: «تهام لولانات المتحدة» وهاكم بعض الأبيات في نهايتها

وعلى هذه الأرض انكوبة المستأجرة

يصلني جميع سجنطين

طلبا للعدالة والحرية

من محالب الولايات المتحدة

لعبت السوقية من شهري

وان يجب علي أن أقول:

تدفعني هذه المناسبة لتشتتم

فتها للولايات المتحدة!

لا أظن أن الأمريكيين أحيوا الأسماع ليها.

احتوى كل قسم على ثمانية وأربعين سحبا بالحد الأقصى أربعة وعشرون هي كل حاسب. وحملت ربراشي رقم ١٩ واحتوى قسم روميو على ما يقوق عدديا كثيرا من السجباء. الأمر الذي أدى بهم إلى إمامة هي الصلاة وقد توهبنا كثيرا معهم. بمفرل عن أوقات الصلاة وشهد المفسر حركة تنقلات ملحوظة كذلك مع إحصار بعضهم بصعة أسابيع أو أيام أحياء فسببت تلك التتملات الإشاعات، وإن لم نحل مما هو حقيقي من أحياء إد علمنا باعتيجه هي شهر كانون الأول/ ديسمبر. لم كن العلم الأمريكي منكس التسويمي

كان أحد المعتقلين يصرح كل صباح كما يحدث هي أوقات اطعام مصبا التحية على كل منا " لسلام عليكم"، مع ذكر أسمائنا فرد فردا فتأثرت على الدوام بحرصهم على عدم إعمال أي منا كي لا يشعر أنه مسي أو وحيد. أو أن الناس لا يستذكرونه هي صواتهم. وكانوا يحاطلونوا قائلين "نعلم أنكم كنم في معسكر الصدى. ولم يكن يوم يمر دون أن يصلي من أحكم بعتب بصعوبة ما

مدرتم به من أوصاع، بما يعوقنا، ناهيك عن مرلكنم عن البقية، وسعت صدى تلك لعبارة يتردد بصوت معتدين من جسيات مختلفة، مع كل ما تنسم به لغاتهم من تنوع. ولم أكن قد فكرت حقيقة، حتى تلك اللحظة، في بدي ما يحويه منتقل غوانتامو من جسيات متعددة، كما كان الحال عليه في باغرام.

كان الهدوء يحيم على المكان عند صروب كل يوم، قبل الأذان على نحو خاص، حتى بعد انقضاء شهر رمضان، فلم يكن بالإمكان سماع أي شيء باستثناء بعض المجنء وهم يرتلون لقرآن الكريم بأصوات حافتة، مكتومة. وقد اعتدت مراقبة غروب الشمس - الذي كان يصطحب بلون ذهبي في بعض الأحيان وأحمر في أحيان أخرى - خلف أحد أبراج الحراسة المتعددة، عبر الأسلاك الشائكة، وكان ذلك جميلاً للمعدة، بما لا يعلم من عربة. إذ كان المصمم العليل يهب من جهة ليحترق في العادة، وكان الهدوء المحيم في تلك اللحظة مثيراً للاستعراب وتمثل الشيء الوحيد الذي أمكنني سماعه في صوت الأسلاك الشائكة، ضلّمت قصيدة حوّه في أوائل كانون الثاني/ يناير من عام 2005، بعد ما يقارب ثلاثة أشهر من الاستماع إليه، والتفكير فيه. وكان لصوت احتكاك تلك الأسلاك ورفع موسيقى في أدبي، وهاكم الشطر الأخير من القصيدة

عالقون في هذا اشرك الحديدي،

لا نرى الكثير مما يمكننا إكباره،

نراجع بالتالي نعو الظلام

في حصم يفاع الأسلاك الشائكة

مثلت الأحاديث، وما يتم تناقله من رسائل، مصدر الصحيح لوحيد المميز للحياة اليومية هناك بما يتخلله من صياح الحراس، وهم يصدرون الأوامر إلى معتقلين، وما يوجهه إليهم المعتقلون من شتائم تعلموها حديثاً، ودائماً ما كانت

تسمع الأحاديث المتبادلة بين معتقل وآخر عبر الصياح بين الأقسام، وقد كانت الرسائل تنقل أحيانا إلى ما لا يمكن أن يبلغه المرء بصوته من أقسام بعيدة. هكنت أسمع أحدهم في بعض الأحيان يقول: «يلقي عليك فلان التحية يا معظّم، من القسم العلوي، ولم أكن أعرف إلى الأسماء هي بعض الأوقات، هل كنت قد التقيت أصحابها في قندهار أو باغرام، خلال تلك المدة الطويلة من التقل بين الرباريس؟» ولم أكن أعرف الإطلاق باسمي لا أعرف اسم الشخص، بل أرسل التحية إليه بدوري فلم يكن ذلك مهما على أية حال.

مثلت تلك طريقة لتبادل المعلومات عبر الأمريكيين عن إيفافها. وقد كان التفكير في ذلك مثيرا للبهجة، إذ نصت القواعد، نظريا، على منع التحدث بين المعتقلين في الأقسام المحتبسة هم يكن يسمح لنا بالصراخ عبر تلك الأقسام. وتمثلت بواحدة هي الرباريس بشباك معشوقة، ولكنها كانت تحوي مصاريع حديدية أيضا، اثنين هي كل رتبة، وكان بمقدور الأمريكيين إحلافها إن أرادوا إسكاتها.

لم يفعلوا ذلك مع عثمان في العادة بشر بقية المعتقلين. فشمرت أن نظريته ربما كانت تنطوي على قدر من الصحة إذ أرادوه أن يتحدث بالمعص، بالنظر إلى وضعه الدائم القيام بدينك أمام المحققين فاعل الرجل انشغاه إلى القاعدة صراحة أمام اللجنة العسكرية رفص خدمات المحامي الموكل له من قبل الجيش الأمريكي، طالبا السماح بتمثيل نفسه أمام المحكمة أو توكيل محام بمعي للدفع عنه، فعرقل الرجل عملهم بصورة كبيرة. ولم يحرمي الكثير عن قصيته فيما بعد.

تطلب الأمر بعض الوقت كي أعتاد على تلك لأحواء الجديدة، بكل ما تتضمنه من أحداث، بعد أن أمضيت مدة طويلة في التعامل مع حرس معسكر الصدى، الذين اشتركت مع بعضهم في الكثير من الأمور الثقافية (تحدث الإنجبرية، وقرعة الكتب ومشاهدة الأفلام والبرامج التلفزيونية)، على التقيص من معظّم رفانفي الحدد محمد صالح، وسليم، وعثمان، ولم أكن أملك الكثير في

تلك المدة كي أقوله لمناصر الشرطة العسكرية. وقد مثل إحصاء عناصر إصاحبة من المدير، على ضوء التمهيرات التي حصلت، أمراً بمحصا بالمحل إذ كانوا مسؤولين عن الكثير من انتهاكات بحق المعتقلين أثناء نقلهم، وقد كان كل من فيروز وعثمان يذكرانهم بوصوح، فلم يكونا سجينين بوجودهم أبداً

عند جميعها، هي أوائل أيامها معاً، التحدث عن عرشهم من الحراس، ولم تكن تلك الحوارات بالمعقدة لأي من، ماهيك عن أنها كانت تدور حول ما يشترك به من أمور، فلم تكن مجال عن كيمية اعتقال كل من وتوقفته تعامياً عن ذلك جميعها مصافة أن يعسر كمحاولة لجمع المعلومات لصالح الأمريكيين، وكان ذلك ما حدث تعامياً، كما سمعت لاحقاً، لرهفي القديم في باعرام، سعد إقبال، إذ كان موجود هنا في معسكر دلتا معتقراً من قبل كل من كانوا يذكرونه تقريباً، واتهموه بالممل لصالح الأمريكيين. اندين قاموا بدورهم، بتجريد من جميع ملابسه ووضعوه في الحبس الانفرادي، لأسباب تأديبية كما كان واضحاً، ولم يكن أي من وثائق في تلك المدة، مما كانه الآخر حفيضة. وقد تعامل الجميع بعدد مع بعضهم بعضاً.

تحدثت مع عثمان عن الهمس وتفصيل الحياة اليومية، والتاريخ، موسوعي الفصل، فكان متمكناً من التاريخ كذلك، علاوة على الدين، والسياسة، والأدب، ونميرياء، والأوضاع الراهنة والإعلام، والاحصاء، وكانت تلك الحوارات تشبه مثيلاتها المصولة التي كنا نتهاوس بها في باعرام، حيث كنا نصفي، نحن السعفاء لجدد لوقت في التحدث عن أوطاننا المختلفة لأبعد الحدود وحاولت هنا، كذلك، أن ألق عالم عثمان منعياً ما يمكن أن تكون الهمس عليه، فكان الاسماع، لي كلماته ممتعة للغاية، ويصل مهرباً حقيقياً بالنسبة لي

فعلت لشيء دته مع محمد صالح، سائلاً إياه عن كل لتفاصيل حول السودان، مركزاً على التدخل البريطاني مع الحركة المهدية في ثمانينيات القرن التاسع عشر وعورودون وكنيتشر الخرطوم كما يراه السود بيون

سألت هيكس عن أستراليا. وقد أحب هيكس التحدث حول الأيام التي أمضاها في سبخ خلود الكيمر، والمشاركة في مسابقات الروديو، وغير ذلك مما كان يقوم به من أمور عشيرة والحقيقة أنهم أتوا جميعاً من حلصيات مختلفة، وقد كنت راعياً هي التزود بها أمكني من معلومات منهم

كان عثمان مشروحا، وأباً لأربعة أطفال، وأخبرني أنه كان يعمل في حقل نمطي في العراق (إبل أو قبيل- حرب الخليج، وكان قد درس في جامعة في بغداد، وأصاف أنه لم يكن مسلماً ملتزماً على الدوام، بالنظر إلى إقامته، ودرسته في بوحارست، وأنه رجع إلى حادة الدين شيعة عدد من الأحداث السياسية.

كنت أمثله في ذلك، بالنظر إلى التعبير الكبير الذي طرا علي بعد رؤية ما حدث في البوسنة، وحرب الخليج، وأفغانستان، ولم يكن عثمان، على النقيض من هيرور باحثاً عن التزوير الروحي أو راجعاً إلى حادة الدين بصورة معاصرة، وقد أكبرت هي عثمان معرفته إلى بعد الحدود. إذ كنت قد التقيت عدداً من المبعين في باعرام دون أن أحد من يمثله على الإطلاق فكان قارناً بهما للغاية، مطالعاً حس على أشعار تيبسون ودنر توماس، وغيرهما من الشعراء البريطانيين المظام ولم يكن يحفل الانجليزية تماماً، ولكن الكثير من تلك الأشعار كانت منقولة إلى العربية، فخرات بعضها من شعري عليه لمدرك مصمونه، بالرغم من عجزه عن فهم الكثير مما ورد فيه، وكنت أعسر له شعري بالعربية وقد أحببت ذلك كثيراً، بالنظر إلى إسهامه في تحسين لعني العربية ولعنه الإنجليزية.

كنت قد سمعته يسأل المبعين ما إن تم ملأ، عما إذا كان بمقدورهم وضعه في زجاجة بمفرده عند النهاية المائلة، بالفرب من الحرس، فأحاسي، حين سألته عن سبب ذلك، قائلاً: «تتمثل إحدى مشكلاتي هي أنني أتحدث كثيراً وأستمع بقليل، ويترصد الإنسان أن يمضي زمناً أو العشر الأواخر منه، في التأمل والتفكير، ولن يكون بمقدوري القيام بذلك إن وجد أحد يحوري، وكان زمناً قد انقضى بالفعل، حين توصلوا إلى قرار بشأن طبعه، ناهيك عما شعر

به من أمة تجاه المكان بحلول تلك المدة، وسعادة بالبقاء فيه، وسط بقية الرعايا
تقريباً، وكان بمقدور الجميع التحدث إليه، فرفض أن ينقله الحراس، حتى هموا
بالتفهم بذلك، فنادوا أنه لم يعد يرغب في الانتقال، وأنه يود البقاء حيث كان.

لم يكن بالإمكان تجنب ذكر أسامة بن لادن، والقاعدة، ومبررات هجمات
الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، في أحاديثنا، إذ اكتشفت، بعد مصري وقت
قصير، أحد الأسباب المحتملة الكامنة وراء معرفته الواسعة، فقد كان
الأمريكيون يرغمون أنه مسؤول إعلامي لدى القاعدة، ومزورط في نشر مواد
مرئية تعود لها، وكان من الواضح أنه أمضى وقتاً طويلاً في تتبع الأخبار على
شبكة الإنترنت، والتجار، والمذيع، محللاً تقاريرها، وتراعى لي كذلك أنه يمتلك
معرفة عالية في استخدام أجهزة الكمبيوتر، التي لا يعرف الكثير من المثقفين
عنها سوى القليل بما يثير الدهشة

استمرع العديد من الموضوعات اهتماماً جميعاً، بما في ذلك السياسة
الأمريكية ولسحور الإسرائيلية، علاوة على اشخصي منها ما الذي سمعته،
مثلاً، حول إطلاق سر حيا، وتناقشنا وتجادلنا حول بعض الموضوعات المتعلقة
بالإسلام، ويستاء فيرور كثيراً في بعض الأحيان، إذ كنا نتحدث في إحدى المرات
قبل أن يسأل عثمان رايه بالمطو إلى أنه كان يصوّقنا، نحن الاثنين، معرفة
بالمصايا الإسلامية، فسمت بترجمة جوابه إلى فيرور، فبكر مدة طويلة، قبل أن
يقبل به في نهاية المطاف وكان كل ما على أهمية الاستعداد لإنهاء النقاش
بعبارة «آه، اعتقد أنك كنت محقاً في ذلك»، وقد عبر فيرور عن استنائه
الشديد، حين تطرقنا إلى الحديث عن أسامة بن لادن، وما شبه من هجمات
سببت كثيراً من المعاناة لنا، وكان فيرور مقتنعا بحطاً ما كان الأمريكيون يقومون
به وقد كان يكرههم بقدر ما كنت أكره، إن لم يكن يعوقني في ذلك ورأى أن ما
نعمه القاعدة يصير بصورة الإسلام كثيراً

كان موقف عثمان من ابن لادن مختلفا. قال إنه كان بمرهه شخصيا، ومن الشكوك لا تمتريه على الإطلاق حول صدقه، وبرأته، ومعيشته للمسلمين، وإخلاصه لقضاياهم، وحرصه على رعايتهم، وأصاف علاوة على ذلك، أن هجمات الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر كانت قد حظيت بدعم سوري من قبل عدد من الشخصيات البارزة في أنحاء مختلفة من العالم، ناهيك عن الصاوي، التي أصدرها بعض رجال الدين النازيين في شبه الجزيرة العربية، تأييدا لها. وقد قدم عثمان تبريرات شرعية لتلك الهجمات، مما رصته أبا، وهيرور بشدة، مؤكدا على تحريم الإسلام استهداف المدنيين، لا سيما النساء والأطفال.

بدأ عثمان محادثته، قائلا: «عمل الأمريكيون على قتل شمينا منذ مدة طويلة، تذكر عبارة شواطئ طرابلس، حتى الآن هي شيد البحرية الأمريكية (هي إشارة إلى الغارة التي شنتها على ليبيا في القرن التاسع عشر) فأينما هتشت في التاريخ الحديث فستجد أنهم يمدحون في شؤوننا، ويحتلون أراضيها، ويعرف العالم بأسره أن قيام الدولة اليهودية هي الأراضي المحتلة لم يكن ليتم دون الدعم الأمريكي ولقد ارتكبوا المحارر بحق المسلمين في ليبيا، والعراق والصومال ناهيك عن احتلال شبه الجزيرة العربية ليشموا، انطلاقا من هناك، سلسلة من الهجمات المتوصلة التي كانت تقتل - بحارب العقوبات والخطر الاقتصادي - أكثر من خمسة آلاف طفل عراقي شهريا، فلم يخطر الشيخ إليهم إلا كأطمانا، وقد حزن أيما حزن عليهم كما ينبغي أن يعمل جميعا، فالمسلمون كالجسد الواحد، كما قال النبي محمد ﷺ، «إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، فلم يذهب الشيخ إلى أمريكا حتى أتت إليه، ولم يكن يرغب في مهاجمتها في عقر دارها بل رغب في ترتيب أوضاعها الداخلية، واستبدال الحكام الفاسدين الكفرة، الذين حرصوا أنفسهم على شعوبها أو الإطاحة بهم بالقوة، وانظر إلى الجزائر على سبيل المثال، فلا يؤمن بالديموقراطية المرعومة، وإن كانت تمثل أهون الشرين، بالمقارنة مع

الاشتراكية القومية العربية، وقد اختارت الجبهة الإسلامية للإنقاذ المشاركة في العملية الديمقراطية هناك، مما الذي حصل؟ كانوا يتجهون بقوة للمور بالانتخابات، لتلغي الحكومة نتائجها، بدعم كامل من أمريكا. وتحظر الجبهة، وحدث الأمر ذاته في تركيا مع حزب الرفاه الإسلامي المعتدل للغاية، وهو تم حظره، على مرأى من العرب، دون أن يعرك ساكناً.

ولا يودون رؤية كتلة إسلامية موحدة، سيكون ذلك أسوأ من الاتحاد السوفييتي السابق بالنسبة لهم، ويسرفون حيرات الشعوب عن بعد، ويمسكون الحكام من دعاهم بأسباب الدعم كيلا يضطروا إلى احتلال كل بلد مسلم بجبهة الغياف بذلك، ويتمثل هدفهم الأكبر في إحصاع المسلمين اقتصادياً وعسكرياً، بحيث لا يتوانون عن قتل الملايين مناهي سبيل ذلك.

عقب، قائلاً: «اسمع يا عثمان لا تكسر العصية هنا وأتفق مع معظم ما قلته ولكن النبي محمد ﷺ حرم على حيوان المسلمين استهداف النساء والأطفال، ولشيوع ورجال الدين، ولمدنيين عموماً، ماهيك عن التعذيب، أو التمثيل بعثت الأعداء، فلمد منهم حتى عن حرق الشجر وكان أسرى الحرب يقتلون أو يعتدون أن علموا المسلمين القراءة والكتابة ولا يساورني الشك على الإطلاق بأنك أول من أرسى قوانين الحرب في التاريخ البشري. فلا جدل فيما حول الدفاع عن أراضي المسلمين ضد العدوان والاحتلال. قال الله - عز وجل - هي ذكروه الحكيم ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ فتوجه الآية لمسلمين إلى عدم تجاوز قوانين الحرب تلك».

عقب، قائلاً: «وماد، عن الآية التي تقول ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾».

عقب، قائلاً: «ولكن لئلا الآية تنمى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فلا يمكن أن يمتد المرء بذلك عبر قتل النساء والأطفال يا عثمان، ولا أسوة لنا بالشعوب من مسلمين، أو غيرهم، فهل تقول إنه يجب علينا اعتصاب سائرهم،

ردا على ما فعلوه بمساكنك هي البيوت، تقهيدا بتلك الآية؟، يستهل كل ما تقوم به بقول، «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقد كان لرسول الكريم يدعى «سبي الرحمة» لعائين، مع كل ما حاصه من معارك شرسة بصرة للإسلام، وقال الله تعالى: «سبقت رحمتي عصبي»، فلا أدعي أنني بكل تفاسير القرآن، ولكن نظرتك هي هذا الصدد تنهني مع روح الإسلام».

عقب، قائلا: «بها الحرب، ولم تستهدف الهجمات حصانة، أو مدرسة للأطباء الأمريكيين، بل وراة دافعهم، البت دعوى، حيث تتحد القرارات بصرب بلاديا ومركز التجارة العالمي، المعلم الاقتصادي البارز لديهم رداً على ما فعلوه باقتصادنا ويمثل البيت الأبيض رأس الأفعى، وإن هثل الهجوم صده، وأصف إلى ذلك أن الأمريكيين يصونون لمادتهم هي الانتحابات، ويمرهم سياساتهم الخارجية التي تستهدف بلاديا، على الوجه الأمثل، وليسوا بأبرياء جميعاً».

عقب، قائلا: «تعلم مع ذلك، أن معظم الناس ينتخبون مادتهم استناداً إلى سياساتهم الداخلية، وأن الكثير لا يعفون مع كل ما يقوم به حكوماتهم، ومادا عن أولئك الذين صوبوا صد بوش؟ فلا تعبهمات الشيخ بين من تستهدفهم».

عقب، قائلا: «كما قابلهم تماماً».

أعلم أنني أثرت عاطفة عثمان عارف، قائلا: «لا تمرق بين البريء والمذنب، الرجل والمرأة، لطفل والسابع، حتى الإنسان والحيوان، فقد وجه الشيخ محمات، على أقل تقدير وعدم أهدهه ليصيرها تباعاً، فهل تعتقد أن أمريكا تهتم كثيراً بالدقة، حين تصرب مدنا، على علو آلاف الأمطار، بما يرب 1500 رجل من الصواريخ؟، حين يمتد الأطفال أعينهم، أو تقطع أوصالهم، أو تحرق أجسادهم أو تشوه وجوههم، بأكين يستحذون بأمهاتهم، ثلاثي بملاي الديب عويلا على هداك أكبادهم، قائلا: «ما الحرية التي ارتكبها طعني ليعاقبوه بهذا الشكل؟»، وهم المحظوظون بأنهم لم يقتلوا بالأساس، حين يحدث كل ذلك لا يكلف

الأمريكيون أنفسهم عواء تسميته بأكثر من «مجرد إصاقي» ومعدل حسائر يتوقعون في الأصل إلى إيقاعه، ولقد عابوا كذلك من «السر الإصاقي» الذي لحق بهم في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، إذ كان المصالح عنهم كما للعباءة، بصرياً، يؤدب كل طفل صغير آخر في العالم، ليتحضر بقوة، حين ربه أحد الأطفال لصاع صاعين، وسيمقط في المرة القادمة يابن الله، وقد كان المسلمون على اندوم في موقع المصطلح والتأثر بما كانوا يعيكونه لهم من مؤامرات، ويرسمونه من خطط. سواء أتم ذلك بصورة غير مباشرة، كالجهاد في أفغانستان ضد لاتحاد الصهيونيين، أم تم بشكل مباشر عند احتياهم العراق أو الصومال، فمن من يصنع قوعد اللعبة الآن ويجرهم على اتباعها.

عقبت، قائلاً: «وهي تمثلت إحدى تلك القوعد بتدمير اعماسستان أيضاً». انتهم حين تصريرون أهدافاً عسكرية وإن لم يكن من المنطقي بالنسبة لي أن توجهوا هجماتهم ضد الولايات المتحدة، بالنظر إلى أن العديد من بقع العالم الإسلامي كانت تروح بالتصل عند شئ تلك الهجمات، تحت وطأة الاحتلال المباشر في البوسنة ونيشيتان، والعصبيين، وكشمير، فقد قوصتم، بصرياً واحدة كل مصالاة شموبيها من أجل الحرية عبر صرف انشاء العالم عنها، وتغيير نظره - وهو الأهم - إليها عملاً بما رأى ابن لادن أنه يجب في مصالح العالم الإسلامي، وما نحن أولاء لأن ندفع نحن تلك الهجمات جميعاً.

عقب، قائلاً: «لست عصبوه في الماعدة، أو بفيه المنقلب هنا ولا يهدرك، أن تعصن حيل هذا الأمر يتمثل لسبب الوحيد لاحتجارك هنا في أنك تكن بعض لشاعر بالمسلمين، وقد أعلنت أمريكا الحرب على الإسلام» رده الرجل، وهو يشير إلى قسام لمقتل قائلاً: «يعد الأمريكيون المسؤول الأول عن ذلك».

«قدم الشيخ أبو عبد الله (أسامة بن لادن) تصريحات شخصية هائلة لأهل هذه القضية ولا يمكن لأحد أن يضلك في صدقه وإخلاصه إلى الجهاد في أفغانستان، حين قاتل لروس بصفه، باركا حياة الرعاء التي كانت ملك أيمانه،

مستبدلاً إياها باليوم في الحنادق، واكل الخبز الجاف، وشرب الشاي، وسكنى الكهوف والجبال، وأهبا مائه عن طيب خاطر إلى المقرء والمجاهدين. فأحبرني عن أي ممن ينسمون بتلك الصناعات من القادة الغربيين، أو الشرقيين، فإنه يحشى معظمهم السرور إلى الشارع. محافة أن يتعرضوا للاعتيال على أيدي شعوبهم.

عقب، قائلاً: «لو أيدي جماعتك».

عقب، قائلاً: «تنتمي إلى عامة الشعب».

مثلت أمريكا، وهجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، إحدى نقاط حلاها الرئيسة مع عثمان، وكان فيرور يعلم، بما يموقني كثيراً، عن أقرباء ابن لادن، وغيرهم من السعوديين الذين عادوا الولايات المتحدة بعد الأحداث مباشرة وقد مضى بعيداً ليقول إنه يؤمن بنظرية المؤامرة فهما يتعلق بموش وإدارته، وإبهم كانوا على علم بوقوع تلك الهجمات إن لم يكونوا مشاركين فيها بشكل مباشر. دون أن يحركوا ساكناً بشأنها، إذ كان مقتنعاً بأن اسمي موش وابن لادن كانا مرتبطين بشكل أو بآخر ولم يوافق عثمان الرأي بالطبع، قائلاً: «لا أهم كيف يمكنك توجيه اتهام للشيخ بلا دليل، فإني أعرفه شخصياً، ولا يعتريني الشك مطلقاً في نزاهته، أو غاياته».

كان بعض الأسماء المحليين الذين سلموا فيرور في نهاية المطاف إلى الأمريكيين، في شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 2001، قد اعتقلوه في أفغانستان، وكنت قد سمعت من الحراس أنه أقر في اعترافاته بأنه كان عضواً في القاعدة يحارب قوات التحالف ويتمتع بقدر عال من التدريب، وينتمي إلى قوات النخبة لدى التنظيم، كما رعموا في قندهار. وقد أحسرتي فيروز، بالرغم من ذلك، بالقصة المروعة حول كيفية كتابته ذلك الاعتراف تحت تأثير العقاقير التي أعطوه إياها، وأنه لم يشارك على الإطلاق في أي أعمال عدائية ضد الولايات المتحدة أو قوات التحالف، ولم ألق عليه لمعركة ناصيل اعتقله بعدها. كما لم أعمل مع غيره تماماً، ولكنني كنت على قناعة تامة بعدم انتمائه للقاعدة، ولم يكن ذلك الأمر منطقياً على الإطلاق.

لم يكن فيروز يتحدث العربية، بما يمكنه من التحدو مع عثمان، بود إسماعيل هي الترجمة. التي كانت تصغي في مواقف محرجة أحياناً، ورفضت القيام بذلك أكثر من مرة، حين كان النقاش يحتدم كثيراً. ولم يكن توحى الموضوعية بالسهل علي عند حدوث ذلك، لا سيما. واسي أحمل آراء معارضة لأحد الطرفين.

ترددت، لعلاقة بين عثمان وهيكمس، بعد مصي مدة قصيرة، فقد كان ذلك يعود هي جزء منه إلى سوء التواصل بينهما، إذ كان عثمان عقائدياً لنعابة هي نظريته، بالرغم مما كان يتعلق به من ذكاء. ومعرفة، وحكمة، وقد كان على أهبة الاستعداد لرمي أي ممن تركوا السبق بأسرته، بعض لمطر عن نواضعهم أو أيمانهم، كما فعل هيكمس. وأدى ذلك إلى تردّي الأوضاع بينهما كثيراً.

راحت، شاعات بالمعل هي حبه، عن قبول هيكمس التعامل مع الأمريكيين. وحرص عثمان على توحى الموضوعية فيما يتعلق بذلك، فأنلا، لا يصدر أيا من أحكامه، على أي من الأشخاص سواء على ما يشيعه الحراس حوله، ودعكم من كل ما سمعاه وينمئل كل ما يمكنني قوله هي أنا أمصينا سمعة، أو ثمانية أسابيع هي هذا المكان، مع داود (د يصيد) ولم يصل ممنا، خلال شهر رمضان أو يسم أو يحتس هيم بعد بعيد المطر. ولم يؤد أيا من المرائض لإسلامية خلال تلك الفترة.

تغل جزء من المشكلة هي عدم معرفة عثمان بهيكمس على الوجه الأمثل. ناهيك عن عدم قدرتهما على التواصل بشكل جيد، فعجز عثمان عن فهم لكه هيكمس الأسترالية، على لتقيص من تعني الإحليرية

اعتدت التحدث إلى هيكمس أكثر مما كان النقية يفعلون، فقد كان يشعر بعثرة أكبر من تلك، التي كان يعيشها هي معصمكر الصدى ولم يكن ذلك مباحاً بالنظر من ما كان يحصل عيه من سمعة هناك، عبر التحدث مع الحراس حول ما كان يشير اهتمامهم جميعاً من مثل الدراجات النارية، و لشرب، والفتيات. ولم يعد بمقدوره الآن سوى التحدث مع حمسة أشخاص إذ كان فيروز هادئاً لنعابة ولم

يكن سليم يتحدث كثيراً، وإن أحب المراح أحيانا ولم يكن يسهل فهم محمد صالح، السوداني الحسنة، المتحدث بليغ على الدوام، وإن كان يحصل الصمت في معظم الأوقات، على انقيص من عثمان، الدكي، المعامل، صاحب الشخصية لقيادته هو يحدث طيلة الوقت إلى المعتدلين هي، الأقسام الأخرى، وإن لم يكن يشملني هي حديثه وكان لناس يوجهون إليه الأسئلة على الدوام، حول الشريعة الإسلامية ولتاريخ والسياسة والهندسة وصناعة النفط، والحركة المكية لنكتل الصحبة، وغير ذلك من الأمور المبهمة.

عندت أنا، وعثمان، المتحدث حول الاحتمالات الدينية هي الكثير من الأوقات. فقد كنا نناقش العديد من الموضوعات كالطريقة التي ينظر بها الإسلام إلى أهل الكتاب، بالمعاصرة مع اشركين أو المتحدثين كيف تعامل معهم وما هو وضعهم في الإسلام؟ هل يذهبون جميعا من وجهة النظر الإسلامية، إلى الجنة أو إلى النار؟ وما هو الدليل على ذلك؟ كنا نتعادل لا تناقش بحسب، حول ذلك هي بعض الأحيان فتتميز بنهضة صمتة أكثر مما توقعت في العديد من تلك النقاشات.

جده أحد جنود الماريس لحدد بعض، هي إحدى المرات، حين كانت مجموعة منهم يقوم بتكبيله بأهيك عن ضد الأصمعة بقوة إلى حسده، عماله عثمان إرجاءها قليلا، ليرفع من الحدي العيم بذلك وحاطبه عثمان بإحيرة ركيكة، وهو ينظر إليه هائلا، أين كانت كل إحراءكم الأمية هذه عند وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، فكان يرمقه بنظرة تحد، وقد حاول الحارس مبدلته النظرة دأها، ولكنه عجز عن الرد بما هو مناسب من الكلمات، وأردف عثمان، هائلا، ألم تستطع وزارة دفاعكم حمايه نفسها من هجوم صغير، ولم أصدق الطريقة التي كان يتحداهم بها، ولم يسبب عثمان مع ذلك، أيا من المشكلات. فقد كان مطيعا للحراس على وجه العموم وكان واثقا للغاية من نفسه واعتقد أن بعض الحراس كانوا يكونون له لاحترام وإن لم يحسوه أبدا، بالنظر إلى أنه لم يكن يحجر على الإطلاق من قول ما يحول بعناظره.

تفتت إحدى مواهب عثمان الأخرى هي تفسير الأحلام، فكان أفضل من يقومون بذلك هي المعتقل بأسره، فلم يكدر يمر يوم دون أن يقوم أحد المعتقلين بمؤالته عما راوده من أحلام مبهمة، وقد أثار ذلك اهتمامي في جاني الأمر، ولكني ملته بشدة فيما بعد، كما حصل مع فيروز تماماً إذ أخبرني في إحدى المرات قائلا: «يعلم بعض الأحوة ضرب على الدوام» ولم يراودني سوى اثنين مما يستحق ذكره من أحلام في حياتي (وقد تحدثت عنهما في الكتاب)، بينما كان هناك من يرون أحلاماً مثيرة على الدوام ولحظت بوضوح كم كان عثمان حذراً في تفسيرها، إذ كان بعضهم يسيرون أحكامهم على الآخرين استناداً إلى تلك الأحلام، كالعائلة للأمريكيين مثلاً فقد سمعت عثمان، وهو يحير الناس بوجوب وضع حد لذلك، بالنظر إلى ثقافته، وكان يفسر أحلاماً أخرى على أنها نذر خير أو شؤم لا أكثر.

حماطيته ذات مرة، حين بدأ ذلك مرعجي بالعمل، قائلا: «هل تعلم ما هي المشكلة يا عثمان؟».

أجابني، قائلا: «ما هي؟».

أجبته، قائلا: «هل تعلم لم يحلم الناس كثيراً؟».

أجابني، قائلا: «لم؟».

أجبته، قائلا: «لأنهم ينامون كثيراً».

عقب بمنتهى جدية قائلا: «لا لا لا ليس الأمر كذلك، ويعود السبب إلى ما يعيشه الناس من أوضاع، ورغبتهم في استحالة آمانيهم حقيقة واقعة والتعبير عما يحول من أفكار في لا وعيهم».

راودت بعض الأحلام لمؤثرة هيكمس، وقد رعب في ن يفسرها عثمان به، وأقوم بالترجمة مجدداً، ويمثل أحد هذه الأحلام في رؤية هناك حساء ليمية تروني برهقا، أثارت إعجابي كثيراً ورأى هيكمس كذلك هي جزء آخر من الحلم، ما يشبه الصمم، يدور حول نفسه ويحمر الأرض صفوداً، ليبرز منها قبر أن ينوحه هيكمس نحوه وينزل لسنوات ساميرية ليستعلم الصمم بالنتيجة، هراي عثمان في ذلك بادرة خير، مفسراً إياه بعودة هيكمس إلى حدة الدين القويم في نهاية لطاف

كان الكثيرون يتحدثون إلى عثمان هي تلك المدة. بحيث كان هيكس، أو أي من الآخرين، يصطرون إلى الانتظار طيلة اليوم لتبادل بضع كلمات معه، لا أكثر.

كثيراً ما كان سليم يقرأ وثائق حول قصصه، لأهوم ببرحمتها إلى الآخرين. وشكلت إحداها أهم ما يمكن الاتكال عليه في تقرير عدم أهلية المحاكم العسكرية، بالنظر إلى رفض المحكمة الميدانية الأمريكية لها، وتأكيداً على ضرورة اعتبارها أسرى حرب وكان جميعاً يعرف ما يفهمه تلك التسمية عدم توحيه أي أسئلة إليها والتمتع بالحقوق كافة التي تكملها وصيغة أسرى الحرب، بما هي ذلك الحق في كتابة الرسائل وتلقيها، ووضعها في مجموعات مجهزة بما يكمل توهير حياة موقولة، والحفاظ على كرامة المعتقلين، وقد قاموا بنقل حمداً من معسكر باناء، بعد اتحاد ذلك القرار فيما يتعلق بقصصه، ولم أر الرجل ثانية، وعلمنا، فيما بعد أنهم سمعوا أنه بارتداء الملابس التي أرسلت من قبل عائلته لم يصح الرجل وصعبه أسير حرب إلا على انورق فحسب. ولم يكن، من ناحية العملية سوى معتقل آخر من عواصمهم، سمح له بارتداء ملابسه الخاصة لا أكثر.

تدهورب علاقة هيكس وعثمان كثيراً حراء ما حدث ذات يوم إذ أخرج عثمان ما هي جمعته أخيراً طالبا مني نقله إلى هيكس، وإن لم يكن مريحاً على الإطلاق، فحاطبني قائلاً: «أحبر هيكس أساً كنا بصلي، وبصوم وبتكر الله طيبة شهر رمضان المبارك دون أن يقوم بما يدل على إيمانه خلال تلك المدة. وأظن أن هيكس لم يحتاج بذلك.

ازدادت الأمور تردياً بعد أن اعترض عثمان خارجاً عن الدين عمالية، ولم أتمق معه حول ذلك على الإطلاق فقد تمثل رأي عثمان في أن ترك الصلاة، وكل ما يظهر إيمان المرء، يجعله خارجاً عن الملة ودعم رايه بالكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وفتاوى كبار أئمة المسلمين المنتمين إلى المذاهب الرئيسية المختلفة، وأطلع عثمان هيكس على ذلك، قبل أن يعبر الجميع، هي بقية الأقسام قائلاً: «أود أن يعلم الجميع أنني حاولت التحدث إلى من لم بعد أحاً لنا، دود،

بلا حدود. .. محض عثمان في تفصيل الهاماته. قائلا «لا يصلي، أو يصوم، وقد أكد لي أنه مع الأمريكيين أكثر من». ويشهد الله على ما أقول، ولن أزد عليه، أو أبادره بالسلام، أو أتحدث إليه».

كان من شأن ذلك أن يؤثر في هيكس، ويؤله كثيراً. بلا أدنى شك، بالنظر إلى أن أحد من يبادره بالسلام بعد اليوم، أو غير ذلك من عبارات المودة التي يبادلها المعتقون.

حاطت عثمان، قائلا «انظر تعلم ما فعلت، وربما كنت تشمله عبر التحاور معه ولا يهمكم من الوقت يستلزم ذلك وحتى لو سلمنا حدلاً بأنه لن يغير قراره في نهاية المطاف، فإن ذلك يفسد خياره الشخصي فقد يعرفه تماماً الآن».

أدركت أن الأمر لم يكن مقتصر على المعتقد وحده في نظر عثمان الذي عساه أشك بأن هيكس كان المودة في يد الأمريكيين، أو أنه يسرب المعلومات منهم ولبيهم، عندما انقيام بذلك الأمر الذي أثار قلق عثمان كثيراً

أحبرت عثمان في معرض الدخاع عن هيكس، قائلا إن الأمريكيين عرصوا عليه صفقة بالسجن عشرين سنة مقابل شهادته، ليكملوها ثماني بدافع من رعبتهم لشديدة في عقدها، ومن ثم انسحب. يمكن أن يعصيهما هي استراتيجيا، لهرقص هيكس ذلك بالطلق مصر على عدم الشهادة على ما لم يشهد من جرائم بالأصن، وحاولت فيما بعد بإصلاح ذات البين أكثر من مرة، عبر مخاطبة هيكس، قائلا «انظر احترت الإسلام بملء إرادتك عند اعتناقه، ولا تتركه الآن لمجرد ما يلزم بك من صغاب، فمصنعي قيامك بذلك أنك لم تكن قويا بما يكفي لاعتناقه منذ البداية فقد شعر حميف بالصعاب في مرحلة ما».

حول فيرور معارضة حول أمور أخرى لعدم رعبتنا هي أن يتحاضه وهو ما بدأ يحدث بالفعل «ماتحدث إليك يا هيكس على الدوام، بعض النظر عما نحتاجه، لا فرق لدي فيما يتعلق بذلك، فنحتاج جميعا اللون هـ».

جئنا كل هذه الحوارات المكثمة، والملاحظات المتداخلة، هي قسم بابا، اجئنا إلى حد كبير عن الكثير مما كان يحدث في بقية أقسام معمركر دنا، فقد سمعنا عن العديد من الأمور في قسم روميو، إذ كان بعض المعتقلين هناك قد رفضوا التعامل مع المحققين بشكل قاطع بأهيك عن رفضوا إعطاء اسمائهم إلى الأمريكيين الذين استخدموا كل ما في جعبتهم من أساليب لتعظيم معوياتهم، واشتملت المقومات على احتجازهم هناك هي زيارين فادرة تماماً، إلا من روح من السرويل القصيرة وسجادة للصلاة بلا معجون للأسنان، أو هراش لها أو مبادئ مرحاض ورقية، أو صابون أو أوراق أو كتب، ولست وأثفا مما إذا كانوا قد سمعوا، لخميتهم بحيرة المصحف الشريف، وقد حوت كثيراً لمعرفة كل تلك الأمور فأخبرني عثمان ذات مرة عما فعلوه بأحد المعتقلين في ذلك لقسم، إذ قاموا بلع القسم لاسرائيلي حول حسده، قبل أن يحسروه على الانحاء أمام إحدى المحطات، ودعيما في حدى المرات للصلاة من أجل محمد القحطاني، اسعودى الحسية، الذي كان قد سمعنا بأنه يتعرض لأسوأ أنواع الانتهاكات هم أربط بيته، وبين تلك القصة هي حيه

تحدثت ذات مرة، عبر الاسلاك الشائكة إلى أحد لودودين من الفلسطينيين كبار السن** (ربما كان في المئتين من عمره) وقد كان متروحياً، وأنا لعدد من الأطفال، فتحدثت، بل تبادلنا المرح بالأخرى، عبر الأقفاص، وأخبرته أن روحي كانت فلسطينية أيضاً، فكان رده «فلسطين، للعاية»، أنت واحد منا، أنت فرد من عائلتنا! يحب أن نأتي لزيارتنا، يعيش في الأردن الآن، ولكن سيكون بمقدورك زيارتنا في فلسطين، حين ستميد أراضيها هناك، أدركت أنه كان لرحل ذاته الذي رأيته في باعرام، قبل عامين من حيه.

* قيل إنه كان لعدد العشرين لهجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر (المؤلف)

** جند الأسير أطلق سراحه في شهر آب/ أغسطس من عام 2005 (المؤلف)

كان بحلي يمج بمن توصلت معهم بالطريقة ذاتها، حوارات دافئة مصيبة مع من لا أرى وجوههم، كالإيربي الذي التقيته في باعرام، فقد انصمعت إلى بحولي في الإيمان أحيراً، فكنت قد احتسرت في ثباتي أثناء وجودي في الحبس الانفرادي، ولكن ذلك لم يكن يقرب بما يتخلون به من صبر، ولبات، وتحمل، نشيطة ما مروا به من تجارب في حياتهم، وكنت أتوق بالفعل لأن أصبح مثلهم.

كان رفاقنا في معسكر روميو لحاور يعاقبون على الدوام، وقد بقي بعضهم هناك مدة طويلة للعناية، وكان راشد الحوحي، القادم من شمال السعودية، حدهم، فكنت قد رأيته مرة برفقة المصطفي المس في باعرام، حيث كنا بحجران في زبونة وينشاند بيلم ذاتها، بجانب الزبونة التي كنت معتقلاً فيها بأمر الأمر ولم أكن أذكر مظهر راشد بوصوح، وقد حاولت استحضاره بينما كنا نتحدث ههنا لرحل لتحدث حول تلك المدة قبل أن يؤكد لي ما كنت قد علمت بأنه لم يكن سوى حيلة مارسها معدي، وسألني قائلاً: هل تذكر حين اقتادوك إلى الاستجواب في الأعلى، في شهر أيار/ مايو؟

أجبته، قائلاً: «نعم».

أردف، قائلاً: «سمعنا أصوات صراخ امرأة في حبيته».

عقبت، قائلاً: «نعم، أعلم ذلك».

أردف قائلاً: «كنا بحلي جميعاً من أجلك، لاعتقادنا أنها كانت زوجته».

تأثرت كثيراً لمعرفة أنهم كانوا يحاولون مؤازرتي في تلك المدة المصيبة، إذ كانوا قد علموا جميعاً عبر ما تبدلنا من حوارات هامة في باعرام أنني كنت أتحرق لمعصول على أي أخبار حول عائلتي، واقتصرنا الأسوا، عند سماع تلك الصرخات كما فعلت تماماً، ولم يدر بحلي مطلقاً أنهم اعتقدوا الأمر ذاته.

* تمكن أربعة رجال من الفرار من باعرام في شهر تموز/ يوليو من عام 2005، وسُحبت أحدهم في معصاة مع قباء لمربيه عن امرأة مصقلة هناك، تحمل الرقم 650 وذكر أنها اختُبر في باعرام لأكثر من مسير، وفقدت حواسها بعد استجوابها، وإسداء إليها بشكل متواصل، ناهيك عن عزلها، وأصرب العديد من السجناء عن الطعام احتجاجاً على ذلك، وقد تم ترحيلها قبل حادثة الهروب بمصفاة أسديع، كما قال الرجل (المؤلف).

تمكنت من سماع حادثة وفهمت مع راشد، وقد أزعجني ذلك كثيراً فلم يكن العجباء في قسم روميو يمشون ملاءات، كالتي كنا نستخدمها للحفاظ على خصوصيتنا عند استعمال المراحيض، إذ كانوا مرعمين على القيام بكل شيء على مرأى من الجميع، بما في ذلك الحرس، وذلك ما عُدَّ مدلاً للعناية في نظري.

طلب راشد ذات مرة، لوحاً من الصابون بعد استعماله المراحيض، وكان من المتحرج به أن يعيده إلى الحراس مباشرة، ولكنه لم يفعل لرعيته هي الاعتساف قليلاً، وذلك ما حدا بهم إلى استدعاء «قوة التدخل السريع».

وكنيت قد سمعت الكثير عن «قوة التدخل السريع» في السابق، من الحرس الذين كانوا يهددون بها على الدوام، مارحين، أو عداً ذلك واعتاد أفرادها، في المراحل الأولى، رش المعتقلين برداً العنامل قبل دخولهم الزنازين، وكادت تلك القوة تسأل من حصنة أو مئة من الحراس تقريباً، وتحرض على تصوير عملياتها، كما كان واضحاً، ولم يكن ممن ما يستخدمونه من قوة بحاف علي، بالنظر إلى أنني - كلما كان يتم قتيادي خارج المحسك الرئيسي، (قسم بابا تحديد)، مروراً بالأقسام الأخرى - كنت أرى برات مكهجة لشعب مكسدة عند مدخلها، مهياة للاستعمال بما فيها من جود، وواقبات للصدر، ولأرجل، واكواجل، ودروع ضخمة، وكان مظهر تلك البرات، بعد داته، محيماً بالفضل فما بالك برؤية أفراد القوة يعبون مهامهم، وهم يريدونها؟ وقد كانوا يهرون لأرضية المدينة بوقع أقدامهم المتسق، مصيرين ما يعجز المرء عن وصفه من لأصوات قوة.

دخل أفرادها القسم برحوص كالحمائل باتجاه زبارة راشد فلا يسمع الصوت الرهيب الناتج عن وقع أقدامهم إلا بأوحى الموقب، كما كان يقصد منه تماماً، وسمعت فيما بعد صراخ بقية المعتقلين، الذين رأوا ما سيحصل لاحقاً، إذ كانت الأيام التي يتم ترويع المسجونين فيها قد ولت بحلول تلك المدة، ليتألموا مع الحراس نوعاً ما، وكنا نعلم ما كانوا عليه، وقد حرص السجون كافة على عدم جعل مهمة الحرس منهم برهة معروضة بالورد.

يحتاج الحراس باب الزمراة، يندفعون باتجاه راشد، صارحي فيه، أمره بالبرول أرضا، وسمعت المحتجسين يصرخون كذلك، يشتم الكثير منهم الحراس بالمريية والبشوشية، ناعتين إياهم بالكلاب والحماير، وعبر ذلك من اقدع الألفاظ وساد الهرج والمرج، لتصبح صرحاتي هي حصم ذلك، إذ كان المتقلون يصرخون لى، هي الوقت ذاته، ما يحدث أولا بأول، ولم يزل راشد على ركبته، ويضع يديه خلف رأسه، كي يرموه على الأرض، كما يعمل أفراد قوة التدخل السريع على الدوام، بل أكتفى بالحلوس في مكانه، فارتطم أبعه بالسريهر المسمى حين الضوء على الأرض، ليسرف بشدة فيما بعد، وصرح رميله هي الزمراة انحاورة فائلا إن دسائه غطت أرجاء المكان كافة، فجعله الحراس إلى الخارج، لينقلوه إلى زمراة امر دية أخرى.

تمكنت من سماع حوادث أخرى متعلقة بقوة التدخل السريع أيضا، فقد قرر مارش موباندا ذات يوم أنه لن يترك ساحة التمرين، حتى يهي حديته إلى هيرور هي ساحة لتمرين الأخرى وكنت قد سمعت أنه كان لائفا جسيديا، قوي السبة، طويل القامة هكان الحراس بهابويه وهق ما سمعت من إشاعات حوله، وبدا أنهم حبوا عشرة حراس هذه المرة، عوضا عن خمسة وكان مارش في حبه يزل هي قسم كيبك، قرب روميو هي الحادب المقابل لى، وتمكنت من سماع كل ما دار بينه وبين الحراس على أكمل وجه، وقاموا بحمله إلى الخارج دون أن يدخل هي شجار معهم، فائلا به لا يستطيع أن يكلف نفسه عاء العودة إلى رمراته سيراً على الأقدام، وبه بحاجة أن يحمله إلى هناك، وكان ذلك ما فعله الحراس نماما أصحكني مارش كثيراً هي ذلك اليوم، بالرغم من أنها لم تكن سوى المرة الأولى فحسب، وكنت أشعر، مع كل تواصل عبر الصباح معه، أنه سيصحكني في المستقبل.

كان كل نرلاء رمر يتنا، بحلول تلك المدة، يؤخذون إلى ساحة التمرين يوميا نا يقارب حمسا وأربعين دقيقة، حتى الساعة، همثل ذلك تحسنا كبيرا لأوصاعنا بالمقاربة مع معسكر الصدى، فقد كانت ساحة التمرين الحالية أكبر بثلاثة

اصناف تقريبا ودات ارضية اسعنتية، لا طهية صحرية، فاصبح بمضوري علاوة على ذلك، رؤية القصر بوضوح تام وتشم الهواء العليل بأهصص مما كنت عليه في السابق ناهيك عن رؤية حاسب أكبر من الحياة البرية التي يشتهر بها خليج عوانتنامو بما فيها من سعدل وأهاعي الأعواد، وبصور، وكنت قد طوردت مرة بالعمل من قبل أهص في ساحة التمرين، وكانت تلك المرة الأولى في حياتي لتي تصادفتي فيها أي من الأهاعي وحها لوحه

تمثلت المشكلة، في عدم السماح لنا بالتمرين بصورة جماعية فوصعت برنامجا تدريبيا محتلما وقد بحثت بعصمه في اكتساب لياقة عالية، إذ كنت أحري حول الساحة خمس مرات، بسرعة كبيرة، لأؤدي تمرين الضغط ثلاثين مرة، قبل أن أحري خمس مرات أخرى حول الساحة، مؤديا تمرين المعدة بالمقدار ذاته فيما بعد علاوة على غيره من التمارين، وكنت أعاود الجري في النهاية مدة من الزمن، وعلاوة على ذلك كنت أتمرين يوميا في ربرانتي قسيل معيب لشمس ناهيك عما أبديته من حرص على بادية أحد تمارين المعلق المصيدة باستخدام الملاء المشدودة كعجل في الربرانة، بعد رؤية هيكس يقوم بذلك.

كنا نسمع الأذان كل مساء في التوقيت ذاته تماما، علاوة على الشيد الوطني الأمريكي وكثيراً ما كانت المشكلات تثار، عند غروب الشمس، حينما كانا بتراميس مع بعضهما بعضا، فلم يكن الأمريكيون يورون سماع الأذان يحجب شيدهم الوطني كما كنا نكره، بالمقابل أن يطمس شيدهم الوطني على صوت الأذان فقد كان الجميع، حراسا ومعتقلين، يتوقفون عما يقومون به في تلك اللحظة، ولحص هيكس شعورنا إزاء الموقف، بشكل واقعي، قائلا «او ليس ذلك مدهلا؟ تتوقف مجموعة من الناس لتعبد ربها، بينما تعمل الأخرى ذلك عبادة لتعلم».



-13-

مهزلة العدالة

تلقيت في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 2004، بعيد انقضاء شهر رمضان المبارك رسالة قانونية أخرى من معام جديد عرف بمصمه على انه من بنولى المسؤوليات الرئيسة المتعلقة بقصيتي في حبه. ملعها إلى إمكانية ريارتي خلال بضعة الأيام الآتية. وكبر هذا المحامي هو كليف ستافورد سميت. البريطاني الجنسية وكانت عينا قد أوضحت في رسالة سابقة ان كليف يملك خبرة واسعة في العمل على قضايا المحكومين بالموت. داخل الولايات المتحدة. لأكثر من عشرين سنة وقد تمثل الأمر الأكثر أهمية في تاكيد على عدم مثولي أمام المحاكم العسكرية. مصيها أن عاريت تشاطره الرأي بقوة في ذلك. ولا ترى في تلك المحاكم سوى «مهزلة قانونية» تماما كما كنت أشعر حينها. مستحسما التعبير ذاته في وصفها أمام مارش. ميتوث ورره الخارجية

تلقيت رسالة من عينا هي اليوم ذاته أيضا أخبرتي أنها ذهبت إلى بريطانيا. ونحدثت إلى اللورد عولند مميت. علاوة على لقاء عاريت. وروحي. ووالدي. طفي الأصغر. فقد كنت منتهما إلى لقبها ثابة كي نحدثني عن كل ذلك. وأصافت أن جميعهم اتفقوا. بعد تحدثها إلى عاريت. على ضرورة عدم مثولي أمام المحاكم العسكرية.

كانت المحكمة العسكرية ستعقد. في اليوم الآتي مباشرة. السبت. الموافق عشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر. بينما كانت الرسالة التي بعورتي - متأخرة أسبوعين في الوصول - نحتني على عدم المشاركة في تلك المحكمة. وتعدمني من أن لأمر يكيين يمكن أن يستخدموا المعلومات التي تجمع من خلالها سدي. كما فعلوا مع بعض من يحتجزون في بريطانيا. وأوقفي ذلك في حيرة

شديدة من أمري، عاجزا عن فهمه، وقرأت الجملة التي تشير إليه في الرسالة عدة مرات، قبل أن أطلع فيرور وعثمان عليها، وسألتهما، قائلا: «ما الذي يمكن أن يعنيه ذلك برأيكما؟، إن البريطانيين يستخدمون المعلومات التي يتم الحصول عليها في عوانتابامو، لأجل عدا؟»

لم أكن أعلم في تلك المدة شيئا عن معنى للمارش، شديد الحراسة في لندن، ومن يعتقدون فيه من مسلمين لهتلسمي كليف على ذلك بعد مدة قصيرة، فاستأبني الكثير من القلق جراء ذلك، ماهيك عما شعرت به من استياء بعد أن اكتشفت أن كل التحصيرات التي قمت بها، فهما يتعلق بالحكمة العسكرية، ذهبت أدراج الرياح، وأنها لم تكن بالأمر الصائب، فكنت قد قدمت بالعمل وثيقة من أربع عشرة صفحة كتبها بعناية هائلة إلى معلمي الشخصي.

أوردتُ المقرة الآتية في تلك الوثيقة من بين العديد من الحاجات التي نصمتها، مستعينا بما كان بحورتي من وثائق قانونية، «يصنف قانوني بريطاني بارز آخر، اللورد سنن، المحكمة العسكرية المقترحة «بمهرلة العدالة»، التي «تستمد من وثائق الكمبر» (كناية عن صورتها) كثيرا ما كنت أذكر هذا الوصف للأمريكيين. وقد حرصت على نصميه وثيقي سعيدا بذلك هي الحقيقة.

قام معلمي الشخصي بطباعة نسخة عن تلك الوثيقة، قبل إعدادها إلي، فكنت قد طلبت حضور عدد من الشهود، مهتأ بمسي من الناحية الذهبية للإجابة عن كل ما يطرح علي من أسئلة، والمحاولة فيما يقدم من أسباب لاعنقائي، وكان فيرور قد مثل أمام المحكمة بالعمل، لاستفسر منه حول إجراءاتها، ومحاضر جلساتها، وكيفية استجابة القائمين عليها إلى معاحته، وأخبرني، بما لا يدعو للدهشة، أنهم لم يتأثروا كثيرا ببعض مما أوردته في جلسات المحكمة، كما حدث، حين استشهد بالمقولة الآتية لمالكوم إكس «لست معاديا لأمريكا، ولم أت هنا لإدانتها، وأود أن أسمع ذلك تماما، فلم أت هنا إلا لقول الحقيقة، وإن كانت الحقيقة تدين أمريكا، فستصبح هي موقع المدان لا محالة».

كان فيرور قد تلقى نسخة عن مرافعة عيننا حول قصيته، ليقرأها بالكامل على مناممي. «لم يكن هناك، على المقهى من أكبر الهجمات الإرهابية التي عرفها التاريخ، قصص مدينتي هيروشيما وناحاري بالفضائل البرية، أي أدلة مادية، حسية، دافعة على تورط القاعدة بهجمات الحادي عشر من ايلول/سبتمبر، من عام 2001. ويمكن استنادا إلى المبدأ القابوسي المتمثل في «أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، بلا أي شبهة»، أن نعتبر القاعدة بريئة... كما أردف، قائلا، إن «الطائبان لا يمكن أن تتهم بإيواء الإرهابيين»، وإن «قرار الكونغرس الذي يجبر استخدام القوة الضرورية والمناسبة ضد الطالبان والقاعدة، لا يستند إلى أي أساس...». كانت هذه المحاولة مشهورة للغاية في نظري، ناهيك عن صحتها، ولم تتصح الصورة بإطارها الأشمل، إلا بعد الاطلاع على مقاطعات رئيس المحكمة

هذا آخر إدار أوجهه إليك لا تتعلق هذه المسألة بالقاعدة، بل بما فعلت في أفغانستان»

فيرور «أعتقد أنها تتعلق بتسميمي (عدوا محاربا)»

رئيس المحكمة «ليست كذلك، فأنا موجود هنا لأحبرك أنها ليست كذلك».

فيرور «يسمي أن أصف (عدوا محاربا) وفق القانون الدولي، واتفاقية جنيف...».

رئيس المحكمة «مرة أخرى، لا يطبق القانون الدولي، واتفاقية جنيف هنا، فقد تم

تسميتك (عدوا محاربا)، وانتهى الأمر... استمر الأمر على هذه الشاكلة، حتى تم

إخراج فيرور من قاعة المحكمة وأكد ذلك صيغة قراري بعدم المثل أمامها

حضر لحراس لاقتيادي إلى جلسة المحكمة العسكرية، عندما كان موعد

مثولي أمامها، لأرخص الذهاب يرفقتهم، قائلا «يمكنكم العودة إليهم، وإحضرهم

أسي بصحت من قبل ممثلي القابوسيين بعدم المثل أمام المحكمة، وهو ما

سأفعله بالضبط»

كانو قد حصلوا على وثيقتي بحلول تلك المدة، ولكني لم أعرف على الإطلاق ما إذا كانت المحكمة قد عقدت، أو أصدرت حكمها بتأكيد تصميمي «عدوا معاربا» ومضت، بعد مضي مدة قصيرة، ما كنا متوقع حدوثه جميعا لم يبرا سوى شخص واحد من تلك الشبهة، عن بين مئات من مثلوا أمام المحاكم العسكرية

تقدم هيكس الذي كان يلتقي عددا من المحامين بشأن قصيته أمام اللجنة العسكرية بشكوى جديدة هي تلك الأثناء حول الطريقة التي عومل بها عند اقتياده إلى معسكر الصدى للقاء أولئك المحامين، وكان معسكر الصدى هي حينه يخضع لقيادة مختلفة بالكامل. فلم يكن أي من عناصر الشرطة العسكرية هناك يعرفوا، إلا فيما ندر، فقد أحسني هيكس بمطاعة ما تملكه من مشاعر عند عودته إلى هناك، وبدأت أحواء المعسكر كثيفة، موحشة في نظره، وكأنه مسكون بالشر واستحبات كاميرا المراقبة في العربة عينا ترصد حركاته طيلة الوقت كما حيل إليه، وأحس بأن المكان يصبغ به شيئا فشيئا، يكاد يطبق عليه، فلم يكن معسكر الصدى، بكل عرره المعلقة وأحواله الحافزة، يطاق حقيقة بالمقارنة مع معسكر بابا.

لحظ جميعنا أنه عادر لرؤية المحامين هي الثامنة صباحا، على وجه التقريب، ليمود هي المباشرة، أو الحادية عشرة مساءً مع أن لقاءهم لم يستغرق أكثر من ساعة واحدة.

اكتشفت ذلك بنفسي بعد مضي مدة قصيرة، إذ اقتادوني في وقت مبكر للغاية، حوالي الساعة صباحا، للقاء كليف للمرة الأولى، ووضعوني في زيارتي القديمة المارعة تماما، فكنت أضطر إلى التلويح لكاميرا المراقبة إن أردت لمث انتباه الحراس، وقد كانت محاولاتي تصيب مدى، إن أشاحوا بوجوههم عنها، وبدأت، هيما بعد، قرع باب الزبارة، والصراخ بصوت عال، ليأتي أحد الحراس لحدد هي نهاية المطاف، قائلا، «من تظن نفسك كي تصرخ في الزبارة؟»

لم يكن دهولي بحاف، فحاطبته، قاتلا، لا أصدق ذلك، فقد بقيت في هذه البردانة مدة طويلة، أنتظر قدوم أحدهم بلا حدود، فإني احتاج شرب الماء لا أكثر، حيث أمضيت ساعتين كاملتين أحاول نعت أشياء أي منكم ..

عقب، قاتلا، حسد، لا يمكنك الصراح على مسمع من رؤسائنا المارين من خارج ..

مترحت محدداً هي وجهه، قاتلا، لا أكثر لدلك، فكيف يعترض بي طلب أحد من أحدهم؟ ماذا لو حل بي مكروه ما، ولم يكن أي منكم يهبط إلى كاسهرا لرفقة كما يعترض به؟ ..

أحدنا يحرق ببعضنا مدة من الزمن، قبل أن يحرق ما ران على المكان من سميت، مشوب بالعصب، قاتلا، أوص إلى أنا الجدي هنا وأنت المعتقل، ونهين عيت لتعيد ما أقوله، وأدب نفسك أولاً قبل الحصول على ما تريد ..

بمع انصبا مني منتهاء لأصرح فيه، قاتلا، أنت ملية بالقدارة أيها الجدي، ولا أعترف بها تقوله مطلق، أنا الرهبة هنا وأنت العاطف، فليكن ذلك واضحاً بالنسبة لك ولا تجعل الأمر يبدو وكأنك تسدي إلي معروفاً، ولا أتوسل إليك طبقاً بطالمترقل من أطلب شرب الماء لا أكثر أنت حديث العهد هنا، ولكنني أمضيت ما بمارب السنتين في هذا الكابوس، ولا أسيب لمشكلات لكم مع ذلك، وإن وددت الاطلاع على محلي، هلست مضطراً، أن اتعامل مع العاسدين من أمثالكم ..

لم يكن معسكر الصدى يطاق بالعمل، كما أسلف هيكس، لتريد موقعهم الحديدية تلك الأوضاع تزدب، وكان الأسو بلا شك من بين كل الأماكن التي اقتادوا إليها، وقد تساءلت حقيقة عما إذا كانوا يتمعنون القيام بذلك، أو أنه كان ناتجاً عن تبذ مشاعرهم؟ ولم يكن أحد يهتهم، بالطبع في كلنا الحائنين، وهذا هو ما كانت لحال عليه حقيقة، فربما أرادوا شيئاً عن رؤية المحامين، علاوة على ذلك، عبر تركنا بنظر ساعات طويلة في البراري

لم يكن شيء ثمثيسي عن رؤية كليف، ما إلى التقيته، إذ دخل البرانية، لأرى رجلاً طويل القامة، «إنجليزيا، للعناية، برندي ما هو عادي من الملابس، كان أشعث الشعر، وكأنه عادر العراض للتو، محتملاً عن عينا هي كل شيء، وقد مثل تنفؤه إلى بريطانيا هرقاً كبيراً بالسسية لي، وكان عناصر الاستخبارات الدخلية، أو مبعوث وزارة الخارجية، عارتس، من تحدثت إليهم من البريطانيين هي السابق، هضمرب شيء من الألفة تجاههم. وحين التقيت كليف شعرت بأنه كان يهدف لمساعدتي حقيقة.

حاطبسي بشكل مباشر، قائلاً «انظر، يتعين عليك، استناداً إلى خبرتي، أن تخرج أولئك السملة كي يعملوا شيئاً ما، لأنهم لن يهتموا فيما عدا ذلك، واحتلت طريقته للعناية عن عينا، فكان لديه المزيد من الوثائق القابولية لأطلع عليها وقد أخبرني أن الحكومة لا تزال تعديل صد حصا هي المثل أمام المحاكم المدنية وهو ما طست أن المحكمة العليا قررت بشأنه بالفعل.

حاطبسي، بينما كان يشير إلى الأوراق، قائلاً «لا أؤمن كثيراً بهذه التماهات، ويمثل ما يسمي عليها القيام به في إحراج أولئك الناس، وهو ما يعني لبدء في التحدث عما لا ترغب الحوص فيه ربما، كالاتهاكات التي تعرضت لها، ويتعين عليك البدء هي تسجيلها، وعدم تعويت أي منها».

مصميا هي مراجعة كل التفاصيل السيئة - المؤنة هي بعض الأحيان - التي مررت بها خلال ثلاث السنوات الماضية، وهو ما كان ضرورياً هي نظري (أعد كليف تقريراً حولي، بعد مصي بصمة أيام آخر، في الرابع والمشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، مستعنيا بما وصعته من ملاحظات، وما رويته له من أحداث، واحتل التقرير ثلاثين صفحة، وقد أصنف كليف لمسته الجريئة المميرة على العنوان الذي اختاره له: «الف يوم وليلة من التعذيب والإساءة المنهجية بحق معظم بيغ، المواطن البريطاني، من قبل الولايات المتحدة الأمريكية»).

بيع الأمر بالرجل حد محاطتي بما لا يحلو من عموية. قائلا: انظر. اعتقد ان الأمر قد حسم، وأصبح مصمود بالنسبة لك. مستود إلى الديار، فيتعين علينا التفكير في البقية الآن».

طلب من التدخل بقوة لمساعدة الآخرين. وهو ما كنت أكثر من مستعد للفهم به، يتعين علينا الحصول على أسماء الآخرين ممن لا يتوفر لديهم محامون، والبحث فيما إذا كنا نستطيع مساعدتهم هؤلاء ثم التحلي عن معظمهم من قبل حكوماتهم. وسنكون حمايتهم من التعذيب، بشكل أو بآخر، أكثر صعوبة.

أخبرني كليف كذلك أنه كان يلتقي ريتشارد بيلمر، أحد البريطانيين الأربعة السابقين رهس الاعتقال وأنه يحطم لرؤية صديقي القديم شاكر، علاوة على عمر ديبايس، وحمال كيمبا - المقيمين في بريطانيا جميعا، ولم يكن كليف يمثل بشر رجيل، بالرغم من اطلاعه لتام على قصصيهما «شمرت بكثير من الألمة تعاهه بحيث سأنه إحصار بعض الأطعمة السريعة عند عودته في اليوم الآتي

أذكر أنني فكرت بمجرد أن علمت تولي كليف قصايا المحكومين بالموت، قائلا لنفسي: يا إلهي، لا تبدو الأمور جيدة إلى أبعد الحدود، فقد أسرتني شخصية الرجل، ومواقفه كثيرا بعد أن التقيته

خبرني عن رؤية بعض من موكلية المحكومين بالموت، هي أقصى الجيوب الأمريكي، وهم يمدمون، وعم شمر به من صدمة جراء ذلك، فأردت أن أعرف السبب الكامن وراء اهتمامه بهم، وبمعتقلي عوانتاامو، على حد سواء.

أجابني قائلا: ربما بنقى المعتقلون داخل الأراضي الأمريكية ما يروق العامة التي تلقونها سواء بالزعم من ندهور أوضاعكم بما لا يقارن بهم، وانتقل أولئك الآن إلى مرحلة التعذيب، ولا أعني النقص منه فحسب، وقد تحدثت إلى من نعرضوا لاعتداءات جسدية من المعتقلين، ناهيك عن اعتصبوا، وعدبوا فلا يعلم سوى الله ما يحدث لمن يعقلون تحت مسمى «الأشباح» في أماكن كمصر، وديمو غلوسيا، وغيرها.

«لظالمنا كرهوا» السود هي الولايات المتحدة، دون أن يحشواهم، فقد كانوا يهايون
المسوفيين، إبان الحرب الباردة، دون أن يكرهوهم، ويخشوكم أيها المسلمون،
ويكرهوكم علاوة على ذلك».

«يجادلون على أن إيقاف «قنبلة موقوتة» هي مدينة نيويورك يبرز استخدام
التعذيب هي أماكن أخرى لاستراخ معلومات حيوية من «المعتقلين، فلا توجد سابقة
لذلك، ناهيك عن عدم نجاحه في أي من مراحل التاريخ وتشكل مؤامرة عاي
فوكس لتفجير البرلمان في القرن السابع عشر مثالا جيدا للندليل على ما أقول،
فقد كان عاي فوكس على أهبة الاستعداد لقتل بنس، «مجر انتحاري محتمل»،
وألقى المسؤولية، حين عذبوه للكشف عن تفاصيل مؤامرة أخرى على عاتق
المسيحيين الذين كان الانجليز يبحثون عن أي مبرر لقتلهم، ولم يؤد ذلك إلا إلى
ازدياد الكراهية دون أن يسهم في حل المشكلة».

أردف كليف، قائلا: «يمثل التسامح، لا الانتقام أو العقاب، موهوما مهما للعامة
في المجتمع، وينبغي عليك التفكير بذلك أيضا إن أردت أن تتجاوز ما مر بك».

لم أعلم كم كنت متعقا معه في ذلك، على ضوء التفكير بعائلتي، على نحو
خاص، وكيفية استجابتي لأي مما يمكن أن يربك نجمها من جرائم، لا قدر
الله نعم نصح كليف في ذهني إلى التفكير في ذلك، ولكنني صغرت عن التمعن
في أي شيء عدا كلماته المصممة بالثقة حول عودتي إلى الديار، التي ما أبعد
صداها ينزود في ذهني، وكانت مذهشة بحق. وقد أجدت أرودها مرارا، فأبدا
في معسكر الصدى.

لم يخرج كلام كليف في مصمونه عما سمعه هيروز مؤجرا في ساحة النمرين،
من مارتن موياما، حول أن محاميه كان قد أحبره بإطلاق سراحه في شهر
شباط/ فبراير، هانتشرت تلك الأخبار في المعسكر كالبار في الهمشيم، وحاولت
إقناع نفسي، بأن ما أخبرني به كليف لم يكن يمتقر إلى المنطق، وأنه ينسجم مع
ما قيل لمارتن، فظلت بإمكانية بقائي أبا وهيروز، بالنظر إلى مثولنا أمام اللجان

العسكرية. وقد دارت العديد من الأسئلة هي دهي، عاجراً عن إبعاد ما يشمي عيني من أحوية عنها ولم يكن السؤال الآن هل ساواحه نهما هي بريطانيا إن عدت إليها؟، بأقلها إلحاحاً.

كنت قد سألت كليف هي وقت سابق، قائلاً: «ما أسوأ ما قيل عني في وسائل الإعلام؟».

أجاب، قائلاً: «حسناً، بمعدل عن تصريح الرئيس بوش، لمتعلق بك وبميرور. لا أعلم ما فعله هذان لرحلان، ولكنني أعرف تماماً أنهما يمثلان قمة السوء». بمعدل عن ذلك، فقد رعت بعض التقارير التي سربت إلى البيروقراطية أنك سقت وحسبت لها حمة ميس البرلمان بطائرت موجهة عن بعد، محملة بالإشراكن».

عقب، قائلاً: «هذا حصون، لا أصدق ذلك. هل أنت حاد يا كليف؟».

أجاب، قائلاً: «بالشكيد، فقد كنت أمل في الواقع، أن تعترف بشيء من هذا القبح مع كل ما يتصف به من سحافة، عند ستمع منهم إلى الكيمية التي كنت تحطط بها للحصول على تلك الطائرات العسكرية - التي تكتب الواحدة منها ملايين الحبيبات - ناهيك عن تصميمها وتصميمها، ولو اتهموك بذلك أيضاً فما الذي يدفعك بحق السماء، لو مسلمنا جدلاً بأنك كنت تحطط لذلك بالفعل، إلى مهاجمة أي من لأسبة بطائرة محملة بتلك المادة، عوضاً عن نشرها عبر نظام تهويته، على سبيل المثال؟».

بدا الاستياء واضحاً عليه، حين أخبرته أنني لم أستحوب حول شيء من هذا القبيل على الإطلاق، وكان الرقيب لوبيز قد أخبرني، حين كنت في معسكر الصدى، أن إحدى الصحف ذكرت أنني كنت متهماً بالتحطيط لشميد هجمات بطائرات مروحية موجهة عن بعد، وكنت أظن أنه يمارحني لا أكثر ليتصح لي الآن أن الأمر لم يكن يمثل رشاعة، أو دعاية، وقد تملكنتي الحيرة من أسري، عاجراً عن معرفة مصدر ذلك الخبر

حاطبسي كليف، قائلا «في الواضح أنه أحد زملاء دراستك الصامى. من المدرسة اليهودية..»

عقبت، قائلا «مدرسة الملك داود».

اجابني، قائلا «نعم اظن ذلك، ويعمل الرجل، مع النيويورك في الولايات المتحدة وقد حضر لرؤية والدك حين سمع بقصصتك. قائلا إنه كان أحد زملاء دراستك القديس، وأنه يرغب في مساعدتك بشدة، والتقى ريسب والأطفال علاوة على رياره والدك في منزله، ثم عاد ههما بعد إلى الولايات المتحدة، لبشر هذه لقصة قائلا إنه حصل عليها من مصادر مكتب التحقيقات الفيدرالي».

عقبت قائلا «لا اصدق ذلك، فلم أر أحداً من مدرسة الملك داود منذ ما يزيد على العشرين عاماً».

سألني قائلا «هل انت واثق من عدم وجود ما يمكن أن يمولوا عليه للخروج بمثل هذه القصة؟».

اجبته، قائلا: «حسنًا» أخبرت «إف بي آي» حول دروس الطيران التي كنت اتلقاها منذ ثمانية عشر عاماً، حين كنت في الثامنة عشرة من العمر، وربما كان ذلك ما استندوا إليه».

عقب، قائلا «لا ريب أنهم فعلوا، ويمكن لأي كان تلصيق بقية القصة».

لم يكن مراسل النيويورك، ريتشارد وولف (الذي لم أذكره) زميل لدرسة اليهودي الوحيد، من مدرسة الملك داود، الذي يكتب عني

كذت أحفش بالسكاء، حين تلقيت رسالة قديمة من شقيقي، يحبرني فيها أن ميشا موريل - الذي يعمل صحفياً في هونغ كونغ الآن - لم يتذكرني بحسب، بل أظهر تعاطفه معي كذلك بعد مصي تلك السنين، ولم أكن قد رأته، أو اتصلت به منذ العام 1979، وكتب ميشا إلى العارديان، قائلا

«يستحيل» هي نظري، ألا يتعلل مسبق المدرسة الحصرية الأهلية هذا بأي من الأفكار الليبرالية، المستفعدة من مدرسة الملك داود اليهودية الابتدائية في بيرسيفام... أعتقد كل المسؤولين النعالي بالليبرالية ذاتها لنصعد بأقصى ما يمكنهم على المسطحات المعيبة كي يعطى رميلي القديم «مورمبيق» محاكمة عادلة هابي أنعامك مع معظم وعائلته على الدوام.

فوحنا بإحراءين غير مسبوقين بعد وصولنا قسم بابا الأول، تستبدل بيراتا البرتغالية أخرى ذات لون سي فاتح، وقد أثر ذلك كثيراً في نظرتنا إلى أمسنا، إذ كنت أصفت المرات البرتغالية التي كنا نرغم على ارتدائها مدة طويلة، وقد مثلت المرات الجديدة معاحة لطيفة بالعمل، ودارت النكهات فيما بيننا حول سبب هذا التغير المفاجئ المتول أمام النعالي العسكرية ربما؟ واكتشفنا لاحقاً أنه شغل كل معتقلي الدرجة الأولى وتمثل الإحراء الثاني في اقتيادي أنا وفيروز، جارج ربرتيف ذات يوم - بلا أي أصعد - ثيأحد أحد الجنود، عن لم نرهم من قبل مقاسات كليب بمساعدة الحراس، وسألنا بعضاً قائلين «لم يحتاجونها؟».

أجاب هيكس وعثمان عن هذا السؤال فيما بعد قائلين «من أجل اللعالي العسكرية فسيحيطون ملابس خاصة من أجل المحاكمات».

أجابني كليب، حين سألته، قائلاً «ربما كانت تلك الشهاب من أجل عودتك، ولن نمثل أمام أي محاكم عسكرية أكاد أضمن ذلك».

لم يكن عثمان يقاس أي محاميين على الإطلاق مرفص حلمات المحامي «لوكل له من قبل لحيش الأمريكي، هي أولى حلمات محاكمته، قائلاً «لا يمثلي هذا شخص، وأرغم أن يبوب عني، فهو ينتمي للحيش الأمريكي ولا يراني إلا عدواً له، كف اعتبره عدواً لي، فكيف يمكن له الدفاع عني؟ أود تمثيل نفسي، أو الاستمارة بمحام يعني، إن لم يكن ذلك ممكناً، أردف فيما بعد، قائلاً «أنا عضو في لخدمة...» حدثت كلمته من محضر الجلسة، ليتم رفعها مباشرة، ولم يكن عثمان يثق بالمحامين «لعييين من قبل الحيش الأمريكي، وأصمنا إياهم «بالمحققين المنتحلين صفة المحامين».

سألني كليف، عقب لقائنا الأول، تدوين أسماء من يودون الحصول على تمثيل قانوني - ولا يستطيعون ذلك - من المعتقلين (كانوا يمثلون العالوية هي حينه) وقد اراد الحصول على أسمائهم، وأسماء اقربائهم، وعناوينهم، وأرقام هواتفهم، وأرقام اعتقالهم، وتأمينيل حول لغاتهم المحكية.

كنت أعلم، بحلول تلك المدة، مدى ما يحيط بالمحامين من شكوك، بالنظر إلى موقف عثمان منهم على وجه الخصوص، فقد تلقى عدد من المعتقلين زيارات من فريق قانونية أمريكية - بعد قيامي أنا وهيرور، بتوكيل محامين للدفاع عنا - بينما رفض آخرون ذلك بالمطلق لعدم قناعتهم بأن أولئك المحامين يمكن أن يمثلوهم على أكمل وجه أو لعدم امتلاكهم ما يكفي من الثقة بهم، أو لرفضهم المثول أمام المحاكم الأمريكية المتنافسة مع معتقداتهم، بالنظر إلى تحريم الإسلام اللجوء إليها.

كان هنالك ممثل صيني دارس للإسلام ممن يحظون بالاحترام كثيرا، وينحدرون الامة العربية المصحى بطلاقة، فقد كنت أستمع أحيانا إلى بعض المقاطع من عظاته عن بعد، فاستعني هي تلك المسألة، لأستمع إليه هي إحدى المرات، وهو يلقي خطبة كاملة حول حكم الإسلام في اللجوء إلى ما هو غير إسلامي من محاكم، وأورد آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية، باهيك عن فتاوى الأئمة ورجال الدين من قدامى ومفكرين، باحثا فيها جميعا، قبل أن يصدر فتواء بعدم حوار اللجوء إلى تلك المحاكم فتحدث، قائلا، لا يجوز للمسلم اللجوء إلى محكمة غير إسلامية، إلا هي أكثر الظروف إلحاحا، ومكرت، هي حينه، قائلا لنفسه: وهل ثمة ظروف أكثر إلحاحا مما نمر به؟.

تمسك عثمان بموقفه من المحامين، فسألته إخبار بقية المعتقلين بما طلب مني، لقربه من أقسامهم، وإطلاعي فيما بعد على أسماء الراغبين في الحصول على محامين منهم، فرفض عثمان القيام بذلك، مستندا إلى موقعه من القضية برمتها ولم يكن «نزعاجي منه بحاف، دون أن أبلغ حد القطيعة معه، وقد استاء هيرور بشدة من ذلك الموقف؛

«لا أدري ما حطبت بعض منكم أيها الناس، فهل تتوقعون نزول الملائكة من السماء لتهبكم، بينما ترفعون أيديكم تصرعاً؟ لا أرى فرق بينكم وبين الموصيين».

لم يكن منصفاً فيما قاله، وإن أشار إلى إحدى القضايا الحساسة، فإنه يتنكر للمذهب من المسلمين - الذين لا أستثني منهم سوى عثمان، ونعسي - إلى بعض ما ورد في المذهب لصوفي كبدع، لا تنتمي إلى الإسلام هي شيء، وانخرطت في الحدل بقوة محاولاً إيراد ما يدعم موقعي من أدلة، ليصر عثمان على موقفه الرافض.

خاطبته، قائلاً: «اسمع يا أخي فقد مثلت الإمبراطورية العثمانية أحر الدول الإسلامية بماعلة بعض النظر عن تركها الكثير من أصول الدين، فأجبرني عن الكمية التي حصل بها المسلمون حقوقهم - خلال الثمانين سنة الماضية. أو نحو ذلك - في ظل غياب المحاكم الإسلامية؟ فلا يزال القابون القسلي سائداً في بندك الهمر بينما تطبق توليفة من القابوسين البريطاني والإسلامي في الدول المستعمرة سابقاً، كباكستان إن ارتكب أحدهم جريمة بعقي، فهل تقول إنني سأحرم من العدالة لمجرد عجري عن المنول أمام أي من المحاكم الإسلامية؟ ولو علم لأثمن من مسلمين أو غيرهم بمعتقدك هذا، لسرفوك ليل نهار».

كأن عثمان محققاً بالزعم مما سبق، فلم يكن قرار المحكمة العليا شيئاً إلا وصف الموقف بدقة قائلاً: «إنه مجرد ديكور». ونحاول أمريكا تلعب صورتها على حسابنا، فقد كنت متفقاً مع توصيف كليف للمساءلة، ولم تكن بمول على قرارات أي من تلك المحاكم بل كنا نسمح إلى بشر بعض الحقائق حول الحرب على الإرهاب، ومعتل عواصنامو، وربما ساعدنا لحامون في ذلك.

صرحت، عبر الأقسام بنعسي، لانتقى أول الردود من سعيد^{*}، الروسي رحيلي القديم في باغرام، هبادلي، ما إن سمع صونتي، التحية باللغة الروسية، ثم العربية الركيزة، ثم الإنجليزية هالينشونية، وتمكنت من فهمه حين كان يعيبي بالعربية بالزعم من ركاكتها، وتملكني شعور جيد لسماع صوته

* رافيل ميخروف (من سعيد الروسي) أحر المقتلج الروس هي عواصنامو (المؤلف)

سألته عما إذا كان يوم الحصول على تمثيل قانوني، يُقسم لي، صارحا،
معلومات حول سيرته لداتية، قبل أن أقوم بنقلها إلى الإنجليزية، وقد فعلت
الأمور ذاته مع محتفل توسي، وراشد السعودي، وحزائري ممس، ولم يكن بعد
المس من يقول عليهم من أقرناء ولم أتمكن من الوصول إلا إلى أولئك الأربعة
فحسب، من بين ما يقارب الخمسة والعشرين سجدت في ذلك القسم.

رعب معتقلون آخرون في توكين من يمثلهم من المحامين، ليتراجعوا عن ذلك
بعد أن حاصر اثنين من أبرز رفاقهم برفضة صراحة، فلم يكن من السهل عليهم
النشول، ناهيك عن عدم قدرتهم على القيام بذلك سرأ.

شعر بمرور بسعادة بالغة للجوء أولئك الأربعة إلى المحامين، فقد كنا نعلم أن
استجابة سميد شجعت الآخرين على أن يعدوا حدود دون أن يدرك، بحسب
ظني أن تلك المسألة كانت تمثل موضوع الساعة في حية.

التقى بمرور عينا، بينما كنت ألقى كليف في اليوم الأول لمرجع ما قالاه
معا فيما بعد، ويقارن بين ما قدماء من ملاحظات، وكنا نقرا الوثائق القانونية
بتمعن شديد أتلوها على مصامعنا إن تلفيتها أولا ناهيك عن مناقشة تفاصيل
قصصينا كما يفعل المحامون وتمثلت إحدى أكثر المحادثات إثارة في المثال
الاختصاصي حول سيدة سويسرية مسنة، وهبت المال إلى القاعدة دون علم منها،
فسأل أحد لقصة محامي الحكومة قائلا «هل تعتبر هذه المرأة عدوا
محاربا؟» ليحييه، قائلا «نعم، أعتقد أنها يمكن أن تكون كذلك».

كنا قد ربطنا، بحلول تلك المدة في قسم بابا - نيميرا برات لبية الماتحة
عن بقية المعتقلين - ارتباطنا بعلاقة صداقة هوية لمعاية غير اعتيادية، فقد كان
ذلك يشبه إلى حد ما ما كنت أتعيّله حول المحكومين بالموت، عبر ما شاهدته
من أهلام حولهم، وكنا نقع جميعا في ربابنا مشترك تلك التحرية المميزة
المريدة من نوعها، فلم يكن يتمكن من رؤية بعضا بعضا بصورة مباشرة إلا
عند مرور أحدها بحساب الربابين، هي طريقته إلى ساحة التمرين أو

الاستحواض، وقد كان الحراس يسمحون لنا، هي بمص الأحياء، بالتوقف لمصافحة بعضنا بعضا عبر شباك الزجاج، ولم يكن السلام يقطع فيما بيننا، إذ نرسم أكثر الابتسامات إشراقا على وجوها عند تبادله، فلم يمر أحد برؤاشي دؤب أن يتعرف علي، سائلا إياي عن حالتي بتعابير معتمة كما يفعل من يتحدثون العربية.

تلمست في حية تقدير الدور الذي تلعبه ثقافة الناس في صياغة تلك السمات، إذ كنا نحن البريطانيين أكثر برودة، وتحفظا من الآخرين، ولم أكن أحبي هيرود، حين أمر برؤايته، بتلك الحوار الزائدة، ولم يكن يفعل ذلك بدور، عن القيص مما كنا نقابل به بقية المعتقلين، مراعاة للصروق الثقافية فيما بيننا، ولم يكن الأمر يختلف مع هيكس

وقعت حادثة تبين حائلي الذهبية على أكمل وجه هي تلك المدة فقد أراد جميعا إعاضلة الحرس قليلا، محررت بمكرة كتابة صفحة مينة بكلمات وحمل من مختلف اللغات (لعربية والأوردية و لمرسية، والإسبانية والمصرية واليهودية والماسري، والهندية، والروسية و اللاتينية) لنبدو كرسائل مضمرة نوي توزيعها وبعدت ذلك بالعمل مصمما الصفحة ما رسمته من أعلام دول محتلة وقمت بطيها، فيما بعد، ووضعها في حبي العلوي، قبل التوجه إلى ساحة التمرين، وإحماها هناك، هضمت أنهم سيجدونها فيما بعد، وكنت أنعجز من لصحك، حين هموا، منسائلا عما يحتاجونه من مراحمين لقل ما ورد فيها إلى الإنجليزية.

حضر العميد هوود، في غضون ساعة ليحول هي المكان، متحدثا إلى الرقيب المسؤول عن القسم، وكنت و ثق من أن حدعتي البسيطة سميت لهم لكثير من انطلق، إذ أدى ذلك إلى تمتيش كل من يدخل الزاوين ويخرج منها فيما بعد فاعتدلت إلى الآخرين عن ذلك، منتشيا بما فعلته بالأمريكيين

تغير مراحلي فعليا بحلول تلك المدة إذ كنا قد حصصنا، حد وصولي قسم دبا هي شهر شرين لأول / أكتوبر، إلى نوعية جديدة من الامتحيات، لا تحو مما يمكن

عتبره اختباراً للقوة الذهنية بيساً. وبين المحققين، وقد أظهرت الملاحظات اهتمامها
مجدد باستجوابي، بعد مصي أشهر على رفضي التحدث إليهم، وتم اقتيادي
للاستجواب خمساً وعشرين مرة على الأقل، فيما لا يتعدى ثلاثة الأشهر، وهو ما لم
يحدث في معسكر الصدى فقد بدؤوا ممارسة الألعاب الذهنية هي تلك المدة.

رأى عثمان في ذلك، ببصيرته الناعمة على الدوام، إشارة إلى قرب إطلاق
سراحي، مشيهاً بهما حدث مع فتبان تيتور قبل عام مصي، ولم يكن واثقاً
منه إذا كان ذلك صحيحاً، ولم يرغب في تعليق أي من الآمال عليه، وقد بدأت
مع ذلك أحلم بروحي من أن لأحر بابهك عن التفكير في الوطن، ولم أكتب إلى
الأهل كثيراً في حبه مكتوماً بالتلميح - حين كنت أعمل - إلى ما مررت به من
تعبير مركراً على بعض التفاصيل الاعتيادية كزيادة حجم ساحة التمرين، وكتبت
إلى ريس، محاولاً تدكيرها بإمكانية ألا أبدوا مألوفها للوهلة الأولى، ما إن أعود
إلى المنزل، بعد تمضية سنتين ونصف في الحرس الانفرادي.

حصب هيرور كذلك للاستجواب بصورة منتظمة. وإن لم يكن بما يماثلني،
وكنت أعزو ذلك إلى طبيعته المتحمضة فلم يكن يحاطب المحققين، كما كنت
أنهيل، إلا بقول الآتي «سلوا محاميي تحدثوا إلي» وكنت أحرط في حدل
حاد مع المحققين

خضعت للاستجواب من قبل الاستخبارات العسكرية وغيرها من الوكالات
«كإل إف بي آي»، و«السي آي آي»، و«إل إس آي»، التي لم يكن عناصرها
يصرحون عن هوياتهم في جميع الأوقات. وكنت استجوب بشكل مكثف، مرتين
في اليوم أحياناً، وقد اعتاد هيرور الصياح، عمر ساحتين للتمرين لإيصال
الرسائل إلى مارتن موباما، وأردنا معرفة ما إذا كان مارتن موباماً يخضع
للاستجواب بالنظر إلى ما يصبه ذلك من أن للأكمة ما وراءها، فكان خصوعي
أبداً، وهيرور، للاستجواب بمصردنا يعني أمراً محتتماً للغاية، إذ لم يكن مارتن في
حبه يجمع لأي استجواب جديد.

أدركت، بعد وقت قصير، أن بعض الاستجابات بدت متعلقة بما ألقاه من
زيارات قانونية. إذ كنت قد تلقيت زيارة فورية من المحققين بعد لقائي الأول
بميتا، هي نهاية شهر آب/ أغسطس أمضيت ساعات، فيما بعد، متسانلا عما إذا
كان توقيت تلك الزيارة متعمداً، وهل كانوا يحاولون نقل رسالة معينة، مما دعا
أنها كانت تعمل معهم،⁹

حصلت للاستجواب كذلك قبل يوم من قدوم كليف، هي «ميسي مولد»، خارج
بوابات الحرسة، على بعد مسافة من قسم بابا وكان أيار، أحد المحققين،
قصيرا للغاية، كث الشاربين. كثيف النخبة، أحمر الشعر، وحلى قبائلي، قبل أن
يقدم لي زجاجة من الماء

سألته بسخط: قائلا «هل تظن أنني أشرب البول هي ربراشي؟ فأنمى الأيمن
هد ما تظهره من حسن صياغة، وأحد الرجل على حين عرة نتيجة موقعي كنت
أحاول إرباكه، ومماحاته، بأسطر إلى ما مارسوه من اللعب في السابق

استهل حديثه قائلا «دعني أريت معادلة هنا، هل تم بالحبر؟ شعرت أنه
ينبع «انسي أي أبه» بالنظر إلى طريفته إجابتي والتقرب مني هي الوقت ذاته

أحبته قائلا «حسنا، لا هي الحقيقة، فلا أتم بالرياضيات على الإطلاق
والجسر على نحو خاص، ويمكنني أن أقول لك إن «الحهاد» ليست بالكلمة
العربية الوحيدة لشي ترهب لغرب إذ تعني كلمة «الحبر» الإصلاح بالعربية وقد
اشتقت فيما يتعلق بالرياضيات مما عيون به أبو جعفر الخوارزمي عمله،
ناهيك عن كلمة «المورشم» (لحساب) المشتقة من اسمه ..

قاطعتني، قائلا «هد مثير للغاية أصبحت إلي الآن $(X + Y = Z)$ حسنا، هده
هي المعادلة، إذ يمثل (X) ما نعرفه من معلومات عنك و (Y) ما يمكن أو لا
يمكن أن تقدمه من معلومات لنا و (Z) إلهابي فأت هو (Z) ، و (X) هو ما نملك،
و (Y) ما يمكنه تغيير المعادلة».

عقبت، قائلا «شكرا لك يا أيشمبين، فمسر لي الآن ما تحاول قوله، وهل تفرص عني صفقة مقايين تعاوي، مجدد ؟ من كان كذلك، فسيكون جوابي بالرفض، ولن يحدث ذلك».

عقب قائلا «هذا ما انت عليه»، مشبرا إلى كلمة «إرهابي» التي كتبها على قصاصة من الورق.

عقبت، قائلا «هل تمتدون أن تزيد كلمة ما كثيراً، يجعل منها حقيقة؟ فما الذي قاله هنتر في السابق؟» يصدع لجماهير بما هو كبير من الأكاديب بسهولة أكثر من لصغيرة منها لا سيما إن رددت مراراً يجدر بي الجلوس هنا، دعيا إياك «حمار»، حتى يأتوا، ويقادوني للخارج».

حاطبني قائلا «نظم بشأن ما قدمته من شكاوى لحاكميك، ورياراتهم لك، ومواعيد قدومهم، فقد كان يشير بوصوح إلى الرسالة التي كتبتها في شهر تموز/ يوليو وكشفت عنها وسائل الاعلام وأردها، قائلا «لا يهتم الرأي العام الأمريكي لذلك وهو الأهم هنا، لا البريطاني، وتمحور حكومتك عن فعل أي شيء، كما يمحور محاميك».

بدأ، مع ذلك، أنه يحاول إيجاد طريقة جديدة للتقرب مني، فأخبرني أنهم يمتلكون معلومات عني حصلوا عليها من معتقلين آخرين، وحاطبني قائلا «لم تتعاون معنا، أو تحب عن أسئلتنا منذ مدة طويلة، فربما أحاول تعبير موقفك، فما اندي سيكون شعورك عليه إن بقيت هنا سنوات طويلة؟».

أجبت، قائلا «حسناً، مضى علي ثلاث هنا، وقد لا تمثل مدة طويلة، ولكنها كافية في نظري، فلم يحدث أي مما وعدتموني، أو هددتموني به، كإرسالني إلى المحكمة على سبيل المثال، ومن ثم لم أعد أكثر حقيقة، وهل تعلم، بالأحرى، أن هذا المكان بدأ يروق لي؟».

كان كذلك بالفعل. مقارنة بممسكر الصدى. ولز بدت كلمة «يدوي» غريبة هنا
فعد احببت مقدرتي على سماع الأذان، والصلوة جمعة، ولتحدث مع بنية
المتقنين، والتمر في الساحة الأكبر حجما.

أردت، قائلا: «أنا متفائل بطبعي يا أها، وأعتقد أن هذا الوضع سيتميز
بطريقة أو بأخرى، ولا أحتاج مساعدتك فيما يتعلق بذلك، وأعلم بالفعل ما
الذي سيحدث، استنادا إلى تحريتي مع «الإف بي أي»، حين وقعت وثيقة
الاعتراضات التي قدموها لي لا شيء، وأخبروني في حينه أنني سأمثل أمام
محكمة ولكنني لم أعمل، فلز بدفسي شيء في الكون إلى التوفيق بأشكالكم
بعد اليوم، مهما هددتموني».

تذكرت، بينما كنت أتحدث كيف انهمرت دموعي حين استجوبتي وكالة
الاستخبارات المركزية للمرة الأولى بأهلك عما مارسته من تهديد وتهويل بحقي،
في إسلام آباد، وفندهار، وباعرام، ولم يكن ذلك ليحدث هذه المرة.

استمر الاستجواب ساعتين تقريبا، هما انك لرحل يمارس أساليب الماكرة،
والضحكة في الوقت ذاته، وكنت أرى العصب يبدأ على وجهه، مع كل ما كان
يستقله من هدوء، فلم يكن يدرك أنني ما عدت أحمس «السي أي أي»، بحلول تلك
المدة، أو أي من المحققين الآخرين.

لم يخل الموقف من الطرافة، حين عدت إلى لبرابة، وأخبرت البقية عما
حدث فعمل الجميع، جاهدس لا تمورهم الحماسة على تحليله، كما هو ديدهم
فيما يتعلق بأفعال لأصريكيين لم كان يمارس هذه الألاعيب؟ لم كان المحقق
الوحيد في الغرفة؟.

فتدوسي إلى الاستجواب ثانية، بعد اليومين اللذين أمضينهم مع كليف، وكان
محققا جديدا، يمارس أسلوبا مختلف هذه المرة.

بدأ ارجل حديثه، بصطنع الودية، قائلا: «سمعت أنك تحب أن تحدث حول
التاريخ والسياسة...».

هفت، قائلا: «والتيولوجيا الإغريقية كذلك...».

عقب، قائلا: «آه، بريك يا سيد بيع ههل تمام إن دعوتك معظماً؟، أهو معظم، أم مو - عظم؟».

أحبته، قائلا: «أبطله كما تشاء، فلا فرق فيما يتعلق بذلك، وأثق تماماً بمحرك عن بطق العربية أو الأوردية بصورة سليمة .. إن أردت التحدث حول تلك الموضوعات هلا بأس لدي، ولكنني لن أحييه عن أي من أسئلتك حولي، أو أي شخص آخر».

لم يكن يسمح لهم بالتحدث حول الأوصاف الراهنة، وإن استثيت العناوين الضريضة من ذلك، كالحرب على الإرهاب، والوضع في العراق، دون الحوض في التماسيل، فلم يكن ملماً بالثقافة الإسلامية، على التقيص مما ادعاء، أو اتخذه حجة لتقرب مني هما انك يلح إلى تاريخ الشرق الأوسط وسياساته، قائلا إنه يزعج الصهم بصورة أكبر، وأدركت، بعد حوارنا المطول، أن أهقه لم يكن أكثر اسماها من معظم المحققين.

سألني عن جماعة التبليغ، أكبر منظمة دعوية إسلامية في العالم، هدية الأهل، وطرح علي، فيما بعد، السؤال الآتي، قائلا: «لم تظن أن القاعدة، وجماعة التبليغ يمكن أن يرتبطا بعلاقة عمل مشتركة؟».

لم يكن ابرعاجي بحاف، هفتت، قائلا: «يا إلهي، كم أنتم مهووسون بوضع الجماعات الإسلامية كافة تحت مظلة القاعدة، تكاهجون لإثبات ذلك بطريقة أو بأخرى».

صرح الرجل، فيما بعد، عن حرصيته المنة، قائلا: «ننقد بمحاولة القاعدة احتراق حكومات الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، عبر المنظمات الدعوية كجماعة التبليغ».

عقبت قائلاً: حسناً، ولكن كيف سيكون بإمكانها القيام بذلك، بالنظر إلى أن معظم تلك الدول لا تحوي أعداداً كبيرة من المسلمين؟ وأدركت، هيبت بعد، ما كان يرمي إليه، تتصدى جماعة لتبليغ بوصفها منظمة دعوية، للمهمة المستعجلة المشغلة هي هداية جميع سكان تلك الدول إلى الإسلام، لتستولي بقاعدة، هيبت بعد، على السلطة فيها عبر انقلاب مسلمي أو دموي

بعد نرحل كذلك على إقحام منظمات الإغاثة في فرضياته. فسألني، قائلاً: سبق لنا العمل مع منظمات إغاثة إسلامية ترتبط على الدوام، بشكل أو بآخر، بالجهات الإسلامية المسلحة.

فأصعته، قائلاً: نقصد القاعدة كلية الوجود هي الراس ولسان، على ما اهتمس وارتباط جميعها بها، ويشتمل ما تسميه حقيقة، ونعناه قوله، هي أن ما يربط منظمات الإغاثة، وجماعات الدعوية، والمجموعات المسلحة بالقاعدة هو الإسلام ونحقق ذلك هي وجود ملير وستة مئة مليون عدو محارب، أتمنى لك التوفيق في ذلك.

سألني رجل آخر قائلاً: ألم لا تحيب عن امتلائها، لديك عائلة وأبناء يمكن أن يمرضوا للأذى.

هل كان يحاول تهديد عائلتي يا بدي؟

عقبت قائلاً: إياك أن تذكر عائلتي محمداً، نتهمومي بالانشاء إلى القاعدة، انهم كذلك؟ ردت هيبت بعد محاولاً تصمير ببرني ما أمكنني من وعيد قائلاً: لماذا عن عائلك؟

لم يمس بيت شعة

كنت إلى كل من كليب وعينا مباشرة بعد جلسة الاستحواب هذه وأصفا ما حدث خلالها شاكية مما بدأ تعمداً وأصفا لاستحوابي بعد كل زيارة قسوية أعطى بها، بعية بحطيم معصياتي وقد كان المحقق ذاته من استحوابي مفيد

رياربيهما، وقد تضمنت رسالة كليف لائحة بأسماء المفتلين الأربعة، وبيدائهم
محاولا لتركيز على منطويات غيرهم أيضا، فكتبت إلى كليف ثانية، بعد محمي
يومي، بمية إخباره المرشد عن أيا، وإطلاعه على الكمية التي حافظت بها على
«الطابع الودي، دون التعاون معه» بعد أن عمتي بالإرهاقي، ومالت كليف العمل
على تمرير الكتب والمجلات - المائقة لدى الرقابة - التي أحضرها من أجلي،
ولم تكن قد حصلنا هي حية على أي من محتويات المكتبة لأكثر من ثلاثة أشهر،
وقد كنت بحاجة ماسة إلى ما ينهني فكري

استدعيت للاستجواب مجددا بعد محمي بصمة أيام، فكانا معقنين من وزارة
الدفاع هذه المرة، بمية المظر في مراعم حول التمديد، وقد كانا مهتمين
بالجسدي منه - لا النفسي - فحسب.

حضر كلاهما مجددا لاستجوابي، بعد مطاوعة هيرور بالاستعداد للقائهما
كذلك هي الثامن والعشرين من شهر كانون الأول/ ديسمبر.

كنت العرفة تحوي ثلاثة مقاعد، وطاولة واحدة، ناهيك عن وجود منة من
الحراس وثلاثة من المحققين فيها وقد اعتلى المحققون الثلاثة الطاولة، لأنهم
من تمير أحدهم أيا، حليو لدقن والشاربين هذه المرة، وكان ريتشارد بيلمر،
وهيرور موجودين هناك بالعمل، فحدثت مقعدي بحابيهما، ووقف اثنان من
الحراس إلى جانب كل مما، ناهيك عن وجود بعضهم في المقدمة.

بم أكن قد رايت ريشارد في حية مد مدة طويلة، وكنت قد تحدثت إليه مرة
واحدة لا أكثر حين كنا في باعرام هذا في حال حيد، إذ كنت بشوته شديدة
لسمرة، بما لا ينق مع برته البريقانية العانحة التي يرتديها، وكانت تلك المرة الأولى
التي أرى فيها هيرور وحها لوجه بما يدعو للاستعراب، لا عبر الشباك

را الصمت على الحاضرين، هطرت إلى هيرور، ليقللي بابتسامة عريضة
وكان ريتشارد هادنا للعاية لا يبس بيت شمة، وظهرت إلى أيا، لأنك من
هويته بعيد لحظت محاطسته، قائلا «يا إلهي، تبدو بلا دقن يا أيا، ربما كان
مفتحيا لذلك السبب حين رأته أول مرة.

حاضرياً أحد المحققين، قائلاً: «اضربوا، فربما معكم ما هو ثمين من
المرض بالرغم من عدم ثماؤكم، فلتعيكم الآن هبة عن البريطانيين، إذ يمكن
لحكومة بلدكم العمل لصالحكم، إن ثماؤتم معنا، بعد أن نطلبها على ذلك،
ويود طرح بعض الأسئلة عليكم الآن، فمنعكم فرصة ذهبية تهرز لحكومتم
المطالبة بمودتكم..»

اقتادوا جميعاً إلى عرف مفضلة، قبل البدء في استجوابها، فجلست بمفردي
في «عرفة» انتظرهم، وقد كنت مقبداً إلى الأرض، جالسا على مقعد دوار، وكانت
لغة كاميرات تراقب حركاتي، وما أطلق به، فحركت نفسي إلى جانب الحدار،
بقدر ما تسمح لي السلسلة محاولاً الاستماع إلى ما يدور في العرفة المحاورة،
ونمت من سماع المبارة الآتية: «أرجوك، أرجوك أن تتعاون معنا، من المهم
للعاية أن نعمل ذلك، هو أساسي للعاية فيما يتعلق بمستقبلك.. فأتاهم الرد،
بصوت جهم، قائلاً: «تحدثوا إلى معامي، تحدثوا إلى معامي.»

حضرنا إلى عرشتي، بعد ما يقارب الساعة أو نحو ذلك، لهدؤوا استجوابي،
فمد طرحوا علي أسئلة حول بعض الأمور المتعلقة ببريطانيا، ورجل باكستاني
يكفي بأبي أحدهم،

حاضرتهم، قائلاً: «لا أدري ما تتحدثون عنه فأنتم تعلمون كم مهم علي هذا، فلا
أعلم حتى معر رطل ثور هي بريطانيا وهل أصبحوا يزنونه بالكيلوغرامات الآن؟»

سألوني كذلك عن بيت صياغة بريطاني في كابول فقلت: إنه كان مرشداً
بحدث في عاية الأهمية كان سيقع في بريطانيا، فمكرت، قائلاً: «نعمسي، أهو
جزء من عرض يروون تقديمه للبريطانيين يا ترى، أم لغة كالتي مارسوها مع
فتيان نيتون؟» أهو نتيجة قرب انتهاء السنة، ووجود تهديد حقيقي بوقوع هجوم
ما في بريطانيا؟ ولكن ماذا لو كانوا صادقين فيما يقولونه؟، طرحت كل تلك
الأسئلة على نفسي مشوش الدهن تماماً، ولم أكن أعلم الأحوية عما كانوا
يسألونه ولكنني لم أكن لأخبرهم بذلك.

اكتسبت بمحاطبتهم قائلا «انظروا، لا أربح أن ينادى أي من الأبرياء، هي أي مكان، ولكني لا أصدقكم، أو أثق بكم، فلم أجد أبا وعائلي، من كذبكم، أو مع أوفتموه بد من عذاب طيبة ثلاث سنوات، فهل تتوقعون مني أن أصدقكم الآن؟».

عقب أحدهم، قائلا «يمكنك، مع ذلك، إنقاذ آلاف الأرواح البريئة».

عقبت، قائلا «كيف؟ كيف يمكن لي إنقاذ آلاف الأرواح البريئة؟، تحاولون على لدوام إلقاء هذا العبء على كاهلي وكان بعض ما العطف من كلمات يمكن أن يقصد شخصا ب بطريقة أو بأخرى ماذا عن آلاف الأرواح لبريئة التي أرفضتموها؟ كان بإمكانكم إنقاذها عبر الحماط عليها هي المقام الأول، ومادا عن حياة زوجي وأطفالي التي دمرتموها؟».

كنت أحبرهم هي السابق أنني لا أحملهم المسؤولية شخصيا عما يجري، بل النظام الذي يعملون تحت إمرته لأحاط بهم هذه المرة، بمنتهى العصب، قائلا: «تتحمبون المسؤولية شخصيا كأفراد اسم، ولا بد أن تنظروا إلى أنفسكم، وما كنتم تقومون به طيلة المدة السابقة، ولا، هل أنني كنت عدائيا في حياتي، تجاه أي من الأشخاص، كما كنت في حبه عند سببتهم وشتمتهم، ولعنتهم، وكانت الأمور قد بلغت مداها بالنسبة لي».

خاطبوني فيما بعد قائلا «انظر، يمكن أن يقع شيء ما حقيقة في بلدك وروجك موحودة هناك وعائلك موحودة هناك، ولا تريد بالتأكيد أن يصيبهم حطب ما».

عقبت، قائلا «أصتوا، أحبرتكم الا تذكروا عائلي مطلقا، لا تذكروها مطلقا».

اعتذر أحدهم، بما يشبه الدهشة، قائلا «لم أقصد إزعاجك بكل ذلك».

أحبرتهم، فيما بعد، أن عليهم الاتصال بهار «الإم أي هاب»، إن كانوا يظنون بالفعل أن شيئا ما سيقع في بريطانيا، كي يتحدث أفرادهم إلي بصورة مباشرة، فأحسوني، بما يدعو للاستعراب، قائلا «لا، لا يوجد ما يكفي من الوقت لتقديم

مكرت، هبما بعد. قائلا لنمسي هذا، مخص هراء، لا اصدق ذلك، يمكن
المصاهر الاستخبارات البريطانية ان يصلوا ها خلال يوم واحد ثم فتحت
السرورة. وأوردت إليهم بالعمل. من الكتاب الذي محتني إياه الاستخبارات
البريطانية. «الإبجهر صورة شمس. ما يشير إلى أن حركة المصور بين الولايات
المتحدة، وبريطانيا، تموق بما يريد على الصنف. مثيلتها بين الولايات المتحدة.
وبقية أنحاء أوروبا

استنتجت مع نهاية جلسة الاستجواب. أنهم كانوا يمارسون إحدى الأعيهم
بمتادة. مستبعدا توحيدهم الصديق هبما قالوه. وسألت هيرور عن رايه. هبما بعد،
حين اعادونا حميما إلى رمارينا، فأحبرني أنهم طرحوا عليه الأسئلة ذاتها عن
الشخص الباكستاني، والمصاهرة البريطانية في كابول. دون أن يدخل هي أي نقاش
مهم

حادثتهم على التقيص منه. حول العراق واهماستان، والشيشان؛ لتبين لي
مدى ما بلغه أحدهم من جهالة.

«ساعدنا قومك. والمسمين هي اههاستان. وانظر إلى ما فعلنا هناك. يا هيك
عن الشيشان أيضا».

عقيبت، قائلا: «ماداه».

أجابني، قائلا «نعم، نعم، كنا هناك أيضا».

عقيبت، قائلا: «أحقاه».

لدخل آيان. قائلا «لا، اهل أنك تقصد أههاستان».

أصر رميله على رايه. قائلا «لا، لا، كنا هي الشيشان».

اكنص آيان بوضع يديه على رأسه.

مثل الكتابة إلى كليف حول هذا الاستعجاب - لسادس مند زيارته لي - وسيلة لتهدئة مخاوفي، ووجهت له رسائلي الراضة، هي خمس صفحات، أحبره فيها عن كل ما دار في تلك الأمسية، واليأس الذي بدا عليه المحققون في نظري، فانسجم اللقاء بالمراية من بواح عدة، بما في ذلك قول أحدهم إن الثورطين في الإرهاب ضد الولايات المتحدة لم يكونوا في عوانيتهم وإنما كنا هناك عوضاً عنهم، فدهشت كذلك لاعتمادهم بأهمية ما يمكن أن أقدمه لهم من معلومات عن بوطيد، وأنا المعتقل هنا منذ مدة طويلة، ناهيك عن حاجتهم إلى معلومات إصاحية بعد قيامهم باستجوابي ثلاث مرة، ونعم علي إخبار كليف كذلك بما أشعر به من قلق نتيجة انقطاع التواصل بيننا، وهو ما لم يكن يحدث بين فيروز ومعاينة

تواصلت الاستجوابات ليلتين إصاحيتين، فكتبت إلى كليف مجدداً، في الأول من شهر كانون الثاني / يناير، لأحبره بما أصابي من ملل نتيجة أدائي المسرحي المتكلم، وكنت قد حصمت في حبه لثماني جلسات استعجاب منذ التقيته، وقد اعتذرت عن إرضائه بهذا الكم من الرسائل سائلاً إياه عما إذا كان من الضروري تدوين كل ما أتعرض له من انتهاكات، بالنظر إلى ما يصيبه ذلك من «الم وصيق» وعلمت أن فيروز كان ممكناً على تدوينها، دون أن أجد عرء في ذلك، وأحبرته مجدداً عن مدى ما أشعر به من قلق جراء انقطاع التواصل بيننا، وإدراكي لكثرة مشاعله وإن تملكسي الحيرة من توجيه الرسائل إلى العنوان الخطأ، وحننت رسائلي بمعاينته، بمأساة حلول العام الجديد، وكاسي أوجه له ما هو اعتيادي من الرسائل.

كنت إلى ريب أيضاً، في اليوم الآتي، مرسلات تهدي باقتراب حلول عيد الأضحى، وخاطبتها، قائلاً «أدرك أن الأطفال قد نموا، وتغيروا كثيراً منذ رايتهم آخر مرة، ولا أدري، على وجه التحديد، كيف سأصرف يوم عودتي، ولكنني واثق من أنه سيكون الأسعد في حياتي، أدعو الله أن يعجل قدومه، ولم أكن استبعد حدوث ذلك في وقت قريب.

استدعيت للحارج مجددا، وفكرت، في حبه، قائلا لنفسي: ربما كانوا يستدعونني، أكثر من أي شخص آخر، لزرع بذور الرؤية بهني، وبين بقية المتقنين، فكرت برفض الخروج معهم، ولكنني كنت أجهل وجهتي (ربما للقاء أحد المحامين، أو وفد بريطاني) وكان الحراس يعلمونها بالطبع معسكر الصدى للقاء المحامين، ومبنى غولد للاستحواب.

سمعت أحد الحارسين، في طريق عودتي إلى الرنراية من آخر جلسة استجواب، يتحدث، قائلا: لا تقلق، سينتهي الأمر قريباً، وقد ظننت أنني استمعت مصادفة إلى حديثه، لاكتشف أنه كان يعني بكلامه.

حصر الحراس إلى رنراتي، في أحد الأيام، ليقيموا مجرد كامل لمحتوياتها كافة، كما فعلوا، حين غادرت معسكر الصدى. فهل كانوا ينوون إعادة توزيع السجناء هي قسم بابا يا ترى؟ كانوا يعتشون الرنارين، بشكل اعتيادي، حين يكون هي ساحة التمرين، ولكن احتلف الأمر هذه المرة، بالنظر إلى قيامهم بذلك أثناء وجودي في الرنراية، طالبي عني إبرار كل ما كان بحورتي فيها، قبل تمحيه هي الثلاثة، وكان ذلك يعني حدوث أمر طارئ، منهم من الانتظار حتى خروجنا إلى ساحة التمرين في اليوم الآتي، ولحظت كذلك أنهم كانوا يقومون بالأمر ذاته مع فيروز، والباقيين

تم قتيادي للحارج صبيحة اليوم الآتي، هي وقت مبكر للغاية، بحيث كان الجميع نياماً، دون الحصول على فرصة التحدث إلى أي كان، بممرل عن فيروز، فظننت أنهم كانوا يقتادونني إلى معسكر الصدى، بعية رؤية كليف، وفكرت، هي حبه، قائلا لنفسي: «يتمثل المصيب الوحيد لاشتباذ أي كان إلى معسكر الصدى في رؤية محاميه، ولم يظهر أحد طيلة الصباح، حتى حلول مدة ما بعد الظهيرة، وكنت وحيداً هي الرنراية الحالية تماماً.

كان ذلك أسوأ، بطريقة أو بأخرى، من النظام القديم الذي كانوا يتبعونه، بالرغم مما يمكن أن أشعر به من تحمس، لو كنت أحمل نصيحة من القراء الكريم، وكنت قد تعلمت، بحلول تلك المدة، كيفية التأقلم مع الحبس الانفرادي.

لم يكن يصعب علي البقاء بمصري، فقد جلست هي البراة وحيدا، أستذكر من كانوا هنا من المراس، الذين تواهقت معهم، مثل فوشي، وكيلمن، وميسادور، وجهيمر، وكل من عرفتهم طيلة تلك السنين، وتملكني ما هو غريب من المشاعر في تلك اللحظة، وإن استحضرت خلالها ما دار بينا من تواصل إنساني، في ظل أكثر الظروف غير الإنسانية، هنا هم الآن قد رحلوا، لأعود إلى الحبس الانفرادي مجدداً

لم ندم تلك المشاعر طويلا، فقد حصرت الرقيب لو، المسئولة عن قسم بابا، وكل برلانه، بمن فيهم أولئك الذين نقلوا إلى معسكر الصدى، حصرت برفقة رائد، لتقف هي البراة بما يتم عن قدومها في مهمة عسكرية رسمية، ولم تنس بيت شمة، بينما خاطبني الرائد، قائلا «سيد بيع، حصرت هنا لإعلامك أن الجيش الأمريكي - عكزت هي تلك اللحظة، قائلا لمصفي «يا إلهي، لا بد أنهم سيتهكموني الآن بصورة رسمية، ويحبسوني على المشول أمام المحاكم العسكرية» - «يا الجيش الأمريكي قد قرر تسليمك إلى السلطات البريطانية، وإسقاط كل ما كنا نسوي توجيهه إليك من تهمة»

الترمت الرقيب لو بوصفيتها العسكرية ذاتها، بينما كان الرائد يلقي كلماته غير الاعتيادية على مصاصي.

عقب، قائلا «لا أصدقك، حصرة الرائد،

عقب، قائلا «لم أعتد قول الأكاديب ولم ترني قبلا، وأثق بأنك لن تعمل بعد اليوم».

لم تظهر الرقيب لو أيا من التعابير، بالرغم من انحراطي معها في أحاديث سابقة، ورؤيتي ما ارتسم على وجهها من ابتسامات خلالها، وهو ما لم يحدث هذه المرة، فلربما أظهر كارتها، سلها، الكثير من التعاطف لو كان هي محلها، فاستدارت، لا أكثر، لتعادر المكان فيما بعد، وقد كانت تلك المرة الأخيرة التي أراها فيها

احصر أحد من لا أعرفهم من الحراس الجدد صندوقا يحوي أغراضا، بعد
مضي وقت قصير، ورغيت سؤاله عن فيروز بشدة.

حصر أحد عناصر الشرطة العسكرية، فيما بعد، قائلا: «يلقي سيف السلام
عنيك، فتأكدت على الفور من أن مارتس موبافا كان في معسكر الصدى أيضا،
وهكزت، هي تلك اللحظة، قائلا لنصفي «مهلا، ربما كان ما أخبرني به الرائد
صحيحا».

كانت هنالك محطة تعمل في معسكر الصدى، وقد اعتادت قراءة أحد
الكتب على مسامعي، بصورة سرية، للترويج عني، فسألته عما إذا كان هناك
بريطانيون آخرون في المعسكر، لتجيبني، قائلة إن فيروز، ومارتس، وريتشارد
كانوا هناك أيضا.

أدركت، هي حينه، أن أمرا هي غاية الأهمية كان على وشك الحدوث، وكانا
أسبوعين طويلين للغاية، وقد حصر كليف بعد مضي ثلاثة أيام، ليعلم مجيئه
لأمر بالنسبة لي، وبدأت أفكر فيما بعد عواناثامو، قائلا لنصفي: «ما الذي
سيحدث في بريطانيا؟، هل سيعتقلوني؟، هل سيحاكموني؟، ما الذي ستكون
الحال عليه هناك؟».

أكد لي كليف عدم وجود ما ينبغي القلق بشأنه، فقد كان يمكن في الآخرين
كالغند، واحصر لي بعض الأعراس من طرف ريب، مكسرات، ووجبات خفيفة،
وقطع شوكولاتة، لأطلب منه إعطائها إلى شاكر، بعد أن أخبرني أنه سيلتقيه،
وكان شاكر في هذه الأثناء في «المعسكر الخامس»، الذي كنت أرى أعمال تشييده
في أثناء وجودي في ساحة التمرين، وأخبرني الحمود في السابق أنه كان معدا
لاستقبال السجاء بصورة طويلة الأمد، وقد مثلت تلك أخبارا سيئة بالفعل فيما
يتعلق بشاكر، وكنت قد سألت الحراس عن سبب إبقاء المعتقلين هناك، ليحييوني،
قائلين إنه كان مخصصا لمن يرفضون التعاون مع المحققين، أو مثيري المتاعب،
ولقياديين، وكنت أعلم مدى ما يمكن أن يحدثه شاكر من أثر أيما حل، إذ كان
شخصا رائعا بالفعل، كما وضعه الحراس.

حل راتر آخر. ما كنت أتوقعه أبدا، قبل يومين من معادرتي. وكنت قد كتبت إلى عينا بشيء من الفسوق. وإن الثروة الأدبية، قائلا: «رأيت كل أولئك الناس، ولم تأتي لإخباري عن ذلك، أو تكتبي إلي باستثناء مرة واحدة منذ رأيتك، فإن قلت إنك ستغطين شيئا ما، فحري بك أن تقومى به، أو تكتبي إلي قائلا: إنه مستحيل. وإنك لا تستطيعين القيام به، معتذرة، عوصا عن شركي معلقا، كما أنا الآن بالعمل».

حصرت عينا لثمتدر، في الحقيقة وتعلل تصامها معنا، وتعبير عن فرحتها لتحررها، فقد كانت تعلم يوم إطلاق سراحها أكثر مما يعمل الحراس.

كنت أعد نفسي ما استطعت أفكر في المستقبل بما لا يبدو مألوفا، عوصا عما أعيشه يوما بيوم، ومصيت أراحع أور في، اسرق بعضها، كيلا يعم الأمريكيون ما دونه عليها، وكان يصح شخصيا للغاية، بينما تمثلت بقيته فيما وسمته من ملاحظات حول كتابي المنتظر، وكنت قد مررتها إلى كلهم، مع معرفتي بعتمية عرضها على الرقابة، جاهلا ما إذا كنت سأحصل عليها ثانية، ولم تكن لدي أي فكرة عما يمكن أن يهبروه منها.

حصرت إلى الرقابة قبيل معادرتي من كان برعجي، ويذكر عائلتي من أن لآخر، بصحة أشخاص آخرين وتمثل كل ما قاموا به هذه المرة هي أحد نصصات أصابمي، وفتادوسي خارج الرقابة، فيما بعد، دون تكبيلي، هبد ذلك عريب للغاية في نظري.

سألي الرجل ذاته، قبل معادرتي، قائلا: «هل است واثق من عدم رغبتك في الإجابة عن أي من أسئلتي؟».

اجبته، قائلا: «أكثر من أي وقت في حياتي».

حصرت الحراس، بعد مصي وقت قصير، لأخذ مقاساتي مجددا، فظمت لبرهة أنهم يورون حياطة بعض الملابس من أجلي، لباتو بما هو مربع منها، ولم أكن لأقبل ارتداها تحت أي من الظروف الاعتيادية، إذ كانت تتصمن حذاء كذلك، وقمت بارتدائه، لأكتشف أن مقاسه كبير للغاية، كما بقيت الثياب،

ومسحوبي حقبة سوداء تحوي دُرّة وداعية، صميرة، واحتوت تلك الرزمة على فرشاة أسنان، ومعجونها، ومريل للروائح، ومشط، ومناديل للأطمال، وبطانية، وغيرها من الأشياء البسيطة التي يمكن أن تستخدمها، حين يعود إلى جهاتها الاعتيادية.

شرت إحدى مجلات «ناشونال جيوغرافيك»، التي يصفي إياها كليم، إعلاناً عن إقامة «معرض الهروب الكبير»، بعد أسبوع من حينه، في المتحف «بحري الإمبراطوري»، وكنت عارفاً على حصوره.

استدكرت، بهما كنت أجمع أوراقه، وقصائدي، أولى ما كُتبت منها، هنا في معسكر الصدى، وكانت بعنوان «في الطريق إلى الوطن»، وهاكم الشطر الأخير منها

لا أزال أسطر هذه الورقة

جاهلاً - بهما تبدأ الأحلام

وتنتهي الكوابيس -

متى ساعود إلى الوطن ولأحبة؟

تمثل آخر ما قمت به، هي عوانتاسمو، هي حفظ سورة الإسراء، السابعة عشرة في القرآن الكريم، التي تدور حول رحلة النبي محمد ﷺ إلى بيت المقدس، فقد وصفت القيام بذلك، خلال هذين الأسبوعين، نصب عيني، وكانت سورة طويلة، ولكنني أتممت حفظها في اليوم الأخير، بل الساعة الأخيرة منه بالأحرى، قبل مغادرة زمراتي، ومعسكر الصدى، للمرة الأخيرة.

كنت أرثدي الثياب الجديدة، منتظراً، حين حصروا لاقتيادي خارج الزنزانة، فربة الواحدة صباحاً، وكان الحراس قد أخبروني أنهم لا يفلون الناس، في الأحوال الاعتيادية، إلا في وقت متأخر، أو مبكر للغاية، وكنت جالسا بانتظارهم

لا أكشر، إذ كنت جائداً إلى الوطن، فلم أكن نائما، بل أصبحت الوقت في قراءة رواية شارلوك هولمز وصلت إلى الله شاكرًا فضله، «الحمد والشكر لك يا الله لما سمعته إياه من قوة لاحتير هذه المحبة، ومسانته تهوين الأمر على عائلتي، فيما يتعلق بقبول عودتي، وتهسير أمورهم

حاصر الحراس لتكيلي، بما يصوق المعتاد، مع وضع فعل إضافي على اصصادي، وكسو يشعرون بعباء ما يقومون به، وقد تمنم أحدهم، قائلا «لا أعم بم صنع الأفعال على اصصادهم، ما الذي سيقومون به، الهرب في طريقهم إلى الطائرة مثلاً؟»

وصدوني هي شاحنة، بعد تعطية عيبي بالبطارات القائمة، وسمعت، بما أثار دهشتي، صوت محركه مائوف بالنمسة لي وقد برعت البطارات القائمة عن عيبي، قبل أن تحاطبني قائلة «أحبرتك أنني سأراك ذببة» وكانت سميت، الشابة صغيرة السن، من كاليفورنيا إذ كنت قد رأيتهما آخر مرة، هي شهر تشرين الأول/ أكتوبر هي معسكر الصدي، وكان الحراس الآخرون قد أخرجوها من هناك، بعد إصابتها في ساهاها أثناء لعب الكرة، ما ألقدها - على حد تعبيرهم - قدرتها على أداء واجباتها بعالية، فتم إرسالها إلى المعسكر الرئيس ذلك، الذي يتطلب العمل فيه، بما يدعو للاستعراب، بدل مجهود جسدي أكبر، وتمثلت الحفيظة، كما صارتني فيما بعد هي أنها لم تكن تروقهم وكانت أكثر ودية من معظم الحراس الحديد، وهو ما سبب امتعاض العديد منهم

أردفت، قائلة «ها أنت ذا الآن تعود إلى ديارك أحبيرا ليس كذلك؟، علمت أنك مستعمل،

عقبت، قائلا «بلى، يصعب تصديق ذلك، ولكنه حقيقي بكل الأحوال، بالرغم مما يصحني به العديد من الحراس حول عدم تصديق ..»

قاطعتني بعبة إتمام الجملة، قبل أن تعلق صبحكاتها، قائلة «شيء مما تسمعه، ويصف ما تره»، لترد، هيما بعد، قائلة «أشعر بسعادة حقيقية لأحلك، بالرغم من بقائي هنا ستة أشهر أخرى».

هكرت قائلا لمصي: «ها هي دي الآن، بما يدعو للاستمرار، تربط حياتها بما عشته هي عوانتنامو، ناهيك عن المساواة بينهما بطريقة أو بأخرى، هيلمم خصيصا الواقع، مع ذلك، أنا الصيحين، الشخص المسين، وهي الجندي الأمريكية، الصالحة».

اردهت، بينما همت الشاحنة بالمحرك، قائلة «ربما نلتقي يوما ما، وقد رجعت لذهاب إلى إنجلترا منذ وقت طويل».

عقبه قائلا، «وانا كذلك يا عزيزتي، وانا كذلك».

تحركت الشاحنة فيما بعد، لتتملكني مشاعر رهبة، تماما كما الأوقات الأخرى، بالرغم من اعتيادي الأمر، بعد قلبي مرات عدة، وقد كنت أشعر رهبة الاحتجاز هي مؤخر تلك الشاحنة الحديدية، إذ كانت مليئة بالمقد الباردة من أرضيتها، وقد أوثقوا قبدي إليها، وتمثل عرائي الوحيد هي عدم وجودي هناك بمصري، وكان أحد الحراس يرافقني ناهيك عن وجود حير ينسج لشخص في الجهة المقابلة، فراودني شعور بأن فيرور، أو غيره، كان هناك

اقتادوسي إلى مبنى عولد، قبل وضمي هي عرفة هناك، بمصري، مقيدا إلى الأرض مجددا، وتساءلت عما دفعهم إلى ذلك، لأفكر، قائلا لمصي «سباني البريطانيون الآن، ويرعون هذه الأصمادة ولم يحصل ذلك، إذ كنا ستقل من عهدة مجموعة من عناصر الشرطة العسكرية إلى أخرى، وقد أخرجني الحراس من المرفة، ليققادوسي إلى حافلة ضخمة، مغطاة النواهد، قبل أن أصعد إلى منها، وكان فيرور، وريتشارد بيلمز موجودين هناك بالعمل، إذ كانت الحافلة معملة بالجمود، فرأيت البريطانيين الثلاثة هناك مقيدون، يحلم كل منهم إلى جانب عدد من الجنود، قبل أن يحلمني هؤلاء الجنود، فرأيت مارتين موباما بشعره المصفر، ناهيك عن فيرور الهادي كالعادة، كما ريتشارد».

كان مارتش موياسما أول من بادأني الحديث. إذ كنت أعرف صوته عما كان يؤديه من أعيان في الممسكر. وأخذ يحدثني بالمرية. لم يكن يعمل بطلاقة. ولكنني تمكنت من فهمه. لم يبق ذلك للعراس كثيرا. وبهض أحدهم فجأة. ليسير نحو المقدمة. ويهض في أدن زميله. قبل أن يهض الأخير بدوره. ويتجه إلى مؤخر الحافلة. ليجلس هناك. وكان من الواضح أنه عربي. وقد غيّر مارتش لهجته على الفور. ليتحدث اللسبية العامة. بكلمة جامايكية. بسرعة كبيرة. إذ كان من المستحيل. أن أفهم ما يقوله. وإن شعرت بتسلية كبيرة للنظر في وجه المترجم. في تلك اللحظة.

توقفت الحافلة فيما بعد. مجددا لتواصل التحرك ببطء. فلا بد أناسا كنا على متن عبارة إلى القسم الآخر من الجزيرة. لتصله بعد ما يقارب الساعة. أو نحو ذلك. كنت أتحارب أطراف الحديث مع مارتش. بينما بقي فيروز على هدوئه. كما ريتشارد تماما. ولم يعرق في بحر من الشوة حقيقة. بالنظر إلى حولنا ما سيجد لاحقا. ناهيك عما يكلمنا من أصماد. وقد توقفت الحافلة في نهاية المطاف. ليصعد مارتش. مبحوث ورامة الخارجية. إلى متنها. قبل أن يصعد الجميع. ويسألهم عما إذا كانوا بحير. وصعدت امرأة الحافلة. فيما بعد. ليعرف عنها مارتش. قائلا إنها تنتمي إلى الإسكوتلانديارد. وقد كانت متحمة لوجه. طويلة للعاية. ذات شعر بني. وبدت مدهولة. بعض الشيء. مما كان يحيط بها. ناهيك عن وجودها بين عدد كبير من الحدود. فهذا مارتش غريبا عن المكان وقد كانت تفوقه في ذلك.

طالبوني فيما بعد. فيما يمثل آخر دكرياتي في خليج غوانتانامو بالوقوف. قائلا: «ستذهب أولا» أرادوا إزالة الفضل عن وسطي في بادئ الأمر. قبل الأصماد. ليمحزوا عن ذلك بالنظر إلى أن المعانيح لم تكن بحورتهم. وأخذ جميع عناصر الشرطة العسكرية ينظرون إلى بعضهم بعضا. يسأل أحدهم الآخر عنها. ليورد قائلا: إنها ليمت بحوزته.

سألتهم السماح لي بانجلوس مجدداً، حتى يمشروا عنيها.

صعدت القريب اسفوف وهو يوجههم في الخارج، قائلا: «كيف مكر لكم القيام بذلك، إنه مخرج للعدية»، وقد حصروا، هي نهاية المطاف، بقاطعة صمحة للأسلاك، من أن يسألوني، قائلا: «هل يمكنك الوقوف مجدداً؟»، وكنت قلنا للعدية بالسر إلى صمحة حجمها و صطاراهم إلى استخدامهما بالقرب من معدني، ويدي، فحاول الحدي تحطيم لعل بواسطتها ليعبر عن ذلك، بعد انتهاء مقدماتها، وأخذوا يلصق بعضهم بعضاً، حتى أحصرت قاطعة أكبر حصما، ليرداد، خوفاً بالشبهة، فأشحت بوجهي جانب مغمض العينين، قبل أن أسمع صوت تحطم القمل الذي كان قويا للعدية فمجموعاً، أحيوا في إزالة أسعادي، ليفتادوني خارجاً.

حاطت بهم للمرة الأخيرة قائلاً: «هل سبق لكم تناول شطيرة حساء؟»

أجابوني، قائلا: «لا».

عشيت، قائلاً: «حاولوا وضع الحساء في شطيرة، ورؤية ما سيحدث».

لم يجدوا ذلك مسلياً على الإطلاق، بينما انصهر البريطانيون بالصمحة

رأيت ما يشبه الاستعراض العسكري، بينما اقتادني الحراس إلى الخارج، وقد كان مؤخر طائرة اسفل العمكوبة البريطانية مفتوحاً، بينما اصطف العديد من صباط الشرطة خارجها، دون ارتداء قبعاتهم، ولم يحل المكان من بعض المدنيين، المشبهت برفقة جنديين أمريكيين، ليأتي اثنين، أو ثلاثة، من رجال الشرطة لاستلامي، وكان الجنديان الأمريكيين قد كبلا يدي بشريط بلاستيكي بعد إزالتها أسعادي وسألا رجال الشرطة، بينما أزال الشريط بواسطة مقص، قائلا: «هل تريدون تكييفه الآن؟»

أجابهما أحد رجال الشرطة، قائلا: «لا، شكراً لكما، سنولى الأمر من هنا».

قبل أن يحاط بي قائلاً: «تحرك بهذا الاتجاه يا سيدي».

لم يلحسني البريطانيون أبداً، فقد قاموا بمرافقتي إلى الطائرة، لأصعد على
مقعدتها وكان من المريب بالنسبة لي، أن أحس هي طائرة بعد مضي كل هذه المدد،
فعملت على ملاحظة كل من كان يصعد إلى مقعدي، واستدرت يساراً، لأجد فيرون
قائداً، قبل أن يجلس هو الآخر، إذ حصر رجل الشرطة للتمرير عن أنفسهم،
وإرشادي إلى الصابغ المسؤول، والصابغين اللذين سيجلسان إلى جانبي أثناء
الرحلة وسألني إخبارهما لا أكثر، إن أردت الذهاب إلى الحمام، كي يقوموا
بمرافقتي، أو ترويدي بسعادة إن أردت الصلاة وقد كانت الطائرة مليئة بالمصاحف،
والكتب، والخرند، والأطعمة الحلال، والوجبات الحميصة والمشروبات

حاططاسي، فقلت: «يوجد صابغ ارتباط مسلم على متن الطائرة، فإن اجتمعت
النحدث إليه حول أي من الأمور فهو موجود هناك، هل تريد شيئاً؟»

اجتمعتا قائلاً: «الحرائد بحسب، من فضلكما علم أقرأها منذ ثلاث سنوات»،

سألني أحدهما، قائلاً: «ما الذي تود قراءته منها؟»

سألته إحصار كل ما نيسر منها، ولم أتم أياً من سماعات تلك الرحلة، أو
بعمس لي جرس، إذ كان أربح المحركات مرتعماً بكل الأحوال

كنت أشعر بالإثارة مع ذلك

أحدث أقرأ الحرائد بهم، بما هي ذلك النص، و ليدلي مين، وقرات مقالات
تحمل صور الآخرين، وصوري، وقد فكرت في حينه، قائلاً لنصني: «غير
معقول! أحتل الصحف الأولى لصحف بريطانيا كافة، هل يدعمها الناس
هناك، أو يكرهونها يا ترى؟» وقرات، فيما بعد، عن معتقلي سجن بلمارش، وتوجه
مجلس اللوردات، بعد مضي ثلاث سنوات، للبت في قانونية احتجازهم، وبدأ ذلك
كامر عملته مؤخراً تحدي قانونية احتجاري، وقرات كذلك تقارير عن انتهاكات
قام بها جنود بريطانيون في العراق، الأمر الذي صدعني بالعمل.

أخبرني رجال الشرطة فيما بعد، بوجود ثياب جديدة من أحتي في حال رجعت حلق ما قدمه إلي الأمريكيون ولم أكلف نفسي عمدا القيد بذلك. إذ كانت الملابس آخرة ما أفكر فيه في حينه.

جس أحد ضباط الشرطة بعدي، قبل أن يعاطيني، بلكة سكان ليمبول، قائلا «رايت وجهك على شاشة التلفاز بصع مرات وهذه رحلتي الثانية فيما يتفق بهد الصدء، إذ كانت الأولى لإحضار أولئك الغنية من ليمبول».

سألته قائلا «وكيف كان حالهم؟»

اجابني قائلا «داخلي للعاية، بما يماثلكم قليلا، وقد سألني فيما بعد، قائلا «هل عاملكم الأمريكيون بصورة حسنة يا صديقي، أو عذوكم؟».

لم يكن من السهل الإجابة عن مثل ذلك السؤال، وإن أدركت، بعد محبي وقت قصير، أنه كان شائعا إلى حد كبير «قبيل من هذا ودك، حسب اعتقادي».

سألني، قائلا «أنت بعير لأن آيمس كذلك؟ وهل أنت سعيد بالمودة؟».

أجبت قائلا «أه نعم، فقد كنت أحلم بهد اليوم منذ ثلاث سنوات».

نظرت حولي علي أرى أبا مصر أعرفهم، فقد كان مارتز، مبعوث وزارة الخارجية الوحيد بينهم همصني يحيي الجميع، قبل أن يحلني إلى جناسي، ويمسح بيدي، قائلا «نقد هملها وأخبرتكم أنا سملها».

فكرت قائلا لنفسي «هد هراء يا مارتز، هقن ما تريد، هلا أهمية لذلك».

وبدا يتحدث عما لم يحرمي به قبلا، بالنظر إلى بقائه مع الأمريكيين طيلة الوقت، وتحدث عن حملة والذي ومدى ما خلصته من أثر، مصيها أنه ذهب لرؤية مسرحية التي تدور حولنا، دون أن تروقه كثيرا

مصي، فيما بعد، ليثير ما يشمل باله حقيقة، كما تراه لي، مخاطبي، قائلا: «يسو أن محاميك ذكروا، هي بعض التقارير، أني بصحنك هملها بالمثل أمام المحاكم العسكرية، و...».

فألمته، قائلا: «انظر يا مارتن، فإني أذكر - لا أكون مصغفاً معك - حين أتيت لإخباري عن عرض قصتها أمام المحاكم الأمريكية. وحككت صدرك، بحيث لا يراك صاحبك من الأمريكيين، كي أسألك أمامهم توجيه معاصي للبدء في عرض قصتي أمام تلك المحاكم وقدرت ذلك كثيراً في حينه، ولكنني لا أزال أذكر يا مارتن، حين سألتهم عن المحاكم العسكرية، ما قلته من أنها ستقام بحضوري أو عدمه، وأني لن أخسر شيئاً من المثل أمامها»

لم يصف شيئاً حول تلك المسألة ليبدأ التحدث حول بقية المعتقلين، قائلا: «لا بد أن أحبك أني استمعت بالتحدث إليك، من بين جميع من قمت بزيارتهم كنت جيداً، بالفعل، مقارنة بالباقيين، الذين كان بعض منهم يتحدثون إلي بالكاد واكتفى أحدهم، على سبيل المثال، بالعلوس أسفل الطاولة، حين قمت بزيارته، وإصدار أصوات مصحكة رافضاً التحدث إلي، بأهيك عن رفضوا الخروج من الرئابة للقائي».

سأله، قائلا: «أخبرني ما الذي سيحدث، حين أعود إلى الديار؟»

أجابني، قائلا: «لا أدري، فإنه لنهني مهمتي بمجرد وصولي بريطانيا، ولا أدري ما سيحدث».

همت طائفة القوات الجوية الملكية بالهبوط في مكان ما من إنجلترا، وها قد أنت اللحظة التي استغرقتها طويلاً، لحظة الاستجابة إلى صموئيل، طيلة تلك السنين.



-14-

هل تعرفين من انا؟

معهد الشمس، قاعدة بورثولت، 25 كانون الثاني / يناير، 2005

استقرت الطائرة على أرض المطار أجمعاً، قبل أن تفتح أبوابها، وكان الطقس بارداً للغاية، إذ كنت قد سبت كل ما يتعلق بشتاء إنجلترا، بعد كل تلك المدة التي أمضيتها في المنطقة الكاريبية، وحضرت امرأة في منتصف العمر، قهها بعد، تليس معطفاً من لمرور ونصح الكثير من مساحيق التجميل على وجهها، فمررت من مصفاها بأنها تنتمي إلى دائرة الهجرة، قبل أن تسألني عما إذا كنت مواطناً بريطانياً، فمكرت، قائلاً لنفسي «يا له من سؤال سخيف، فقد حضرت المرأة بتابعة لإسكوتلانديرد بعد مصي وقت قصير، لتجلس إلى حاسبي

حاملتي، فائلة «لدي ما أقرؤه على مسامحك. فأنت رهس الاعتقال بموجب قانون مكافحة الإرهاب، هل تفهم ما أقوله؟»

هفت الأمر د له مع لبقية قبل أن نكلنا الشرطة جميعاً، وهكرت، هي حية، قائلاً لنفسي «محب، ثم الأصماد الآن بعد ست عشرة ساعة طهران من دونه؟، ألن ينتهي هذا الأمر أمدا؟»

سمعت صوت عربة تتجه نحو مؤخر الطائرة. هافتاد عناصر الشرطة مارش، وريتشارد إليها، لتتعلق فيما بعد، قبل أن تأتي أخرى لنقل هيرور، ومن بعده أنا، وشعرت بأكثاب شديد، بينما كنت أتجه نحو عربة الشرطة، ولم يكن هناك مقعد أحسن عليه، لد وصعومي هي الجهة اليمنى من مؤخرها ليطلقوا الباب ما إن أصبحت هي لداخل، فلم أوضع فيما بهائل تلك العربة طيلة ثلاث السنوات الماضية وكان كليف قد أحبرني بإمكانية استجوابي، كما حدث مع البريطانيين

«الجمعية الأوائل الدين أطلق سراحهم، وتسامحت عن سبب كل تلك الإجراءات
الأممية المشددة، المثيرة للمصرية، بعد كل تلك المدة التي أمضيتها رهن الاعتقال،
أو ثم يكتفوا بمدى».

صممت ركبتني إلى صديقي، مستسلما لما يخبئه القدر، أملا، مصليا، إلا
يكون ذلك مقدمة لما هو أسوأ، وتمثل عرائني الوحيد هي وجود فيروز - زميلي
الصامت - برفقتي.

لم يكن حجم المكان يريد عن قدمين هي الطول، ومثلهما هي العرض، ولم
يتمكن من رؤية أي شيء، بينما كانت العربة تتحرك بسرعة، باستثناء وميض
الأصواء الباهتة، عبر النافذة المعتمة.

حاطبنا الصابك، ذو لكمة سكان ليمبول داته، الذي كان يرافقنا في العربة،
قائلا «تلك أصواء كاميرات وسائل الإعلام، فقد أصبحت تمثلون أهمية كبيرة لها».
انتهت رحلتنا الطويلة المعبية في شوارع لندن - للتخلص من وسائل الإعلام،
على ما أهنرص - هي قسم شرطة بادسغتون عرين، فشعرت براحة لا توصف
عقب الخروج من مؤخر العربة تلك

تملكني شعور غريب، لوجودي فوق التراب البريطاني، بعد مصي كل تلك
المدة، فلم أكن أتخيل أن الأمور ستمير على هذا النحو. فقد كنت، هي الحقيقة،
أثوق ما يشير محاولي بصورة أكبر، وتمثل الأمر الحيد فيما فعلته الشرطة
بالتهرب من وسائل الإعلام، التي عص بها المطار، هي يادئ الأمر، قبل أن تصل
إلى قسم الشرطة.

هوجنت للماية، بالنظر إلى امتلاكي بعض الخبرة فيما يتعلق بأقسام الشرطة،
بسلوك ضباط الشرطة في ذلك القسم، إذ كانوا لطفاً للماية (ربما لمقارنتي
إياهم بالعسكريين الأمريكيين) فقد قاموا بمرافقتي إلى غرفة، حيث أريت

أصعادي، قبل أن يقدموا لي كوبا من الشاي، وقام الرفيق المنسوب، فهما بعد، بتدوين بياناتي، وشرح ما سيحدث لاحقا، وسألني، في نهاية المطاف، قائلا: هل يوجد من تود الاتصال بهم من أفراد عائلتك؟.

فكرت، قائلا لعممي «عائلتي... بكل هذه البساطة، بعد مصي ثلاث سنوات دون سماع أصواتهم، أو رؤية وجوههم...». لم أستطع تعالك عممي، أو التحكم بعواطفي، لتترقق الدموع في عيني.

أحبته، بصوت مرتعش، قائلا «لا، شكرا لك، فما الذي يترض بي قوله، عبر الهاتف، بعد مصي كل تلك السنين؟ لقد انظرت ثلاث سنوات بأكملها، وبمكتبي الانتظار قليلا بعد لقائهم وجها لوجه، عقب إحلاء سبيلي، أصف إلى ذلك، أسي لا أذكر أرقام هواتفهم».

قاموا بمزاحمتي إلى زيارة، بلا أي أصعاد أو قيود، حيث وجدت ملابس جديدة بانتظاري، علاوة على نسخة من القرآن الكريم، وسعادة صلاة موضوعة بشكر مرتب على السرير، وكانت الزيارة تقارب في حجمها أريمة أصحاب مثيلاتها في عواطفنا، وكنت أهيئ نفسي الآن لما هو أسوأ، إذ بدا السجس احتمالا قائما، بالرغم من كل ما تلقينته من تطمينات، فما الذي يدعهم، على أي حال، لاتحاد كل تلك لإجراءات بحقا، لو لم يكونوا بنوون اعتقالنا مدة طويلة؟.

كان العشاء مريعا طلق من الكاري الهندي، المليء بالتوابل الحارة، مع الخبز الهندي، وكذا معمورين بالزيت، وقد مثلت تلك الوجبة، أشهى ما تناولت منذ مدة طويلة، وتوضأت فيما بعد، لأؤدي الصلاة، إذ كان المساء قد حل في حينه، وقد كنت متعبا للغاية بعد رحلتي الطويلة تلك، وتمكنت من سماع صرخات، أو أصوات غناء مكتومة، وإن كانت مميزة، في الخارج، باهيك عن وقع أقدام، وأصوات أبواب تفتح وتغلق. وصوت يرتل القرآن في الرنرانة المجاورة، فقد كان هذا الصوت مألوفا بالنسبة لي، فيما يتعلق بهدوئه على وجه الخصوص، وبدا وكأنه صوت فيروز.

مسئلت، بعد مصي وقت قصير، عما إذا كنت أود التحدث إلى صابطك الارتباط المسلم، لأرخص ذلك، ومنح باب الرواية لاحقاً، لأتلقى زيارة من شخص آخر سألني عن المعاملة التي ألقاها، وظروف احتجازي بصورة عامة، وأحبروني، هي نهاية المطاف، أن معاميتي حشرت لرؤيتي

ها هي دي الآن تظهر هي قسم الشرطة بشكل مصاحف، مريحة بعودتي إلى إنجلترا، وكانت أول من يقوم بذلك من معارفي.

حاطبتي، بابتسامتها الداعية، المنماطمة، قائلة «يتملكني شعور جيد لرؤيتك يا معظّم، وأشعر بسعادة بالغة لعودتك، أحبراً».

عقبت، قائلاً «يتملكني شعور جيد لرؤيتك كذلك يا عاريت، فكيف حالك؟».

أحابتني قائلة «بحير، أنت من يفلو جميعاً بشأه، فقد فقدت كثيراً من وريثك، ولكمك نبدو بحال جيدة عموماً، أليس كذلك؟».

أحبتها، قائلاً «آه، أنا بحير، أشعر بالسعادة لعودتي، لا أكثر، فقد لا تذكرين، ولكن كان يجدر بي العمل بمصيفك حول عدم السفر، فما الذي سيحدث فيما بعد؟» وقد كنت لا أزال أشعر بشيء من التوتر في حبيبه.

أحابتني، قائلة «لا يوجد ما يسمى القلق بشأه، هناك عمل استعراضي تقوم الحكومة به أمام الأمريكيين، لا أكثر، كما عملت مع خمسة المعتقلين من قبلكم، وسيطرحون عليكم بعض الأسئلة عدا، هي مقابلة، ولن تكونوا ملزمين بالإجابة عنها، واثق أنكم بلتم كمايتكم من الاستجوابات».

عقبت، قائلاً «أكثر من ثلاث مئة استجواب يا عاريت».

عقبت، قائلة «لا نمكسي تحيل ذلك، فأنا أسمة للغاية... وقد أطلقوا سراحكم، بحيث تتزامن موعد عودتكم تماماً مع القرار الذي يقرر مجلس اللوردات مشأه، حول معتقلي سجن بلمارش، ألم تسمع بذلك؟».

«حسنتها قاتلاً» على أبو هشادة، وآخرون. وقرأت حول ذلك في الطائفة. وقد
 «ميربي كليف شيئاً ما عنه في عوانامو».

عفت، قاتلة «آه، حصا، وسترى الانتعابت هي شهر أيار/ مايو، ما يعني
 استخدام المناقصة حول أصوات الناحيين سببت مجلس الوردات بشأن احتجازهم
 هي سجن بلمارش عدا ومن شبه يؤكد أن يتحد فراراً بعدم قابليته وقد لا
 أكون موجودة أثناء مقابلتك عدا، ولكن حصين، من مكتبنا، سيكون برهفتك، إن
 لم أستطع الحضور، فلي يبقوا مدة أطول بعد تلك المقابلة، على أية حال
 وسيدور بعناية السحب إن فعلوا بالنظر إلى كل ما مررت به».

شعرت بارتياح كبير لسماع ذلك، وتراعى لي أن لأمر سيئسي، وإن لم أكن
 لأصدق شيئاً حتى أراء بأم العين

عفت، قاتلاً «هذا جيد وكيف حال بي وريب، والأطفال؟»

أجابتي، قاتلة «بحير وهم بمتقنوت كثيراً ويستظرون رؤيتك على أحر من
 الحمر وكان والدك مدهلاً بالعمل لقد عمل بلا كل من أجل عودتك، وإطلاق
 سراحك، وكان لذلك أثره في صحته بلا شك، ولكنه يفي بعمله حساً قوياً
 بالانتماء، وامثابة، وهو في الخارج الآن ولكنهم أحبروني أنك لا تود رؤيته هذا»

عفت، قاتلاً «هذا صحيح ليس هنا، ليس في هذا المكان»

عفت، قاتلة «لا تمنق بمكنكم البقاء حميفاً هي ميرلي عدا، إن أردتم، ما
 إن يتم إخلاء سبيلك» شعرت بارتياح كبير مع هذا لسماع كلمة «عداء» وأردفت،
 قاتلة «أشوق أن وسائل الاعلام ستطاردكم وستحتاجون وقتاً للتكيف مع وضعكم
 الجديد، بعيداً عن الناس».

جلسنا نتحدث مدة من الزمن، ليقاطعنا أحد الصباط، بعد مدة قصيرة،
 قاتلاً «إنهم يريدون أحد بصمات أصابعي وأخبرتني عاريت أنها ستذهب لرؤية
 ريتشارد، بيها يقومون بذلك، وستكلمني في وقت لاحق

انحدرت في حوار ودي مع المحققين، ليبرروا ما بدا قديماً، غير مافع
من الأجهزة

حاطبت أحدهم، قائلاً، «قاموا بأحد بصمات أصابعي في بيرمنغهام في العام
2000، ماهيك عن قيام زملائكم الأمريكيين بذلك مرات عدة، طيلة بضع السنوات
الماضية، واعتقد أنكم تصيرون وقتكم هنا، أليس كذلك يا صديقي؟».

عقب، قائلاً «إنها إجراءات، وتعلم ما هي عليه، فقد أصبحت حبيراً فيما
يتعلق بذلك على الأرجح، وكنت كذلك بالفعل، إذ ارتكبوا بعض الأخطاء، بينما
كانوا يأخذون بصمات أصابعي على صمحات كاملة، وذلك ما اضطرهم في
بعض الأحيان إلى إعادة العملية برمتها، من أجل بصمة واحدة».

حاطبتهم، قائلاً «لا أفهم انتقاداتكم، ولكن زملائكم الأمريكيين، في مكتب
التحقيقات الفيدرالي كانوا أكثر كفاءة... وبدأ الاستياء وأصبحا على أحدهم،
بالرغم من أنني كنت أمارحهم لا أكثر، وانتهت العملية أخيراً، بعد ما يقارب
الساعتين، ليقنأدوسي للقاء غارث مجدداً كان الوقت قد تأخر بحلول تلك المدة،
وقد كنت مجهداً للغاية، ولم أرحب في استبقائها مدة أطول

حاطبتي، قائلة «تتسم إجراءاتهم بالعوصى، كما يتراءى لي، وقد تحدثت
إلى ريتشارد، كما فعلت مع مارتن، بعد أن اقتاده أحدهم لرؤيتي، بالرغم من
أنني لا أمثله، وبدأ كلاهما واقعين في حيرة من أمرهما، وأعتقد يا سيد بيع،
أن الوقت قد حان لنثال قسطاً من الراحة، إذ تبدو منهكاً للغاية، وكنت كذلك
بالفعل».

أحضر أحد الصباط، بعد عودتي إلى البررانة، عدداً من الرسائل الواردة من
«حملة غوانتانامو لحقوق الإنسان»، و«لجنة حقوق الإنسان الإسلامية»، و«منظمة
المعوقين الدولية»، و«المجلس الإسلامي البريطاني»، ومنظمات، وشخصيات أخرى.

هيل لي، إن المشقة هائيسا ريدعنا كيف كانت من بينهما، وطالبت تلك الرسائل الشرطة بإحلاء سبيلنا، علاوة على ترحيبها بمودتنا.

استلقيت في الرقابة، أفكر فيما سيحدث لي فيما بعد. قبل أن أعطى في يوم خميس. وقد كنت ارتدي صلابتي في حينه، بالمطر إلى برودة الرقابة، واستيقظت على صوت أذان العجر، برفعه أحد رملاتي في الربارين المجاورة. لأودي الصلاة فيما بعد، وقرأت آيات من الذكر الحكيم، قبل أن أستلقي على سرير مجدد، ثم ذهبت للاغتسال، بعد تناول طعام الإفطار، وسمح لي، فيما بعد، بممارسة بعض النمازين في موقف السيارات الخارجي، ولم يكن البرد يطاق، ولكنني قررت البقاء في الخارج لمشاهدة ما لا يقل عن الأمور، فكان خمسة عشر من الضباط على الأقل، يبراتهم الواقية، وما استعانوا به من كلاب مدربة ينتظروني في الخارج، ليموقوا الأمريكيين في علوهم. فكرت - بينما كنت أسير في المكان، بحسب كل منهم، ذهيك عن الكلاب، متظاهرا بعدم الاكتراث - قائلا لنفسني: «كلصوا أنفسهم كل هذا الماء من أجلي فحسب». ولم أمتنع احتمال البرد أكثر من ذلك، إذ سألتهم، في نهاية المطاف، إعادتي إلى الرقابة.

حاطبني الصابط المراهق، قائلا: «لا أملك يا صديقي، ولكن وقتك انتهى».

عادت عاريث إلى الرقابة، في أعقاب ذلك، لتتحدث مدة أطول، قبل أن يبدأ الاستحواب الأول، ولم تختلف الأسئلة بالمطلق عما طرح علي طيلة ثلاث السنوات الماضية هل كنت عضوا في القاعدة؟ هل قاتلت قوات التحالف في انعطوط الأمامية؟ هل كنت مسؤولا عن تمويل الممسكرات الإرهابية، والتدريب فيها؟

توقفا في مدة العدا، وتعين على عاريث المعاداة فيما بعد، بينما بقي حسين برهقني لاستكمال الاستحواب الثاني، والأخير، ولم أكن واثقا بشأه، هي بداية المطاف، ليتبين لي أداؤه خلال الاستحواب، فلم أجب عن أي من الأسئلة في

حضور غاريت، وإن كنت اتعرق للإدلاء بهمن التعليقات أمام الصباط، وأومات براسي غير مصدق، حين كان أحدهم يحدثني، بلهجته الإسكتلندية الثقيلة، ناهيك عن الضحك بصوت عال،

خاطبني، قائلا: «متأكد بوجود صلة بين القاعدة - أو الجماعات المرتبطة بها - هي السابق، فهل يمكنك إخبارنا عن أماكن وجود أفرادها؟». نظرت إلى حسين، محاولا كبت ضحكاتي. لأفقد السيطرة على نفسي، ما إن نظرت إلى المحقق ثانية.

خاطبني، قائلا: «أرى أنك تجد ذلك مضحكا يا معظّم، ألهم كذلك؟».

تدخل حسين، قائلا: «حسنا، أظن أنه مضحك، بل وأكثر من ذلك أيضا، فكر فيما سألت موكلي للتو، فقد احتجز في سجن عسكري طيلة ثلاث سنوات، ممضيا معظمها في الحبس الانفرادي. فكيف بحق السماء سيعرف مكان وجود أفراد القاعدة، أو تلك الجماعات، إن سلمنا بمرصية ارتباطه بها في الأصل؟ فلا يعرف الرجل مكان وجود عائلته».

شعرت برغبة حقيقية هي التحدث إلى المحققين في العربة، لا بوصفهما ضابطي شرطة بل كشخصين عاديين، وكان من الواضح لي، مع ذلك، أنهما يتبعان الأوامر، ناهيك عن عدم اهتمامهما بسماع الكثير من التحليلات، وقد أحلى المحققان سبيلي، علاوة على إسقاط النهم كافة عني، عند نهاية ذلك الاستجواب المصلي، الذي أثبت قدرة حسين بوصف على مواجهة حيرة صباط شرطة لندن.

خاطبت الصباط الإسكتلندي، بينما كان الجميع يهمون بمحادثة الفرقة، قائلا: «أمل بحق ألا تشمر بالإهانة لضحكي، ولكن سؤالك كان غاية في السخف، وأرجو ألا تعتبر ذلك، موحها إليك بشكل شخصي».

مضب، قائلا «لم أعمل، وتعلم أنا مصطرون إلى توجيه تلك الأسئلة، التي يصممها رؤساؤنا هي كثير من الأحيان، فقد تبدو بلا معنى بالنسبة لنا، كما تراها محكمة، فينفي تسليمك الكثير من المتعلقةات الشخصية فذلك ما يجب علينا البدء فيه فوراً، وأثق أنك لا ترغب في البقاء هنا مدة أطول من اللازم، ولو بمقدار ثمانية واحدة».

عقبت، قائلا «هذا صحيح، فهل يمكنني توجيه السؤال الآن؟». صودرت بعض المتعلقةات الشخصية من منزلي في باكستان، في العام 2002، بما في ذلك كمبيوتر محمول، وحقيبة زوجي اليدوية، وبضعة آلاف الجنيهات من مدخراتنا. هل سلمكم الأمريكيون أيا منها؟».

أجابني، قائلا «أعلم وجود كمبيوتر مستجوب هنا، وأثق بوجود المال أيضا. وينبغي علي التحقق من ذلك، وإبلاغك أنت أو محاميك، بهما بعد».

فكرت، قائلا لنفسي «كلام عريب، فكيف يمكنك استجواب كمبيوتر ما؟، هل تليت عليه حقوقه، بحضور محاميه؟».

امتلك الحرية هي معاداة قسم الشرطة من مدخله الرئيس.

حصر صابط شرطة، ثياب مدنية ليقدّم مصمه على أنه ضابط الارتباط المعين من أحلي، وكان قد حصر من يرممهم لترتيب ما أود القيام به من الذهاب إلى هناك، أو إحصار عائلتي إلى لندن، وكان يتحدث بلكة سكان يرممهم، وقد كانت ثقيلة بما دفعني إلى الابتسام، بالنظر إلى أنني لم اسمعها منذ مدة طويلة، ولكنها ذكرتني بالديار على أية حال.

حاصلني، قائلا «يمكننا إيجاد هدف تزل فيه مع عائلتك بضعة أيام، أو ترتيب ما نود القيام به أيا كان، ويعود الأمر بمجمله إليك، فبدا ذلك مدهلا بالنسبة لي، وقد شعرت أنني امر بوضع مختلف تماما، ورعصت عرصه بلقاءة،

شاكرا لفتته الكريمة تلك، ولم ارد ان أمكث في أي من المصادق، إذ كانت غاريت
 قد رتبت بالعمل لقائي مع المائلة في منزلها، وانتظرت، في إحدى العرف، بلا
 رقابة للمرة الأولى، بينما كان حصين ينعم بالإحرامات الروتينية ذاتها مع ريتشارد.
 أخبرنا رجال الشرطة، ما إن انتهى حصين من ذلك، أنهم سيأخذونا إلى أي
 مكان نريد، وكنت قد فكرت في المعاداة من المدخل الرئيس، ولكن القلق تملكني
 من ملاحقة وسائل الإعلام، وتمطيتها التثام شملنا العاطفي على مرأى من
 الجميع، وسألنا الشرطة، أحدا إلى منزل غاريت، فشقت عربة الشرطة الرحام
 على عجل، وحلّس ريتشارد بهلمر في الحلف بحائني، وبدأ الأمر للوهلة الأولى
 هطعنا بالعمل، كان يشبه الحلوس في إحدى العربات التي كانت تقلنا في
 غوانتنامو، وكأنها أهراس، مقيدتين بالسلاسل، وقد كنا بدرك أننا لم بعد معتقلين
 من قبل أي كان، نعم بالحرية أخيرا، ولم يمتلزم الأمر وقتا طويلا حتى بلوغ
 وجهتنا، وتحديث ريتشارد، قائلا إنها يمكن أن تكون على بعد مئات الأميال، ولكن
 ذلك لم يكن مهما، فنأثرت حقيقة لمدى ما يتمتع به من قوة، بعد كل تلك المدة
 الطويلة «لم يعد أي شيء يشكل هرقا، وانتهى الأمر، انتهى تعاماً، فقد توقفت
 العربة عند منزل غاريت، لينزل منها رجال الشرطة، ويساعدونا في نقل
 حقائبنا، وسمعت فيما بعد أحد الأشخاص، يصرخ من إحدى الشقق المقابلة،
 قائلا، «القاعدة، القاعدة»، فكرت في حينه، قائلا لنمسي «يا إلهي، لا أصدق
 ذلك، ألن ينتهي هذا الأمر أبدا؟» ففص ذلك هرجة الوصول إلى منزل غاريت،
 صديقتنا الودودة، أخيرا، وكان حصين لا يزال معنا.

دخلنا منزل غاريت، قبل أن أتوجه إلى زاوية هي الردهة، وأسجد شكرا لله،
 وقد قرع جرس الباب، بعد وقت قصير، ليدخل والذي برفقة أخوي، ومكرم، أحد
 أبناء صومعتي.

جلس والد ريتشارد، وشقيقته جينيث في الأسفل ينتظرون موله، لمحتسب
 ميل القيام بذلك، قائلا: «أود القيام بشيء أولاً». أخرج مشعة من حقيبته. قبل
 أن يلصقها حول رأسه، على الطريقة لمربية، وكان الكثير من الناس يضايقون ذلك
 في عوايتنامو، وقد اقتصرت أنه كان ينوي الاحتفاظ بتلك العادة، ولم تنق
 عائلته طويلاً، إذ كانوا قد رتبوا بالعمل للمساعدة إلى مكان ما، وبادلوا عائلتي
 النحية، بينما كانوا يهجون بالذهاب، قبل أن يودع ريتشارد ميلر، ومعظم بيع -
 المتفائل السابقان لدى الولايات المتحدة في خليج عوايتنامو، كوبا - قبل أن
 يودعا معصهما.

كنت قد فكرت كثيراً في لقاء أفراد عائلتي محبداً، دون امتلاك أي فكرة عما
 سأشعر به في تلك اللحظة، ولم يكن لقاء. هي الواقع، عاطفياً بالطلق، فلم
 تملكني امشاعر، أو أعرق في دموعي، كما لم يكن أبسنا في الوقت ذاته. فقد
 كان حصاري، راقباً إلى بعد الحدود لطالما كنت استمتع بما هو عاطفي من
 الأمور وترقرقت الدموع، مع ذلك، في عيني شقيقتي الأكر عظام، فاشجعت
 بوحى بعيداً إذ لم يكن من السهل علي رؤيته هي تلك الحال، فلم أره في حياتي
 بكى، اللهم لا عند رحيل والدتي (أو حين كان والذي يصريه بقسوة، وإن لم يكن
 ذلك يحتسب)، وقد كنا أطفالاً في حبه

عاشت والذي يادئ لأمر، وكأننا كنا نتجادل اليارحة، لا أكثر، حول الدين
 والسياسة، فقد حصل بقوة طيلة ثلاث السنوات الماضية، ضد ظلم حكومة
 الولايات المتحدة، ولا مسألة نظيرتها البريطانية، كي يرى أبه عائداً هي نهاية
 نطاق، فلا تنق الحياة على حالها

عائقي مكرم، بصورة معالحة، قائلا: «أحبك يا أحي معظم، أحبك كثيراً».

اندفع أحي الأصغر، صفع الحنة، أسد، بحوي، قبل أن يعانقي، قائلا: «كنا
 محبملات يا أحي كمانا محاملات، هياي أشعر بمساعدة بالغة لمودتك، وقد
 افتقدت جميعاً بشدة، ولم تكن الأمور على حالها منذ عيالك».

وان سمعت على الجميع لحظات، فبدأت عائلي، على الأرجح، أكثر ارتياحا مني، ولم أدر ما أهول لأي منهم، وبدأ ذلك غريبا للغاية، إذ دعانا أحدهم، فيما بعد، لتناول طعام العشاء، بطريقة آل بيع المميرة، ليخرج الجميع عن صمتهم، وكان أسد قد كلف بالبرول إلى شوارع لندن، بحثا عما يمكننا تناوله من طعام، وكنا ننتهجه على الدوام، بقصد إعاضته فائلي، إنه كان يستمتع بأداء تلك المهمة، وقد عاد أسد سريعا، مع ما تفوق قيمته ثلاث مئة جنيه من الوحيات السريعة الحلال

تألفت وجبة العشاء من البينزا والكباب، والبطاطا المقلية، والكاري، والدجاج المقلي، والحمص، والسميطات، والمشروبات الباردة، وعصائر المواكه، والشوكولاتة، والكعك، والمثلجات، وقد مثل ذلك الكثير بالنسبة لي، بعد كل تلك السنين التي أمضيتها في تناول الحصار المسلوق والشاي البارد هي عواثا نامو، وقد كان الجميع يملكون هواتف نقالة، كما كان الحال عليه قبل عياني، ولحظت، مع ذلك، أن والدي ابتاع أحدها أخيرا، فقد كان يملك الثوب في الواقع، ولم تتوقف هواتفهم عن الرنين، حمصة أو سمة هي الوقت ذاته، فأنهمك والدي بالرد على المكالمات مستترا عن عدم قدرته على التحدث، بنبرة ما يشعر به من إرهاق

اتصلت ربيب بهاتف شفيقي وسمعت صوتها الحمين أخيرا، بعد مضي ما يقارب ثلاث السنوات على تلك البيئة الرهيبة هي إسلام آباد، فكان حوارا هادئا، متحصرا، وإن لم يستطع التحدث بحرية كاملة لوجود آخرين بقربي، وقد مثل ذلك مشكلة لم يدركها أفراد عائلي، بكل ما أسموا به من حسن نية، وكانت زينب آخر من رأيت قبل مروري بكل تلك الأحداث، فقد كانت هي وأطصالي، الوحيدين الذين لم أتمكن من وداعهم في تلك الليلة، ولم يكونوا، مع ذلك، حاضرين مع البقية هنا، وكنت أتأمل لقاءها، والأطصال، أولا، وشعرت أنها كانت تود ذلك أيضا، إذ أخبرتني أنها ترغب في الحضور، لأرد عليها، قائلا إن ذلك لا يمثل فكرة صائبة، وهو ما زاد الطين بلة، فكان الوقت يقارب منتصف الليل هي

حينه. وقد كان يتمنى على أحي. إن أرادت الحضور بالفعل. أن يقود السيارة إلى بيرمهم. ليقلها من هناك. قبل أن يكرر الأمر ذاته. في وقت لاحق. بقية اتصالنا إلى بيرمهم ثانية. وبدأ الاستياء عليها وأصعها. ولكنها ثقيلت الأمر بحسب. إذ كان شعوره بالحزن أمرا لا يطاق بالنسبة لي. ونكسي لم أرد حضورها حقيقة ما شعرت به من قلق. جزء من سمته في الخارج. القاعدة. داعية عن مطاردة وسائل الإعلام. أو وجود من ينهجون المرحل لإبدائي أنا وعائلتي. وفكرت في الأمر بعض الوقت. إذ لم يكن تركها فنظر. مع كل ما يسببه ذلك من عار. بالأمر الصائب. ففكرت برسال أحي ليعلمها هي والأطمان. من بيرمهم

كان بين. زوج عاريت. لطيفا بلعبة. حريصا على انعادهما الفرار المناسب. وقد حضرت عاريت. بعد مصي وقت قصير. قبل أن يجلس جميعا. وتحدث. وباقا الاحتمالات كافة هبما يتعلق بالتحدث إلى وسائل الإعلام. التي كانت تقص مصبح والذي بالمكالمات الهاتية. وتحدث عاريت. بصوتها الهادئ المتناقل فأنه إنه لا يحذر بي وضع الخطر هي تلك لمدة بل يحذر بي الشعلي بأكثر قدر من الهدوء. والعودة إلى حيائي الاعتيادية. ورفضت ذلك بالنظر إلى ما كنت أشعر به من انتمم بالتحدث إلى الصحافة. وفتح ما يحري في عواشامو. كرمي من بقو هناك ولم يكن لدى أي مما فكرة واضحة حول كيفية التعامل مع وسائل الإعلام المديدة. التي كانت تنظر التحدث إلي. وقد غضب ودي. الذي أدهشني بما بدا عليه من استعداد للتحدث إلى الصحفيين كافة. قائلا إنه يحذر بي لحصول على أكبر قدر ممكن من المال لا أكثر. كي أبدأ حياتي مع ريب و لأطمان ثانية. وأحبرني أنه تلقى عروضاً بأكثر من مئة ألف جنيه من بعض الصحف. ولكن لمكرة لم ترق لأي مما. ووصحت عاريت المرق بين بطرق التي تنبها الصحف المختلفة هبما يتعلق بالعروض المادية. والتحدث إلي. حضرت. في نهاية المطاف. إجراء مقاسمة مع. حدى الصحف في اليوم الآتي. والتوجه مباشرة هي أعقب ذلك. إلى البيت

وصلت ربيب أحمراً، مع الأطمال، عند حوالي الثانية صباحاً، فعانقتها، ما إن رأيتها، وإن صعب ذلك علي كثيراً أمام الآخرين، فقد كنت أمل أن تمنح بعض الوقت بمفردنا، إذ كان هنالك الكثير مما يتمين علينا التحدث حوله، ولكنني كنت موفياً أن لدينا العصر بأكمله، لموسم ما فاتنا، بإذن الله، واندهمت باتحام الأطمال، الذين كانوا شبه بهام، وأحبرتي ربيب أنهم بقوا مستيقظين إلى ما بعد منتصف الليل، ينتظرون بمارغ الصبر رؤية والدهم، ليستسلموا للموم في السيارة، واستيقظوا منمبين، ملؤهم الحماسة مع ذلك، حين حاطبتهم ربيب، قائلة: «ها يا أولاد، استيقظوا، بابا موجود هنا».

حملت كلا منهم على حدة، قبل أن أحملهم معاً، كما اعتدت أن أفعل، قائلاً: «السلام عليكم».

أجابوني، بأصواتهم البرينة، قائلين: «وعليكم السلام».

لم أكن قد رأيت أي طفل، طيلة ثلاث سنوات، بمعزل عن فلدات أكبادي، وتعتل كل ما أردته هي أن يتعرهوا إلي، ويتقربوا مني، ويشعروا بوجودي، كوالد لهم، مجدداً، وتبسمت ابتي الصمري، بسببة، دون أن تنظر هي وحيي مباشرة.

سألنها، قائلاً: «هل تعرفين من أنا؟».

أجابتني، قائلة: «نعم، أنت بابا».

استدريت، فيما بعد، نحو ابني الأكبر، وسألته، قائلاً: «هل تذكرني يا عبد الرحمن؟».

أجابني، وهو يعالب النعاس، قائلاً: «نعم، أنت بابا».

سألته، قائلاً: «وما الذي تذكره عني؟».

أجابني، بعد أن أصبح أكثر يقظة، قائلاً: «أذكر حين كنت تقرأ لنا قصص ما قبل النوم، وتأخذنا للسباحة، وحين احتأنا هي سيارتك هي أفعاسنا، وجهلت وجودنا هناك مدة طويلة، واعتدت كذلك أن تدعوني «لقرد الصغير»، لأنني كنت كثير الحركة».

عقبت نسبية، وهي لا توالى ترفض النظر إلي، قائلة: «لا يزال كذلك».

كانت ابنتي الكبرى، أمانة، التي كنت قريباً منها على الدوام عاطفية للغاية، فقد أحسنت بالبكاء ما إن رأتني، فجلست بقرنها، قبل أن أغوصها بذراعي. كما اعتدت أن أقبل هي السابق، لتحدث بعض الوقت فلم تعد الطفلة التي كنت أعرفها قبل ثلاث سنوات، وتمايلت عن الكيسية التي كانت تنظر بها إلي. أنا، والدها، هل احتف شعورها تجاهي؟

رايت، هيما بعد، ولدي الأصغر للمرة الأولى في حياتي، وكان ذلك عرباً، بالنظر إلى أنه لم يكن يعرف أباء بالطلق، ولم أكن ذلك الشخص العاطفي في الظاهر، ولكنني كنت أتحرق في داخلي فقد دارت العديد من الأفكار في ذهني حول هذا الطفل، إذ فكرت، بينما كنت أحمله، قائلاً لنمسي «إن يعرف حتى من أنا وسينعجز بكاء» ولم أطلق مع هذه المكرة احتمالاً، فقبلته، هيما كان لا يزال دائماً، قبل أن أعيدته إلى ريسب التي كانت قد اسمته أيوب، هيما بالسي الصابر، الذي ورد ذكره في القرآن، والمعهد القديم، وقد أراد والذي تسميته إبراهيم، ليصبح اسمه إبراهيم أيوب.

حرمت عاريت وروحها بعض الأمثلة، قبل معادرتها، فشعرت باستياء كبير لإحراجها من مبرها، وعلمت فيما بعد، أنها توحها إلى أحد المادق، وكنت أعلم بالعمل كم كانت عاريت متصدة هي إثار موكلها، والالتزام بقضاياهم، ولكنني شعرت بمتن كبير في حينه لوفوها إلى حاسا، كصديقة حقيقية.

أوى شقيقي، ومكرم يوم في لطابق لسلي هي حين بقيت صامناً مدة طويلة فقد كان والذي يجلس إلى جاني وقد بد التعب عليه واصحاً، وكانت لديه مقابلة أخرى في الساعة صباحاً فتهصت عن لكرسي، قبل أن أتفر هي أرجاء المنزل، وبرت إلى الطابق السفلي، أسير حيثة ودهاباً فقد كنت أعلم أنه يتمرن علي التعامل مع الكثير من الناس قريباً، وأحدث أفكر فيما كنت عليه قبل ساعات ست وثلاثين ربحاً، جالسا هي ريانة امرادية، معرولاً عن البقية، بينما

أملك الآن كل هذا المتسع للتفكير في أبحاثه. وتمثل الأمر المريب في استرجاع كل ما أحدثت القيام به بشكل روتيني من قبل. في حياتي الاعتيادية - بما لا يشمل باعرام. وعواشيتامو بالطبع - كل ذلك بلمحة خاطفة. لمحت الكتب كافة. في مكتبة غاريت. بينما كنت أنقل في الأرحاء. أحدث أنصفحتها سريعاً ففكرت. ههنا بعد. قائلاً لنفسي «لم أعد اجتماعياً كما كنت. لا أعلم ما أشعر به ولكن هذا ليس بالأمر الصائب».

لهوت مع الأطمال بعض الوقت. قيل أن تأوي بهم ريب إلى المراض. وكانت أمانة تنظري هي الأعلى. مبدسة في هراشها. كي أحدث إليها. وأقبلها. منميا لها يوماً هائلاً. كما اعتدت أن أعمل في السابق. ولم أدرك أنها كانت لا تزال مستيقظة. فاحترطت في الكاء. حين صعدت إليها. قائلة «لم يمد بابا يحمي». وكانت ريب مستاة بعض الشيء من مطالبتي لها بالبقاء في بيرمفهام. وعدم اهتمامي بها بعد قدومها ففكرت. هي حية. قائلاً لنفسي «هذا كثير للغاية. لا يمكنني تولي الأمر ما الذي يتظروبه مني جميعاً؟»

عط الجميع في اليوم باستثنائي. وريب. فتسنى لنا أحيرا البقاء بممرديا. والتحدث حول كل ما مررنا به. وما فعله كل منا لتدبير أمره. وتحدثنا ساعتين من الزمن. لنقرر الذهاب إلى المنزل. إذ لم أكن أود البقاء في لندن لحظة أخرى. ولم يكن ذلك بالأمر الصائب بالنسبة لي. فقد شعرت بامتياز كبير لكل ما فعلته غاريت من أجسا. ولكنني كنت بحاجة للذهاب إلى منزلتي. والبقاء برفقة أقل عدد ممكن من الناس. واتصلت بشقيقتي عظام. الذي عاد إلى منزله في شمال لندن. وقد أيقظت الجميع. قائلاً لهم «إسا مسووحه إلى منزلنا هي بيرمفهام»

بقي عظام وأسد برفقتي طيلة الليل. حين عدنا إلى المنزل. متكلم أسد بحمايتنا. بضعة أيام. والتعامل مع وسائل الإعلام. أو أي جهة أخرى. إذ كنت واثقا من نجاحه في ذلك. ففدا الأمر وكأنتي لم أعب إلا بضعة أيام. وكان ثلاث السنوات الماضية لم تكن إلا وهما. ووصلنا المنزل في الخامسة صباحاً. ولم يكن

ممنوع العاز في عرفة الميمنة يعمل. فكانت العرفة عاية في البرودة، وقد استغرق المسحون المركزي وقتاً ليدفئها، وقد عملت على إصلاح المسحون، بعد أن سألت ريتب عما يلزم ذلك من عدد. إذ بقي معطلاً بالرغم من تفكيك جميع مكوناته. قبل أن تأتي ابنتي أمامة، ذات الأعوام الخمسة، وتعهد تشيبت أحد الأسلاك في مكانه الصحيح.

ظل الجميع أنني كنت محتبشاً في مكان ما داخل البلاد، تعرضت بعض الصحف لتقديم المال لمن يرشد إلى مكانا من القراء، ومن ثم قام أحد أصدقاء ابن عمي بإرسال تقارير رائعة عن مشاهدني في أماكن متباعدة.

حضر ابن عمي الآخر، سامي، المحامي الذي لم أراه منذ سنوات عدة سبقت اعتقالي، وإن ساعد والذي كثيراً هبما يتعمق بالحملة، فكان يأتي يومياً، ويأخذ الأولاد، مشكوراً، إلى السهيم، ويحضر الطعام إلى المنزل، ويقوم بغير ذلك من الأمور. وقد وجدت عصي عاحراً عن لتعامل معه، إذ كان من الصعب علي مطالبة الناس بالرجيل، فهذا أنهم لا يدركون رغبتني هي عدم بقاء أي منهم بجواري، فقد كنت أرفض فتح الباب أحياناً، حين يحضرون، مع علمي أن ذلك يمكن أن يؤدي مشاعرهم، وكان الجميع يتوقعون أن يحطوا بي، فلم أكن أريد رؤية الناس، بل أريد البقاء مع زوجي وأطفالي فحسب، لذلك لم أكن أود، في بعض الأحيان، الحلو من معهم، وقد كنت أعلق باب عرقتي معاً لدحوئهم إليها، وتمسيت، في حينه، لو كنت ناسكاً، فأذهب إلى مكان بعيد خلّاب بمصردى، أو برهفة ريب، وكنت قد كتبت إليها، حين كنت في عوانثامو، حول القيام بذلك معاً، ولكن تلقيت، بعد عصي بصفة أيام، رسالة من وزارة الداخلية حول سحب التسهيلات الواردة في جوار سفري، وذلك ما يمنني من السعر بعيداً ولم أكلف نفسي عناء التفكير في ذلك تاركاً إياه لعاريت.

لم يسهل التعامل مع بعض الأمور، كذلك، بالرغم مما اتسمت به من بساطة، فحسنت أنني سأحظى يوم هسيه - بعد كل تلك السنين التي أمضيتها على الحصيرة الرقيقة، فوق المعدن - ما إن أحلّك إلى فراشي الوثير، لأحد نفسي

عاجراً عن ذلك، وكان المراسل ليلاً للماية، فاضطرت إلى حمل المسكينة زبيب تقام على الأرض برهقتي. وقد شمرت بقلق كبير فيما يتعلق بإيجاد دوري ضمن هذه المائلة، التي نجعت، على ما يبدو، هي تدبر أموراً من دوري طيلة تلك السنوات

تعي على التعامل مع ما لم أكن أتوقعه من حرر أيضاً، فلم يرد والذي إخباري، حين كنت حبيب رنراتي الامراضية، أنه فقد كلا من شقيقه، وشقيقته السسة الماضية، إذ كان يحبرني على الدوام أنهما يصليان من أجلي، ويسألان من أحوالي، ويتمنيان كل ما فيه صلاحني، وقد مثل ذلك الحبر صدمة حقيقية بالنسبة لي، يا هيكت عما شمرت به من حرر، وبكيت حقيقة عند سماعه.

حدثني والذي ساعات عن المائلة، لأكتشف أنها تغيرت كثيراً أثناء عياني، فقد انتهى ما كان بينه، وبين أقرانه من عداوة قديمة، لمشعابوا ثانية، وحضر العديد من المتخصصين في السابق إلى منزل والذي، ليعبروا عن تضامنهم الكامل معه، فوحدت عائلتي مماسكة، حين عدت إلى الديار، إذ كان أفرادها ينتقون باستمرار، وهو ما لم يحدث منذ مدة طويلة مسقت احتطاهي

استلزم بعض الوقت لأقدر التغير الحاصل على والذي، لا مع عائلته محسب، بل وطريقة تعامله مع العالم الخارجي أيضاً فكان قد احتفظ بقصاصات من جرائد بل وصحف تأكملها، عبارة على العديد من الوثائق، وأشرطة مصورة عن المؤتمرات، والأحاديث، والبرامج لأخبارية التي شارك بها، وأمصيت يوماً كاملاً للاطلاع عليها، وقد تبين لي أن الحملة التي أدارها كانت أكبر بكثير مما كنت أتخيل، فشمرت بتأثر بالغ بعد الاطلاع على ما قام به من أجلي، ورؤيته يتحدث عني عبارة بكل تلك العاطفة، فمثل ذلك جانباً من شخصيته لم أراه طيلة الأعوام السابقة.

بدأت التقاء الناس، شيئاً فشيئاً، بعد مصي بضعة أيام إذ حضر صديقي القديم شاكيل لرؤيتي، فتوجهت إلى لندن برهقتي، لحضور «معرض الهروب الكبير»، في المتحف الحربي الإمبراطوري، ويعلم الله كم من المرات تحيت «هروبي الكبير» على حد سواء.

دهنا لزيارة عارث في مكتبها أيضا، ودهشت بحق للكيفية التي استغلني بها الموظفون هناك، إذ كان بعضهم قد عملوا بعدد على العديد من مناحي قصصني، طيلة ثلاث السنوات الماضية، ولم يكن التزامهم بالدفاع عن حقوق الإنسان، والمضطهدين قانونيا بخاف علي (كثيراً ما شعرت منذ تلك اللحظة أنه كان يجدر بي التحرخ في كلية الحقوق، والانضمام إليهم).

شعرت بالحرية والاستقلالية عند قيادة السيارة، بعد كل تلك المدة، ومثلت رؤية رينب تقودها، لأحد الأطلال إلى المدرسة، أو الذهاب للتمسوق، أو زيارة الأهل والأصدقاء مفاجأة مارة بالسمية لي، فما استككت أفكر في مدى مماياتها من دوني، وإن أكدت تلقيها العون من الكثيرين والديها، ووالدي، وأعر أصدقائها في إيطاليا، وشقيقتها، وأصدقاء آخرين، ومن لم تكن تعرفهم من الناس أيضا، فقد حرص بعضهم على أحد الأطلال للسياحة، أو دروس الكاراتيه، باهيمك عن شراء الألعاب لهم، بينما قام آخرون بإحصار أعراس للمزل، حين عادت عائلتي حالية الوهاص إلى إنجلترا، بعد إقامتهم شهرا عند شقيق رينب في عُمان. وفهم أحدهم، علاوة على ما سبق، بكساء أرضية المنزل مجددا، راحنا تلقي أي مقابل، في حين قام آخر باستبدال المسحر، باهيمك عما قدمه آخرون من مساعدات مالية، ولم يقصر أصدقائنا، وهاعلو الخير كذلك - في باكستان - في مساعدتهم، حتى صمودهم من الطائرة المنحمة إلى عُمان، فما انفكت زيسب، كما أخبرتني تشكر الله على كل ما تلقتته من عون (لكم أن تصدقوا أن وسائل الإعلام عاملتها بلطف أيضا)، وإن عبرت، مع ذلك، عن حربيها على عائلات الآخرين، التي لم تتلق الدعم العائلي والمتممي الذي حظيت به.

التقيت، بعد مصي أسيوعين، الطبيب النفسي مكيت، الذي عمل عن قرب مع عارث (وعدد ممن اعتقلوا خطأ من سجناء سابقين)، وأبدى استعداده للذهاب إلى غوانتانامو برهقة والدي، لرؤيتي، لو قبل الأمريكيون ذلك، فقد كنت مهتما للعابة بسماع قصص بعض ممن عالجهم قبالا، كالسجناء الإيرلنديين الذين عانوا

مسوات طويلة هي السجن، بسبب جرم لم يرتكبه أبداً، فقد كان الرجل متصهما للعناية. مبركا ما كنت أمر به، هشمعت، يادئ الأمر، انسي ثم أتمرص لصدمة طويلة الأمد نتيجة المحبة التي أصابتي، لاكتشف فيما بعد أن إعادة التكيف مع المجتمع - والحياة العائلية هي بعض الأحيان - كانت بالأمر العسير حقاً، فلم أكن أحب الاحتلاط بالناس كثيراً، معصلاً البقاء هي عملة تامة، داخل المنزل، بصمة أيام أحياناً، ووجدت كذلك أني أعيش حياتين محتمتين تماماً، حياة في المنزل، وحياة المحارب القديم.

لم أرفع - بكل الأحوال - حقيقة، إلا في رؤية شخص واحد، بأقرب وقت ممكن، وكنت قد قرأت بعض الأمور عن عيروز في الصحف، بما في ذلك تعرضه إلى مشكلات نفسية فيما يتعلق بإعادة التكيف، فصابني ذلك كثيراً، بالرغم من أنني لم أكن واثقاً من صحته، وحصلت على رقم هاتفه من محامييه، قبل أن أتوجه إلى لندن للقاء، ورعبت، علاوة على ذلك، في الالتقاء بمديري الموقع الإلكتروني (كايج بريرير دوت كوم) فكانت ريب قد أخبرتي عنه، لأنصفحه يومياً منذ عودتي إلى المنزل، بالنظر إلى ما يحويه من تفاصيل كثيرة عن عرفتهم عبر لصراح المتبادل، ليس إلا، في عوستانامو، أو لحثهم سريعاً في باعرام، وقددهار

تعلكتني الحماسة، حين رأيت هيروز، قائلاً: هذه هي المرة الأولى التي أراك فيها خارج البرانة، وكان يرتدي ملابس عادية، بقدر ما توقعت، وقد توجهت إلى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء، برهقة طارق، أحد مديري الموقع الإلكتروني المذكور أعلاه، عبدا هيروز مرتان بعض الشيء من أن أناساً - عناصر - السي أي آيه - ربما - كانوا يلاحقونه، وتحدثت الصحف كثيراً، في حيه، عن عمليات اختطاف مسلمين من قبل «السي أي آيه»، من دول كالسويد، أو إيطاليا، ونقلهم إلى سوريا، ومصر، والأردن كي يعذبوا، ويسجنوا من دون محاكمة، كان هيروز حريصاً للعناية فيما يتعلق بمكان جلوسه، رافصاً أن يدير ظهره باتجاه باب المطعم فحاطبي، قائلاً: لا أدري ما حطيك، ألا تدرك أنهم يمكن أن يأتوا لاعتقالنا في أي لحظة؟.

عادته بعض الوقت، وقد بدا لي كما كان في عوانتيامو تماما، باستثناء
ملبسه فأحسست أنه كان مضطربا بعض الشيء، وبسبب ذلك لم يرشده إلى ما
يملكه مستقبلا، سواء أتعلق ذلك بالعمل، أم الدراسة، أم غير ذلك، فلم يكن لديه
روح أو اهتمام، على النقيض مما ليؤتي مسؤوليتهم

أخبرني أنه يعاني بعض المشكلات فيما يتعلق بأوراقه لشوتية، بالنظر إلى
قيام الأمريكيين بمصادرة بعضها وعميت قذلا إسي أعزى لفاء عاريت في
مكتبها عند حوالي الخامسة مفرحا ذهبه برفقتي، وتحدثت، عقب وصولنا،
إلى إحدى لعملات هناك، وهي التي كانت تتحدث لمرية سعيدة عن قيامها
بالترجمة لبعض معنقلي سجر بمارش إسي أحلي مبيلم للتو وقد كان أبو
قنادة الشيخ الفلسطيني، أحدهم، مصادفته حين كنت أهم بانحروج، لتبادل
المنية وتحدث بعض الوقت حول ما يواحه، أتمت بلا محاكمة من صعوبات،
وطرحت عليه سؤالا أحيرا، قبل مغادرتي، قائلا «ما ريك يا شيخ هي صعوبات
بحددي عشر من أيلول/ سبتمبر؟»

أجابني قائلا «أصت يا أخي فنو كنت علمت أي شيء عنها قبل وقوعها،
لبدلت قصصين جدد في نفسي».

احتجبت بعباءة بريرة أخرى للندن وذلك لروية عائلة صديقي شاكر عاصو،
المسعودي، التي أقامت معي في منزل دانه أثناء وجودنا في كربول في العام 2001،
وكان شاكر لا يزال معتقلا في المعتكر الخامس، في عوانتيامو فقد أريدت ريدتهم
بشدة وإن كنت حول ما أقول لهم، وكنت قد تحدثت بالعمل إلى روحه عبر الهاتف،
لأحدها متعة بعد تعرضها لوعكة صحية، ما اضطرني للتحدث بالقصر الأكبر طيلة
لكالة وعرض أحد الأصدقاء، إيصالي إلى منزلهم في جنوب لندن وفكرت بيسم
كنت في طريقني إليهم قائلا لنفسي «لا يمكنني الدخول إلى منزلهم حالي لوفاس،

* بوجه أبو فداء احتمال تسليمه إلى الأريس حيث يمكن أن يتعرض للتعذيب، وينتفي عقوبة

الإعدام. (المؤلف)

لا بد ان ابداع شيئاً ما، ولم يكن صديقي يعرف المنطقة جيداً، ولم نتحسّن من إيجاد أي من متاجر الألعاب، فتمثل خيارى الوحيد، بناء على ذلك هي ابتياع عدد من علب الشوكولاتة

كنت قد التقيت والد روج شاكز، وشقيقتها، عادل، حين كان شاكز في إنجلترا، فعاطبني عادل، قائلاً «كنت أصلي من أجلكما يومياً»

كان شاكز صديقاً مقرباً لي، وقد كنا نعرف بعضنا جيداً، فقد فطر قلبي لرؤية عائلته هنا، هي لندن، بعد كل ما مرت به من معاناة، ولم أدر بالعمل ما أقول لهم، إذ أحسّست ابنته الكبرى، هبة، بالبكاء، حين رأته.

سالت عادل، قائلاً «لم نيك ما خطبها؟»

أجابني قائلاً «تذكر المرة الأخيرة التي رأتك فيها، حين كنت تترح عن كابل، بينما كان والدها لا يزال يرفضها».

لم أدر ما أقول في حية وران الصمت لحظات، قبل أن أبدأ التحدث إليها، وإلى شقيقتها، إذ كان جميعهم بحلول وقت معادرتي، يتقاعصون من حولي، يتصارعون، ويشدون شعري بأهيك عن إحصار كنهم المدرسية، وقراءة الشعر، وتلاوة القرآن، وإطلاعي على ما تعلموه في المدرسة، وقد حرّست حقيقة لا صطر ري لمعادرتهم، فكسوا يتبادلون الريارات مع ريب، يتواصلون معها باستمرار

عجرت عن إيجاد ما أحاطهم به من كلمات قبل معادرتي، ولم أود مسحهم ما هو كادب من الآمال، أو حرمانهم منها بالطلق، فقد كان والد روج شاكز إماماً مسجداً مجاور، جديراً بالاحترام للعامة، وقد كنت أود إحصاره عن كل ما أعرفه من معلومات عن روح ابنته، واضطرت لمصارحتهم بأسى لم ألق شاكراً مطلقاً أثناء وجودي هناك، وإن كنت أود إطلاعهم على أمرين حوله، تمثل الأول هي مدى تأثير أحد الجنود الأمريكيين به في قنهار، بحيث كاد يعتنق الإسلام، والثاني فيما أحسرتني به حندي أحر عن بكائه، حين سمع شاكراً يتحدث عن أغلى ما لديه هي الحياة.

كانت عائلته تعلم ما هو عليه بالطبع صاحب شخصية فنية، متحدث بارع، يميز في مواقفه، عظيم الخلق، مؤثر فيمن حوله، وكنت أحب إعاملته، وقد كانت علاقتنا، على الدوام، تسهر على هذا التوال، وتمثل أكثر ما يشير الحزن - راحته عنهم من أخبار - فيما علمته عن تردّي أحواله في موستانامو، بعد أن رأى فيه الأمريكيون تهديد لهم، بالنظر إلى ما كان يملكه من تأثير في الآخرين، إذ كنت يتحدث الإبليرية إلى جيب العربية، ولا يحس في الحق لومة لائم، وقد قيل لي إن لحراس لقبوه هناك «بالبروفيسور» ولم يكن شاكر كذلك، ولكنهم كشموا بوصح عن عقليتهم، وطريقتهم في التفكير، حين معوه ذلك النقب، فكان مثل ذلك السبب وراء احتجاره في المعسكر الخامس، لسجن شديد الحراسة.

لم أستطع لتوقف عن التفكير في شاكر، وعائلته، إذ كنت أعلم أنني لن أفلح حتى يعود إلى الديار.

ثم ذهب عن داني، كذلك، العديد ممن بقوا هناك، مثل جميل البنا، وبشر الراوي من لندن، وهيكس ومحمد، وسعيد الروسي، وعثمان، باهيك عن عواشهم، وما تعرف به، فما أمكنت تلك الأفكار تراوحي مدة طويلة، وتسبب لي الكثير من الألم منذ عودتي.

تعلكتي الحيرة مما رأيته فيما بعد، وقد تعرف الناس إلي حين كنت أسير في بيرمهم مع الأولاد، أو أذهب إلى المتاجر، وأظهر بطاقة الاعتماد، أو أستقل قطار الأنفاق في لندن، فكان جميعهم يرحبون في مصافحتي، على أقل تقدير، وكان المصلون يماضوني على الدوام في المسعد، قاشين، ثم كنت ملهما لهم.

ذهبت لحضور اجتماع مهم لمنظمة العفو الدولية، ليقف الحضور في الماعة ترحيباً بي، وقد احتشد الناس، فيما بعد، للتحدث إلي، ومصادفتي، والتعبير عن مشاعرهم تجاهي، دون أن أعرف أيا منهم، فلم يكونوا من المسلمين، أو المصلين كثيراً على الأمور، وحاطيني أحد الأمريكيين، الدين السقيتهم هناك، قنلاً «أورد

الاعتذار منك عما فعلته بلدي بعثك، وأشعر بحري شديد مما يقوم به، ثم اردف، بعد أن مد يده، قائلاً: «وأود مصافحتك كذلك، واتصال عما إذا كنت تريد مشاركتي كأساً من البيرة؟» فجاني الرجل بمطبخه، إذ لم أكن قد سمعت شيئاً من هذا التهلل منذ مدة طويلة.

أجبت، قائلاً: لا، شكرًا لك، فلا أشرب البيرة، أو الكحول، ولكنني أقدر دعوتك.. اعتذر بشدة، بعد أن أدرك خطأ، قائلاً: «يا إلهي، لا بد أنك تظنني أمريكيًا جاهلاً آخر».

عفيت قائلاً: لا، مطلقاً، وإن كنت أوافقك الرأي، لما أملكه من خبرة فيما يتعلق بذلك، فلماذا احترمت رعية بشطاء المنظمة هي محاربة الظلم، بينما كان بمقدورهم الانصراف إلى حياتهم الخاصة، متجاهلين ما يحدث في فلسطين، أو العراق، أو غواتيمالا، وتمثل ما يدعوا للاستعراب في أنهم كانوا مطلعين على قضية ذلك لشخص، معظم بيع، متصاممين معه، بالرغم من عدم معرفتهم به شخصياً.

لم تتوقف وسائل الإعلام عن الاتصال بي، طائفة إحصاء العديد من المقابلات، لأقرر إجراء واحدة، لا أكثر، داخل بريطانيا، مع جون سيمو، من «قناة الأحياء الرابعة» وقد انتهت الطلبات عني من الصحافة، بعد مصي وقت قصير، لإجراء مزيد من المقابلات، فما أمكوا يتصلون بوالدي، ومكتب عاريث، وأصدقائي، وأقاربي، هالفت، علاوة على ذلك، مع قرب إجراء الانتخبات العامة، عدداً من المحاضرات والخطب عبر أنحاء البلاد، وتحدثت أمام حشد من المسلمين في لندن، محاولاً تسليط الضوء على معاناة من بقوا هي غواتيمالا، هاتار ذلك اهتمام وسائل الإعلام بصورة أكبر، وشعرت بكثير من السائر والانعراج، على حد سواء، بعد الاطلاع على قضية بابار أحمد، المسلم البريطاني، الذي كان الأمريكيون يطالبون بتسليمه إليهم، فقد أطلق والد، وزوجه، حملة شعاعاً لإطلاق سراحه، وأحزاني أن والذي كان ملهماً لهما، بكل ما اتسم به من إصرار، باهيك عن الحملة المؤثرة التي أطلقها من أجلي.

لم يكن الاهتمام الدولي بقصصتي أقل من نظيره المحلي، أو الوطني، فقد تحدثت إلى برازيليين، وإيرانيين، وباكستانيين، وكنديين، وجنوب أفريقيين، وإيطاليين، وأنانة، واهيت عن مجلة «أي بي سي نيوز»، وقناة الجزيرة، وبدأت وسائل الإعلام الاتصال بي مجدداً، حين تمخضت الأحداث عن مزيد من قصص الإساءة إلى القرآن، واعتبرت لولايات المتحدة أميراً بمسؤوليتها عن موت معتقلين ألمان في باغرام، ورفضت، في نهاية المطاف، إجراء مزيد من المقابلات، إذ كنت قد عاهدت نفسي، في مونتنامو، على منح عائلتي الأولوية في كل ما أقوم به.

احسست، بعد محبي بضعة أشهر، أنني بدأت استعيد رنام السيطرة على حياتي مجدداً، شاعراً بالسمادة عند القيام بما كان يرحسني في السابق. كدستجيب لعائلة إلى الحديقة، وريادة والذي في أيام الجمع، ولعبت في الريشة، أو كرة القدم مع شقيقي، والتحققت، مع الأطفال، في صفوف لتعليم الجوجيتسو، ذهبت عن البدء في تعليمهم تلاوة القرآن، ومساعدتهم في أداء المروض المرلية، وقراءة قصص ما قبل النوم لهم. وقد استطعت العائلة، علاوة على ما سبق، في سرهات إلى قلعة ورويك، عابة شيروود، وويست ميدلاندز، مساري نازك، بالإضافة إلى رحلات التحميم في سودوبيا، كما خططت، وعاهدت نفسي على القيام بذلك، حين كنت في الحين الانفرادي.

حل السابع من شهر تموز/ يوليو، فيما بعد، ووقعت تصحيرات لندن، بعد مصري يومين على بلوعي السابعة والثلاثين، هانصل شقيقي عظام، سائلاً عما إذا كنت قد شاهدت الأحبار، فقد أدركت جهاز التلمار لأحد جميع المحطات تنقل الأحبار عن التصحيرات في محطات القطارات، متحدة عن استهداف حافة بهجوم إرهابي في الوقت ذاته، وكاد قلبي يسقط بين أصلمي في تلك اللحظة، شاعراً بالدهول، والصدمة لهول تلك الأحبار، همدت يداكرتي إلى شهر كانون الأول/ ديسمبر، من عام 2004، حين كنت أمتجوب من قبل الأمريكيين، إذ كانوا قد سألوني في حبه باستمرار عما إذا كنت أستطيع مساعدتهم في منع وقوع

أي معلمات هي بريطانيات، مقتنمين للغاية بوقوع ما هو وشيك منها هناك، أو يتظاهرون بذلك، فلم أصدقهم في حبيبه، بالنظر إلى أن ما قاموا به لم يكن يمثل استجواباً حقيقياً، في نظري بل احتصاراً ما، مما الذي كان بمقدوري معرفته بعد ثلاث سنوات من الاعتقال^٩، ثم أعرف في حياتي أبداً من بعد أيها من التمحيصات. تقطعت بي الأنفاس، بينما كنت أتابع تقارير المراسلين المتواصلة، وما يثوبه من صور تظهر مدى فداحة التمحيصات، وتزايد أعداد القتلى، والمصابين، في حين تحاول خدمات الطوارئ يائسة، تقديم العون، وإحلال النظام في المكان مجدداً، إذ كان من الممكن أن يكون أي من أفراد عائلتي، أو أصدقائي في لندن، موحودين على متن تلك القطارات، فأخبرت عدداً من الاتصالات للأكد من أن أيًا منهم لم يصب بأذى، وهو ما لم يحدث بحمد الله، ودعك من الأهل أو الأصدقاء، فقد كان من الممكن أن أكون نفسي على متن أحد تلك القطارات، لا سيما وأني كنت أتردد على لندن كثيراً، في حبيبه، بغية العمل على إنجاز كتابي.

انعزلت في البكاء، حين رأيت معاملة مع أحد المصابين، الذين نقلوا إلى مسجد «وايتشابل» هناك من الممكن، بكل بساطة، لهذا الرجل المادي أن يطلق العديد من التصريحات التي تدين الإسلام، أو يرفض، لا أكثر، العون المقدم من قبل المسلمين، مؤثراً على الأراجح في صياغة رأي العام حول تلك التمحيصات، كميته من الناجين الآخرين، ولم يبد على الرجل، عوصاً عن ذلك، سوى مطهر الدهول، المشوب بالارتياح، ووددت بالعمل لو أذهب هناك، عارفاً مساعدتي الشخصية، ولكنني جهلت ما أعمل في حبيبه، ناهيك عن عدم قدرتي على مواجعة أحدهم، وهو يصرخ في وجهي، قائلاً «مادر المكان هوراء، لا نطلب العون من الإرهابيين».

عدت بذاكرتي، بينما كنت أتابع الأخبار، إلى المدة التي أثرت بها هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر في حياتي بشدة، فكرت في تلك اللحظة، متحوشاً مما يمكن أن يحدث من عواقب، قائلاً لنفسي «منصيب تلك الهجمات من ردود الفعل في بريطانيا ما يعير وجه البلاد بأكملها».

فكرت، علاوة على ما سبق، هيمن بقي هي عواشادمو من مقيمى على الأراضى
البريطانية. هم هو ذا الذى كان مستعداً بمد للاستماع إلى أى من أحبارهم، أو
قضية بابر أحمد؟ وتنازعنى كل تلك الأفكار فى حىه، قائلاً لفسى، «سبحاول
أحدهم الرىط بىنى، وبنى ما حرى، قائلاً (لا تحتلب عمن قاموا بتلك الهجمات،
ولم يكن الأمريكىون معطشى فى اعتمادك على الإطلاق، فلىما كنت تباركها
أىضا)» وكيف سىكون بمقدورى توصىح موقفى ضمن مناخ يسود فيه الإرهاب،
مع كل ما يستج عن ذلك من ردود فعل عاطفية؟ ولم أحمُ خارج البهت ما يقارب
ليومىن، متسمرا أمام شاشة التلفاز أتابع الأخبار.

شعرت بفصب واستياء بالعىن لوقوع تلك الهجمات، لا بسبب ما أوقعته من
قتل محسوب، بل وما الحفته من صرر بصورة الإسلام أىضا، فى أمعاء العالم
كده، ناهيك عن بريطانيا، فكان من الواضح لى، مد وقوع الحرب فى الوسمة
والشيشان، أن بريطانيا تشكل ملاداً أما للمسلمىن عبر العالم، حىث يمكنهم
التمىير عن آرائهم بحرية، وكان بمقدورهم حشد التأىد لقضاياهم ضمن إطار
القانون، بل وانتداد الحكومة البريطانية، لتوجه هذه الهجمات المأساوية، كما
مثيلاتها فى الحادى عشر من أيلول/ سبتمبر، لتوجه صربة قوية لكل من
الحركات الإسلامية البناة

تولدت لدى القاعة، حى دهب إلى أماسنان، بأن الطالبان حققوا بعض
التقدم هىما ىنعلق بتطىبق العدالة الاجتماعية، والشريعة الإسلامية الحق، على
النفىص من البلدان الإسلامية الأخرى، وقد أسهمت هجمات الحادى عشر من
أيلول/ سبتمبر بقوة فى القصاء على تلك الجهود، ولم تأت مثيلاتها فى لندن إلا
لترسىخ ذلك الواقع.

ما امكت الصحافة تطلب رأى هىما حدث، هربما كانت ترغب فى عدم
إد بى تلك الهجمات، بحىث تتمكن من إظهارى كآى إرهابى آخر، وهو ما لم
يحدث فى الحقيقة، فقد أدبتها، على النفىص من ذلك، بأقوى العبارات، محاولا

في الوقت ذاته القيام بتحليلات حول الجهة التي بمدتها، والدواعي الكامنة وراءها، ولم أره إصدار أي من الأحكام قبل معرفة الوقائع كاملة، راعب في قيامها جميعا بتحليل الأسباب التي دعت إلى تنفيذ تلك الهجمات، إن تبين أن متصديها كانوا من المسلمين، وقد وافقت جورج علاوي رأيه الشجاع، حين ربط بينها وبين ما يحدث في العراق، فتعرض الرجل لحملة شرسة بالمتبعة، ولكنه عبر بدقة عما كنت أشعر به وقد أحرزت الصحافة بذلك، فكانت إجابتي عما دهم المتصدين إلى القيام بتلك الهجمات بسيطة للغاية (المصعب).

وحدث في الكثير من الأحيان، عند متابعة تغطية وسائل الإعلام، أن من أحصرتهم من الناس كانوا يجاهون الحقيقة بما يشير الإحباط، وشعرت أنني أعلم الكثير عن بعض مما كانوا يتحدثون عنه، راعب في تنوير الرأي العام، ولم يكن ذلك بالوقت المناسب للترام الصمت، وقد تحدثت إلى وسائل الإعلام بصورة مستلمة، أملا في تسليط مزيد من الضوء على ما كان الناس يجهلونه وكنت، في نهاية المطاف، أحد أكثر من أحصوا بوطاء بعض الاقتراحات المقدمة لمكافحة الإرهاب.

اشتد الجدل حول حرمان الشباب المسلم المعز به من قبل من لا يقدرון الحياة من منطوقين، حول حرمانهم من حقوقهم المدنية، ولكنني لم أكن أتمق مع ذلك، وقد التقيت عددا من أعضاء الليكس السابقين، خلال حيازة صديقنا سام، بعد بضعة أشهر من عودتي، إذ كان بعضهم بالرغم من استقرار معظمهم، لا يزال يعاشر النساء، ويرناد الأندية الليلية، ويتعاطى المخدرات، ويحرم فيما هو عبثي من شجارات (اتصل أحدهم، في الواقع، معزيا من معنه) وكانوا على تماس مباشر مع ثقافة الشارع المحلي المسلم، الذي كان لا يزال ينظر إلى «الليكس» بكثير من الاحترام، إذ كانت آراؤهم السياسية، مع ذلك، قد تشكلت في أعقاب الحرب على الإرهاب، وما نتج عن ذلك من مناخ يسوده ما يسمى «بالإسلاموفوبيا». كان اثنان منهم، بحلول ذلك الوقت، قد تمسكا بأهدب

الإسلام، بعيداً عن الوردية كاليه، على النقيض من غالبيتهم، ولم يكن لديهم ما يمتدحان به رجال الدين الشوذيين، وإن كره جميعهم بالمر، بما لم يكن مستغرباً، ناهيك عن بوش.

علمت، مع ذلك أنه لا يزال يتمسك علي التحدث إلى جالتهتي، لقد كان لديها اجتماع محلي حول أحداث المصاع من ثمر/ يوليو - بعد بضعة أيام من وقوعها، لا أكثر - لمناقشة ما يمكننا فعله حيالها حفاظاً على مكانتنا كمسلمين، وإدانة لثمنها ومما لوقوع ما هو أسوأ، وبقيت صامناً معظم الوقت، وإن كنت أعلم - ولا فخر - أن لحاصريين كثر ينتظرون اعتلائي المنبر، مجمعين على ضرورة اتخاذ ما هو واضح من مواقف، هم يريدون أن أكون محللاً لما يجري وحسب، بل صوتاً عالياً يعبر عنهم، ويتحدث حقيقة باسمهم.

شعرت بالعمل أن الجالية المسلمة كانت بحاجة إلى أبطال رجال شجعان يدايمون عن أفرادها جميعاً وكان كل من لتقيته تقريبا يقول إن الوقت قد حان للتحدث إلى الناس، فتمسك علي محاولة الجالية المسلمة عما يجب عليها فعله فيما بعد، ولكنني أحججت عن ذلك بالنظر إلى جهتي به حقيقة، ولم أدر ما يجب علينا القيام به مستقبلاً، ولكنني كنت وألقا على المدى القصير، بأنه لم يكن ممثلاً في وضع الشبان في القصورات.

فكرت، قائلاً لنفسي «هل سيعرضون مزيداً من الإجراءات القاسية، كلما حدث شيء ما؟، وإن حدث ذلك بالفعل، فما المدى الذي سيبلغه؟، ما الذي سيكون مستقبلاً عليه هي هذه البلاد؟ وماذا لو غير من يؤيدون، من غير المسلمين، مواقفهم بسبب كل ما يحصل؟، مما انصكت تلك الأفكار تقارعني

تأرعت نفسي مجدداً، ولم أرد الذهاب إلى لندن أو ركوب أي من قطارات، ففكرت، هي حينه، قائلاً لنفسي «لو حدث شيء ما حين أكون هناك، هل ربما يظنون أنني ورءاء، وتمكني لشك من حيث لا أدري، كما هيرور تصاماً.

تلقيت مكالمة من لوسي، عسيلة الاستخبارات البريطانية، بعد ثلاثة أيام تقريب من وقوع التمجيرات، وعلمتُ تماماً في حينه بعدم قدرتي على التظاهر، لا أكثر، وكان تلك الأحداث لا تعيبي في شيء.

عاطبتي، قائلة «مرحباً، أنا لوسي، لا أعلم إن كنت تذكرني» هكت أذكرها بالطبع، بالمظر إلى أنني لم أكن أعرف غيرها ممن يحمل الاسم ذاته، فاردت، قائلة: «ربما كنت تتوقع هذه المكالمة».

عصت، قائلاً «نعم، منذ وقت طويل، شهر شباط/ فبراير».

أردت، قائلة «سمعتك نتحدث في المدياع مرتين عما حدث، وفكرت في إمكانية تحدثك إلينا».

عصت، قائلاً «نعم، بالتأكيد، فلم تكن المشكلة على الدوام متعلقة بالتحدث إليكم، بل في نظرتكم إلي».

سألتهما الحصول إلى مرلي، لندرس، قائلة إن من الأفضل أن يتم اللقاء في أجواء أكثر تكتماً، وانصلت في لاحقاً، لتعلمني بمكان اجتماعنا في مطار بيرمنغهام، فلم أرفض دعوتها، ولكنني كنت قلقاً للغاية، وشعرت بما هو أكثر من القلق الحقيقية الارتياح، فهل يجدر بي حقاً الذهاب إلى المطار، أو محطة قطارات عند المطار؟ ولم يتمثل قلقي بإعادة احتجاري، أو شيء من هذا القبيل، بقدر ما كان متعلقاً بمحادثة مطلقتي، ذات العالوية الأسبوية، عالمي الصغير، حيث كنت أشعر بالأمان.

كنت قد سمعت قصصاً عن تعرض السيخ، وغيرهم، لاعتداءات، ولم أكن أرغب حقيقة في الذهاب إلى المطار، والسير هناك، فقد كنت أخشى أن يقول أحدهم، أو يفعل شيئاً ما، وشعرت بارتياح شديد في حينه، وذهبت هناك، في نهاية المطاف، دون أن أبرج سيارتي، متظراً في موقف السيارات، وفكرت، في تلك اللحظة، قائلاً لنفسني: «ماذا لو رأي أحدكم جالساً في السيارة، وأبلغ

عني؟ وشعرت بتقش شديداً، جاهلاً ما يجدر بي فعله، وحاولت قراءة كتاب أحمله في السيارة، عملت قدر جهدي عسى أن أبدو طبيعياً، أملاً ألا يمتدح أحدهم أنني كنت أقوم بهذا بشهر الارتهاب.

اتصلت بلوسي، فلما بعد، فائدة: «صادفنا عائق ما، لن نتمكن من الالتقاء في المطار، فحجرتنا غرقة في طين، ولكن شيئاً ما وقع هناك، فهل يمكنك الانتظار بصبر دقائقاً حتى سنوضح الأمر؟».

جلست في السيارة، متسائلاً عما إذا كان يجدر بي مصادرتها، والسير في الأرجاء، قبل أن أحرم أمري بالرفض، عاجز عن إيجاد أي مبرر للقيام بذلك. وقد اتصلت بلوسي مجدداً، طالبة مني التوجه إلى صالة المغادرين في المطار، واستقلال أحد القطارات.

رأيت بعض الأسبويين، بينما كنت أسير في المطار، ما أشعرتني بقليل من الارتياح، ولم يحدث أي شيء في الحقيقة، بل كانت الأمور على ما يرام، فتمددت إلى الطابق العلوي، هيم بعد، قبل أن تستوقفي فتاة صغيرة السن، وتطلب مني تعبئة استمارة ما وهو حثت لوهلة لأولى، فهل أن أدرك ما كانت تطلبه، لنعود الأمور إلى طبيعتها وبدأت التحدث إليها، لتدور بياناتي بدورها، فقاطعتها، هيم بعد، قائلاً: «بني مصطبر لذهاب حتماً آسف للغاية، تأخرت في الوصول وفق الموعد المحدد، يمكنك، رشادي إلى محطة لقطارات من فصلك؟» فقد رحمتني، فأنشأ به مصطرة لإنجاز عملها في ذلك اليوم سائلة عما إذا كان بمقدورها إكمال الاستمارة على عجل، وبدأت مكتئبة للغاية، وقد حرمت بذلك حقيقة، ولكنني كنت مصطراً بذهاب بسرعة.

كنت لا أزال قلقاً، حين استقلت لقطار، مما يمكن أن يظنه الآخرون سعيها لعدم وجود حقيقة معي، ولصت بلوسي، حين بلغت المحطة لأخيرة، قائلاً: «أين أذهب الآن؟».

وجهتي لوسي عبر أحد الممرات الصحية الحالية، حيث يصرص وجود المئات من الناس في الحالة الاعتيادية، وهكرت، بينما كان قلبي يحرق بشدة، فائلا لوسي «ثم اختاروا هذا الطريق الحالي، بحيث يمكنني سماع وقع قدمي أثناء عبوري»، توجه الكاميرات إلي يوجه كل شيء إلي، في حال وقوع أمر ما.... بلعت نهايته أخيراً، لأحد سيدة في انتظاري، وكانت لوسي بداخلها، برفقة أحد السائقين، وأقلتا إلى أحد المداخل فهما بعد.

صارت، ما إن دخلت الضيق، أحد أصدقائي من المسلمين السود، فلم أكن قد رأيت منذ سنوات طويلة، ولكنني كنت أذكره، حين اعتنق الإسلام في المسجد المركزي، واتجه صوبي، قبل أن يحببني بشدة، فائلا «السلام عليكم يا معظّم، كيف حالك يا أخي؟».

أحبته، فائلا «الحمد لله، بحير، فأحبرني أنه يعمل هناك».

وقعت لوسي جانباً، تراقبنا، هكرت، فائلا لوسي «ما الذي سيظهر انني أفعله معها؟».

حاطبني فهما بعد فائلا «حسناً، أرى أنك مشغول».

مضيت برفقتها شاعراً بشيء من الحرج، قبل أن أحاطبها، فائلا «أنت من خرج بمكرة عقد الدماء في أحواء أكثر تكتماً».

صعدنا إلى إحدى الغرف، حيث كان زميلها في انتظارنا، وتحدثت بعض الوقت عما كان عليه أندرو، ومات، وغيرهما من عناصر «إل إم أي هايم»، وسألني عما كانت عليه الحال، وما كنت أفعله، منذ عودتي، فمارحت لوسي، فائلا إنني أنهيت للتو فصلاً يتضمن ذكرها، وبدت مصحاة للعباءة، لا يحضى أثر الإطراء عليها، فحدرتها، مع ذلك، من أنه يمكن ألا يروق لها كثيراً.

بدأ، فهما بعد، سؤالي حول التصجيرات، ومن كنت أظن أنه يقف وراءها، ووجهة نظري عموماً فهما يتعلق بها.

كطلمت عيطي. قائلا «أمصي معظم وقتي مع عائقتي وأطماني في المنزل. فليس لدى أصدقاء مقربين، فزعم أنني أعرف الكثير من الناس. ولكنني لا أحتفظ بهم، وأمصي بقية الوقت، هبما عما دند. في القنوم إلى لندن، والعمل على كتابي».

ألحا علي حقيقة لمساعدتهما في تحصيل الأسباب الكامنة وراء التمجيزات، فأخبرتهما بما كنت أشعر به من بدا أكثر المستمعين، في نظري. من تلك الأحداث، وحاولت تحليلها ما أمكنني وقد تمحورت وجهة نظري في حبه حول فكرة «المستفيد الأكبر» ولم أستبعد أن يهزل الهمم المنطوق. قائلا، «انظروا، ما أمكننا بحيركم أن أولئك الناس يعارضون طريقتنا في الميخ، وهاكم الدليل». ولم تكن الحقائق، مع ذلك، قد تكشفت في حبه، فذكرتهما بتجبر أو كلاهما في العام ١٩٥٩. وكيف الصق بالمسلمين في بادئ الأمر، وتحققنا ما يقارب الساعة، أو نحو ذلك ففبرت عن مكون بصفي يمتلئ الدقة. قائلا «أعتقد أن ما قاموا به هو عناية في الخطأ لا لأنه حدث في بريطانيا، حيث أعيش، فحسب، بل لأنني لا أؤمن بامتداد المسبيين حيث كانوا، سواء أكل ذلك عبر التمجيزات الانتصارية، أم طائرات» التي 52، لا يميز كلاهما بين من يستهدفان، وأخبرتهما أنني سأحاول معرفة ما أمكنني عن النواهج الكامنة وراء التمجيزات «ولكن ذلك لن يكون من أحتكم، بل بسبب ما قد تلحقه تلك الهجمات بهائيتنا من أضرار هائلة وهو ما سأحاول مع حدوثه بالتاكيد».

سألتهما، هبما بعد عن بشر الراوي، الذي كنت قد لتفيمه في باعرام قائلا «ذكرت الصعافه أن بشر كان يساعدكم قبل اعتقاله وهذا هو ذا الآن يبيع في عوئنامو بالرغم من ذلك فقد شاركتهم هبما أوصله إلى هناك أولستم حزينين من أنفسكم؟» وأردفت، هبما بعد، قائلا «كنت يا لوسي ورملاؤك، هناك جميعا، معرطين بقوة هبما يحدث في عوئنامو، وباعرام ويعني ذلك بوصوح انكم شاركنم في احتطافا ومحاولة انتزاع المعلومات ما غير التمديب وكنت قد أحييت أصدقائي قبل أن يتم احتطاري أن يحبروا زميلك أيلان أنني كنت مستعداً

للتحدث إليه، وأن بمقدوره القنوم إلى منزلي، هي أي وقت كان، واحتماء الشاي الباكستاني، ولكنه لم يملك الجراة ليعملها، بل انتظر حتى قام الباكستانيون باحتطائي تحت تهديد السلاح، لمعصر بهما كنت مكبل اليدين، مقيداً،

«يمثل هذا حقيقةكم، وتعلمون جميعاً ما ارتكتموه بحقي وقد قطعت، مع ذلك، كل تلك المسافة للقدوم، والتحدث إليكم، فلا بد أن تحبوا قليلاً من أمسكم».

اتحدثت لوسي موقف المدافع عن نفسه، قائلة إن ذلك يندرج في إطار السياسة وإنها عاجزة عن تعيل ما مررت به، وإن لم تكن تتحدث باسم بنية أفراد الجهار ولم تعبر عن اسمها لما حدث لي، فشعرت أنها كانت تحاول إنقاذ ماء وجهها، دون تقديم أي اعتذار.

أردت أن أعرف ما حدث مع أيار، طالبا منها تدبير موعد معه، إذ أردت التحدث إليه وجها لوجه، بالنظر إلى أنها أصبحت سواء هي الحرية، وأردت معرفة شعوره إزاء كل ما جرى، ناهيك عن عدم توكيل محام لي، أو مساعدتي في الوصول إلى الفصلية البريطانية، أو طمأنتي على أفراد عائلتي، بريطانيي الجنسية، وأشعر أن الأمور كانت ستختلف كثيراً على الأرجح، لو كنت أحد البريطانيين البيض المقيمين في باكستان.

طرحنا آخر أسئلتي على رميل لوسي، قائلاً «هل نسجل هذا الحديث؟»

ترددت في الإجابة لحظة، قبل أن تنظر حذراً، ثم هي عيني مباشرة، وترد بالنفي، فلم أصدقها.

لم يحتلف عنصر الاستخبارات البريطانية الداخلية، الذين التقيتهما في بيرمنغهام عام 2005، عما كان عليه زملاؤهما في جميع المرات السابقة، فقد كانوا يريدون شيئاً مني، ولكنهم لم يعرفوا ماهيته، فلم يكن لدي ما أقدمه لهم، أبداً، إذ لم أكن أعرف أعضاء القاعدة، ولم أكن أعرف كيف يحططون لعملياتهم، أو يحصلون على معلوماتهم الاستخبارية، ولم أكن أعرف شيئاً عن بيئتهم التنظيمية، وكنت سأكون شخصاً مختلفاً لو فعلت.

الخاتمة

علمت، في غضون ثلاثة أسابيع بيضاء كنت هي ليس أعمل على هذا الكتاب، بحدوث محاولة فاشلة لنفيهم بتعجيرات أخرى، حين كنت أدبج لأخبار هي التلغار، فقد أعقب ذلك بمدة قصيرة وقرع جريمة القتل المأساوية بحق البرازيلي جان شارلر دي ميبيريس، وتم اعتقال أحد المجرمين المزعومين خلال أيام. على بعد ما يقارب الميل لا أكثر من حيث كنت أسكن في بيرمبهم، وكان جميع من اعتقلوا، واتهموا من المسلمين.

عرضت مقاطع مصورة، بعد مصي شهرين تتضمن رسالة المدعو محمد صديق حان الأخيرة قبل ارتكاب عمله المشؤوم وتحدث، قائلا إنه قدم بذلك نتيجة ما يحدث في العراق وأفغانستان فقد كان مسلما أيضا

أردت، كما العديد منا، تصديق نظرية المؤامرة وفوق جهة أخرى وراء تلك الأعمال، ولكنني لم أرد حداث نفسي وسقط قلبي بين أصلي محبدا، متحوبا مما يحبه المستقبل لنا في هذه البلاد

تجسبت السفر إلى لندن - للعمل على إبحار لكتاب في منزل فيكتوريا - ما أمكنني، وقد أحست فيكتوريا بما يتعلقني من قلق هيات منزل أحد أصدقائها في الريف قربا من بيرمبهم كي يعمل فيه معا وكان ذلك أساسي تماما، فعادت رحلاتي المنظمة عبر القطر، في نهاية المطاف، بعريد من لفق، فكان من الممكن أن بطني اناس إرهابيا بسبب مطهري (إن لم أكن أردي سشرة مناسبة، على سبيل المثال)، أو مشيت بسرعة، أو ببطء، وكنت أحشى أن يتم إطلاق النار علي، أو تعجيري.

محدد، في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني / نوفمبر، ولمدة ثلاثة أيام، مؤتمر لمنظمة العمل الدولية «أمستري» و«رييرف» - منظمة كليف - بعنوان «الكسح العالمي ضد التعذيب» خليج غوانتانامو، و«دعرام»، وما وراءهما، واستند المؤتمر إلى فكرة ذكرها كليف في معسكر الصدق، وقد كانت العديد من الشكاوى قد اعترضت حول مدى نجاحها، وتساءل كليف في حينه، قائلاً «كيف يمكن لنا أن نتوقع السماح للملكة المتحدة بدخول كل أو تلك المعتقلين السابقين في غوانتانامو، و«دعرام»، في حين لا يزال المهدد من المقيمين على الأراضي البريطانية معتقلين؟» وكان ذلك ما حدث على أية الحال

عقد مؤتمر صحفي في أول أيام المؤتمر، فكانت دعوتي بسيطة في حينه، مستمدة مما قاله والدي «لا تتوسل طلباً للشفقة، ولا تتأشد طلباً للرحمة، بل تطلب العدالة بكل بساطة، وإن ارتكب أحدهم جرماً ما، فحاسبوه عبر عملية قضائية شفافة أما وإن ذلك لن يحدث، بالنظر إلى ما أمكنه من حيلة فيما يتعلق بذلك الشأن، فاعيدوهم إلى أحبائهم وعوضوا عنهم وأعلقوا معتقل غوانتانامو، وغيره من المعتقلات سيئة السمعة».

فإن كل من مانريد بونك، مقرر الأمم المتحدة الخاص لقضايا التعذيب، وبول هنت، مقررها الخاص حول الحقوق الصحية للإنسان، قام كل منهما لاحقاً في ذلك اليوم بمقابلة جميع المعتقلين السابقين من حضور المؤتمر، على انفراد، بعد أن سمعتهما الولايات المتحدة من مقابلة لمحتجرين في معتقل غوانتانامو، الذي كان يوصف بالعمل من قبل منظمة العمل الدولية «بعولاع»^{*} عسكراً الحاضر.

السبب في تلك الأمسية محامين، ناشطين في مجال حقوق الإنسان وصحفيين من اليابان حتى الأرجنتين، ومن أوغندا حتى الولايات المتحدة، وكان معتقل غوانتانامو قد استنرف الكثير من أوجه حياتهم، بما يعوقني (عقب إطلاق سراحني) وقد كنت طالبة «تعلم كل شيء عني»، بالنظر إلى أنني كنت محبوساً أطروحتها في القانون.

^{*} معسكرات الاعتقال السوفييتية لمانقة (المرحوم)

حصر المعتقدون البريطانيون السابقون كافة. هي اليوم الآتي. وتحدثوا على المسرح. أو عبر الميكروفونات. أو المقابلات التلفزيونية المسجلة. فذكرتنا ضاريت جميعها. يادئ ذي بدء. بقرار المحكمة الأمريكية العليا حول قضية «رسول ضد بوش». الذي أكد زبح رسول لها على الدوام. بالرغم من تأثره المادي الضئيل فيما يتعلق بقضية المعتقلين. وتحدث شقيق رسول. وأصف إقبال. من تيمتور. فيما بعد. عن معشهما للمرة الأولى علانية. ماهيك عن مراعاة الاستخبارات الأمريكية حول ظهورهما في تسجيل مصور مع ابن لادن. بينما كانا يعملان. في الواقع. في «شركة كوبر». وهذه الحفيظة التي وفرتها الاستخبارات البريطانية

أجبت أحد الأشعاص. حين سألني عما أملكه من قدرة على التعبير بمهارة عن مكنون نفسي قائلا «حسا. لم أكن بذلك الحطيط الموه قبل اعتقالي. فاود. شكر «السمي أي آيه. و«الإم أي هايص». و«الإف بي أي. والحيث الأمريكي على ما منحوه إياي من ثقة. وحيرة بعد حصولي لما يريد على ثلاث مئة استجواب. وذلك ما مكّني من تحسين أدئي. فاستمر الحضور متحكس

ردد مارتن موباما إحدى أغانيه التي كان يصدح بها في غوانتانامو. لتذهب أكم الحاضرين بالتهديق وترتفع أصواتهم مطالبة بكرارها وقد سمعت تلك الأغنية للمرة الأخيرة. حين كنت هي قسم بابا. وكنت لا أزال أجهل معاني كلماتها

كنت قد رأيت إيراث هاكيتوف. الروسي الذي زافقني هي الأسر بصعقة أسابيع. للمرة الأخيرة كذلك. حين كنت هي قندهار. وتناقضا كما الأصدقاء القدامى. قبل أن نتحدث عن آخر لقاء. لنا هي المعتقل. فتمرت بالمرح لرؤيته طليقا. وإن لم أكن أعرفه حق المعرفة والتقيت رسول. الروسي. كذلك. الذي لم أراه من قبل. ليعايشني كما الأحوة. علاوة على محمد صغير. الباكستاني. الذي كان من بين أول من أطلق سراحهم من غوانتانامو. فكان مرثه قد دمر نتيجة الزلزال. ليبدأ إيراث حملة جمع تبرعات من أجله.

التقيت عبد الله المالكي، السوري الكندي الذي تمرص للتعذيب في سوريا،
بالتواطؤ مع الكنديين، كما رعم بمصهم، فأجبرته أسي أصبحت على قدعة الآن
بأنه (أو صديقه ماهر عرار⁹) من كان نابثن، محقق الاستخبارات العسكرية
الأمريكية يقصده، حين حدثت في باعرام بإرسالي إلى مصر.

خاطبته قائلاً: «كأت معرفة أمثالك، يا عبد الله، من ضمن الأشياء التي
سأعدتني في تدور محنتي، وعلمت، بالنتيجة، وجود من تمرصوا لما هو أسوأ
مما مررت به»

تمثل الأمر الأصعب في الاستماع إلى ما يوجع القلب من خطاب، ألقاها أقرب من
يشوا في الأسر فقد التقيت شقيق سامي الحاج، منصور الجورية المعتقل في
عواصنامو هاجم معظم العاصريين على أن اعتفاله لم يكن إلا نتيجة لما يكنه
الأمريكيون من صغية للمعطلة و لتعبت، علاوة على ذلك، ربيعة كورنار، والدة مراد
كورنار، المعتقل التركي الذي ولد ورعرع في المايه دون أن يحظى بتمثيل قانوني من
قبل أي من حكومتي البلدين، وقد قرعت ربيعة أبواب البيت الأبيض كذلك برفقة
والدي، طلب للمدالة من أجل ابنها، حين كنت لا أزال في الأسر، معافقتي وكأسي
ولدها، وقابلت ناديا دهرديروفهيتش روح لحاج بوديلا أحد الحرائيرين اليوسيين
الحمصة الذين حطموا من قبل «السي أي آيه» خارج المحكمة التي برأتهم من نهم
المشاركة في معطط إرهاسي ليرسلوا فيما بعد إلى عواصنامو وكانت قد التقطت
صوراً لعملية الاحتطاف، للتدليل عليها، والتقيت كذلك شقيق أحمد الرشيددي،
المربي المقيم في بريطانيا ليتحدث بما يمس شعاف المطلوب، بعربية بليغة، عن كيفية
تحول شقيقه الطاهي إلى «جبرال»، كما كان لأمريكيون بدعونه، والتقيت على حد
سواء، عائلة عمر ديماس المعتقل الآن من برايتون، الذي قتل والده على يد نظام

⁹ مواطن كندي اعتقل من قبل السلطات الأمريكية قبل أن يرسل إلى سوريا في شهر تشرين
الأول/ أكتوبر 2001 ليرمى في سبابة «كانقبره» ويصوب بوحشية وقد أطلق سراحه في
شهر تشرين الأول أكتوبر 2003 وأحررت الحكومة الكندية تحقيقاً حول دور مسؤوليها في
اعتقاله (المؤلف)

بقدها، وكاد قلبي يمتلئ لإخبارهم أنني لم أرى إلا عمر صور أبنائها عملاء.
«لأن أي ضابط»، وه المني أي أياه، حيث كان المؤمن باديا على وجهه، بأعبد عن
أثار الكدمات.

انحرفت الحاضرون في البكاء، حين قرأت هيكتوريا رسالتي المسببة الياء،
والدة بشر الروي، المؤثرين لأبعد الحدود، علاوة على فهم أطلال حميل النبا
باعتلاء حشبة المسرح، وقراءة ما كتبوا إلى والدهم من رسائل

تمثلت معاجاتي الكبرى، في نهاية المطاف، بما قامت به روح شاكرو، فكنت
أعلم أن والدها سيتحدث أمام الحضور جاهلا ما إذا كانت ستحدث حدوه،
وكانت قد عانت من نوبات اكتئاب شديدة لتعصي مدة في المستشفى، وقد
تحدثت بوصوح تام وعاطفة صادقة تعبت معها لو أمكنني الحلول مكان روحها
في عوانتنامو كي يتمكن من العودة إلى الوطن

كنت قد قرأت أن توبي بلير كان راصيا للماية عما يحدث في عوانتنامو، في
شهر تموز/ يوليو من عام 2003 لم يحدث قاتلا إن حكومته حصلت على
معلومات قيمة للماية من معتقلين هناك. هي معرض رده عن سؤال حول ما يجب
فعله حيال من تبقى من معتقلين بريطانيين في عوانتنامو، وقد أقر الرجل في
الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2005 أمام لجنة في مجلس
العموم البريطاني، بالتزامن مع حر أيام المؤتمر، قاتلا، يمثل معتقل عوانتنامو
أمرا شادا يجب أن يتم، بهاؤه، ولم تكن أكثر معادة لسمع ذلك من بعض من
تحدثت إليهم، للمرة الأولى من أعضاء مجلس العموم، بعد مصي يومين، إذ كان
مجل بلير يتحدث عن مصه فيما يتعلق بذلك المصية.

لا بد أن أسبب الفصل لحكومته لحاها في التعاوض حول عودتي إلى
إنجلترا، وإن قامت دول كباكستان وأفغانستان بعمل الأمر ذاته مع بعض
موطنها وتمثل أحد أصعب ما كان يجب علي تقبله من حقائق مد عودتي، هي
تواطؤ حكومتي فيما جرى

ما اشكت الأسئلة دائها تدور هي دهي. من رود الأمريكيين بالمعلومات الخاصة. ومكثهم من اعتفالي هي المقام الأول، من استمل وصمي إلى أقصى الحدود. خلال كل من حصول محثي هي إسلام آباد، وقندهار، وبغرام، وعوانابامو، من كان حليف الولايات المتحدة الأوثق في حينه. كما الآر؟ وكنت قد قرأت رسائل وراة الخارجية إلى والدي، بكل ما فيها من تأكيدات على عدم سماح الأمريكيين للمسؤولين البريطانيين بلاء مواطنيهم المحتجزين في معتقلات أفغانستان، لهتم استجوابي من قبل الاستخبارات البريطانية في تلك المعتقلات. حيث كان يعذب بعضهم، ممن يمرون بأوصاعي دائها، حتى الموت.

تمثل ما يدعو للأسف هي سلوكهم عبر الأخلاقي، وغير القانوني. ناهيك عما اتسموا به من مفاق، فلم يوافقوا على كل ما تعرضوا له من تعذيب، وظروف سيئة فحسب، بل اتحدوا ذلك الموقف بملء إرادتهم، وما هي دي الدروس المستفادة من محاكمات نورمبرج تظهر للعيان، فلا يمكن أن تكون حاصراً في تلك الأحداث. وتكرر دورك فيها بكل بساطة إذ يعرف التعذيب ضمن ميثاق الأمم المتحدة بممارسة الدول صغوط نفسية أو جسدية شديدة على الأفراد، معية الحصول على معلومات ويشكل ذلك العمل، علاوة على المشاركة فيه، حرقاً للقانون الدولي. ويسدرج صغر الأعمال الحديثة اصطلاحاً، وتتمثل المارقة هي تأكيد الحكومة على تنافي التعذيب مع نطق العيش البريطاني، بينما لا تحد غصاصة هي استخدام ما يشرع عسره من معلومات، والتمويل على مصداقيتها.

تحدث نوني بلير، عقب أحداث السابع من شهر تموز/ يوليو، قائلاً: «يشعر علينا عدم السماح للإرهابيين بتعبير طريقة حياتنا، ولكن ذلك هو ما يحدث بالعمل، ويشكل استخدام القوة للتعامل مع الإرهاب، بطريقة أو بأخرى، ظاهرة جديدة في بريطانيا، بالنظر إلى أن الحرب أيدولوجية هي المقام الأول. وقد تمت مصاعمة مدة الاحتجاز بلا تهمة، بالعمل، لتصبح ثمانية وعشرين يوماً، بعد أن حاول بلير جعلها تسعين، وتحري خطط إغلاق ما يشتبه به من أماكن عبادة

(المساجد بالأحرى)، على قدم وساق، فقد تم توقيع اتفاقيات جديدة لتبادل المطلوبين مع دول تشجع التمذيب جسمانيا، إن لم يكن صراحة في دساتيرها المكتوبة، وأخيراً وليس آخراً، وهو ما يمد الأخطر على الأرجح: السماح بإرداء المشبه بهم، وأصلي كي لا تقع تفجيرات أخرى، فنتقير طريقة حياتنا بصورة إضافية.

تمثل أكثر ما تعلمته أهمية من دروس - مع كل ما اكتسبته، وطلوته منذ اعتقالي، وبعد عودتي هي معرفة أن العديد من الناس يداومون عن العدالة في هذا البلد، وأنهم ليسوا جميعاً من المسلمين، فشمرت بالفقر، حين أخبرني الحراس الأمريكيون في غوانتانامو أن مظاهرات الملايين تخرج في لندن احتجاجاً على الحرب، وشمرت بالفقر لحدوث ذلك في شوارع ما أدعوه بلدي، فريما كان ذلك ما عناء باكسمان حقيقة «بعدم الاستغفاف بقدرة الإنجليزي على مناصرة المضطهدين» وإن كان ذلك ما تتمحور القضية حوله، فإنني أود قول الآتي: «أشعر بالفخر لكوني بريطانياً، تماماً كما أشعر به لكوني مسلماً» ويظل الزمن، على أية حال خير حكم على ذلك.



في الطريق إلى الوطن

كتبها معظم بيغ، بينما كان في الحبس الانفرادي

بدأت هذه الرحلة بلا حدود،

انتهت بي معجزا بلا أهداف،

مستلقيا الآن في الرزازة يقطا،

مع الفرح والتسامات زائفة؛

استغفدت الحرية، مضى الوقت،

ملأت الدموع كأس أساي،

بيني قفص، والقفص حديد،

يظهر بالتالي زيف الواقع

تلاشت الأحلام، ضاعت الآمال،

ليسعد المرء، مع ذلك، بوضعه الجديد؛

تتمثل سفيرته - الاعتقال، وكل شيء؛

في البقاء صغيرا للغاية، والوقوف بقامة عملاقة

سنوات من الدموع، وأيام من الكد

لا شيء الآن سوى المخاوف وفساد الطفلة،

ستفقد أوامرهم بلا شك،

لا سبيل للمره إلا احتمال هذه المهزلة

تعلمت أن «الصبر فضيلة».

وكذا الاحتمال،

يساعدني الشمر في ذلك

(ربما ينال الاستعسان)

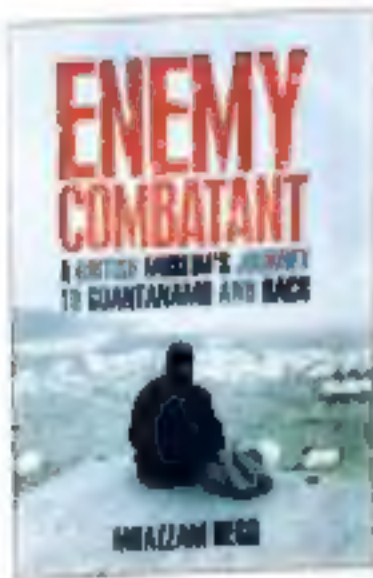
لا أزال أسطر هذه الورقة

جاهلا - بينما تبدأ الأحلام

وتنتهي الكوابيس -

متى سأعود إلى الوطن والأحبة





اختطف معظم من منزله في باكستان، حيث التقى عائلته مجدداً. إبان الأسابيع العسيرة التي أعقبت هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، وما تلا ذلك من قصف أمريكي لأفغانستان، حيث كان يعمل في مجال التنظيم، ومشاريع مائية. اقتيد، يادى ذي بدء، إلى مركز اعتقال أمريكي في قندهار، مغطى الرأس، مقيداً، مكبل اليدين، ليتم نقله فيما بعد إلى باغرام، ثم خليج غوانتانامو أخيراً. أمضى ثلاث سنوات في تلك المعتقلات، حيهض الرزاقة الانتزاعية مدة طويلة منها، ناهيك عن خطوعه لما يزيد عن ثلاث مئة استجواب، وتعرضه للتعذيب، وتلقيه تهديدات بالثبوت، شاهداً على مقتل اثنين من المعتقلين. أطلق سراحه أوائل العام ٢٠٠٥، دون الحصول على أي تفسير أو اعتذار.

بروي (عدو محارب) قصته المثيرة، نخللاً إيانا خلف الأسلاك الشائكة للمرة الأولى، كاشفاً خبايا المالم العظم، الغامض، المحكوم بالخوف، المهي بالإحباط، الذي ألقي معظم في غياهب سجون، بينما كان يناضل، وصعبه، لوضع حد لاعتقالهم الذي أراد الأمريكيون أهدياً، متهمين إياهم بمعاداة الولايات المتحدة. يسلط الكتاب الضوء كذلك بما يثير الدهشة على عقلية سجنائه، ومن استجوبه من محققين، الإم أي طابق، والمسماي أي إيه، والإف بي أي، بكل ما اتسعت به أسلحتهم من عبثية، علاوة على الآراء المتنوعة حول (الحرب على الإرهاب)، التي خرج بها معظم من جدالاته مع الجنود الأمريكيين.

لا يمثل الكتاب مع ذلك مجرد رواية مؤثرة حول إحقاق العدالة فحسب، بل يقوض في تفاصيل اعتقال معظم أيضاً، ملقياً الضوء على خلفيته كمسلم مثقف، منطوق في السياسة، يعيش في الغرب، متأخراً مع بقية المسلمين الذين يكافحون الظلم عبر العالم، ناهيك عن بروز دوره ضمن الجالية المسلمة مؤخراً، متصدراً للإرهاب، ومحاولات أبلسة الإسلام على حد سواء. إنه رواية واقعية متفردة حول الإسلام في الغرب في تسعينيات القرن المنصرم، ويصنف بجدارة ضمن أدب الاعتقال الكلاسيكي المعاصر.

معظم بيغ، ولد وترعرع في بيرمنغهام، حيث يعيش الآن مع عائلته. سافر كثيراً، وعمل في مشاريع إنسانية في البوسنة وأفغانستان خلال السنوات التي سبقت اعتقاله.

فيكتوريا هريتين، شريكته في الكتاب، ناشية معزز الشؤون الأجنبية السابقة في القاريان، من مؤلفاتها السابقة (حيوات خفية - ميثاق خفية)، و (موت الكرامة).

صورة القلاف الأمامي، معظم بيغ خارج مركز توزيع مساعدات قافلة الرحمة، أوسشراك، البوسنة، ٢٠٠٣ (مجموعة المؤلف).

ISBN 978-603-503-495-1



9 786035 03495 1



موضوع الكتاب:
سجين غوانتانامو - التمثيل